

شرح العيون

في

شرح رسالة ابن زيدون

تأليف

جمال الدين بن نباتة المصري

٦٨٦ - ٧٦٨ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر

دار الفكر العربي

الرسالة الهزلية

أما بعدُ ، أيتها المصابُ بعقلِهِ ، المورطُ بجهلِهِ ؛ البينُ سَقَطَهُ ، الفاحشُ غَلَطَهُ ؛
 العائرُ في ذَئيلِ اغترارِهِ ، الأعمى عن شمسِ نهارِهِ ؛ السَّاقُطُ سُقُوطَ الذُّبابِ عَلَى
 الشَّرَابِ ، المتهافُ تهافِ الفَرَلَشِ فِي الشَّهَابِ ؛ فَإِنَّ الْعُجْبَ أَكْذَبُ ، ومعرفةُ
 المرءِ نَفْسَهُ أَصُوبُ . وإنَّكَ راسِلتَنِي مستهدياً من صِلَتِي ماصفرتُ منه أيدي
 أمثالكَ ، متضدِّياً من خِلَتِي لما قُرِعَتْ دُونَهُ أنوفُ أشكالكَ ، مُرسِلاً
 خليلتكَ مرتادةً ، مستعمِلاً عَشِيقَتِكَ قَوادةً ، كاذباً نَفْسَكَ أَنَّكَ ستُنزلُ عنها
 إلىَّ ، وتُخلفُ بعدها عليَّ

ولستَ بأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ

* * *

ولا شكَّ أنها قَلَّتْكَ إِذْ لم تَصْنِ بِكَ ، ومَلَّتْكَ إِذْ لم تَغْزِ عَليكَ ، فإنَّها
 أَعْذَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وما قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زاعمةٌ أَنَّ المروءةَ
 لَفَظَتْ أَنْتَ مَعْنَاهُ ، والإنسانيةَ اسمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ ، قاطعةٌ أَنَّكَ
 ما فَرَدْتَ بِالْجَمالِ ، واستأثرتَ بِالْكِمالِ ، واستَعَلَّيتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلالِ ،
 واستَوَكَّيتَ عَلَى تَحاسِنِ الْخِلالِ ، حَتَّى خِلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عليه السلام -
 حاسِنَكَ ففَضَضْتَ مِنْهُ ، وَأَنَّ امرَأَةَ العَزِيزِ رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قارُونَ
 أَصَابَ بَعْضَ ما كُنَزْتَ ، والنَّطْفَ عَثَرَ عَلَى فَضْلِ ما كُنَزْتَ ، وكسرى
 حَمَلَ غاشينَكَ ، وقَيْصَرَ رَعَى ماشيتَكَ ، والإِسْكَندَرُ قَتَلَ داراً فِي طاعِنِكَ ،
 وأرْدَشِيرَ جَاهَدَ مُلُوكَ الطَّوائِفِ لِخُرُوجِهِمْ عَنْ جِماعَتِكَ ، والصَّحَّاحُ اسْتَدْعَى
 سَالمَتَكَ ، وَجَذِيعَةُ الأَبْرَشِ تَمَنَّى مِنادِمَتَكَ ، وشِيرِينُ قَدْ نافَسَتْ بُورانَ فِيكَ ،
 وَبُلْقِيسُ غَايَرَتْ الزَّبَّاءَ عَليكَ . وَأَنَّ مالِكََ بنَ نُويْرَةَ إِنما رَدِفَ لَكَ ، وعُروَةَ
 ابْنِ جَعْفَرٍ إِنما رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكُليبُ بنُ رِبيعةٍ إِنما حَيَّ المَرعى بِعِزَّتِكَ ،

وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ بِأَنْفَتِكَ ، وَمُهْلِلًا إِنَّمَا طَلَبَ نَارَهُ بِهَيْمَتِكَ ، وَالسَّمَّوَلِ إِنَّمَا
 وَتَّى عَنْ هَيْدِكَ ، وَالْأَحْتَفِ إِنَّمَا احْتَبَى فِي بُرْدِكَ ، وَحَاثِمًا إِنَّمَا جَادَ بِوُفْرِكَ ،
 وَلَقِيَ الْأَصْيَافَ بِبِشْرِكَ ، وَزَيْدَ بْنَ مَهْلِلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخْدَيْكَ ، وَالسَّلِيكَ
 ابْنَ السَّلَكَةِ إِنَّمَا عَدَا عَلَى رَجَائِكَ ، وَعَلَمَرُ بْنُ مَالِكٍ إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِيَدَيْكَ ،
 وَقَيْسُ بْنُ زَهْرٍ إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ ، وَإِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمَصْبَاحِ
 ذِكَايِكَ ، وَسَحْبَانُ إِنَّمَا تَكَلَّمَ بِأَسَانِكَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْمِ إِنَّمَا سَحَرَ بِبَيَانِكَ ،
 وَأَنَّ الصُّلَحَ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ تَمَّ بِرِسَالَتِكَ ، وَالْحِمَالَتِ بَيْنَ عَبَسَ
 وَذُيَّانَ أَسْنَدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ ، وَأَنَّ احْتِيَالَ هَرَمَ لَمَلَقْمَةٍ وَعَامَرَ حَتَّى رَضِيََا
 كَانَ ذَاكَ عَنْ إِشَارَتِكَ ، وَجَوَابُهُ لِعَمْرٍ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيُّهُمَا كَانَ يَنْفَرُ - وَقَعَ
 عَنْ إِرَادَتِكَ ، وَأَنَّ الْحَجَّاجَ تَقَلَّدَ وَلَايَةَ الْعِرَاقِ بِجَدِّكَ ، وَقُتَيْبَةَ فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ
 بِسَعْدِكَ ، وَالْمُهَلَّبَ أَوْهَنَ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِأَيْدِكَ ، وَقُرْقَى ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِكَيْدِكَ ،
 وَأَنَّ هِرْمُسَ أَعْطَى بَلِيْعُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ، وَأَفْلَاطُونَ أَوْرَدَ عَلَى أَرْسَطَاطَالِيْسَ
 مَا تَقَلَّ عَنْكَ ، وَبَطْلَيْمُوسَ سَوَّى الْأَسْطُرْلَابَ بِتَدْيِيرِكَ ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى
 تَقْدِيرِكَ ، وَبُقْرَاطَ عِلَّمَ الْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسَ عَرَفَ
 طِبَائِعَ الْحَشَائِشِ بِدَقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكَلَّاهُمَا قَلْدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنْ
 الْمَزَاجِ ، وَاسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَاسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ ، وَأَنَّكَ
 نَهَجْتَ لِأَبِي مَعْشَرٍ طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ عَلَى سِرِّ الْكَيْمِيَاءِ ،
 وَأَعْطَيْتَ النَّظَّامَ أَصْلًا أَهْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكَنْدِيِّ رَسْمًا اسْتَخْرَجَ
 بِهِ الدَّقَائِقَ ؛ وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتَرَعَكَ ، وَتَأَلَّفَ الْأَوْتَارَ وَالْأَنْقَارَ تَوَلِيدَكَ
 وَابْتِدَاعَكَ ، وَأَنَّ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنَ يَحْيَى بَارَى أَقْلَامِكَ ، وَسَهْلُ بْنُ هَارُونَ مُدَوِّنُ
 كَلَامِكَ ، وَعَمْرُو بْنُ بَكْرِ مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنَّكَ
 الَّذِي أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَيْفَةَ ،

وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الرُّضِ ، وَفَكَ الْمَعْنَى ، وَفَصَلَ بَيْنَ
الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى ، وَصَرَفَ وَقَسَمَ ، وَعَدَلَ وَقَوَّمَ ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ ،
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ ، وَتَنَّى وَتَعَجَّبَ ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ ، وَثَنَى
وَوَجَعَ ، وَأَظْهَرَ وَأَضْهَرَ ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ ، وَأَرْهَلَ وَأَعْنَدَ ، وَبَحَثَ
وَنَظَرَ ، وَتَصَفَّحَ الْأَذْيَانَ ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغَيْلَانَ ، وَأَشَارَ بِذُبْحِ
الْجَمْدِ ، وَقَتَلَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَأَنكَ لَوْ شِئْتَ خَرَقْتَ الْقَادَاتِ ، وَخَالَفْتَ
الْمُفْهُودَاتِ ، فَاحْلَتِ الْبَحَارَ عَذْبَةً ، وَأَعَدَّتِ السَّلَامَ رَطْبَةً ، وَنَقَلَتْ غَدَاً
فَخَصَّرَ أُمْسًا ، وَزِدَتْ فِي الْقَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا ، وَأَنكَ الْمَقُولُ فِيهِ : « كُلُّ
الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » .

و: ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدٍ
والمعنى بقول أبي تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
والمراد بقول أبي الطيب :

ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَهْلِهَا
فَكَدَمْتُ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَاسْتَسَمَنْتُ ذَا وَرَمٍ ، وَتَفَخْتُ فِي غَيْرِ
ضَرَمٍ ، وَلَمْ تَجِدْ لِرُمَحٍ مَهْرًا ، وَلَا لِشَفَرَةٍ مَحْرًا ، بَلِ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ
بِالْإِيَابِ ، وَتَمَنَّتِ الرَّجُوعَ بِخُنَى حُنَيْنٍ ، لِأَنِّي قُلْتُ :
* لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ النَّعَالِبُ *

وَأُنْشَدْتُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ
وَنَخَرْتُ وَكَفَرْتُ ، وَعَبَسْتُ وَبَسَرْتُ ، وَأُيْدَأْتُ وَأُعِدْتُ ، وَأُزْرِقْتُ
وَأُرْعِدْتُ .

و: * هَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي *

وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ، وَلِلضِيفَةِ حَرَمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالِ
الدُّسْتُنُقِ ، وَالتَّغْلُ حَاصِرَةً إِنْ عَادَتِ الْعُقْرُبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُحْكِنَةً إِنْ أَصَرَّ
الْمَذْنِبُ .

وَهَبَهَا لَمْ تُلَاحِظْكَ بَعْدَ كَلِيلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيبُهَا ، حَسَنٌ
فِيهَا مَنْ تَوَدُّ ، وَكَأَنَّ لَهَا حَلَّتْكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمَّتْكَ بِسِيمَاكَ ، وَلَمْ تُعْرِكَ
شَهَادَةً ، وَلَا تَكَلَّمْتَ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقْتَ سِنَّ بَكْرِيهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ
عَنْكَ ، وَوَضَعْتَ الْهَذَا مُوَاضِعَ الثُّقْبِ بِمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً
فِيمَا أَثْنْتَ بِهِ عَلَيْكَ ، فَالْمُعِيدِي تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَوَاهُ .
هَجَبُ الْقَذَالِ ، أَرْعَنُ السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَادَةِ ، مُفْرِطُ الْخُلُقِ
وَالْعَبَاوَةِ ، جَانِي الطَّبَعِ ، سَيِّءُ الْإِجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَقِيعُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ
الذَّهَابِ وَالْخَفِيَّةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُنْتِنُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَائِبِ ،
مَشْهُورُ الْمَتَالِبِ ، كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَشْمَةٌ ، وَبَيَانُكَ فَهْمَةٌ ،
وَضَحِكُكَ فَهْمَةٌ ، وَمَشِيكَ هَرُولَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ،
وَعِلْمُكَ مَحْرَقَةٌ .

مَسَاوِ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْعَوَانِ لَمَا أَتَمَّهِنَّ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
حَتَّى إِنْ بَاقِلًا مَوْصُوفٌ بِالْبِلَاقَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَةٌ مُسْتَحِقٌّ لِاسْمِ
الْعَقْلِ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوَيْسًا مَا نُورٌ عَنْهُ يَمُنُّ الطَّائِرُ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْإِغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَفِيَّةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ
سَقَرٌ .

كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَكَ لِكُرْمِي كِفَاءً ، وَضَعْتِكَ لِشَرَفِي وَفَاءً ! وَأَنَّى
جَهَلْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقْعُ عَلَى الْأَفْهَامِ !
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ
لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتَ : الْخَلِيفَةُ وَالطَّبِيبُ لَا يَسْتَوِيَانِ ، وَتَمَثَّلْتَ :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلَذَّ قِيَانِ
وَذَكَرْتَ أَنِّي عِلْقٌ لَا يُبَاعُ فِيمَنْ زَادَ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ،
وَعَرَضٌ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ ، مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِئَةِ ،
وَتَرَشَّحْتَ لِلتَّرَفُّهِ . وَلَوْلَا أَنْ جُرِحَ الْعَجَمَاءُ جُبَارٌ ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ
مَا لَا فِي بَسَارٍ ، فَمَا هُمْ إِلَّا بِدُونِ مَا هَمَمْتَ بِهِ ، وَلَا تَعَرَّضَ إِلَّا لِأَيْسَرِ
مَا تَعَرَّضْتَ .

* * *

أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ !
أَمَّا نَابَ لَكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمَعٍ وَتَنَكُّحٍ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ
وَهَلَّا عَشَيْتَ وَلَمْ تَعْتَرَّ ! وَمَا أَشْكُ أَنَّكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ ،
أَوْ تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَمَلِّسِ ، أَوْ أَفْعُلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ
بِالْجَهَنِّي حِينَ أَنَاهُ خَاطِبًا ، فَدَهَنَ أَسْتَهَ بَزِيَّتِ ، وَأَدْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّعْلِ .
وَمَتَّى كَثُرَ تَلَاقِينَا ، وَاتَّصَلَ تَرَائِينَا ؛ فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَا دَعَا ابْنَةَ
الْحُسَيْنِ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ ، وَقُرْبِ الْوَسَادِ !

وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ فَأَنْكِحَ فِي جَنْبٍ ، أَوْ عَصَلَنِي هَمَامٌ بِنُ مَرَّةٍ
فَأَقُولُ : زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ ! وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ ،
لَا زَنْفَعْتُ ، عَنْ هَذِهِ الْحَطَّاءِ ، وَلَا رَضِيتُ بِهِذِهِ الْخَطَّاءِ ، فَالْتَّارُ وَلَا الْعَارُ ،
وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ، وَالْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحٌ وَفَتَيَانُ هِزَانَ الطَّوَالِ الْغَرَائِقَةِ

* * *

مَا كُنْتُ لَأَنْخَطِي الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَطِي النَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ،
 فَإِنَّمَا يَنْيَمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْعَى الْهَشِيمَ مَنْ عَدِمَ الْجِيمَ ،
 وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ هَيَّوِي
 إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرِيحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ
 هُمُ الْكَوَاكِبُ عَلَوْهُمْ ، وَالرِّيَاضُ طِيبَ شِمٍ
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
 فَحَنَّ قَدْحُ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ؟ وَأَيْنَ تَقَعُ مِنْهُمْ ؟ وَهَلْ أَنْتَ
 إِلَّا وَائِلٌ عَمْرٍو فِيهِمْ ، وَكَأَلَوْشِيطَةً فِي الْعَظَمِ بَيْنَهُمْ !

وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَّغْتَ قَمَرَ تَابُوتِكَ ، وَتَجَلَّيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ،
 وَعَطَّرْتَ أَرْضَ دَانِكَ ، وَجَرَرْتَ هِمَا نَكَ ، وَأَخْلَلْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَحَذَفْتَ
 فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ، وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَفَعْتَ خَطَّ
 عِذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءَ الْاِكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي
 الْاِعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ اسْتِكَ الْخَفَرَةِ .

* * *

وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْدَيْنِ ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَّةُ الْبَقَرَطَيْنِ ، وَقَلَّدَكَ
 عَمْرٌو الصَّنْصَامَةَ ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ ، مَا شَكَّكَ فِيكَ ،
 وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ .

وَهَبَكَ سَامِيَتُهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ ، وَجَارِيَتُهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ
 وَالْأَدَبِ ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى بَيْتِ تَعْمِيدَتِهِ لِكَاعٍ ، إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبٌ خَالِي
 الذَّرَاعِ !

وَأَيْنَ مَنْ أَفْرَدُ بِهِ يَمْنٌ لَا أَغْلِبُ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ الْأَخْسِ مِنْهُ !
 وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَمْتَدِنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ ، وَالنَّفْسِ

الْمَضْرُوفَةَ إِلَيَّ ، وَاللَّذَّةَ الْمُوقُوفَةَ عَلَيَّ ، وَبَيْنَ آخِرِ قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ ،
وَنَزَحَتْ يِيرُهُ ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ !

وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ ؛ وَبَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ
إِلَّا الْغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةِ !

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ ، وَتَرَبَّعَ عَلَى ظَلَمِكَ ، وَلَا تَكُنْ
بِرَاقِشِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَهَنْزِ الشَّوْءِ الْمُسْتَثِيرَةِ لِحَتْفِهَا ، فَمَا أَرَاكَ
إِلَّا سَقَطَ الْعِشَاءِ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ ، وَبِكَ لَا يَطْجِي أَعْفَرُ ، أَعْذَرْتُ إِنْ
أَغْنَيْتُ شَيْئًا ، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا

إِنَّ الْعَصَا قَرِيعَتْ لِدَى الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحَقُّرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي
(وَإِنْ بَادَرْتُ بِالْتَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ، كُنْتُ قَدْ
اِسْتَرَيْتُ الْعَاقِبَةَ لَكَ بِالْعَاقِبَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتُ : « جَمْعَةٌ بِلا طِحْنٍ » ،
وَوُ « رَبِّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ » ، وَأَنْشَدْتُ :

لَا يُؤْيِسُنْكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
فَعُدْتُ لِمَا نُهَيْتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَعَثْتُ مَنْ
يُزْعِجُكَ إِلَى الْخَضِرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَرًّا وَصَفْعًا .

فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبَثٌ أَكَارُوهَا بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَمِنْ
قَرَعَةٍ مُعْوَجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجْلَةٍ مُنْبِنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَاكَ ،
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ؛ لِتَذُوقِ وَبَالِ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ
فَمَنْ جِهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

سراج العيون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين.

الحمد لله الذي لا يجب^(١) الحمد إلا له ، وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رسالة ، وعلى آله وصحبه ، فما أفضل وأكرم صحبه وآله !
وأدام الله أيام مولانا السلطان الملك المؤيد الكامل ، العالم العادل^(٢) ،
عماد الدنيا والدين ؛ لإدامة متصلة الجلالة ، مقتبلة الإيالة^(٣) ، ما جنت غسل
النصر الشهي رماحه العتالة^(٤) ، وأثمرت غصون أعلامه للنعمة بين ديم أنامله
الخطالة ؛ فن فروض نعمه على ، وقروض مننه لدى ، أن أدعو لأيامه المكرمة
كلما صليت على نبي الرحمة ، وأذكر من أصلح لنا أمور الدنيا القائمة كلما^(٥)
ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمة ، [طلباً لإجابة الدعاء ، وإثابة
الرجاء]^(٦) ، فصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وأمتعنا ببقاء من
سبقت مواهبه الغيث فصلّى وأعجزته فسلم .

(١) د : « حق الحمد » .

(٢) هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر الملك المؤيد عماد الدين ، المعروف بأبي الفداء ، صاحب حجة . ولد ونشأ بدمشق ، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر ، فأحبه الناصر ، وأقامه سلطاناً مستقلاً في حاة ، ليس لأحد أن ينازعه السلطة فيها ، فحرب العلماء ، ورتب لبعضهم مرتبات ؛ ومنهم ابن نباتة . وله فيه المدائح المشهورة في ديوانه . توفي سنة ٧٣٢ . الدرر الكامنة ١ : ٣٧١

(٣) حاشية ت : « مقبلة الإنالة - نسخة » .

(٤) غسل الرمح : اشتد اهترازه ، فهو غاسل وغسل .

(٥) كذا في ت ، د ، وفي م ، ط : « كما » .

(٦) تسكعة من م ، ط .

وبعد ؛ فإنني أُمِرْتُ بشرح رسالة الوزير أبي الوليد بن زيدون الآتي ذكرُها ، وإيضاح براهينها ، الغامض على كثير من سُرّة الأدب سرُّها ، فقلت : ما أنا وصعود هذا الصَّرح ، وولوج هذا السَّرح ، ومعارضة ذلك البزّ ولست من ذلك الطَّرح ! أوهل أنا إلا صاحب أبيات تقيم جذرها القريحَةُ المطبوعة ، وكلمات تأتي على العفو فقرُّها المسجوعة ! فمُتّى أخرِجْتُ عن ظِلِّ أبياتي ظُلِمْتُ ، ومُتّى أبُعِدْتُ عن رياض سَجَى أُمِّت ؛ هذا مع تشعُّب فنون هذه الرسالة ، وإحجام الفضلاء عن الخوض في غُدْرِها السيَّالة . فهيل لي : إنا نقتصر من شَرْحِكَ على الاختصار ، ونهبُ تقصيرِكَ لما قدَّمْتُ بين يدي نَحْوِكَ من الاعتذار^(١) ، ونرضى من بيانك بأدنى الحِصص ، ونقنع من التاريخ^(٢) الغاصَّ ببعض الفرص ، وإذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص !

فقابلت بالطاعة أمراً قد وجب ، وقلت : إن فائتني سلوكُ الأدب المنظومة فإنَّ الامتثال خيرٌ من سلوكِ الأدب . وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفاراً فيها للطالب مَنْجَع ، وللأفهام الناشئة^(٣) ذكرى تنفع ، فلم يتهيأ أن أعارَ منها كتاباً ، ولا أراجع من السنة حروفها خطاباً ، فقلت : هذا عذرٌ آخر لم يكن في الحساب ، وهذا قصد تغلَّقْتُ دونه الكتب فإنَّها ذاتُ أبواب ، وما بقى إلاَّ الرجوع إلى صُبابَةِ^(٤) الحاصل^(٥) التي أبقتها نُوبُ الدهر ، واستنباطُ الشَّمدِ إذْ أعجزَ ورود البحر ؛ ثم أُمليتُ شرحَ هذه الرسالة عن فِكرٍ قد مَسَّه القرح ،

(١) نظر إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ

فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ۝ ﴾ .

(٢) ت : « من تاريخ التاريخ » .

(٣) د : « الناسية » .

(٤) ت : « صبايات » .

(٥) الحاصل من كل شيء : ما بقى وذهب ماشواه ؛ يريد ما بقى من خزائنه كقبحه .

وشرحتُ إلا أنني مقصّرٌ وما أطيلُ الشرح ، بيد أني لم أعتد إلا على نقل
 خبر صحيح ، ونسب قولٍ صريح ، ولم أخلِ بـرجة كلِّ مذكور من فائدة سارة ،
 ونادرة دارة^(١) ، وأقوالٍ سديدة ، وأبياتٍ مشيدة ، وفقر ما أخطأتها فطنة
 سعيدة ، ولم آلُ في اختيارها جهداً ، ولا ازددت مع صروف الزمان إلا
 نقداً ؛ هذا مع تجنب الإكثار ، وترك الإخلال بنظائر الأشعار ، والتخفيف
 مما لعلَّ المباحث تقتضيه من العثار .

والله تعالى الموفق لصواب الإرادة ، ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة ،
 وجابر وهنهم بما يتلقونه من امثال أوامرهم السادة ، بمنه وكرمه .

(١) الدارة : من « در الضرع » إذا تنابح اللبن منه ، يريد أنها نادرة يدوم نفعها .

ذكر من شئ الرسالة

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزومي الأندلسي الكاتب الشاعر المشهور . ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وكان من أبناء الفقهاء المتعنين ، واشتغل بالأدب ، وخص عن نوادره ، ونقب عن دقايقه إلى أن برع ، وبلغ من صناعاتي النظم والنثر المبلغ الطائل ، وانقطع إلى أبي الوليد بن جهور^(١) ، أحد ملوك الطوائف المتغلبين على الأندلس ، خف عليه ، وتمكن من دولته ، واشتهر ذكره ، وعظم قدره ، واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب به القوم ، وتمنوا ميله إليهم لبراعته ، وحسن سيرته ؛ واتفق أن ابن جهور نغم عليه أمراً فحسبه ، واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة ، وقصائد بديعة فلم تنجح ، فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب إشبيلية الملقب بالملتضد^(٢) ، فتلقاه بالقبول والإكرام ، وولاه وزارته ، وقوض إليه أمور مملكته ، وكان حسن التدبير ، تام الفضل ، متحجباً إلى الناس ، فصيح المنطق جدا .

حكى ابن بسام في كتاب « الذخيرة »^(٣) عن بعض وزراء إشبيلية^(٤) ،

(١) هو أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور ، صاحب قرطبة ، حفظ القرآن ثم صار مجوداً لحروفه ، كثير التلاوة له ؛ وكان أيضاً مشاركاً في العلوم والآداب . توفي سنة ٤٦٢ .
الصلة لابن بشكوال ٥١٧ .

(٢) هو عباد بن محمد بن إسماعيل ، الملقب بالملتضد بالله صاحب إشبيلية ، كان شجاعاً حازماً وعرف بأسد الملوك ، طمع في الاستيلاء على جزيرة الأندلس ، ودان له أكثر ملوكها .
توفي سنة ٤٦١ . الأعلام ٤ : ٢٩

(٣) كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام . القسم الأول .
المجلد الأول ٢٩٢ .

(٤) في الذخيرة : « أخبرني من لا أدفع خبره من وزراء إشبيلية » .

قال : عهدى بأبى الوليد بن زيدون قائماً على جنازة بعض حرمة ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمعته يحجب أحداً بما أجاب به غيره ،^(١) لسعة ميدانه ، وحضور جنانه .

ولم يزل عند عياد وعند ابنه المعتمد على الله^(٢) قائم الجاه ، وافر الحرمة ، إلى أن توفى بإشبيلية سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

وقد ذكره ابن حبان^(٣) وابن بسام^(٤) وغيرهما من المؤرخين ، وأجروا نبذاً كثيرة من أخباره وفضائله ، ووقفت على ديوان شعره وكثير من ترشله . ونظمه عند النقاد أجود من نثره ، وكان يسمى بـحترى المغرب ، لحسن ديباجة لفظه ، ووضوح معانيه .

فأما^(٥) نثره فإنه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وجلّ أشعار المتقدمين والمتأخرين ، إلى أن قيل : إن رسائله أشبه بالمتظوم من المنثور ، وعلى ذلك فقد دل^(٦) بها على اطلاع معجب ، واستحضار معجز ، وقد اكتفيت منها بذكر هذه الرسالة المشروحة .

فمن شعره^(٧) من قصيدة يخاطب بها ابن جهور [أيام سجنه]^(٨) :

(١) النخبة : « آخر » .

(٢) كان محمد بن عياد أحد أفراد الدنيا شجاعة وحزماً وضبطاً للأمر ، وامتلك قرطبة وإشبيلية وأتسع ملكه في بلاد الأندلس ، وتاريخ حياته حافل بالحوادث الجسام ، توفى سنة ٤٨٨ . ابن خلكان ٢ : ٢٧ - ٣٥ .

(٣) هو أبو مروان حبان بن خلف بن حسين بن حبان ، صاحب كتاب القتيب في تاريخ الأندلس . توفى سنة ٤٦٩ . ابن خلكان ١ : ١٦٨ .

(٤) هو علي بن بسام الشنترفي الأندلسي ؛ من الكتاب الوزراء ، اشتهر بكتاب النخبة . توفى سنة ٤٤٢ هـ . المغرب في حلى المغرب ١ : ٤١٧ .

(٥) د : « وأما » .

(٦) د : « وقد دل » .

(٧) د : « قوله » .

(٨) من م .

ما جال بعدك لحظى فى سَنَا القَمَرِ
 ولا استطلتُ ذَماءَ الليل من أَسفٍ
 ياليت ذاك السَّوَادَ الجَوْنَ مُتَّصِلٌ
 جمعت معنى الهوى فى لحظ طرفك لى
 لا يَهْنِي الشَّامِتَ المَرْتاحَ خاطِرُهُ
 هل الرياح بنجم الأرض عاصفةٌ
 إن طال فى السَّجَنِ إيداعى فلاجِبٌ
 وإن يَنْبُطَ أبَا الحَزْمِ الرِّضَا قَدَرٌ
 مَنْ لَمْ أزل من تَدَانِيهِ على ثَقَةٍ
 وقال من قصيدة (٦) فى بنى جَهْور :

بنى جَهْورٍ أحرقتُمُ بِمِجْفاكُمُ
 تَهْدُونِنِي كالغَنَبِ الوَرْدِ إِتْمَا
 وقال [فيهم من أبيات] (٦) :

إِنَّ الجَهاوِرَةَ المُلوكَ تَبَوَّأُوا
 شَرْفاً جَرى مَعَهُ السَّماكُ جَنِيباً (١٠)

(١) ديوانه : ٢٥٠ ، الذخيرة ق ١ : م : ١ : ٢٩ .

(٢) ط ، د ، الذخيرة : « ولا استطلت زمام » .

(٣) الديوان والذخيرة : « فهمت معنى الهوى » ، وفى حاشية ت : « إن الحوار

لشأن » .

(٤) النجم : ما لاساق له من الشجر .

(٥) الديوان والذخيرة : « تأتبه » .

(٦) ط : « من أبيات » .

(٧) ديوانه ٥٩ ، الذخيرة ٣٠٤ ، وفى الديوان والذخيرة : « ضيرى » .

(٨) الذخيرة ، الديوان : « كالنبدل الرطب » .

(٩) من ط

(١٠) ديوانه ٣٢٨ ، الذخيرة ٣٢٨ .

هَذَا دَعْوَتَ وَلِيَدِهِمْ لِعَظِيمَةٍ لَبَّكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَرِيئَا
 هَمُّ تَعَاقِبِهَا النُّجُومَ وَقَدْ تَلَا فِي سُوْدُدِ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيئَا
 وَمَحَاسِنُ تَنْدَى دَقَائِقَ ذِكْرِهَا فَكَأَدُ تَوْهَمِكَ الْمَدِيحَ نَسِيئَا
 وَقَالَ مِنْ قَصِيْدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمُعْتَصِدَ [بِنِ عِبَاد] (١) :

أَمَا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفَ يُعَرِّفُ لِنَاهِلِ لَذَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزَعِ مَوْقِفُ (٢)
 وَكَيْلَةً وَأَقَيْنَا الْكَثِيبَ لِمَوْعِدِ سُرَى الْأَيْمِ لَمْ يُعْلَمْ لِمَسْرَاهُ مَرْحِفُ (٣)
 تَهَادَى أَنَاةُ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا كَمَا رِيحُ يَعْفُورِ الْفِلا الْمُنْتَشِفُ (٤)
 فَخَدَيْتُكَ أَتَى زُرْتُ ، نورك فاضحُ وَعَرَفُكَ نَمَامُ وَحَلْيُكَ مُرْجِفُ (٥)
 هَبِيكَ اعْتَصَفَتِ اللَّيْلُ وَاشْيِكَ هَاجِعُ وَفَرَعُكَ غَرِيْبُ وَلَيْلُكَ أَغْدَفُ (٦)
 فَكَيْفَ أَطَقْتَ الْمَشَى خَصْرُكَ مُدْمَجُ وَرَدُّكَ رَجْرَاجُ وَقَدْكَ أَهْيَفُ (٧)
 فَمَا قَبَلَ مَنْ أَهْوَى حَوَى الْبَدْرِ هَوْدَجُ وَلَا ضَمَّ رَيْمَ الْقَصْرِ خَذَرُ مُسَجَفُ
 وَلَا قَبَلَ عِبَادٍ حَوَى الْبَحْرِ مَجْلِسُ وَلَا حَمَلَ الطَّوْدَ الْمُعْظَمَ رَفُوفُ (٨)
 رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِدِّ لَحْظَةُ وَتَوَقُّعِهِ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْرَفُ

(١) من م .

(٢) ديوانه ٤٧٩ ، الذخيرة ٣٢٢ .

(٣) الأيم : الحية .

(٤) يعفور الفلا : ظي بلون التراب . المنتشوف : المتناول لينظر . وفي الديوان « المنتشرف » .

(٥) مرجف : مضطرب ؛ نمام : ينام عليك . وفي الديوان والذخيرة : « فعيديك أتي

زرت » .

(٦) الديوان والذخيرة : « هبيك اغتررت الحى ولبلك أغضف » . الاعتساف :

قطع الطريق على غير هدى . أغدف : أسود مظلم .

(٧) الديوان والذخيرة :

أَخَانِي اعْتَصَفَتِ الْهَوَلُ خَطْوُكَ مُدْمَجُ وَرَدُّكَ رَجْرَاجُ وَخَصْرُكَ مُحْطَفُ

(٨) قال ابن بسام : « وهذا بيت القسطلي يجملته حيث يقول في ابن أبي عامر :

وَكَيفَ اسْتَوَى بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَجْلِسُ وَقَامَ بَعْبُ الرَّاْسِيَّاتِ مَرِيرُ

عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الصَّرَامَةِ مَيْسَمٌ
أُظِنَّ الْأَعَادَى أَنَّ حَرْبَكَ نَائِمٌ^(١)
وَلَمَّا قَضَيْنَا مَا دَعَانَا أَدَاؤُهُ^(٢)
رَأَيْنَاكَ فِي أَعْلَى الْمَصَلَى كَأَنَّكَ
وَفِي الرُّؤُوسِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَاقَةِ زُخْرُفٌ^(٣)
لَقَدْ تَعَدُّ النَّفْسَ الظُّنُونُ فَتُخْلِفُ^(٤)
وَكُلُّ مَا يَرْضِيكَ دَاعٍ فَمُلْحِفٌ
تَطْلُعُ مِنْ مَحْرَابِ دَاوُدَ يَوْسُفُ

وقال من مرثية له :

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ مَعَهُ مَهْدَبٌ
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حَيْثُ فَضْلُكَ كَامِلٌ
حَيَّا الْحَيَا مَثْوَاكَ ، وَامْتَدَّتْ عَلَى
فَلَنَ أَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ صَيَانَةٍ
ضُرِبَتْ لَهُ فِي السُّودِّ الْأَمْثَالُ^(٥)
هَلَا اسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ كَالِ^(٦)
ضَاحِي تَرَاكَ مِنَ النِّعَمِ ظِلَالُ
قَدَّرَ فَكُلُّ مَصُونَةٍ سَتْدَالُ

وقال في الغزل - وهو من المجيدين فيه :

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعْ
يَا بَائِعًا حِظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ
بِكُفَيْكَ أَنْكَ لَوْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا
تِهَ أَحْتَمِلُ ، وَاسْتَطَلَّ أَصْبِرٌ وَعَزَّ أَهْنُ
سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ لَمْ يَذِيعْ^(٧)
لِيَ الْحَيَاةُ بِحِطِّي مِنْهُ لَمْ أَبِيعْ
لَا تَسْتَطِيعُ قُلُوبُ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ
وَوَلَّ أَقْبِلْ ، وَقُلْ أَسْمِعْ ، وَمُرَّاطِيعُ

وقال :

أَمَّا رَجَا قَلْبِي فَأَنْتَ جَمِيعُهُ
يَا لَيْنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ رَجَا كَلَا

(١) النخبة : « من تلك اللطافة » .

(٢) الديوان والنخبة : « خزمك نائم » .

(٣) النخبة : « ما عنانا قضاؤه » .

(٤) الديوان ٥٣٣ .

(٥) الديوان : « فملك كامل » .

(٦) ديوانه ١٦٩ ، النخبة ٣١٩ .

يَدُنُو بَوصلِكَ حين شطَّ مزارُهُ وهم أكادُ به أُقْبِلُ فأَكَا
وقال من أخرى :

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَقَا والأفُقُ طَلَقَ وَمَرَأَى الرُّوضِ قَدْرَا^(١)
وَالنَّسِيمِ اعْتِدَالًا فِي أَصْنَائِهِ كَأَنَّهُ رَقَّ لِي فَأَعْتَلَّ إِشْفَا
وَالرُّوضِ عَنْ مَائِهِ الْفَضَى مَبْتَسِمًا كَمَا حَلَّتْ عَنِ اللَّيْلِ أَطْوَا
لَا سَكَنَ اللَّهُ قَلْبًا عَنْ تَذَكُّرِكُمْ فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشَّوْقِ خَفَا
لَوْ شَاءَ سَحَلَى نَسِيمُ الرِّيحِ حِينَ سَرَى وَأَفَاكُمْ بَغَتِي أَضْنَاهُ مَا لَاقَى
الآن أَحَدٌ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ سَلَوْتُمْ وَبَقِينَا نَحْنُ عُسَّا
وَلَهُ الْقَصِيدَةُ النُّوْتِيَّةُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

بَيْنْتُمْ وَبَيْنَا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَا كُنَّا^(٢)
وَهِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَذَكَّرَ ، وَقَدْ زِيدَ فِيهَا مَا كَانَتْ غَنِيَّةً عَنْهُ .
وَفَضَائِلُ الرَّجُلِ مَتَمَكِّنَةٌ ، وَكُنِيَ بِهَذَا الْقَدْرِ عُنْوَانًا لَهَا^(٣)

(١) ديوانه ١٣٩ ، الذخيرة ٣٣٠ ، وفيهما : « ومرأى الأرض » .

(٢) ديوانه ١٤٨ - ١٤٨ ، الذخيرة ٣٠٩ - ٣١١ .

(٣) وانظر في ترجمة ابن زيدون أيضا ابن خلكان ١ : ٣٤ ، ثلاثه المقيان ٧٠ ،
والذخيرة المجلد الأول من القسم الأول ٢٨٩ - ٣٦٠ ، جذوة القيس ١٢١ ، النجوم
الزاهرة ٢ : ٢١٥ ، دائرة المعارف الإسلامية ٥ : ٢١٥ .
وقد وضع الأستاذ علي عبدالعظيم بحثاً ضافياً بعنوان « ابن زيدون : عصره وحياته وأدبه »
حلب في مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٥ ؛ كما حقق ديوانه ، وطبع في مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٧ .

ذكر سبب انشاء هذه الرسالة

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الأمويين المنسويين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل ، من بني عبد الملك بن مروان ، تسعى ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ^(١) ؛ ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقته ؛ وتغلب ملوك الطوائف عليه ؛ في خبر يطول شرحه . وصارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشروهم وتحاضروهم ، ويتعشقها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل ، وأدب غصّ ، ونوادر عجيبة ، ونظم جيد . فنه ما كتبت به إلى ابن زيدون ، وهي راضية عنه تقول :

ترقب إذا جنّ الظلامُ زيارتي فإني رأيت الليل أكرم للسر ^(٢)
وبي منك ما لو كان بالبدر لم يُنرَ وبالليل لم يظلم وبالتجم لم يسر
وقولها فيه وهي عليه غضبي :

إن ابن زيدون على فضله يلجّ بي شتاً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً إذا جئتُه كأنما جئت لأخصي على

(١) قال ابن بسام : « وأما ولادة التي ذكرها أبو الوليد بن زيدون في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري ، وكانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها ، حضور شاهد ، وحرارة أوايد ، وحسن منظر ونحير ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يشو أهل الآداب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتاب إلى سهولة حجابها ، وكثرة متابها ، تخلط ذلك بملو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أنواب ؛ على أنها - سمح الله لها ، وتقدم زلها - اطرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، وبجاهرتها بلذاتها » . توفيت سنة ٤٨٤ وقد قاربت المائة . وانظر الذخيرة ٣٧٦ وما بعدها ، وملحقات الديوان ٧٩٣ .

- تعني غلاماً له يسمى علياً .

وكان سبب قولها فيه هذا الشعر ، أنه اتهمها بمواصلة الوزير أبي عامر بن عبدوس^(١) ، وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

عَيَّرْتُمُونَا بِأَنْ قَدْ صَارَ يَخْلُقُنَا فِيمَنْ نَحِبُّ ، وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ عَارٍ
أَكَلْ شَهْيَ أَصْبُنَا مِنْ أَطَايِبِهِ بَعْضًا وَبَعْضًا صَفَحْنَا عَنْهُ لِلْفَارِ

ومما يناسبها ما كتبت به على كتبها [وقيل تاجها] :^(٢)

أَنَا وَلِلَّهِ أَصْلَحُ لِلْعَالِي وَأَمْشَى مَشْيِي وَأَتِيهِ تَيْهَا^(٣)
وَأُمَكِّنُ عَاشِقِي مِنْ لَمْ تُعَرِّى وَأُعْطِي قَبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

ومما ينسب إليها ، وهو عندي كثير على شعر امرأة :

لِحَظَنَّاكَ تَجَرَحْنَا فِي الْحَشَى وَلِحَظَنَّاكَ يَجْرَحُكَ فِي الْخُدُودِ
جُرْحٌ يَجْرَحُ فَاحْلُوا ذَا بَذَا فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ جُرْحَ الصَّدُودِ !

وكان ابن زيدون كثير الشَّغْفَ بها ، والميل إليها ؛ وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها . ثم إنَّ الوزير أبا عامر بن عبدوس أيضاً هامَّ بها وكلف بعشرتها ، وكان قصدهم الظَّرف والأدب ، وكانت ولادة كثيرة العث به ، ولها معه نوادر ظريفة .

ومرَّت يوماً بداره ، وهو جالس وأمامه بركة تتولَّد من مواصي^(٤) وأقذار ، وحوله جماعة من أصحابه ، فوقفت عليه وقالت : يا أبا عامر :

(١) هو أحمد بن عبدوس ، ولي الوزارة بقرطبة ، وكان يدعى حفظ الشعر وقرضه ، توفي سنة ٤٨٢ . تكملة التكملة ٢٥٧ ، رايات المبرزين ٣٨ ، مسالك الأبصار ١٠ ورقة ٢٣١ . وانظر ملحق الديوان ٧٩٠ .

(٢) من ط

(٣) الذخيرة ٣٧٩ ، وذكر هناك أنها كتبت على أحد عاتق ثوبها البيت الأول وكتبت على الآخر البيت الثاني .

(٤) المواصي : جمع مواصة ، وهي غسالة الثياب .

أنت الخصبُ وهذه مضرُ فتدققا فكلكما بحرُ

فلم يُجِرْ جواباً ، فصّت ، وحفظت هذه النادرة ، واشتغل بها الناس .

[وهذا البيت لأبي نواس تمثلت به ونقلته هذا النقل الحسن من المدح

إلى الهجاء ^(١) ؛ وكان كثيراً ما يندعها ويبغى التفرد بها ؛ وفي ذلك يقول

ابن زيدون :

وغرّك من عهد ولادةٍ سراب تراءى وبرقٍ ومضٍ ^(٢)

هي الباء يأتني على قابضٍ وينع زبدته من مخضٍ

وكان أوّل أمرها معه ، والباعث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة

أن ابن عبدوس [لما سمع بها] ^(١) أرسل إليها امرأة من جهته تستميلها إليه ،

وتذكر لها محاسنه ومناقبه ، وترغبها في التفرد بمواصلته ؛ فبلغ ابن زيدون

ذلك ؛ فأنشأ يقول هذه الرسالة البديعة [جواباً له عن لسانها] ^(٢) ، تتضمن

غرائب من سبّ أبي عامر والتهكم به والهجاء له ، وجعلها جواباً له على لسان

ولادة وأرسلها إليه عقيب رجوع المرأة . فبلغت منه كل مبلغ ، واشتهر ذكرها

في الآفاق ، وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة إلى أن انتقل ابن زيدون

إلى أشبيلية ، ومات بها ، تعمدهم الله برحمته والمسلمين أجمعين وغفر لنا ولم

عنه وكرمه .

(١) تكملة من د

(٢) ديوانه ١٩٣ :

ذكر الرسالة وشرحها

فأولها :

١ - أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمَوْزُطُ بِجَهْلِهِ .

أما : حرف يقتضي مضي أحد الشيئين ، ويتبدأ به الكلام . وبعد هاهنا تستعمل في الترتيب الصناعي ؛ وتقدير « أما بعد » : مهما يكن بعد ؛ وهي كلمة يتبدى بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم ؛ في خطبهم المحبرة ، ورسائلهم المحررة ؛ كأنهم يستدعون بها الإصغاء كما يقولون ؛ ولذلك فخر بها سبحانه فقال : وَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أُنِّي خَطِيبُهَا^(١)

وكثيراً ما تأتي عقيب قول « الحمد لله » ، وتسمى هنالك فصل الخطاب ؛ لأنها فصلت بين الكلام الأول والثاني . وتأتي عقيب البسمة ، وتأتي ابتداء كأنها عقيب الفكر والروية ، وأول من قالها داود عليه السلام . وقيل : إنها فصل الخطاب المذكور في الكتاب العزيز . وقيل : أول من قالها قس بن ساعدة ؛ والأول أصح ؛ وإنما قس أول من خطب بها في العرب وكتبها أول الكتب على ما ذكر .

المصاب : اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة ، وأصاب السهم ، إذا وصل إلى المرعي بالصواب ؛ فالمصيبة أصلها في الرمية ، ثم اختص بالنائبة .

العقل : المعرفة المستعملة في تحرى النفع ، وتجنب الضرر ؛ ولأهل اللغة

(١) البيت من شواهد الكافية ؛ وأورده صاحب الخزانة في ٤ : ٣٤٦ ، وروايته

هناك « لقد علم الحى البيانون أنى » .

والتكلمين في اشتقاقه ومعناه أقوال كثيرة ، قيل : اشتق من عقل الناقة ، إذا شدَّ وظيفها مع ذراعيها بحبل يمنعها من الشرود ؛ فكأنه يمنع الإنسان مما يميل إليه من الهوى ، ومن عقل الناقة سميت الدية عقلاً ؛ لأنها تُعقل بفناء المقتول ، أو لأنها تحبس الدم . وقيل : اشتق من العقيل ؛ وهو الملجأ ، يقال : عقل الوعل ؛ إذا التجأ إلى الجبل الذي يمنعه ؛ فكأن الإنسان يلتجئ إليه في أحواله . وقيل غير ذلك ، وأكثر المعاني مشتركة في الاشتقاق .

وقال الجاحظ : العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطأ ، وإشارته إذا اقترنا في زمان ، وكن العلم علة للعمل وقيداً له ، فإذا دعا الرجل علمه بالחסن إلى العمل بها ، ونهاه علمه بالمساوئ عن العمل بها صار قيداً لعمله ؛ وكان كالعقل لما استحسسه ، فإذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل ، قالوا : هذا عاقل .

وقال الراغب : العقل ، يقال للقوى المهيئة للعلم ؛ ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوى عقل ، ولهذا قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه :

رأيتُ العقل عقليْنِ فمطبوعٌ ومسموعٌ^(١)

ولا ينفع مطبوعٌ إذا لم يكُ مسموعٌ

كما لا تنفع الشمس ضوء العين ممنوع

وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » ، وإلى الثاني أشار بقوله : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ، أو يردّه عن ردى » ؛ وكلّ موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول ، وكلّ موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول^(٢) . وقال بعض الحكماء : هو جوهر بسيط . وقال آخرون : هو جسم شفاف ومحله الدماغ . وبعض العلماء

(١) أدب الدنيا والدين ١١ ، ١٢ من غير نسبة .

(٢) مفردات الراغب ٣٤٢ .

يقول: محلّه القلب، ويستدلّ بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٢)، أى عقل. وقال الجاحظ: هو مادة تتولد من الأغذية المقوية للعصب؛ فذلك كان البلاذر^(٣) جيّداً له، والبصل مضراً له، وكذا الباذِنجان؛ ولذلك يقال: يفسد الباذِنجان في شهر ما يصلح البلاذر في عام. ويزعم قومٌ أنّه هيئة تحصل بالذّربة؛ ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان.

المورط، الورطة: الهلاك؛ قال رؤبة:

* فَأَصْبَحُوا فِي وَرْطَةِ الْأَوْرَاطِ *^(٤)

وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها، وربّما هلك الواقع فيها، ومنه الوراط: الخديعة. وفي الحديث: «لا خِلاط ولا وِراط»^(٥).

الجهل: ضدّ العلم، ومنه سميت المفازة مجّهلة، كأنه جهل كيف الطريق فيها. وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب: الأوّل خلوّ النفس من العلم، هذا هو الأصل. وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام^(٦)، كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام. والثاني اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه. والثالث فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل؛

(١) سورة الحج ٤٦. (٢) سورة ق ٣٧.

(٣) البلاذر؛ ذكره صاحب المعتمد ٢٢، وقال: «جيد لفساد الذهن وجميع الأعراض الحادثة في الدماغ».

(٤) ديوانه: ٨٦، وقبلة:

* نحنُ جمعنا الناس بالملطاط *

(٥) نهاية ابن الأثير ٤: ٢٠٥؛ قال: «الوراط: أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتغني على المصدق، مأخوذ من الورطة؛ وهي الهوة العميقة في الأرض، ثم استعير للناس إذا وقعوا في بلية يعسر الخروج منها».

(٦) الراغب: «الجارية على غير نظام».

سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً^(١).

٢ - البَيِّنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ غَلَطُهُ .

السَّقَطُ : مَالاً يُرْضَى ، ومنه سَقَطَ اللُّتَاعُ ؛ رَدِيثُهُ ، وسَقَطَ الْقَوْلُ خَطْوُهُ ، وسَقَطَ الرَّجُلُ فِي يَدِهِ إِذَا فَعَلَ مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : اسْقَطَ ، وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ ، وَالْأَصْلُ السَّقُوطُ ، وَهُوَ طَرَحَ الشَّيْءَ مِنَ الْعَالِي إِلَى الْمُنْخَفِضِ .
وَالْفَاحِشُ : مَا عَظُمُ قُبْحُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، ومنه الْفَاحِشَةُ ؛ الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ ؛ سَمِيَتْ فَاحِشَةً وَصَارَتْ عَلَمَا عَلَيْهَا .

وَالْغَلَطُ : الْخُرُوجُ عَنِ الصَّوَابِ نَطْقاً أَوْ فِعْلاً ، يَقُولُ الْعَرَبُ : غَلِطَ وَغَلِثَ بِالنَّاءِ ، زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمَا لَفْتَانِ ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ « غَلَطَ » إِنَّمَا يَقَالُ فِي الْمَنْطِقِ ، وَ« غَلِثَ » إِنَّمَا يَقَالُ فِي الْحِسَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

٣ - الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَارِهِ ، الْأَنْعَمَى عَنِ شَمْسِ نَهَارِهِ .

الْعَائِرُ : السَّقُوطُ وَمَا قَارَبَهُ . وَالْإِغْتِرَارُ : الْغَفْلَةُ ؛ وَاسْتِعَارَةُ الذَّيْلِ وَالْعَثَارِ لِلْغَافِلِ حَسَنَةً ، وَالْفِقْرُ مُنَاسِبَةٌ لِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا . وَالْعَمَى يَقَالُ فِي إِفْتِقَادِ الْبَصَرِ ، وَيُقَالُ فِيهِ : أَعْمَى ، وَعَمِيَ ، وَعَمِيَ الْبَصِيرَةُ أَشَدَّ ؛ وَلِلذَلِكَ لَمْ يَدَعِ اللَّهُ تَعَالَى إِفْتِقَادَ الْبَصَرِ عَمَى فِي جَنْبِ إِفْتِقَادِ الْبَصِيرَةِ ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٢) . وَشَمْسُ النَّهَارِ هَاهُنَا ، كُنَايَةٌ عَنِ الصَّوَابِ الْوَاضِحِ الَّذِي تَرَكَ هَذَا الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ ، وَعَمِيَ عَنْهُ حَتَّى

(١) مفردات الراغب ١٠٢

(٢) سورة الحج ٤٦ .

تعرض للذم ، أو كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها
مالا يصل إليه .

* * *

٤ - السَّاقِطُ سُقُوطَ الذُّبَابِ عَلَى الشَّرَابِ .

الذُّبَابُ فِي اللُّغَةِ يَقَعُ عَلَى هَذَا الْمَعْرُوفِ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَعَلَى النَّحْلِ ، وَالزَّانِيرِ
وَنَحْوِهَا . قَالَ الْجَلِيزِيُّ : وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ أَجْنَاسَ النَّحْلِ وَالزَّانِيرِ وَمَا أَشْبَهَهَا
كَلَّمَا ذُبَابٌ ^(١) ؛ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ :
« كُلَّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَةَ » ^(٢) ؛ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَهَذَا أَوْ أَنَّ الْعِرْضَ حَيَّ ذُبَابُهُ زَنَانِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمِّسُ ^(٣)

وَالذُّبَابُ هَاهُنَا هُوَ الْمَعْرُوفُ ، وَتَمَّى ذُبَابُ الْعَيْنِ ذُبَابًا لَشَبْهِهِ بِهِ ،
أَوْ لِتَطَايُرِ شَعَاعِهِ طَيْرَانَ الذُّبَابِ ، وَبِهِ يَضْرِبُ الْمَثَلُ فِي الْوُقُوعِ عَلَى الشَّرَابِ ؛
فَيَقَالُ : أَوْقَعَ مِنْ ذُبَابٍ عَلَى شَرَابٍ . وَالشَّرَابُ كُلُّ مَائِعٍ مُتَنَاوِلٍ لِلشَّرْبِ ؛
وَعَرَضَ الذُّبَابُ مَا حَلَا ، وَلَشْرَهْهُ عَلَيْهِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَائِعٍ ؛ سِوَاءَ كَانَ حَلَا
أَوْ غَيْرَهُ . وَفِي كِتَابِ « كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ » : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا يَكْفِيهِ كَانَ كَالذُّبَابِ
الَّذِي لَا يَرْضَى حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ السَّائِلَ مِنْ آذَانِ الْفِيلَةِ ، فَتَضْرِبُهُ بِأَذَانِهَا فَتَقْتُلُهُ .

* * *

(١) الحيوان ٣ : « ذبان » بالكسر ؛ وهو جمع ذباب .

(٢) الحيوان ٣ : ٣٩١ ؛ والحديث يروى عن عباد بن صهيب وإسماعيل المسكي ، عن
الأعمش ، عن عطية بن سعيد العدني .

(٣) للمتلمس ، وبه لقب ؛ وهو شاعر جاهلي ، اسمه جرير بن عبد المسيح الضبي ،
والبيت في الحيوان ٣ : ٣٩١ . العرض : كل واد فيه شجر .

٥ - الْمُتَهَاتُ تَهَاتُ الْفَرَّاشَ فِي الشَّهَابِ .

التهاتُ : الترامي مع خِفةٍ وطيران ، يقال منه : هَفَّتْ وَتَهَاتَتْ ، ومنه قولهم : وردت هفيفةً من الناس ، للذين أقمهم السَّنة ^(١) . والفَرَّاش : نوعٌ من الذباب رقيق الجسد ، ومنه قيل لكل عظم رقيق : فَرَّاشة . وقيل : فَرَّاشة القُفْل لرقعتها ^(٢) ، أو لشبهها بالفَرَّاش الطائر ، وأما قول ذي الرُّمة :

فَأَيُّنَ أَنْ النَّعْمَ صَارَتْ نِطَافُهُ فَرَّاشًا وَأَنْ الْبَقْلَ ذَاوِيَابِسُ ^(٣)

فقد قيل : إِنَّ النَّعْمَ - وهو الموضع الذي يجتمع إليه نُقَرُ الماء ^(٤) - صارَ فَرَّاشًا أى ماء رقيقًا . وقيل : المراد أَنَّ نُطْفَ الماء صارتَ فَرَّاشًا طائرًا ؛ فرمما تولد الفَرَّاش من الماء .

والشَّهَاب : الشُّعْلَةُ من النَّار ؛ ومن ذلك قيل للسود المختلط بالبياض شُهْبَةٌ ؛ تشبيهاً بالسود المختلط بالدَّخَان . والفَرَّاش معروف بإلقاء نفسه في النار ؛ ولذلك قيل في المثل : ما هم إلا فَرَّاش طمع . والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه التَّوْرِيَّة كالْفَرَّاش الطائر بالليل ، وما لُطِفَ جسمه يطرح نفسه في النَّار فيحترق ؛ وغير ذلك ممَّا يُصاد في اللَّيْلِ بالشَّهَاب ، من الغزلان والوحش والطيور والسَّمَك ؛ إذا قرب منها السَّراج في الزوارق . ويزعمون أن النور صلاح هذا العالم .

ومعنى هذا السجع أَنَّ المكتوب إليه من جهله وتعرُّضه لما يؤذيه ، بمنزلة الفَرَّاش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير إشعار أنه هالك .

* * *

(١) اللسان - هفت .

(٢) اللسان - فرش .

(٣) ديوانه ٣١٣ ؛ وروايته : « وأبصرن » .

(٤) النقر : جمع نقرة ؛ وهى الوهدة المستديرة في الأرض .

٦ - فَإِنَّ الْعُجْبَ أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصُوبُ .

قوله : « فَإِنَّ » ، صلة لقوله : « أما بعد » ، ولا بُدَّ من اقتضاها الفاء لردِّ الكلام بعضه على بعض . والعُجْبُ : ما يعجب الإنسان من نفسه ، أى يستحسنه ، والأصل العَجَب ؛ كأنه يتعجب مِنْ حُسْن ما يجد . والكذب ضدُّ الصدق ، يقال فى المقال والفعال ، وينسب أيضاً إلى نفس القول والفعل ، فيقال : فَعَلَةٌ صادقة ، وفَعَلَةٌ كاذبة . ومعنى المثل ، أنَّ المعجب من نفسه بحالة يظنُّ أنه قد بلغ بها الغاية ، وامتاز بالفضل ؛ وليس الأمر كذلك ، فكانَّ عُجْبُهُ بنفسه خَيَّلَ له مالا صحَّة فيه ، فكذَّبه . والمعرفة إدراك الشيء بتدبُّرٍ لأمره ، وهو أخصُّ من العلم ، فيقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال : « يعلم الله » ، متعلِّق إلى مفعول واحد ؛ لما كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبُّر آثاره دون إدراك ذاته ، ويقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ، لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل إليه بتفكُّر ، وأصله من عَرَفْتُ كذا أى أصبت عَرَفَهُ ، أى رَأَيْتُهُ . والمعنى أن معرفة الإنسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أَصُوبُ ، وهو يؤيد قوله : « الْعُجْبُ أَكْذَبُ » .

وهذا مثلان جيِّدان ؛ الأوَّل ينسب إلى أ كَثم بن صيفي ، والثانى مأخوذ من قوله : « لَنْ يَهْلِكَ أَمْرُؤُا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ » .

* * *

[أ كَثم بن صيفي]

وهو أ كَثم بن صيفي بن رباح التميمي مَلُشْمَر حُكَّام الْعَرَب فى الجاهليَّة وحكَّامهم وخطبائهم ، أدرك مبعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وراسلَه . واختلف فى إسلامه ، والأكثر على صحَّته ^(١) .

(١) ذكره ابن حجر فى الإصابة ١ : ١١٨ - ١٢٠ ، فى القسم الثالث ؛ وهم =

حكى الهجيمي : أن أكنم بن صئفي لما بلغه بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه : احلوني إليه ، فقالوا : لا والله ، وأنت سين من أسنان العرب . قال : فليأتني أحدكم فليسأله عن ربه ، وعما أمره به . فأتى حيش بن أكنم فقال : يا محمد ، بم بعثك ربك ؟ قال : بعثني بأن أكرت الأوثان ، قال : بم أمرك ؟ قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فانصرف حيش إلى أبيه ، فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا عليه الآية الشريفة ، فجعل يرددّها ويقول : إن هذا رب كريم ، يأمر بمحاسن الأخلاق ، وينهى عن مساوئها ، ثم جمع إليه بني تميم وقام فيهم خطيباً وعمره إذ ذاك مائة وتسعون سنة ، وفي ذلك يقول :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجةً إلى مائة لم يسأم العيش جاهل (٢)

ويروى : « لحس فلم يسأم » ، على أن عمره خمس وتسعون سنة ، وهو الأقرب .

ثم قال : يا بني تميم ، لا تحضروا إلى سفياً ؛ فإن السفية يوهن من فوقه ، ويتبب من دونه - أي يهلكه - ولا خير فيمن لاعتقل له . إن ابني شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافهه ، وهو يأمر بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله عز وجل ، وخلع الأوثان . وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفصل فيما يدعو إليه ، وإن أحق الناس بمعاوته لأتم ؛ فإن كان الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم .

المحضر من الذين أذكروا الجاهلية والإسلام ، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالني صلى الله عليه وسلم ولا رأوه ؛ سواء أسلموا في حياته أم لا ، قال : « وهؤلاء ليسوا بأصحابه باتفاق من أهل العلم بالحديث » .

(١) سورة النحل ٩٠

(٢) الإصابة ١ : ١١٩ .

وإن كان باطلا كنتم أحقَّ مَنْ كَتَمَ وستر. وقد سمعتُ أسقفَ نَجْرانَ يَذْكُرُه
ويترجى أن يكون له، فسقى ابنه محمداً، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا
آخرأ، وأتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين. والله إن هذا الذي يدعو إليه لو لم
يكن ديناً لكان في أخلاق العرب حسناً؛ فأطيعوا أمري، فمن سبق فاز، ومن
تأخر ندم. فقام مالك بن نويرة، وقال: لقد خريف شيخُكم، فلا تتعرضوا
للبلاء. فقال أكرم: ويلٌ للشَّجَى من الخليل، لهني على أمرٍ لم أدركه ولم
يسبقني. ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق، وبعث
بإسلامه على مَنْ أسلم ممن كان معه ^(١).

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية، وهي: ﴿وَمَنْ
يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ﴾، ^(٢) نزلت في أكرم ومَنْ تبعه من أصحابه.
وقال قوم آخرون: خرج مهاجراً ولم يسلم.

* * *

وكان من أفصح خطباء العرب ^(٣)، وُجِعَ من كلامه شيء كثير، وتما صحَّ
من أمثاله - على ما رواه ابن دُرَيْدَ، عن أبي حاتم - قوله: يا بني تميم، لا يفوتكم
وعظي إن فاتكم الدهر بي. يا بني تميم، إن مصارع الألباب تحت ظلال الطمع،
ومن سلك الجدد آمن العثار، ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره، ولا
يجاوز ضره نفسه، والسكوت عن الأحق جوابه.

ومن أمثاله: أشيع جارك، وأجنع فارك؛ يعني لاتدخر شيئاً يأكله الفأر،

(١) الخبر أورده ابن حجر في الإصابة؛ برواية فيها تفضيل ومخالفة.

(٢) سورة النساء ١٠٠

(٣) م: «من أفصح العرب».

أو يعنى بالفأر الفضل^(١) فى الجسد ، أى لاتسمن وجارك جائع .

ومن أمثاله أيضاً : لاتهرف بما لاتعرف .

وسئل : ما الحزم ؟ فقال : سوء الظن بالناس .

وأقواله كثيرة ، ولما عُرِفَ له نظم^(٢) .

* * *

٧ - وَأَنَّكَ رَأْسَتْنِي مُسْتَهْدِيًا مِنْ صَلَاتِي مَا صَفَرَتْ مِنْهُ
أَيْدِي أُمَثَالِكَ .

الصلّة : قُربُ الشئ وبلوغه ، ويستعمل فى الأعيان والمعانى ؛ ومنه سُميت
العطية صلة ؛ وقيل : فلان متصل بفلان ؛ إذا كانت بينهما نسبة أو مصاهرة ،
والصلة هاهنا تحمل الوجهين ، إمّا المودة وتقوم مقام العطاء ، أو القرب ويقوم
مقام الاتصال .

وصفر الإناء إذا خلا حتى يُسمع له صَفِيرٌ لخلّوه ، ثم صار متعارفاً فى كل
خال من الآنية وغيرها . وقيل^(٣) : صَفَرَتِ اليدُ إذا خلت ، وسمّى خلّو العروق من
الغذاء صفراً ، وكانت العرب تزعم أن ذلك حيّة فى البطن تسمى الصَفَر ، حتى
جاء فى الحديث : « لاصْفَرَ »^(٤) .

والمعنى : أنك تتعرّض من صَلَاتِي لما تخلو منه يد مرادك .

* * *

(١) م : « الفضل » .

(٢) أورد له صاحب المعبرين ص ٢٢ طائفة منه .

(٣) ط : « ويقال » .

(٤) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ٢ : ٢٦٤ ، ولفظه هناك : « لاعدوى ولا صفر

ولا هامة » .

٨ - مُتَصَدِّيًا مِنْ خُلَّتِي لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أَنْوْفُ أَشْكَالِكَ .

التَّصَدَّى : المَقَابَلَةُ ^(١) ، مأخوذ من مقابلة الصَّدَى ، أى الصوت الراجع من الجبل .
وَالْخَلَّةُ : المودَّة ؛ إمَّا لأنها تتخلَّل النفس ، أى تنوسطها ، فإنَّ الخلل الفرجة بين
الشَّيْئَيْنِ ، وإمَّا لفرط الحاجة إليها . يقال : خالته مخالَّة ، فهو خليل ، وسعى
الله تعالى نبيَّه إبراهيم خليلًا ، لافتقاره إلى ربه تعالى . والقَرْع : صوت ضرب
شئٍ على شئٍ .

والمعنى ، أنك تخطب من مودتي مالا يصلح ^(٢) له أشكالك ^(٣) ، فدفعوا
عنه ، وضربت أنوفهم دونه ، إمَّا حقيقة ، أو مجازًا لكون أنهم ردُّوا فحصل لهم
من الهوان ما يحصل لمن يضرب أنفه ؛ وخصَّ الأنف بالضرب لأنه محلَّ الشم
والكبر ، مع أن المثل للعرب ؛ يخاطب به الخاطب الكفء ، فيقول : هو الفحل
لا يقرع أنفه ؛ والأصل فحل الإبل إذا ضرب وجهه عن الناقة التي لا يريدون
تناجها منه ؛ وتمثَّل به أبو سفيان بن حرب حين بلغه زواج النبي صلى الله عليه
وسلم ابنته أم حبيبة ، فقال : « ذاك الفحل لا يُقرع أنفه » .

* * *

٩ - مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً .

خليلتك : صاحبة مودتك . أو « حليتك » : زوجتك ، وفي كلا المعنيين ذمٌّ
للمرسِل ، لأنَّ الخليفة أو الخليفة التي هي محل ^(٤) الغيرة على الرَّجل لا تغار على مثله

(١) كذا فى ط ، م ، وفى ت : « التقبلة » .

(٢) ت : « يصح » .

(٣) ط : « أمثالك وأشكالك » .

(٤) م : « موضع » .

حتى تمشي بينه وبين النساء . والمرئاد ، طالب الكلاء ، وسُمي به الطالب مطلقاً ، وأصل الزود التردد في طلب الشيء برفق ، وباعتبار الرفق قيل : رادت المرأة في مشيتها فهي رواد .

وقاد الشيء فانقاد له ، أي خضع ، وقود ، شدد للكثرة ، واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراماً ؛ لأنه أصعبُ للانقياد ، وكانت القوادة في العرب تكنى أمَّ حكيم ، ولما قال ابنُ أبي ربيعة في وصف القوادة :

فأتتها طَبَّةٌ عارفةٌ تَخْلُطُ الجِدَّ مراراً باللَّعِبِ^(١)
تُعْلِظُ القولَ إذا لانتَ لها وتراخى عند سوراتِ الغَضَبِ^(٢)

قال له ابن أبي عتيق : يابن أخى ، إنَّ الناسَ محتاجون إلى خليفة مثل قوادتك ليسوسهم . ومنه كان يقال في المثل : « أقود من ظُلْمة »^(٣) ، قيل : إنها امرأة كانت تقول : إذا مِتْ فأحرقوني وتربوا برمادى الكتبِ المرسلة بين المتعاشقين ، فإنهم يجتمعون . وقيل : إنها الظُلْمة من الليل ؛ فإنها تَسْتُرُ وتعين على الاجتماع . وأنشد بعضهم^(٤) :

* فالشمسُ نَمَامَةٌ واللَّيْلُ قَوَادٌ^(٥) *

(١) ديوانه ٣٦٨ . والطبَّة : الحيرة المارفة ، وفي الديوان : « فيشنا طبية عتالة » .

(٢) تراخى ، أصله قراخى ؛ فحذف إحدى التاءين ، وسورات الغضب : هم سورة بالفتح ؛ وهي الشدة .

(٣) أمثال الميداني ٢ : ٤٧ ، قال : « هي امرأة من هذيل ، وكانت فاجرة في شبابها حتى عجزت ، ثم قادت حتى أقعدت » .

(٤) هو ابن المعتز ، كنايةات الجرجاني ٤٣ .

(٥) صدره :

* لا تَلَقَ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تَوَاصَلَهُ *

وبسبه :

كم عاشقٍ وظلام الليلِ يسترهُ لاقى أحبَّته والنَّاسُ رُقَادُ

١٠ — كَذِبًا نَفْسَكَ أَنْكَ سَتَنْزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ، وَتَخْلِفُ بَعْدَهَا عَلَيَّ .

يعنى أنك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التي هي خليلتك ، وتتعوض عنها بحصولي ، وهذا أمر لا يقع ؛ فأنت كاذبٌ نفسك في الوعد ، [أو وعدت هذه المرأة التي هي عندك بمنزلة نفسك] ^(١) ؛ أنك إذا ظفرت بي تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك ، فهي تسعى في هذا الأمر سعی المجتهد ، وهذا أمر لا يتم ، فقد كذبت بها فيما وعدت .

والخَلْفُ : ما جاء بعد الشيء ، ومنه سمي الخليفة ، ويقال بالتحريك للمدح مثل : خَلَفَ صالح ، وبالسكون للذم مثل [قوله : « في »] ^(١) خَلَفَ كجِلْد الأجر ^(٢) .

* * *

١١ — وَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ

هذا البيت للمتنبي ، وحسن التمثيل به هاهنا لمطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد ، لاسيما إن كان التصحيف أريد بلام النائل ؛ بقلب اللام كافا ؛ فإن ذلك في هذا الموضع يكون عجبا ، وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك في مكاتباتهم .

* * *

[المتنبي]

وحيث أَفْضَى القولُ إلى ذكر المتنبي ، فلا بأس بذكر نبذةٍ من أخباره ، فأما

(١) نسكته من م . (٢) من بيت لبيد :

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافهم وبقيت في خلفٍ كجلد الأجر

أشعاره قد ملأت الأقطار ؛ لكنني أقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت ، وكذلك أعتمد في كل ما يمر من شعره في هذه الرسالة .

وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي ، ويكنى أبا الطيب . ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة . وقيل : إن أباه كان يسمى عبدان ، وهو رجل كان يسقى الماء على جبل له بالكوفة .

وفشأ أبو الطيب مشتغلاً بالأدب ، راغباً فيه مع فقره واحتياجه . وكان من أذكي الناس وأسرعهم حفظاً . حكى أنه جلس يوماً بالورّاقين في أيام صباه ، فاستعرض من أحد الدّالّين دفترًا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله إلى قال له الدّالّ : إن كنت تريد شراءه فمجلّ الثمن ، وإن كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر ؛ فقال : إن كنت حفظته آخذه بغير ثمن ؟ قال : نعم ، فشرع يسرده عليه حفظاً إلى أن أتمه ، ووضعه في كمه وانصرف ، ثم نظم الشعر وأستزق به ، وطاف البلاد ، وكان يقنع من الجائزة بأيسر شيء . ثم نزل باللاذقية على مُعاذ بن إسماعيل فأكرمه وأحسن إليه ، وأقام عنده مدة .

ثم خرج إلى بادية السماوة^(١) فنزل بقوم من بني عبس فتنبأ ، وعمل أسجاعات كثيرة ، وتبعه قوم منهم ، وكان سبب ذلك وقائع نادرة : منها : أن قومًا قالوا له : إن هاهنا ناقة صعبة ، فإن ركبته علمنا أنك مرسل ؛ فتحبّل يوماً إلى أن ركبها ، فنفرت ساعة ثم سكنت ، ووردت الحى وهو راكبها .

ومنها : أنه كان مستخفياً فراح ليلة هو ورجل فنبّح عليهما كلب ، فلم يذهب قال للرجل : إنك ستجد الكلب ميتاً إذا رجعت ، فوجده كذلك .

(١) بادية السماوة : موضع بين الكوفة والشام . ياقوت .

وقيل : كان يعرف نوعا من السحر يسمى صدحة المطر ، وذلك أن الشخص يدبر حوله بعضا ، ويذكر كلاما فينصرف^(١) عن موضعه المطر . وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حَضْرَمَوْتِ والسَّكُونِ يعرفون هذه الصدحة ؛ حتى إن أحدهم يصدح عن إبله وبقره ، وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة . ومما يدل على أن التنبي كان من السكون قوله :

أَمْسَيْ السَّكُونِ وَحَضْرَمَوْتًا وَوَالِدِي وَكِندَةَ وَالسَّبْعَا^(٢)

مع أنه كان يخفى نسبه ، فإذا سئل عنه قال : أنا رجل أخبط القبائل ، ولا آمن أن يكون لأحد ثار في قبيلتي فيقتلني .

ثم إن بعض الولاة ظفر بالتنبي وحبسه ، فتاب ورجع عما ادّعاه من النبوة . وقيل له يوما : على من تنبأت ؟ قال : على السفلة . قيل له : إن لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟ قال : قولي :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرَّانِ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَأْمِنٌ صَدَاقَتِهِ بُدَّ^(٣)

ثم تقلبت به الأحوال ، ووصل إلى سيف الدولة على بن حمدان . حلب ، فأقبل عليه ، ولحظته السعادة ، وأشهر ذكره في الآفاق ، ورزق من الحظ والسمة والنعمة^(٤) مالا مزيد عليه . ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف الدولة ، فضربه ابن خالويه بمفتاح ، فخرج غضباناً ورجل إلى مصر ، فاتصل بمتوليها كافور الإخشيدي ، فطمع منه بالولايات ، فلم يتهماً له

(١) كذا في م . وفي ط : « فيصرف » ، وفي ت : « فيتصرف » تصحيف .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٥٧ ، وفيه : « أَمْسَى الكناس » ، والكناس : محلة بالكوفة . وحضرموت وكندة والسيح مواضع بأعيانها .

(٣) ديوانه ٤ : ١٦٢ . منظره ، أى رؤيته .

(٤) ط : « من الحظ والنعمة والسمة » .

ما طلبه^(١) ، ورحل إلى العراق فأقام بها أياماً ، وسئل عن ذلك فقال : إن بني حمدان كدّروا خاطري ، فجئت أريحه . ويقال : إن هذا من الكلام الموجه في مدح الجهتين وذمهما .

ثم رَحَلَ^(٢) إلى العجم فمدح عَضُد الدولة ، وابن العميد ، وكسب أموالاً جزيلة ورجع ، فقتل في الطريق سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . وكان عفا الله عنه قد انفرد بمخصال :

منها الكثير الزائد كما ذكره الحاتمي وغيره ؛ وهو تمام^(٣) أحوجه إلى فراق سيف الدولة . وحكى ابن جنّي قال : قلت للمتنبّي وقد أسمعني شعراً في كافور : يعزّ عليّ ألا يكون هذا في سيف الدولة ! قال : إني أنذرتة وحذّرتة فما قيل ، وذلك في قولي :

ذا الجودِ أعطِ الناسَ ما أنت مالِكٌ ولا تعطينَ الناسَ ما أنت قائلٌ^(٤)
ومنها البخل ؛ حكى أنه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم ، فوزنها ووضعها في كيس وختمه ، ورفعها إلى صندوق في خزانة ، ثم رجع إلى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار رُبْع درهم ، فعالجها بأظفيره وهو ينشد قول ابن الخطيم :

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجبٍ^(٥)
إلى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك .

ومنها إقبالُ الناس على شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ، ووضع

(١) ط : « ذلك » .

(٢) في م ، « دخل » .

(٣) ت ط : « وكما » ، والصواب ما أثبتته من م .

(٤) ديوانه ٣ : ١١٧ .

(٥) ديوانه ٣٥ ، والحاجب هنا : الجانب .

لشعره أكثر من أربعين تصنيفاً . وكان إذا سئل عن معنى من قوله قال : اذهبوا إلى ابن حنّى ، فإنه يقول لكم ما أردته ومالا أردته .

ومنها : معرفته بلغة العرب وحوشيتها؛ حتى حكى أن أبا عليّ الفارسيّ قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال : حِجْلِي وَظُرِّي ، قال أبو عليّ : خطألت الكتب ثلاث ليالٍ على أن أجد لَهْذِينَ الجمعين ثالثاً فلم أجده .

وكان يُرمي بفساد عقيدته ^(١) ، استخرج ذلك من شعره ، مثل قوله على مذهب الشوفسطائية :

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَآتُ الْعَيْنُ كَالْحُلْمِ ^(٢)
وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة :

تَخَافُ النَّاسُ حَتَّى لَا أَتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَأُخْلَفُ فِي الشَّجَبِ ^(٣)
فَقِيلَ نَسَلِمَ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ ^(٤)
وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء :

تَبْخُلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هُنَّ مِنْ كُنْهِهِ ^(٥)
وهذه الأرواحُ مِنْ جَوْهِ وَهذه الأجسامُ مِنْ تَرْبِيهِ
وغير ذلك من المكفّرات ظاهراً المُنْحَ فيها باطناً ، وعلى الجملة فكان كثير الحاسن والحساد ، وله أشعار لم تدخل في ديوانه ، مثل قوله :

وَتَرَكْتُ مَدْحِي لِلْوَصِيِّ تَقْعُدًا إِذْ كَانَ نُورًا مُسْتَطِيلاً شَامِلًا ^(٦)
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَصَفَاءُ نُورِ الشَّمْسِ يَذْهَبُ بِالطَّلَا

(١) م : « العقيدة » .

(٢) ديوانه ٤ : ١٦٢ . منظره ، أى رؤيته .

(٣) ديوانه ١ : ٩٧ . الشجب : الحزن والهلاك .

(٤) النفس هنا : الروح .

(٥) ديوانه ١ : ١٢٢ .

(٦) زيادات ديوان المتنّى لعبد العزيز الميمنى ٣٥ ، ٣٦ .

وهو شبيهه بنفسه .

ويروى له أيضاً نثر لطيف ، مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مراراً ، ثم انقطع عنه بعد ما شفى : « وصلتني - وصلتك الله - معتلاً ، وهجرتني مُبِلاً^(١) ، فإن رأيت ألا تحبب العلة إلي ، ولا تسكدر الصحة علي ، فعلت إن شاء الله » .

فأما القصيدة التي منها البيت المذكور بقبه ، فإنه يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ، ويذكر فيها خلاص بعض أقاربه من الأسر ، وهزيمة بعض الخوارج عليه ، أولها^(٢) :

إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ^(٣)
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأَنَّى الطَّبَّاعُ عَلَى النَّاقِلِ
وَأَنَّى لَا عَشَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نُحُولِي وَكُلَّ امْرَأَةٍ نَاجِلِ
وَلَوْ زِلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بِكَيْتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ
— يعني أني أحب الحب لأجلكم ، إذ أني ألفتُه لطول صحبته فلوزال بكيته .

كَأَنَّ الْجَفُونَ عَلَى مُقَلَّتِي ثِيَابُ شُقُقْنِ عَلَى ثَاكِلِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى ضُمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ
— يعني لو أسرنى غير الهوى لخلصت منه كما خلاص أبو وائل ، وهو قريب سيف الدولة ، وكان مأسوراً في بني كلب عند الخارجى الذي خرج بهم على سيف الدولة ، وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل ؛

(١) كذا في م ، وفي ط : « بليلا » ، وفي ت « مهلاً » تحريف .

(٢) ديوانه ٣ : ٢١ - ٣٤ ؛ وفيه : « وقال يمدحه - أي سيف الدولة - ويذكر

استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من الأسر » .

(٣) الطماعية : مصدر بمعنى الطمع .

واستدعى سيف الدولة سرّاً ، فخرج ومراً بهم ، واستنقذه بغير فداء ، فذكر أبو الطيّب صورة الحال .

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الدَّابِلِ^(١)
وَمَنَّاهُمْ الْخَلِيلَ مَجْنُوبَةً فَجِنَّ بِكُلِّ فَتًى بِاسِلِ^(٢)
كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ مَعَاوِدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ
دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ

ومنها :

وَجِيشٍ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْهَامِلِ^(٣)
فَأَقْبَانَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ
فَلَمَّا بَدَوَتْ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْدُهَا آكِلَ الْأَكْلِ
بَضْرِبٍ يَعْصِمُهُمْ جَائِرٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ

- يعنى بالجور إفراطه فى قتلهم ، وبالعادل ثلاثة أوجه : أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم ، والثانى أنه وقع ذلك لمن بالغ منهم فى القتال ، والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين .

بنصل^(٤) يخضب منها اللّحى فتى لا يعيد على النّاصل^(٥)

- قال ابن وكيع : يعنى أن كلّ خضاب ينصل إلّا خضاب هذه القتلى الذى هو الدّم فإنه لا ينصل ؛ فيعيده لأنهم فارقوا الحياة ، وما ينصل غير

(١) النضار : الذهب . القنا الدابل : الرقيق .

(٢) الخيل المجنوبة ، التى ليس عليها فرسان ؛ ولما تجنب للحاجة إليها ، فلا تركب إلا وقت الحروب .

(٣) يريد بالإمام الخارجى ؛ أى أنه إمام فى قومه صحيح الإمامة عليهم ؛ إلا أنه من أئمة

الباطل .

(٤) الديوان : « فظل يخضب » .

(٥) الناصل : الذى ذهب خضابه .

خضاب اللّحى . وقال بعضهم - وهو وجه بعيد : الناصل : المضروب بالنصل ، وهو « فاعل » بمعنى « مفعول » ، كقولك : ناقة ضارب ، وعيشة راضية ، يريد أنّه إذا ضرب إنساناً بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة ضربه .

خُذُوا مَا آتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ
- بمعنى أن هذا بدلُ الغداء ، يتهمكم بهم .
وإن كان أعجبكم حاكمُكم فموّدوا إلى حصص في قَابلٍ
ومنها :

فإنّ الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يدِ القتالِ
تركت جاجهم في النقا وما يتحصّلن للنّاخل^(١)
ومنها :

وعدت إلى حلب ظافراً كعود الحليّ إلى العاطلِ
ومنها :

وكم لك من خيرٍ شائعٍ له شَيْئَةُ الأبلق الجائلِ^(٢)
ومنها :

فهناك النّصر مُعطيكهُ وأرضاه سعيك في الآجلِ
فذي الدار أخون من مومسي وأخدع من كفة الحابلِ
تفاني الرّجال على حبّها ولا يحصّلون على طائلِ^(٣)

* * *

(١) النقا : الكتيب من الرمل ، يقول : تركت جاجهم وقد طعنتها حوافر الخيل
فاختلطت بالرمل حتى لو نخل لم يتحصّل منه شيء .
(٢) الشية : لون يخالف بقية الجلد . والأبلق : الذي فيه سواد وبياض ؛ يقول : كم لك
من خبر اتصّار شاع ذكره في الناس ، وظهر ظهور الشية في الفرس الأبلق إذا جال بين الخيل .
(٣) الطائل : الغناء ؛ أي تفانوا في التشاح عليها ولم يحصلوا على شيء ؛ لأنها لا يمكن
أحداً منها .

١٢ - وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَضِنَّ بِكَ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَعْرِ عَلَيْنِكَ .

يعنى [المرأة التى راسلتها] ^(١) أبغضتك لأنها لم تبخل بك على من تصحبه دونها . والقلى : شدة البغض ، يقال : قلاه يقليه ويقولوه ، فمن جعله من الواوى فهو من القلوى ، أى الرعى . يقال : قلت الناقة براكها قلواً ، وقلوت بالقلم ، فكأن القلوى الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ، ومن جعله من الياضى : فمن قلئت السويق وغيره على المقلاة . وفى الحديث : « اخبر ثقله » ^(٢) ، والماء للسكت . والضن : البخل بالشئ النفيس ، ولهذا قيل : علق مضنة . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ ^(٣) ، أى بخيل على ما يوحى إليه ، وقرئ : « بظنين » ، أى متهم ^(٤) .

* * *

١٣ - فَإِنَّهَا أَعْذَرَتْ فِي السُّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ .

يعنى بلغت عذر الاجتهاد فى الصلة بينى وبينك ؛ يقال : أعذر الإنسان

(١) تكملة من م .

(٢) لفظ الحديث فى النهاية (٣ : ٢٧٥) عن أبى الدرداء : « وجدت الناس اخبر ثقله » ، قال فى شرحه : يقول : جرب الناس فإنك إذا جربتهم فليتهم وتركهم لما يظهر لك من بواطن سرأئهم ، لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، والماء فى « ثقله » للسكت ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولاً فيهم هذا القول » .

(٣) سورة التكاوير ٣٤ .

(٤) معدها فى ط : « والأمر كذلك على كلا الضنين » .

إذا أتى ماصراً به معذوراً ، وأَعْدَرَ مَنْ أُنْذِر . والسَّفَارَةُ المشي في الصَّلَح ، وكأنها كشف ما لهُم من الحال بين المتباينين ، أى سَفَرَتْ ، ومنه قيل : السَّفَرُ ، لأنه يكشف الأخلاق ، والأصل من سَفَرَ الصَّبْحُ ، إذا أضاء .

* * *

١٤ - زَاعِمَةٌ أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ .

المروءة: كمالُ المرء ؛ كما أَنَّ الرجولية كمالُ الرَّجُل ، والإنسانية تمامُ الإنسان . واللفظ مستعار من لفظ الشيء من الفهم إذا طرحه ، ولفظتِ الرِّحَا الدقيقَ ، والمعنى نفسُ الكلام وسِرِّه ، وكأنه مأخوذ من معاناة المرء اطلاعه على خوى الكلام . ولأهل البيان والمتكلمين في تمثيل الألفاظ والمعاني فصول مستحسنة . قال القوهسيّ الفيلسوف : الألفاظ آية من الحسن ، والمعاني من آية ^(١) العقل ، والحسن تابع للعقل والطبيعة .

وقال آخر : تما حكاه ابن رشيق : المعنى مثال ، واللفظ حذو ، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغييره ، ويثبت بثباته .

وقال آخر : اللفظ جسم ، والمعنى رُوح ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختلّ اللفظ كان نقصاً في الكلام كما يعرض لبعض الأجسام من العور والعرج ، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن صَعِبَ المعنى وأجيدَ لفظه ^(٢) كان اللفظ من ذلك أوفر خطأ ؛ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد معنى يختلّ إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسم

(١) م : « أمة »

(٢) م : « اللفظ »

والأرواح ؛ فإن اختلف المعنى كله فقد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ؛ كما أن الميت لا ينقص من شخصه شيء في رأى العين إلا أنه ميت لا ينفذ به ، وكذلك إن اختلف اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة !

* * *

١٥ - والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه .

الإنسانية : تمام الإنسان كما تقدم ، ومما عزّ به أبو زرعة البغدادى من كلام أرسطاطاليس قوله : الإنسانية أفق ، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع ، دائر على مركزه إلا أن يكون مخلوطاً بأخلاق بهيمية ، ومن رفع عصاه عن نفسه ، وسبّب هواه في مرعاه ، وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة ، فقد خرج من أفقه ، وصار أذل من البهيمة لسوء إثارة .

والاسم ماعرف به الشيء ، وأصله من السمو ، ومنه رفع ذكر المسمى فعرف ، وسيأتى ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى . والجسم يقال لكل ذى طول وعرض وعمق ، ولما لا يثبت له لون كالماء والهواء ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء ، وإن قطع وجزئ ، وهو أعم من الجسد ؛ لأن الجسد لا يقال إلا لما له لون . والهيولى : المادة المدبرة للصورة ، وهى أصل الشيء كالفضة في الدرهم ، وكان أرسطاطاليس يسمّى صاحب الهيولى ؛ وذلك أن مذهبه في الدهر أن أصل العالم قديم ؛ غير أنه لم يك ثم طينة^(١) ولا كان شيء مما نسميه العرض ؛ وللحكمة في تحقيقها كلام طويل لا يسع هذا المجال ذكره .

(١) كذا في م ، وفي ط : « لم يكن من طينة »

١٦ - قاطعة أنك انفردت بالجلال ، واستأثرت بالكمال ،
واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال .

قطعت الأمر: إذا فصلته من الشك، ومنه الدليل القطعي، والقطع: الفصل فيما يدرك بالأبصار كالأجسام، وفيما يدرك بالبصيرة كالأمور العقلية؛ والكمال حصول غايات العرض في الشيء محسوساً أو معقولاً ، وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَيْجِ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(١)، ليست^(٢) للإعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة ، وإنما ليبين أنه بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهوى . والخلال: جمع خلة ، وهي الطريقة الحسنة ، مأخوذ من الخلة وهي الطريق في الرمل . وفي قوله: «استعليت» ، و«استوليت» ، و«الجلال» ، و«الخلال» ، أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ما الغرض ذكرها .

* * *

١٧ - حَتَّى خِلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسَنَكَ
فَغَضَضْتَ مِنْهُ .

يعنى بآراك في الحسن فأخجلته ، وأصل الغض الثقصان في الطرف ، ويستعار لما سواه ، وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من توارخ ذوى الأوصاف الشريفة ؛ لأنه أول ما يعجب المرأة من الرجل ، ثم ذكر الحال والمهم والعلوم ونحو ذلك .

* * *

[يوسف عليه السلام]

والمرادها هنا يوسف عليه السلام ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله

عليه وسلم : « ذاك الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنُ الكريمِ ابنُ الكريمِ ، يوسفُ ابنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ » .

وبه يضربُ المثلُ في الحسنِ ، ويُستدلُّ على حسنه بكتابِ الله تعالى ، والحديثِ والآثارِ :

فمن الكتابِ قوله عزَّ وجلَّ في ذكرِ امرأةِ العزيزِ والنسوةِ اللَّاتِي لُمْنَهَا عَلَى حُبِّهِ : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهَا مَتَكًا ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ؛ قال المفسِّرون : المتكأُ الثُّمَرُ الذي يُتَّكأُ عليه . وقيل : المتكأُ هو الطعامُ ، والأصلُ فيه أنَّ مَنْ دَعَوْتَهُ لِيَطْعَمَ عِنْدَكَ ، فقد أعددتَ له وسادةً ، فسمَّى الطَّعامَ مَتَكًا على الاستعارة . وقيل : مَتَكًا ، طعامًا يُحتاجُ إلى أنْ يقطعَ بالسكينِ ؛ لأنَّ الطعامَ إذا كان كذلك احتاجَ الإنسانُ إلى أنْ يَتَكَيَّأَ عندَ القطعِ . وقيل : المَتَكَا الأُتْرُجُ ، وهو شاذٌّ أنكره أبو عبيدة . ﴿ وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنِ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ ، قيل : عَظَمْنَهُ ورأينهُ كبيراً عَظَمًا في أنفسهنَّ . وقيل : حِضْنٌ ، والهَاءُ للسكتِ مثل « إِنَّهُ » بمعنى « إِنْ » ، وهو قولٌ شاذٌّ ، لا يَعْرِفُ في اللغةِ الإكْبارُ بمعنى الحِضْضِ ، إلَّا أنَّ تكونَ الصَّغيرةُ ، بالحِضْضِ تدخلُ في معنى الكبيرة ، ولا في الطَّبِّ أنَّ المرأةَ تَحِضُّ إذا رَأَتْ ما يَرُوْعُها ؛ إلَّا أنَّ تكونَ حاملاً فيحصلُ لها إسقاطُ فحِضٍّ ؛ والقولُ الأوَّلُ من أنَّ الإكْبارَ التعظيمُ أصحُّ وأحسنُ . ﴿ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ ، كنايةٌ عن الدَّهْشِ والحيرةِ ، إمَّا أنَّها دُهِشَتْ فكانت تَقْطَعُ في يَدَيْهَا وهي تَظُنُّ أنَّها تَقْطَعُ في الفاكهةِ أو الطَّعامِ ، وإمَّا أنَّها تناولتِ السَّكِّينَ من موضعِ النَّضْلِ وهي تَظُنُّه موضعَ التَّصَابِ فتخرجُ يدها ، والالتذاذُ بالنَّظَرِ يَمْنَعُها من وجودِ الألمِ ، وفي هذا من الكنايةِ عن الحسنِ مالا مزيدَ عليه . ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ

لَهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ ، المقصود إثبات الحسن ، لأنه تعالى ركب في الطبايع أن لا شيء أحسن من الملك ، وقد عين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم من الملائكة ، كما ركب في الطبايع أن لا شيء أقبح من الشيطان . وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) ؛ فكما تقرر في الطبايع أن أقبح الأشياء هو الشيطان ، فقد تقرر أن أحسن الأشياء هو الملك ، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن ، شبهه بالملك .

أما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مررت بيوسف في الليلة التي عُرج بي فيها إلى السماء ، فقلت لجبريل : من هذا ؟ قال : يوسف ، فقيل : يا رسول الله ، كيف رأيته ؟ فقال : كالقمر ليلة البدر » .

ومن الآثار قولهم : إنه كان إذا مشى في أزقة مصر يتلأ لأ نور وجهه على الجدران كما يتلأ نور الشمس من الماء عليها . وقولهم : إنه ورث الحسن من جدته سارة التي هم الملك بأخذها من إبراهيم ، وزاد عليها . وقصته مشهورة . ويروى أنه عاش مائة سنة ، وتوفي بمصر ، ودفن في نهر القيوم الذي أحكم صنعته البديعة .

ومن كلامه ، قيل له : ما صنع بك إخوتك ؟ فقال : لا تسألوني عن صنع ربّي . ودعا لأهل السجن فقال : اللهم أعطف عليهم الأخيار ، ولا تخف عنهم الأخيار . فيقال : إنهم أعرف الناس بما يتجدد من الأخبار في البلدان .

* * *

١٨- وأن امرأة العزيز رأتك فسَلَّتْ عنه .

[زليخا امرأة العزيز]

امرأة العزيز زليخا المشغوفة بحب يوسف ، صار الحب شغافاً لقلبها ، والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب ، وقرئ : ﴿ شَغَفَهَا ﴾^(١) بالعين ، والشغاف أعلى الجبال ، كأن الحب بلغ أعلى قلبها ، وما كانت لتسلو مع ذلك الحب إلا بأضعاف ذلك الحسن .

ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر ، واحتاجت إليه :
سبحان مَنْ جعل العبيد ملوكاً بالطاعة ، وجعل الملوك عبيداً بالمعصية !

* * *

١٩- وأن قارون أصاب بعض ما كَنَزَتْ .

[قارون]

قارون هو المذكور في الكتاب العزيز ، قال بعض المفسرين : اختلف في نسبه ، فقيل : كان ابن عم موسى عليه السلام ؛ لأن موسى : ابن عمران بن قاهث ، وقارون : ابن يصهر بن قاهث . وقيل : كان ابن خالته ؛ وهو أول مَنْ ضُرب به المثل في كثرة المال .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾^(٢) دليل على إيمانه وقرابته ، وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ، وسمي المنور لحسنه .
وقيل : إنه كان من السبعين المختارة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاتَيْنَاهُ مِنْ

(١) سورة يوسف ٣٠ ، وهي قراءة الحسن . تفسير القرطبي ٩ : ١٧٧ .

(٢) سورة القصص ٦٣ .

الْكُنُوزِ ﴿١﴾ ، الكنز يطلق على ما يُجمع من المال سواء كان في باطن الأرض أو ظاهرها ؛ ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، أى تنوء بها العصبة ؛ تتكلف بها النهوض ، وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب ، مثل : دخل الرأس الظل ، وعرضت الدابة على الحوض . واختلف في المفاتيح ، فقيل : مفاتيح أبواب الخزائن ، وكانت قرستين بغلا ، وهو قول واهن ^(١) . وقيل : المفاتيح الخزائن نفسها ، وقد يستعمل الشيء بما لا يسه . وقيل : المفاتيح العلم والإحاطة بكفوله تعالى ؛ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ ^(٢) ، يعنون أنه أوتى من الكنوز ما إن حفظه والإطلاع عليه لينقل على العصبة . ﴿ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ، أى يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها . ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ، أى على خير صلاح علمه الله منى . وقيل : على علم بالمكاسب والتجارات . وقيل : على علم بالكيمياء . وكان الزجاج يقول : هذا قول لا أصل له ؛ فإن الكيمياء باطلة ولا حقيقة لها . ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، قيل : خرج راكباً بغلة شبيهة بسرج من ذهب ، ومعه سبعائة وصيفة على بغال شهب ، عابهن الخلي والخلل والزينة ؛ فكاد يفتن بنى إسرائيل ، ثم بنى وتكبر حتى أهلكه الله .

واختلف في سبب بغيه وهلاكه ؛ فقيل : إنه كان قد حسد هارون على الحبورة ؛ وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر ، وأغرق الله فرعون ، جعل الحبورة لهارون عليه السلام ، فحصلت له النبوة والحبورة ، وهو القربان . أتى بنو إسرائيل بهداياهم إلى هارون فيضعها في المذبح ، فتنزل نار فتأكلها . وكان لموسى الرسالة ، فوجد قارون من ذلك في نفسه ، وقال : يا موسى ، لك

(١) ط ، م : « واه » .

(٢) سورة الأنعام ٥٩ .

الرسالة ولهارون الحُبورة وليستُ في شيء ! لا أصبر على هذا ، فقال موسى :
والله ما صنعتُ ذلك لهارون ، بل جعله الله له . فقال : والله لا أصدقك أبداً حتى
تأتي بي بآية ، فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يحيى كل رجل منهم بعضاه ،
فجاءوا بها ، فألقاها موسى عليه السلام في قُبَّة له ، وكان ذلك بأمر الله تعالى ،
ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك ، فباتوا يحرسون عصيهم ، فأصبحت عصا
هارون تهتز ، لها ورق أخضر - وكانت من شجر اللوز - فقال موسى : يا قارون ،
أما ترى صنع الله تعالى لهارون ! فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر .
ثم اعتزل بمن معه من بني إسرائيل . وكان كثير المال والتبع ، فدعا عليه موسى .
وقيل : إنه لما نزلت آية الزكاة على موسى ، جاء موسى إليه وصالحه على
كل ألف دينار بدينار ، وألف شاة بشاة ، وعلى هذا الأسلوب ، فحسب ذلك
فوجده مالا عظيما ، فجمع قومه من بني إسرائيل ، وقال : إن موسى يأمركم بكل
شيء فتطيعونه ، وهو الآن يريد أخذ أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا ، فزنا
بما شئت ، فقال : على بقلانة البغي ؛ فأعطاهم مائة دينار ، وأمرها بأن تقذف
موسى بنفسها ، وجاء إلى موسى وقال : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتهامهم ،
فخرج ، فقام فيهم خطيبا ، فقال : يا بني إسرائيل ، من سرق قطعناه ، ومن زنى
جلدناه ؛ فإن كانت له امرأة رجناه . فصاح به قارون : وإن كنت أنت ! فقال :
نعم ، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بقلانة البغي ! فقال : على بها ،
فجاءت وقال لها موسى : يا قلانة ، أنا فعلت ما يقول هذا ؟ فقالت : لا والله يا بني
الله ؛ وإنما جعل لي جُعلا حتى أقذفك بنفسى ؛ فسجد موسى يبكي ويتضرع ،
فأوحى الله إليه : مَرِ الأرض بما تشتهي ، فقال : يا أرض ، خذيه - يعني قارون -
فأخذته حتى غيبت بعضه ، ثم لم يزل يقول : خذيه وهو ينيب حتى لم يبق من
جسده إلا القليل ؛ وهو يتضرع إلى موسى ويسأله وهو يقول : خذيه ، إلى أن غاب .

قال ابن الجوزي: وهو يناشده «الرَّحِمَ» فما رَحِمَ، فأوحى الله إلى موسى :
ما أقطعك ، وعزتي لو استغاثت بي لأغثته .

قيل : ولما خُسِفَ به ، قال بعض الجهال من بني إسرائيل : إنما قصد موسى
أخذَ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة ، فسأل الله نفسَ بداره .
وقيل : أراد بداره منزله ، والعرب تسمي المنزل داراً ، هذا قول من زعم
أنهم كانوا في التَّيِّهِ إذ ليس ثمَّ دُور . والقول الآخر قول مَنْ زعم أن الواقعة
كانت بمصر .

* * *

٢٠ - والنَّطَفُ عَثْرٌ عَلَى فَضْلٍ مَا رَكَزَتْ .

الفضل ها هنا : بقيَّة الشيء .
والرُّكْزَةُ والرُّكَارُ : دفينُ مال الجاهلية . وفي الحديث : « في الرُّكَارِ الخُمُسُ » .

* * *

[النَّطَف]

والنَّطَفُ : رجلٌ من العرب أصابَ مالاً فَضُرِبَ به المثل . واختلفت الأقوال
فيه ، فبعضُ من لا يعرف حقيقة أمره يقول : هو رجل كان يسقي الماء على ظهره ،
فكان ينطَفُ - أي يقطر - فسُمِّي النَّطَفُ ، ووجد خبيثة من المال ، فعظم حاله
واستغنى بعد فقره . وبعضهم يقول : النَّطَفُ الرَّجُلُ المتهم ، كان الفقير يجدُ المال
الكثير فيقصد إخفاءه فيتهم ويظهر عليه . والصَّحيح ما ذكره البلاذري ؛ أنه
النَّطَفُ بنُ خَيْبَرِيٍّ ^(١) بن حنظلة البَرْبُوعِيّ ؛ كان مقيماً بالبادية مع بني تميم ، وكان

بإذام عامل كِسرى على اليمين يحمل ثياباً من ثياب الين وذهباً ومِسْكاً وجوهرًا ،
ويرسله إلى كِسرى مع خُفراء من بنى الجُعد المزارين إلى أن يصل إلى أرض بنى
تميم ، فيبعث معها هُوذة من يحاوزها أرض بنى تميم ، فلما كان في بعض السنين
في أرض بنى حنظلة تعرّض لها بنو يربوع ، فأغاروا عليها ، وقتلوا من بها من
العرب والأساورة^(١) ، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال ، والحارث بن عتبة ،
والنظف بن خيبري ، وكانوا فرسان بنى تميم ، فهبوا الأموال ، فحصل النظف على
شيء كثير ، من جلته خُرْجان مملوءان من مناطق ذهباً محلاةً بالجواهر النفيسة ،
فباعها متفرقة ، وضرب المثل بما أصابه .

وقيل : إنه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس إلى أن غابت ،
وفي ذلك يقول بعض ولده :

أبي النظفُ المباري الشمسَ ، إني عريقٌ في السّماحة والمَعَالِي
ومات النظفُ حَتَفَ أنفه بعد أن جَرَتْ بين العرب والفرس بسببه حروبٌ
عظيمة .

* * *

٢١ - وكِسرى حَمَلَ غَاشِيَتَكَ .

وكِسرى^(٢) ملوك الفرس ، وقصر للروم ، وخاقان للترك ، وتبع لحير ،
والنَجَاشِي للحبشة .

واختلف في نسب الفُرس على أقوال ؛ أحدها أنه فارس بن سام بن نوح ،
وقيل : فارس بن أفريذون بن إسحاق عليه السلام .

(١) ط : « والفرس » .

(٢) ط : « اسم الملوك الفرس » ؛ وما أثبتته من ت ، م .

وكان في العرب مَنْ يفتخر بفارسٍ على قحطان ، والفُرس تقول (١) : إنه ابن كيومرث ، وكيومرث عندهم آدم عليه السلام ، وإنَّه أوَّلُ مَنْ مَلَكَ الفرس ؛ وكان منفرداً عن العالم ، وليس في زمانه ظلم ولا فساد ، فكثر البغي والظلم ، فاجتمع إليه حكماء أهل زمانه وقالوا : إنَّ صلاحَ هذا العالم في إقامة مَلِكٍ يُورِدُ الأمورَ ويصُدِّرها ، كما أنَّ صلاحَ الجسد بالقلب ، وأنَّ العالمَ الصغيرَ من جنس العالم الكبير ؛ لا تستقيم أموره إلَّا برئيس يُدبِّرُهُ على ما تقتضيه قضايا العقول ، فصاروا إلى ابن كيومرث (٢) ، فقالوا : أنت أفضلُّنا ، وبقيَّةِ أيُّنا آدم عليه السلام ؛ ولا بدَّ من تقديمك علينا وتفويض أمورنا إليك . فأخذَ عليهم العهودَ والمواثيقَ على السَّمع والطاعة ، ووضع التاجَ على رأسه تمييزاً له . وهو أوَّلُ من لبسه ، ثم خطب بالسرِّيانية وهو لسان آدم عليه السلام ، ويقال : لو ترك كلُّ أحدٍ من بني آدم لتكلم بالسرِّيانية بالطبع ، فتكلم بكلامٍ معناه الشُّكر والدعاء ، والمعونة والهداية ؛ وأقام مدَّةً طويلةً يدبِّرُ الملك . وتوفَّى وملك بعده أو شهنج ؛ وملوك الفرس تُنسب إليه .

وللفرس مبالغاتٌ عظيمةٌ في وصف كيومرث ، ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه ، وأنه خلق من الرِّيباس وعاش ألف سنة .

وكسرى ، يقال بفتح الكاف وكسرهما ، وجمع جمعين على قياس الأكلسة ، والكُسور ؛ وذلك أن حدَّ «الأفاعلة» أن يكون جمع «الأفعال» ، مثل إسكاف وأساكفة ؛ وأما الكُسور فإنه جَمْعٌ بتقدير طرح الألف مثل : جذع ، وجُدوع . قال الأعشى :

* إنه كائن أباً للكُسور (٣) *

* * *

(١) ط : « يقولون »

(٢) ط : « فارس بن كيومرث »

(٣) هو أعشى قيس ، ملحق ديوانه ٢٤٠ .

[كسرى أنوشروان]

والمراد ها هنا كسرى أنوشروان ، فإنه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخباراً ، وهو كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز . وفي أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : « ولدت في زمن الملك العادل » - يعني كسرى .

وكان ملكاً جليلاً محبباً للرعايا ، تامّ التدبير ، فتح الأمصار العظيمة في الشرق ، وأطاعته الملوك . وتزوج ابنة خاقان ملك الترك .

وقتل مزدك وأصحابه ؛ وذلك أن أباه قباد كان قد بايع رجلاً زنديقاً يسمى مزدك ، أحدث مقالات في إباحة الفروج والأموال وقال : إنما الناس فيها سواء . وكان لا يسفك ، ولا يأكل اللحم . وإنه دخل يوماً على قباد وعنده زوجته أم كسرى - وكانت من أحسن النساء ، وعليها حلّة عظيمة - فأعجبته فقال لقباد : إنني أريد أن أنكحها لأن في صلي نبياً يكون منها ، فأطاعه قباد لقوله بمقالته ، فلما هم مزدك بها - وكان كسرى صغيراً - قيل قدميه ، وتضرّع له في ألا يفعل ، فوهبها له ، فأول ما ولى كسرى بعد موت أبيه قتل مزدك وأصحابه ، فعظم في عين الفرس وأحبوه .

وسلك سيرة أردشير ، وتوطدت مملكته ، وبنى المباني المشهورة :

منها السور العظيم ^(١) على جبل الفتح عند باب الأبواب ، وأقام الحرس ، وحسم المادّة من فساد من خلفه .

ومنها المدينة التي سمّاها باسم روميّة .

ومنها الإيوان العظيم الباقي الذّكر ، وليس هو المبتدئ لبنائه ، وإنما

(١) ط : « العظيم الباقي الذّكر » .

المتبدئ به سابور ، وهو الذى رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا ، وكان انشقاقه من المعجزات النبوية [والخصائص الحمّدية] ^(١) ، يروى أن الرشيد هارون أراد هدمه ، فاستشار يحيى بن خالد البرمكى ، فهأه ، وقال : فى بقاءه معجزة باقية . فقال الرشيد : بل أبيت إلاّ تعصّباً لأبائك - يعنى الفرس - فأمر بهدمه ، فصّرف ^(٢) على هدم شُرُفة واحدة مالاّ كثيراً ، فكفّ عنه . فقال يحيى : أرى الآن أن تهدمه لئلاّ يُتحدّث عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك ، فتغافل عن قوله وتركه .

وحكى عن بعض رسل الملوك أنّه دخل على كسرى ، فرأى فى الإيوان أعوجاجاً ، فسأل عنه ، فقيل له : إنّ بيتاً لعجوزٍ فقيرة ، سأها الملك ببعه فامتنعت ، فأرغبها فى مال كثير فلم تفعل ، فتركها وبنى الإيوان على ما هو عليه . فقال الرسول : هذا الأعوجاج أحسن من الاستواء .

ويروى أنّ العجوز بعد بناء الإيوان نزلت للملك عن البيت ، وقالت : إنّما أردتُ بامتناعى أولاً أن يتحدّث الناس بعدلك ، وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة . ثم صنع كسرى فى الإيوان سلسلة عظيمة ذات أجراس ، وجعل لها طرفاً خارجاً عن القبة ، وأمر مناديه : من كان مظلوماً فليحرّك السلسلة ؛ ليعلم به الملك فيزيل ظلامته . قال العسكريّ : وهذا هو الأصل فى قول الناس : حرّك فلان على فلان السلسلة : إذا وشى به .

وحكى أنّه كان جالساً بالإيوان ، وإذا بحية قد دنت من عشاء حمامة فى بعض شرف ^(٣) الإيوان لتأكل فراخها ، فرمى الحية بسهم أو ببندقية فقتلها ، فقال : هكذا نفعل بعدو من استجار بنا . فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحبّ فى منقارها

(١) م ط .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت ، م : « فرج » .

(٣) ط : « شقوق » .

فألقته إليه ، فأخذه ، وقال : ارزعوه ، فزرعوه ، فنبت ربحاناً لم يكن يعرفه ،^(١) فقال : نِعَمَ ما كافأنا به الحمامة ، نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الإحسان إلى رعيته ، والشكر على نِعَمه .

وخصّ كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة .
منها الفيل الأبيض لركوبه ، طوله اثنا عشر ذراعاً ، وقطعة البياقوت السمّاء « لسان الثور » تضىء بالليل أكثر من السراج^(٢) والفلهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثني عشر وتراكيل من ضرب به خرّج الهواء . وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مَهْر من الخيل ، وعناق زرقاء مغدّاة بألبان النعاج ، يُدبّحان بسكين من الذهب ، ويسجر التنّور بالعود ، ويسطّ باطنم النملّى ، ويُطلى بالمِسْك والملح ، ويعلق فى سقود من ذهب ، ونارجين من ذهب ، فإذا برد حُل فوضع على خوان من ذهب ، فيقدم إليه فيأكل أكثره ، ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ، ويكسر التنّور ويحدّد كلّ يوم مثله .

واجتمع على بابه سبعون ملكاً . وله حكايات حسنة مذكورة فى سيره :
فنها . أنّ عاملاً له على ناحية كتب إليه يعلمه بمجودة الربيع ، ويستأذنه فى الزيادة على الرّسم ، فأمسك عن إجابته ، فعاوده العامل فى ذلك ، فكتب إليه : قد كان فى تركى إجابتك عن كتابك ما حسبتك تنزجر به عن تكلف ما لم تؤمّر به ، فإذا قد أبيت إلاّ تمادياً فى سوء الأدب ، فأقطع إحدى أذنيك ، واكفف عمّا ليس من شأنك . فقطع العامل أذنه ، وسكت عن ذلك الأمر .

ومنها أنّ رجلاً على عهدِه كان يقول : مَنْ يشتري ثلاث كلمات بألف دينار ؛ فخطير منه الناس ، إلى أن وصل إلى كسرى ، فأحضره وسأله عنها ، فقال : ليس .

(١) ط : « يعرفونه » .

(٢) ت : « السروج » .

في الناس كلهم خير . فقال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا ؟ قال : ولا بدّ منهم ،
قال : صدقت ، ثم ماذا ؟ قال : فالبسهم على قدر ذلك ، فقال كسرى : قد
استوجبت المال بخذه . قال : لا حاجة لي به ، وإنما أردت أن أدرى من يشتري
الحكمة بالمال .

ويروى أنه أوّل من جعل لندمائه أمانة ينصرفون بها من مجلسه إذا أراد
[انصرافهم] ^(١) ، وذلك أنه كان يمدّ رجله ، فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون ،
وتبعه الملوك . وكان فيروز الأصغر كذلك يدلك عينه ، وكان بهرام يرفع
رأسه إلى السماء . وكان في الإسلام معاوية يقول : العزة لله ، وعبد الملك [بن
مروان] ^(٢) يلقى المخصرة من يده ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يدعو .
وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء ، وسئل ما أمارته ؟ قال : إذا قلت :
يا غلام ، هات الطعام .

ومن كلام كسرى : القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان
إلى أقواتها من الغذاء .

ووقع في قصة رافع ^(٣) : إن الملوك إذا دبّرت ملكها بمال رعيّتها كانت
بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه .
وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب : ليهنّته طعام من أكله من جلّه ، وعاد
على ذوى الحاجات من فضله . ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما أكلته
وأنت لا تشتهيه فقد أكلك .

وقيل له : ما أعظم الكنوز قدراً ، وأنفعها عند الحاجة إليه ؟ فقال :
معروف أو دعتّه عند الأحوار ، وعلم أو رمته الأعقاب .
وقال : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، والليم إذا شبع .

٢٢- وقِصْرَ رَعَى مَاشِيَتَكَ :

قيصر : سِمَةُ مُلُوكِ [الروم] ^(١) ، وسموا الروم لأنهم يُنسبون ^(٢) إلى روم بن العيص بن إسحاق عليه السلام ، وقيل : إنهم ينسبون ^(٣) إلى رومية ، والأول أصح ؛ لأن رومية بنيت بعد ظهوره بكثير ؛ وكان يقال لها . روماس ؛ فلما سكنوها نسبت إليهم .

وقال ابن الكلبي : وَلَدَ إِسْحَاقُ ثَلَاثِينَ وَلَدًا مِنْهُمْ الرُّومُ ؛ وَكَانَ أَصْفَرُ اللَّوْنِ ؛ فَقِيلَ لَوْلَدِهِ : بَنُو الْأَصْفَرِ .

وقيل : غارت عليهم الحبشة ، فولد لهم بنات أخذن من بياض الرُّومِ وسواد الحبشة ؛ فَكَانَ صُفْرًا لُغْسًا ؛ فَنسَبُوا إِلَيْهِنَّ .

* * *

[قيصر بن أنطرس]

وأول مَنْ سُمِّيَ مِنْهُمْ قَيْصَرُ ، قَيْصَرُ بْنُ أَنْطَرَسٍ ^(٤) ؛ واسمه قيسر ؛ لأن أمه كانت حاملًا به ؛ فتمسّرت ولادتها ، فشقّ بطنها ، وأخرج - فكان يفتخر ^(٥) على الناس بأن النساء ^(٦) لم تلده - وقيل : « قيصر » ؛ فصار اللقب سِمَةً لِمُلُوكِ الرُّومِ بعده .

وكان جتاراً عاتياً ، وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان ؛ وذلك أن

(١) تكملة من د ، م .

(٢) م : « ينسبون » .

(٣) م : « منسوبون » .

(٤) م : « أنطونس » .

(٥) م : « يتبخر » ، والوجه ما أنبته من ت .

(٦) م : « إنا » .

أباه أنظرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقضوا ولم يبق غير امرأة تسمى قلوبطرة أرسل إليها يخطبها - وكان قد ملك طرفاً من أطراف البلاد - يقول : قصدى أن تصير الملكتان واحدة ، وأقرب منك لفضلك وعقلك ؛ ففعلت أنها مغلوبة ، فأجابته وقالت : تقيم في مكانك إلى يوم بعينه ، فأقام . وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه ، فرأت أن تهلك نفسها ، وتهلكه فيها ، ولا يتمكن منها ، فعمدت إلى حية تكون في الرمل ، تضرب الإنسان فيهلك في لحظة ؛ فجعلتها في إناء من زجاج ، وزينت قصرها ، وفرشت مجلسها بالرياحين ؛ ولبست تاجها ، وجاست على سريرها ، واستدعت به ، فلما دخل باب القصر ، أخرجت الحية ، فضربتها فماتت ، وانسابت الحية في رياحين حولها ، ودخل أنظرطس إلى السرير ؛ ولم يشك أنها في عافية ، فجلس إلى جانبها ، وعبث في الرياحين ، فضربتة الحية فمات . وكان ابنه معه في جيشه ، فسمع بموتهما ، فاستولى على بلاد الروم واليونان .

وهو الذى بنى قيسارية الروم - وقيل قيسارية الشام - وأقام في الملك خمسين سنة .

ومن طريف^(١) أخباره أنه كان إذا أراد أن يستشير أحداً من عقلاء دولته أرسل إليه نفقة سنة ؛ ليوفر ذهنه على رأى .

ومن بعده اختلفت الروم ، فتقاسموا البلدان والأطراف إلى ظهور الإسلام . وقيصر هذا أعظم ملوكهم .

ومن كلامه : ما الحيلة فيما أعيا إلا الكف عنه ، ولا رأى فيما لا يُنال إلا اليأس منه .

٢٣ - والإسكندر قتل دَارَا فِي طَاعَتِكَ .

هو الإسكندر بن فيلبس اليوناني^(١) ، واختلف في أصل اليونان ، فقال ابن الكلبي : هو يونان بن بقية ، ونسبه إلى إسحاق .

وقال يعقوب الكندي : يونان أخو قحطان ، من العرب من ولد عابر ، خرج من اليمن ونزل ديار المغرب ، وأقام فيها ، واستعجم لسانه ، وتكلم بلغة من هناك من الروم .

وقال الرقاشي - وهو الأشهر : إن يونان بن يافث بن نوح ، وليس من العرب ولا من الروم ، وإنما جاور الروم على ساحل البحر الرومي ، وكان وسيماً حسن العقل ، كبير الهمة ، فأقام هناك حتى كثر ولده ؛ فخرج يطلب مكاناً يسكنه ، فاتته إلى مدينة بالمغرب يقال لها : إقليبيّة^(٢) ، فبنى بها قصوراً ، وأقام وكثر نسله ، ولما احتضر أوصى إلى ولده الأكبر وصيّة حسنة ، ثم مات فاستولى ولده الأكبر على بلاد المغرب من ناحية إفرنجة والصقالبة ومن جاورهم ، ولما ظهر^(٣) بختنصر على مصر دخل المغرب ، ووصل إلى بلاد اليونان وقرّر عليهم أن يؤدّوا الخراج إلى ملوك فارس ، واستقرّ ذلك إلى أيام الإسكندر .

* * *

[الإسكندر بن فيلبس]

وأما الإسكندر فاختلف في نسبه ، فقيل : إنه الإسكندر بن فيلبس ، من ولد يونان ، وهو الأصح .

(١) م : « فيلبس » .

(٢) إقليبيّة ، ذكرها ياقوت ، وقال : إنها حصن منيع بإفريقية .

(٣) م : « ولما دخل » .

وقيل : هو الإسكندر بن الصَّعْب ، كان أبوه نَسَاجَا ، واسم أمّه هيلانة ، وكان يتما في حَجَرٍ ، وسمعت أمّه بيت الصَّنائع - وهو بيت وضعته اليونان في القسطنطينيّة - وصوّرت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان ، فن تأقت نفسه لصنعة اشتغل بها - فحملته أمّه فشاهد صور الأشياء ، فوضع يده على تاج الملك - فنهته أمّه مراراً فلم ينته ؛ فنظر إليها متولّي بيت الصنائع ، وقال : أنتِ هيلانة ؟ قالت : نعم قال : وهذا ابنك ؟ قالت : نعم ، فقال له : أبشّر فأنت الملك الذي يسحب ذيله في البلاد .

وهذا قول مردود ؛ لُبعد ما بين حيرَ واليونان ؛ ولأنّ القسطنطينيّة بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزَمان ، وإنّما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى .

والصّحيح أنه الإسكندر بن فيلبس ^(١) ، وسَمّي ذا القرنين تشبيهاً بذى القرنين المذكور في الكتاب العزيز ؛ لبلوغ ملكه قرني الشمس من المشرق والمغرب ، وهو صاحب أرسطاطاليس الحكيم ، كان أبوه أسلمه إليه ، فأقام عنده خمس سنين يتعلّم منه الحكمة والآداب ، فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ، ومريض أبوه ، تخاف على الملك فاستردّه وعهد إليه .

* * *

[دارا الأصغر بن دارا الأكبر]

وأما دارا فهو دارا الأصغر بن دارا الأكبر بن أردشير ، أحد ملوك الفُرس العظماء المشهورين ، كانت له قِطِيعَة على أبي الإسكندر ؛ في كل سنة ألف بيضة من الذهب ، في كل بيضة ألف مثقال ، على عادة آبائهم ، فلما ملك الإسكندر آخر إرسال

القطيعة ، فكتب إليه دارا يتهدده ويتوعده حيث آخر الإتاوة ، وبعث إليه بكرة وصولجان ، وخرقة فيها سمسم ، وقال : أنت صبي ، فالعب بهذه الكرة ، فإن أدت الإتاوة وإلا بعثت إليك بجنود عدد هذا السمسم ، وأتيت بك في وثاق .

فكتب إليه الإسكندر : أما بعد ، فقد تيمنت بالكرة والصولجان ، فإن الدنيا مثل الكرة وسألعب بها ، وأضيف ملكك إلى ملكي . وأما السمسم فقد تيسنت أيضاً به ، لأنه بعيد عن الحرافة^(١) والمرارة . وأما الدجاجة التي كانت تببيض ذاك البيض فقد ذبحتها ، وأكلت لحمها .

فغضب دارا ، وسار إليه بمجموعه ، وسار الإسكندر بمجموعه ، والتقيا على نصيبين الجزيرة ، فلما هم دارا بالقتال بعث إليه الإسكندر يقول له : أيها الملك ، لا تفعل ؛ فإن دماء الملوك لا تجوز إراقتها ، وهدم البيوت القديمة غير محمود ، والبغى ذميم العقبي ، والحرب غير مأمونة العاقبة ، وأصحابك قد ملؤك وكرهوك لسوء سيرتك ، فارجع فإنك تحمد قولي .

فلم يلتفت إليه دارا ، وأقاما يتحاربان مدة . ثم إن الإسكندر دبر حيلة ، وهو أنه لما وقع المثلل بين الفريقين برز منادى الإسكندر فقال : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا ، وما كتبنا لكم^(٢) من الأمان ؛ وقد طال القتال ؛ فمن كان منكم على غير^(٣) قتالٍ فليعتزل ، وله الوفاء بالعهد .

فأتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ، فكان ذلك من أسباب خذلان دارا . ثم وثب على دارا رجالان من أصحابه قطعناه من خلفه فوق ، وكان الإسكندر نادى : من ظفر بدارا فلا يقتله ، فجاء الرجالان إلى الإسكندر ، فقالا : قد قتل

(١) الحرافة ، بفتح الحاء : طعم يحرق اللسان والفم .

(٢) ت : « ومكاتبتنا لكم » .

(٣) د : « على العهد » .

دارا ، فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رَمَق ، فقال : والله ما هممت
بقتلك ، ولقد نَهَيْتُ عنه ، ولقد يعزّ عليّ مصابك فاسألني حوائجك . فقال :
تقتل فلانا وفلانا اللّذين قتلاي ؛ فأني كنت محسنا لهما ، وتزوج ابنتي روشنك ،
فقال : سمعا وطاعة ، وأحضر الرّجلين فقتلها ، وقال : هذا جزاء من يتجرّأ
على ملكه ؛ وتفرّق ملك فارس .

ثم سار الإسكندر إلى بابل وجلس على سرير دارا ، واستولى على خزائنه
وجواهره وسلاحه ، وتزوّج ابنته روشنك . وقيل : إنها كانت زوجة دارا
وهي ابنته ، ولم يكن في زمانها أحسن منها . وقيل : إن الإسكندر لم يجتمع بها ،
وقال : أخشى أن أكون غلبت دارا وفتلاني روشنك .

ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف
ألف - وقيل أكثر - وشرع في هدم بيوت النيران ، وقتل الموابذة ، وكتب
إلى أرسطاطاليس يستشيريه فيمن بقي من عطاء الفرس بهذا الكتاب :

أما بعد ، فإنّ دوائر الأسباب ، ومواقع الفلك ؛ وإن كانت أسعدتنا
بالأمور التي أصبح لنا بها الناس دائنين ، فإننا مضطرون إلى حكمك ، وغير
جاحدين لفضلك ، والاجتناء^(١) لرأيك ؛ لما بلونا من جدّا ذلك علينا ، وذقنا
من جنى منفعته ؛ حتى صار ذلك بتجرّعه فينا^(٢) ، وترشيحه لعقولنا كالغذاء لنا ؛
فما ننفك نعوّل عليه ، ونستمدّ منه استمداد الجداول من البحار ، وقوّة الأشكال
بالأشكال ، وقد كان مما سبق إلينا من النصر وبلغناه من النكّاية في العدو
ما يعجز القول عن وصفه ، والشكر على الإنعام به ؛ وكان من ذلك أنا جاوزنا
أرض الجزيرة وبابل إلى أرض فارس ، فلما نزلنا بأهلها لم يكن إلّا رينما تألقنا
ففران منهم بقتل ملكهم طلبا للحظوة عندنا ، فأمرنا بصلبهما لتجرّؤهما وقلة

(١) م : « الاجتناء » ، د : « الاحتباء » . والاجتناء : الاختيار .

(٢) بتجرّعه فينا ، يريد استساغتهم هذا الأمر ورضاهم عنه .

وفائهما ، ثم أمرنا بجمع مَن هنالك من أبناء ملوكهم ، وذوى الشرف منهم .
 فرأينا رجلا عظيمة أجسامهم وأحلامهم ، دلّنا ما ظهر من رؤائهم ^(١) على أن وراءه
 من قوّة بأسهم ما لم يكن معه ^(٢) سبيل إلى غلبتهم ؛ لولا أن القضاء أدالنا
 منهم ^(٣) . ولم نر بعيداً من الرأى أن نستأصل شأقتهم ، ونلحقهم بمن مضى من
 أسلافهم ؛ لتسكن بذلك القلوب إلى الأمن من جرائهم ؛ ورأينا ألاّ نعتجل
 ببادرة الرأى في قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم ؛ فارفع إلينا رأيك
 فيما استشرناك ، بعد صحته عندك ، وتقليبه على نظرك ؛ على عادة أرائك المسعفة .
 وسلام على أهل السلام ؛ فليكن عليك وعلىنا .
 فكتب إليه أرسطاطاليس :

إلى الإسكندر المؤيد المهدى له الظفر من أصغر حوّل أرسطاطاليس .
 أما بعد ، فقد تقرّر عندى من مقدمات ^(٤) فضل الملك ويمن نقيته ، وبروز
 شأوه ، وما أدت إلى حاشة بصرى من صورة شخصه ، ووقع في فكرى على تعقب
 رأيه ، أيام كنت أودى إليه من تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة
 إلى تعلّمه منه . وقد ورد كتاب الملك بما رسم لى فيه ، وأنا فيما أشير به على الملك
 حدّ الطاقة معه كالعدم مع الوجود ؛ ولكن غير ممتنع من إجابته ، فأقول :

إن لكلّ تربة لاحالة قسما من كل فضيلة ، وإن لفارس قسمتها من النجدة
 والقوّة ، وإنك إن تقتل أشرافهم يخلف الوضعاء منهم ، وترث سيفتهم منازل
 عليّتهم ، وتغلب أدنياؤهم على مراتب ذوى أخطارهم ؛ ولم تبطل الملوك قطّ بلاء
 هو أعظم عليهم من غلبة السّفلة ، وذلّ الوجوه ؛ واحذر الحذر كلّ أن تمكّن
 تلك الطبقة من العلية ؛ فإنّ تجمّ منهم ناجم على جنّدك وأهل بلادك دهمهم

(١) د : ديل ؛ والرواء : المنظر الحسن .

(٢) ت : معهم ، والأصوب ما أثبتته من د ، م .

(٣) أدالنا منهم ؛ أى جعل دولتنا عليهم . (٤) ت : « مقدمات » .

ما لا روية فيه ، ولا منفعة معه . فانصرف عن هذا الرأي إلى غيره ، واعد إلى من قبلك من العطاء والأحرار فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية ، واعقد التاج على رأسه وإن صغر ملكه ؛ فإن المتسقى بالملك لازم لاسمه ، والمنعقد له بالتاج لا يخضع لغيره ، ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابراً وتغالبا على الملك ، وتفاخراً بالمال ؛ حتى ينسوا بذلك أضعافهم عليك ، ويعود بذلك حربهم لك حرباً بينهم ، ثم لا يزدادوا في ذلك بصيرة إلا أحدثوها لك استقامة لك ؛ فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت عنهم تعززوا بك ؛ حتى يشب كل منهم على جاره باسمك ، وفي ذلك شاغل لهم عنك ، وأمان لإحداثهم بعدك ؛ ولا أمان للدهر ؛ وقد أدت للملك ما رأيت له خطأ ، وعلى حقاً ، والملك أبعد روية ، وأعلى عيناً ، فيما استعان بي عليه . والسلام الأبدى فليكن على الملك .

فلما ورد كتاب أرسطاطاليس على الإسكندر تأمله ، وعرف الحق ، وقرق القوم في الممالك كما ذكر ، فسموا ملوك الطوائف .

وسار الإسكندر إلى الشرق ، فدانت له الملوك ، وبقي مدينة إصبيهان وهراة وسمرقند ، ولما وصل إلى الهند خرج إليه ملكها في ألف فيل عليها المقاتلة ، وفي خراطيمها السيوف الهندية ، فلم تثبت خيل الإسكندر ، فصنع الإسكندر قبيلة من نحاس مجوفة ، وربط خيله فيها حتى ألقيتها ، وملاها نبطاً وكبريتاً ، ثم ألبسها السلاح وجرها على العجل إلى ناحية العدو ، وبينها الرجال ؛ فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في أجوافها ، فلما اشتعلت تنحى الرجال عنها ، وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها ، فأحرق الرجال واحترقت ، فمن سلم ولّى هارباً ، فكانت الدائرة على ملك الهند .

ولما وصل الإسكندر إلى المانكير - وهو من ملوك الصين - خرج إليه الملك ، وأرسل إليه يقول : علام نفى العالم ! ابرز إلى ، فإن قتلتنى كنت أنت الملك ، وإن قتلنك كنت أنا الملك . فتيمن الإسكندر بكونه بدأ بنفسه فى ذكر القتل ، فبرز إليه فقتله الإسكندر . ثم توغل فى بلاد الصين إلى مقر ملكها الأكبر . [وجرت لها أخبار طويلة اصطلاحا فيها على مهادنات ومهاداة ^(١)] ؛ فبينما هو فى بعض الليالى جالس نصف الليل ؛ إذ بالحاجب قد دخل فقال : رسول من ملك الصين بالباب ، فأذن له فدخل ، فقال له : قل ، فقال : الأمر الذى جئت فيه لا يحتمل إلا الخلو ، فأمر بتفتيشه فلم يجد معه حديداً ، فأخلى المجلس ، وبقي هو وإيابه ، فقال له : قل : فقال : أنا ملك الصين . قال : وما الذى أمكنك ^(٢) منى ؟ قال : ليس بينى وبينك عداوة ولا ذحل ^(٣) ، وبلغنى أنك رجل حكيم عاقل حليم ، ولو قتلتنى لم تظفر بطائل منى ؛ فإنهم يقيمون غيرى ، وتنسب إلى الغدر ؛ فأخبرنى ما الذى تريد منى ؟ قال : ارتفاع ملكك ثلاث سنين أجلا ، ونصف ارتفاعها عاجلا . قال : لقد أجحفت ؛ فما زال ينقصه حتى اقتصر على سدس الإرتفاع ، ثم قام مسرعاً ، فخرج .

وبات الإسكندر ليلته يفكر فى أمره ، فلما طلع الصباح ، إذا بملك الصين قد أقبل فى جيش طبقى الأرض ، وعليه تاجه ، وبين يديه الأمم ، فركب الإسكندر واستعد للقتال ، ثم ناداه : يا ملك الصين ، أغدرا ! فانفرد عن أصحابه وقال : لا ، ولكن أردت أن أعرفك أننى لم أطفك عن قلة وضعف ، وما غاب عنك من جنودى أكثر ؛ ولكن رأيت العالم الأكبر ^(٤) مقبلا عليك ،

(١) من د .

(٢) ت : « أمكنك » ، والصواب ما أثبتته من م .

(٣) ت : « دخل » . والدخل - الثار .

(٤) ت « الكبير » .

ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عدداً ، ومن حارب العالم الكبير غلب .
ثم ترجل وقبّل الأرض ؛ فنزل الإسكندر عن فرسه ، وجلس على سرير ، فقال
له الإسكندر : ليس مثلك من يؤخذ منه خراج ، وقد أعفيتك . فقال الملك :
أما إذ قد فعلت فلا بدّ من حسن المكافأة ، ثم بعث إليه بضعف ماقرره عليه .
وعاد الإسكندر وقد دانت له الملوك ، ودوّخت البلاد ، فأقام بشهر زور
أياماً ؛ واحتضربها . وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة . واختلف في عمره ،
ف قيل : ست وثلاثون سنة ، وقيل أكثر ، وبين وفاته وبين الهجرة النبوية -
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - ست مائة سنة . وقيل غير ذلك . ومن أراد
تحرير التاريخ فليأخذه من « المختصر في تاريخ البشر »^(١) ، تأليف مولانا السلطان
الملك المؤيد .

ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمّه كتاباً يسألها فيه أن تصنع وليّة ،
وتدعو نساء أهل المملكة ، ولا تأذن إلا لمن لم تصب بفقد عزيز من أهلها ؛
ف فعلت ذلك ، فلم يدخل عليها أحد ، فعلمت أنه مات ، وأنّ ذلك تعزية لها .
ثم أوصى أن يوضع في تابوت من ذهب ، ويطلّى بالأطلية المتسكة ، ويحمل
إلى أمّه بالإسكندرية . فلما فعل ذلك جمع أرسطاطاليس الحكماء ، وأمرهم بكلام
يكون للخاصة معزياً ، وللعامّة واعظاً ، كما فعل بالإسكندر الأول - وكانوا عشرة :
فقال الأول : أصبح مستأسر الأسرى أسيراً .
وقال الثاني : هذا الإسكندر ، طوى الأرض العريضة ، وهو اليوم يطوى
منها في ذراعين .

وقال الثالث : العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون .

وقال الرابع : ما سافر الإسكندر سفيراً طويلاً بلا آلة سوى سفره هذا .

وقال الخامس : سيلحق بك مَنْ سَرَّهَ موتك ، كما لحقت بمن سَرَّكَ موته .

وقال السادس : كان يحكم على الرعية ، فصارت الرعية تحكم عليه .

وقال السابع : كنت تأمرنا بالحركة ، فما بالك ساكنًا !

وقال الثامن : ربّ حريص على سكوتك ، وهو اليوم حريص على كلامك !

وقال التاسع : كم أمات مَنْ في هذا الصندوق كثيرًا يموت ، فمات .

وقال العاشر : كان الإسكندر يعظنا بنطقه ، وهو اليوم يعظنا بسكوته .

وقالت أمه : بما يسلى عنه : المعرفة بالالحوق به .

وقالت روشنك : ما كنت أظنّ أن غالب دارا يُغلب .

قلت : ومن كلام الإسكندر : السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإننا إذا

عرفناه أطلنا يومه ، وأطرنا يومه .

وقيل له : إنك عظمت معك أكثر من تعظيم والدك . فقال : لأنّ أبى

سبب حياتى الفانية ، ومعلى سبب حياتى الباقية .

وقال : سلطان العقل على باطن العاقل أشدّ من سلطان السيف على

ظاهر الأحمق .

وقال : النظر فى المرأة يرى رسم الوجه - وفى أقاويل الحكماء : « يرى

رسم النفس » .

وقيل له : إن فلانًا يثلبك فلو عاقبته ؟ فقال : هو بعد العقاب أعذر !

وتحاكم إليه اثنان فقال : الحكم يرضى أحكما ويسخط الآخر ، فاستعمل

الحق ليرضيكما جميعًا .

وأحضر بين يديه لصّ فأمر بصلبه ، فقال : أيها الملك ، إننى فعلت ما قد

فعلت وأنا كاره . فقال : تصلب أيضًا وأنت كاره .

وغضب على بعض شعرائه فأقصاه ، وفرق ماله فى أصحابه ، فقيل له فى ذلك ،

فقال : أما إقصائى له فلجرمه ، وأما تفريق ماله فى أصحابه فليكيلا يشفعوا فيه .

وجلس يوماً مجلساً عاماً فلم يُسأل فيه حاجة ، فقال : والله ما أعدّ هذا اليوم من مُلكي ، قيل : ولم أيّها الملك ؟ قال : لأنه لا توجد لذّة الملك إلّا بإسعاف الراغبين ، وإغاثة الملهوفين ، ومكافأة الحسنيين .
وقال : من اتبعتكم فقد أسلفك حُسن الظن بك ^(١) .

* * *

٢٤ — وَأَرْدَشِيرَ جَاهِدَ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ .

[أردشير]

أردشير بن بابك ، من ولد بهمن الملك أبي دارا الأكبر ، وكان بهمن قد تزوّج ابنته حُماني على عادتهم ، فحملت منه بدارا الأكبر ، وسألته أن يعقد التّاج على بطنها لولدها ، ففعل .

وكان له ولد يسمّى ساسان من امرأة أخرى ، فلمّا مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال ، وعهد إلى بنيه أنه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا ، وكان أردشير هذا من ولد ساسان — على ما ذكر بعض الرواة — وهو أول الفرس الثانية ، ومعنى « الثانية » أن الإسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس ، وفرّق ^(٢) من بقي منهم وسمّاهم ملوك الطوائف ، صارت المملكة لليونان ، فلمّا توفّي الإسكندر ، وتناقص ملك اليونان بعد مدّة ، تحرّك أردشير — وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على إصطخر — وخرج طالبا للملك ، وأراهم أنه يطلب بثأر ابن عمّه دارا ، وجمع الجموع ، وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل أوله :
من أردشير بن بابك المستأثر دونّه ، المغلوب على ثرائ آبائه ، الدّاعي

(١) بعدها في ط : « وله حكم لا تحصى وأقوال لا نستقصي ؛ أضربت عن ذكرها خوف الإطالة » .

(٢) ت : « مرق » .

إلى الله ، المستنصر به ؛ فإنه وعد المظلوم الظفر والعاقبة . سلام عليكم بقدر ماتستوجبون من معرفة الحق ، وإنكار الباطل ... ثم ذكر كلاما طويلا ، معناه الحث على المعاونة ؛ فمنهم من أطاعه ، ومنهم من تأخر عنه ، فخرج بعضا لره فقتل المتأخر ، ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وفاء لما عهد به جدّه ساسان إلى بنيهِ ؛ ورزقه الله الظفر والنصر ، وقتل الملك أردوان مبارزة ، ووطىء رأسه بقدميه ، وتسعى من ذلك اليوم « شاهنشاه الأعظم » ، ومعناه ملك الملوك .
ثم قام خطيبا فقال : الحمد لله الذي خصّنا بنعمه ، وخوّلنا من فضله ، ومهد لنا البلاد ؛ وها نحن شارعون في إقامة العدل ، وإدراار الفضل ، والإقبال على الرّأفة والرّحمة ، وإنصاف الضعيف من القوى^(١) ، وسترون في أيّامنا ما يصدّق مقالنا بفعالنا .

ثم ساس الرعيّة ، ورتب الممالك ، وبه اقتدى الخلفاء والملوك من بعده ؛ فإنه رتب الناس على طبقات :
فالطبقة الأولى الحكماء والفضلاء ، وكان مجلسهم عن يمينه ، وهم بطانته .
والطبقة الثانية الملوك وأبناءؤهم ، وسماهم الخواص ، ومجلسهم عن يساره .
والطبقة الثالثة الإصبهيدية والمرازبة^(٢) ، وهم بين يديه ، ولم يكن فيهم وضع ولا دنى الأصل ، ثم زادهم طبقات آخر من الوزراء ، والقضاة^(٣) .
ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما ينفردون بتدييره وتحريره ، ودانت له الدنيا ، وتمكّن من الأرض . وكان من الشجعان المشهورين في الفرس ، يلقى وحده رجالا كثيرة ، ويتشبه^(٣) في قوّته وشكله بأردشير الأول الذي كان يدعى طويل الباع .

وفي أيّامه بنيت المدن المشهورة كالأبلة ، وأستراباذ وكرّخ وبّيسان

(١) ت : « لإنصاف القوى من الضعيف » ، وصوابه من د ، م .

(٢-٢) كذا في د ؛ وفي ت « وهم طبقات آخر من الوزراء والقضاة » .

(٣) د : د « وتشبه » ، م : « ويشبه » .

وغيرها . ووُضِعَ له التَّردُّ تنبيها على أَنَّهُ لا حيلة للإنسان مع القضاء والقدر ، وهو أوَّل مَنْ لَعِبَ به ، فقليل : «نردشير» . وقيل : إِنَّهُ هو الذى وضعه وشبَّه به تقلُّب الدنيا بأهلها ، فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة ، وعند كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلُّبهما بأهل الدنيا ، وأنَّ الإنسان يلعب به فيبلغ بإسعاف القَدَر ما يريده ، وأنَّ اللاعب الفطن يتأتَّى له ما لا يتأتَّى لغيره إذا أسعده القَدَر . فعارضتهم الهند بالشطرنج . وأقام في الملك خمس عشرة سنة ، ثم فَوَّضَهُ إلى ابنه سابور ، وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين إلى أن تُوُفِّيَ بعد مولد المسيح عليه السلام . ومن كلامه : الدين أساس ، والملك حارس ، وما لم يكن له أساس فهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع .

وقال : لا شيء أضرَّ على الملك أو على الرئيس من معاشرة وضعيع ، أو مُدانة سفيه ؛ وذلك أَنَّ النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف ، فكذا تفسد بمخالطة السخيف ، حتى يقدح ذلك فيها ، كما أن الرِّيح إذا مرَّت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس ، وتقوى بها الجوارح ، فكذا إذا مرَّت بالنتن حملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس ، وأضرَّت بها ، وكان الفساد إليها أسرع من الصلاح .

وقال : إنَّ للآذان حجة ، والقلوب ملأ ، ففرِّقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما .

وكتب إليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم ، فوقع : « ما أنصفكم مَنْ أحوجكم إلى الشكوى » - يعنى نفسه ، ثم فرق فيهم مالا . وكتب إليه متنصح^(١) : إنَّ قوما اجتمعوا على سبِّك ، فوقع عليها : « إنَّ

كانوا نطقوا بالسنة شتّى فقد جمعت ما قالوه في ورقتك ، فحرك أعجب ، ولسانك
أ كذب .

* * *

٢٥ — والضّحّاك استدعى مُسالمَتَكَ

[الضّحّاك]

اختلف في نسب الضّحّاك ، فقال قوم : إنه الضّحّاك بن الأهبوب بن عويج
ابن طهمورث بن آدم . وزمنه بعد الطوفان ؛ وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنيج
ملك الأقاليم .

وقال قوم : هو الضّحّاك بن علوان ؛ أول الفراغة ، وهو الذي ولّى أخاه
سنانا مصر على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام .

وقال قوم : هو من العرب ؛ من قحطان ، واليمانية تدّعيه ، وفي ذلك يقول
أبو نؤاس :

وكانَ مِنّا الضّحّاك يَحْذَرُهُ الخُبايِلُ وَالْوَحْشُ فِي مَسارِبِها^(١)
والقول الأول أكثر . وكان من سيرته أن جمشيد - ومعناه سيد الشعاع -
ملك الأقاليم السبعة ، وهو أول من عمل السلاح ، واستخرج الإبريسم والقز ،
وألزم أهل الفساد الأعمال الشاقة في قطع الصخور ، واستخراج المعادن ، وطال
عمره وتجرّبه ، وادّعى الربوبية ، فخرج عليه الضّحّاك هذا ، وتبعه خلق كثير
لبغضهم في جمشيد ، فهرب جمشيد بين يديه ، فظفر به ، وأمر بنشره بمنشار
وقال : إن كنت إلها فادفع عن نفسك .

ثم ملك الضّحّاك وطني وتجرّبه وفجّر ، ودان بدين البرّاهمة . وهو أول

من غنى له ، وضرب الدنانير والدرهم ، وليس التاج ، ووضع العُشور .

وكان على كتفه سِلْعَتَانِ^(١) يحرّكهما إذا شاء ، وادّعى أنهما حِيتَانٌ يَهْوُلُ بهما على الضعفاء ، وذكر أنهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماعى إنسانين يُذبحان له فى كل يوم ؛ وكان له وزير صالح ، فكان يستحي أحدهما ويضع مكان دماغه دماغ كبش ، ويأمر الرجل بالحق بالجمال ، وألا يأوى الأمصار . فيقال : إن الأكراد من تلك القوم لكردهم إلى الجبال .

ثم كثر فساد الضحك وطالت مدته ، فاجتمع الناس على أفريدون ابن جمشيد ، وكان قد ترعرع ، فاستعدّ لقتال الضحك ، وكان بأصهبان رجل حداد يقال له كابى ، قتل له الضحك ولدَيْن ، فاجتمع عليه خلق كثير ، وكانت له قطعة جلد يتقي بها حرّ النار ، فرفعها على رُمح وجعلها علماً ، وسار إلى الضحك والناس معه ، فخرج إليه ، فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب ، فانهزم ، وأراد الناس أن يملّكوا كابى ، فأبى وقال : لست من بيت الملك ، فملّكوا أفريدون بن جمشيد ، وصار كابى عوناً له . وقتل بالضحك ، وقيل : مات منهزماً .

وعظم علم كابى ، ورصعته الملوك بالدّرّ والياقوت ، وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فيُنصرون به ، وكان عندهم كالتابوت فى بنى إسرائيل ، ويعرف هذا العلم « بدرفش كايان » ، ولم يزل فى خزائهم يتوارثونه إلى زمن يزّوجرد بن شهریار ، فأخذه الماسمون فى وقعة القادسية ، وحمل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقسّم جواهره فى الناس .

ومما اتفق من الحكايات المستطرفة فى أيام الضحك ؛ أنه لما طالت مدته وفساده ، اجتمع الناس على بابه وكابى الحداد معهم ، فلما دخل - وكان جريئاً قال له :

(١) السلعة هنا : غدة تظهر بين الجلد واللحم ؛ إذا غمرت باليد تحركت .

أَسْلَمَ عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ يَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ كُلَّهَا ، أَمْ سَلَامٌ مِنْ يَمْلِكُ هَذَا الْإِقَالِيمَ ؟ قَالَ :
 بَلْ سَلَامٌ مِنْ يَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ كُلَّهَا ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا كُنْتَ تَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ كُلَّهَا (١) فَلِمَ
 خَصَصْتَ هَذَا الْإِقَالِيمَ بِنَوَائِبِكَ وَمُثُونَتِكَ ؟ وَهَلَّا أَنْتَقَلْتَ إِلَى الْأَقَالِيمِ (٢) ، وَسَاوَيْتَ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ! ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ ، فَصَدَّقَهُ الضَّحَّاكُ ، وَوَعَدَ النَّاسَ بِمَا يُحِبُّونَ ، فَانْصَرَفُوا .
 وَكَانَتْ لَهُ أُمٌّ جَبَّارَةٌ سَمِعَتْ مَا جَرَى ، فَلَمَّا خَرَجُوا أَنْكَرَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ :
 لَقَدْ جَرَأْتَهُمْ عَلَيْكَ ، هَلَاقْتَهُمْ ! فَقَالَ لَهَا مَعَ عَتْوِهِ وَتَجَبُّرِهِ : إِنَّ الْقَوْمَ بَدَهُونِي (٣)
 بِالْحَقِّ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالسُّطُورَةِ بِهِمْ وَقَفَ الْحَقُّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كَالْجَبَلِ ، فَخَالَ بَيْنِي
 وَبَيْنَ مَا أُرِدْتُ .

ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ مَعَ كَلْبِي كَمَا مَرَّ .

* * *

٢٦ - وَجَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ تَمَنَّى مُنَادِمَتَكَ .

[جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ]

هُوَ جَذِيمَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ عَامِرِ التَّنُوخِيِّ - وَقِيلَ : الْأَزْدِيُّ (١) . أَوَّلُ مَنْ
 قَادَ الْعَرَبَ ، وَمَلَكَ عَلَى قُضَاعَةَ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُ الْحِيرَةَ وَالْأَنْبَارَ ، وَوَلَايَتُهُ مِنْ قِبَلِ
 أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابِكٍ . وَكَانَ أَبْرَصَ فَعُدِلَ عَنْ هَذَا الْأَسْمِ فَقِيلَ : « الْأَبْرَشِ » ،
 وَ « الْوَضَّاحِ » . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَأْنِفُ مِنْ اسْمِ « الْأَبْرَصِ » ؛ وَلِذَلِكَ
 كُنِيَ عَنْهُ بِالْأَبْرَشِ .

(١-١) ساقط من ط .

(٢) بَدَهُونِي ، أَيْ فَاجِئُونِي .

(٣) أَكْذَا وَرَدَ نَسَبُهُ هُنَا ؛ وَفِي الْأَغَانِي : جَذِيمَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ فَهْمٍ بْنِ غَانِمٍ بْنِ دُوسِ بْنِ -

عَدْنَانَ الْأَسَدِيِّ . وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قَتِيبَةَ : « جَذِيمَةُ بْنُ فَهْمٍ بْنِ غَانِمٍ بْنِ دُوسٍ » .

وفي العرب من يفتخر بذلك ، قال الرازي يمدح أبرص :

أَبْرُصُ فَيَنَاضِ الْيَدَيْنِ أَكْلَفُ وَالْبُرْصُ أَدْرَى بِاللَّهِ وَأَعْرَفُ^(١)

وهو أول من صنع له الشمع ، وأدلى من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة
حوتيه مفرط ، ويقال له : نديم الفرقدين ، كان إذا شرب قدحاً صبّ لها قدحين
ولا ينادم غيرها ، وكان سبب ذلك فيما زعموا أنه كان قد تكهن واتخذ صنمين
يقال لهما : الضيّان^(٢) ، يستسقى بهما وينتصر على أعدائه .

وكانت إياد قد خرج قوم منهم من الحجاز ، وانتشروا فيما بين البصرة
والكوفة ، وتمكنوا على ما يلي الحيرة ، وكثروا بعين أباغ ، فخرج جذيمة
غازياً . وكان في إياد رجل يقال له عدى بن نصر ، وكان له ظرف وجمال ، وإليه
تنسب الملوك من آل نصر ، فنزل جذيمة بساحتهم ، فبعث إياد قوماً منهم إلى
صنمي جذيمة ، فسقوا سدّتهما الخمر وسرقوها ، فأصبحوا بهما في إياد ، فبعثت
إياد إلى جذيمة تقول : إن صنميك قد أصبحا عندنا ، زهدا فيك ورغبة فينا ،
فإن عاهدتنا على ألاّ تعرّونا رددناهما إليك . فقال جذيمة : وتعطوني أيضاً عدى
ابن نصر يكون عندي . ففعلوا وانصرف عنهم ، وضّم عدياً إلى نفسه ، وولاه
شرايه وأمر مجلسه .

وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش ، وهي بكر ، فأحبّت عدياً وأحبّها ،
فسألته أن يخاطبها من جذيمة إذا سكر ، ففعل ذلك وزوّجها بها ، وأشهد عليه من
حضر ، فلما أصبح دخل عليه بنياب العرس - وكان قد دخل بها تلك الليلة -
فقال جذيمة : ما هذه الآثار يا عدى ؟ فقال : آثار عرس رقاش ! فقال : مَنْ
زوّجكها ، ويحك ! قال : الملك ، فأكبّ على الأرض مفكراً ، وهرب عدى ،

(١) الرجز لطريف ابن سودة . الحيوان للجاحظ ج ٥ . ١٦٤ .

(٢) في اللسان : « ضيّن » اسم صنم ، والصيّانان : صنمان للعنفر الأكبر ، كان

اتخذهما بيااب الحيرة ليسجد له منهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة . *

فلم يُعرف له أثر ولا خبر، وأرسل جديمة إلى أخته يقول :

حَبْرِي رِقَاشٍ لَا تَكْذِيبِي أَبْخُرَ زَيْنَتِ أُمِّ بَهجِينِ !
أُمِّ بَعْدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أُمِّ بَدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِلدُّونِ !
قالت : بل أنت زوجتي أمراً غريباً^(١) ؛ ولم تشاورني في نفسي ؛ فكفَّ
عنها ، وآلى ألا ينادم إلا الفرقدَيْنِ ، وحملت رِقَاشِ ، فولدت غلاماً وسمته
عَمْرًا ، فلما ترعرع ألبسته وعطّرتَه ودخلت به على خاله^(٢) ، فلما رآه أحبه
وجعله مع ولده .

وخرج جديمة متبدّياً بأهله في سنة خِصْبَةٍ ، فأقام في روضة ذات زهر
ونهر ، فخرج ولده ؛ وعمره معهم يَحْتُمُونَ الكَمَاءَ ، فكانوا إذا أصابوا كَمَاءً
جَيِّدَةً أَكَلُوهَا ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، وانصرفوا إلى جديمة يتعادون وعمره
يقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ
فَضَمَّهُ جَدِيمَةً إِلَى صَدْرِهِ ، وَسَرَّ بِقَوْلِهِ ، وَحَلَّاهُ بِطُوقٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَانَ
أَوَّلَ عَرَبِيٍّ لَبَسَ الطُّوْقَ .

ثم إنَّ الجَنَّ استطارته ، فطلبه جديمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ،
ثمَّ أَقْبَلَ رجلان من قُضَاعَةٍ ؛ يقال لهما : مَالِكٌ وَعَقِيلُ ابنا فارج ، من الشام ،
يريدان جديمة ، وأهديا له طُرْقًا ؛ فبينما هما يَأْكُلَانِ إِذْ أَقْبَلَ فَتَى عُرْيَانٌ قَدْ تَلَبَّدَ
شَعْرُهُ ، فَسَأَلَاهُ عَنْ نَسَبِهِ فَعَرَفَهُمَا نَفْسَهُ ، فَهَضَا وَغَسَلَا رَأْسَهُ ، وَأَصْلَحَا أَمْرَهُ ،

(١) الأغاني وابن الأثير : « بل زوجتي امرأة عريباً » ، وفي السعدي : فأجابته

رقاش تقول :

أَنْتِ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي وَأَتَانِي النَّسَاءُ لِلتَّزْوِينِ
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمَدَامَةَ صُرْفًا وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمُجُونِ
(٢) ابن الأثير : « أزدادته خالته » .

وَأَلْبَسَاهُ ثِيَابًا ، وَقَالَا : مَا كُنَّا لِنَهْدِيَ جَذِيمَةً أَنْفُسَ مِنْ ابْنِ أَخْتِهِ ؛ وَخَرَجَا بِهِ إِلَى جَذِيمَةٍ ، فَسُرَّ بِهِ ، وَرَأَى الطُّوقَ ، فَقَالَ : « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ » ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، وَقَالَ لِمَالِكٍ وَعَقِيلٌ : حُكْمُكُمْ ، قَالَا : مُنَا دَمْتُكَ مَا بَقِينَا وَبَقِيَتْ ، فَكُنْتُمَا مِنْ ذَلِكَ . وَهِيَ نَدِيمَا جَذِيمَةِ اللِّدَانِ يُضْرَبُ بِهِمَا الْمِثْلُ ، وَإِيَّاهُمَا عَنِ مَتَمِّ ابْنِ نُؤَيْرَةَ يَقُولُهُ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ :

وَكُنَّا كَنَدِمَاتِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا^(١)
وَقِيلَ : إِنَّمَا عَنِ الْفِرْقَدَيْنِ .

وَيَحْكِي أَنَّ جَذِيمَةَ سَكِرَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَتَلَهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَدِيمٌ ، وَبَنَى عَلَيْهِمَا الْغَرِيَيْنِ^(٢) ، وَنَادَمَ الْفِرْقَدَيْنِ . وَقِيلَ : إِنْ صَاحِبَ الْغَرِيَيْنِ الْمُنْذَرُ الْأَكْبَرُ .

ثُمَّ إِنْ جَذِيمَةَ أَرْسَلَ يَخْطُبُ الزُّبَّاءَ مَلِكَةَ الْخَضِرِ الْحَاجِزِ بَيْنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ ، وَكَانَ لَهَا وَثَرٌ عِنْدَهُ فَأَجَابَتْهُ ؛ وَاسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْمَضِيِّ ، فَخَالَفَهُمْ قَصِيرُ بْنُ سَعْدٍ - وَكَانَ لِيَبْيَا وَقَالَ : إِنْ النِّسَاءُ يَهْدِيْنَ إِلَى الْأَزْوَاجِ ، فَعَصَاهُ ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يَدْعَى بَقَّةً^(٣) اسْتَشَارَهُمْ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهَا ، فَقَالَ قَصِيرٌ : انْصَرَفْ وَدُمُكَ فِي وَجْهِكَ ، فَأَتَى ، وَظَنَّ جَذِيمَةَ حَتَّى إِذَا عَايَنَ الْكُتَّابَ قَدْ اسْتَقْبَلَتْهُ قَالَ لِقَصِيرٍ : مَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : « تَرَكْتُ الرَّأْيَ بَقَّةً » . ثُمَّ رَكِبَ قَصِيرٌ فَرَسًا لِلْجَذِيمَةِ تَسْمَى الْعَصَا فَتَجَا ، وَأَخَذَ جَذِيمَةَ ، فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى الزُّبَّاءِ أَمَرَتْ بِرَوَاهِشِهِ فَقَطَعَتْ -

(١) مِنْ قَصِيدَةِ مَفْضِلِيَةِ ٦٧ ، أَوَّلُهَا :

لِعَمْرِى وَمَا دَهْرِي بَتَّابِينَ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

(٢) الْغَرِيَانِ ، ذَكَرَ يَاقُوتُ أَنَّهُمَا بَنَاءُ إِنْ بَظَاهِرِ الْكُوفَةِ بَنَاهُمَا الْمُنْذَرُ بْنُ أَمْرِى - الْقَيْسِ ابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ؛ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ وَرَدَّ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (٦ : ٢٨٢ - ٢٨٤) .

(٣) بَقَّةٌ ، بِالْفَتْحِ وَتَشْدِيدِ الْقَافِ : مَوْضِعٌ ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ ؛ وَقَالَ : لِأَنَّهُ قَرِيبُ الْحِيرَةِ .

والرواهش عُروق اليد - واستنزفته حتى مات ؛ في خبر طويل مشهور ^(١) .
 وكانت مدّة ملكه ستين سنة ، وله أشعار حسنة مشهورة ، فنها :
 أُمْسَى جَدِيمَةٌ فِي يَبْرِينَ مَنْزِلُهُ ^(٢) قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ مِنْ قَبْلِهِ عَادُ
 مستعمل الخير لا تنفى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد

* * *

٢٧ - وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ يُورَانَ فِيكَ .

[شيرين]

هي شيرين زوجة أبرويز بن هُرمز ، من ولد كسرى أنوشروان ، وكانت
 يتيمة في حجر رجل من أشراف المدائن ، وكان أبرويز صغيراً يدخل منزل ذلك
 الرجل ، فيلاعب شيرين وتلاعبه ، فأخذت من قلبه موضعاً ، فنهاها عنه ذلك
 الرجل فلم تنته ، فرآها وقد أخذت في بعض الأيام من أبرويز خاتماً ، فقال
 لبعض خواصه : اذهب بها إلى دجلة فغرقها ، فأخذها ومضى ، فقالت له :
 وما الذي ينفعك من تغريقي ؟ فقال : إني حالف ولا أخالف مولاي . فقالت :
 اقدفني في مكان رقيق ، فإن نجوت لم أظهر ، وبرت يمينك . ففعل ، وتوارت
 في الماء حتى غاب ، وصعدت إلى دير فترهبت فيه ، وأحسن إليها الرهبان .

فلما تقرر الملك لأبرويز بعد أبيه هُرمز ، مزّ بذلك الدير رسل قيصر إلى
 أبرويز ، فدفعته الخاتم إلى رئيسهم ، وقالت : ابعث به إلى أبرويز لتخطي عنده ،
 فأرسله وعرفه مكان شيرين ، فسّر سروراً عظيماً ، فأرسل إليها فأحضرها ،
 وكانت من أظرف النساء ، ففوض إليها أموره ، وهجر نساءه ، وعاهدها
 لا تمكن منها أحداً بعده ، وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق .

(١) الأغاني ١٦ : ٣١٢ - ٣٢٠ ، مروج الذهب ٢ : ٩٠ - ٩٥ ، ابن الأثير

١ : ١٩٧ - ٢٠١ ، أبو الفدا ١ : ٧٠ ، ٧١ . (٢) ط : « أضحى » .

(٦ - سرح العيون)

فلما قَتَلَ شيرويه أباهُ أبرويز ، راودها عن نفسها فامتنعت ، فضَيَّقَ عليها ، واستأجَلها ، ورماها بالزَّنا ، وتهدَّدها بالقتلُ إن لم تفعل ، فقالت : أَفعلُ على ثلاث شرائط ، قال : ما هي ؟ قالت : تسلمُ إلى قَتَلَةِ زوجي أَقْتلهم ، وتصعد المنبر فتبرئني مما قذفتني به ، وتفتح لي ناوس^(١) أبيك ؛ فإن له عندى وديعة عاهدنى إن تزوجت بعده رددتها إليه . فدفع إليها قَتَلَةَ أبيه فقتلتهم ، وبرأها عما قال ، وفتح لها ناوسُ أبيه ، وبعث الخدم معها ، فجاءت إلى أبرويز فعانقته ، ومَصَّتْ فُصًّا مسموماً كان معها فماتت من وقتها . [وأبطأت على الخدم ، فصاحوا فلم تكلمهم ، فدخلوا فوجدوها معانقة لأبرويز ميتة]^(٢) .

* * *

[بوران]

وأما بُوران فهي ابنة أبرويز المذكور ، وكانت من أحسن من نشأ بين التُّرك والفرس من النساء ، وملكَّت الناس بعد شهر يار بن أبرويز ، وأصلحت القناطر والجسور ، ولما جلست على السرير قالت : ليس يبطش الرجال تدوخُ البلاد ، ولا بمكايدهم يُنال الظفر ؛ وإِثْمًا ذلك بعون الله وقدرته تعالى .

وأقامت سبعة أشهر ، ولما بلغ النبي صَلَّى الله عليه وسلم أمرُها ، قال : « لا يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة » .

ويقال : إن فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها ، فقالت : لا ينبغي للملكة أن تزوج علانية ، وواعدته^(٣) أن يقدم عليها سرًّا في ليلة عَينتها له ، فجاءها في تلك الليلة فقتلته ، فسار إليها أبوه رستم فقتلها . وقيل : إن هذه

(١) الناوس : المقررة .

(٢) تكلمة من ط .

(٣) ت : « وأوعده » .

الواقعة مع أردى مرخت^(١) .

* * *

٢٨ - وِبلقيس غَايَرَتِ الرَّبَّاءَ عَلَيْنِكَ .

[بلقيس]

بلقيس ابنة [شراحيل بن]^(٢) الحارث بن سبأ ، ويلقب أبوها بالهداد .
وقيل : بنت الشَّيْصَان ، ملكة بلاد سبأ ، المذكورة في الكتاب العزيز .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ : أرجل هو ، أم امرأة ، أم أرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل رجل ، ولده عشرة : سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة ؛ فاليمانيون : مذحج ، وكندة ، والأنمار ، والأزد ، والأشعريون ، وحِمْيَر ؛ وأما الشام : فلخمْ ، وجَدَام ، وعاملة ، وغَسَّان .

وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ، ويقال : إن أحد أبويها كان جَنِيًّا .

وقال ابن الكلبي : كان أبوها من عَظَمَاءِ اللُّوك ، وولده ملوك اليمن^(٣) كلها .

(١) حاشية ت : « فائدة : و بوران أيضا بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون ، وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها . وقصتها مشهورة طويلة ، من جلتها أنه لما دخل عليها المأمون ؛ فرش له حصير منسوج بالذهب ، فلما وقف عليه ثارت على قلبه لآلء كثيرة ، فلما رأى تساقط الآلء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس ! كأنه شاهد هذه الحال حين قال في صفة الجمر والحياب الذي يعلوها عند المزاج :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَكَ حَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

(٢) من ت .

(٣) ت : « الأطراف » .

وكان يقول : ليس في ملوك اليمن مَنْ يُداني ، فتزوج^(١) امرأة من الجن يقال لها رِيحانة بنت السَّكن ، فولدت له بلقيس ، وتسمّى بلقيس ؛ ويقال : إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ؛ ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصَّرح الممرّد من القوارير ، وكان بيتاً من زُجاج يُخَيَّل للرّائي أنّه ماء يضطرب ، فلما رآته كشفت عن ساقها ، فلم يرَ غير شعرٍ خفيف ؛ ولذلك أمر بإحضار عَرشها ليختبر به عقلها . ثم أسلمت ، وعزم سليمان على تزوّجها ، فأمر الشياطين فأتخذوا الحُمام والثّورة ، وهو أوّل من اتخذ ذلك ، وطلّوا بالثّورة ساقها ، فصارت كالفضّة وتزوّجها^(٢) ، وأرادت منه ردّها إلى مُلكها ففعل ذلك .

وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التي لم يرمها ، وهي : غمدان^(٣) وبيّنون وغيرها ، وأبقاها على ملكها ، وكان يزورها في كلّ شهر مرة من الشام على البساط والريح ، وبقي ملكها إلى أن توفّي فزال بموته .

* * *

[الزّباء]

وأما الزّباء فهي فارغة ابنة مليح بن البراء ، كان أبوها ملكاً على الحضر^(٤) وهو الذي ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضر إذ بنه وإذ دجّلة تُجبي إليه والخابور^(٥)

(١) د : « فاتفق أن تزوج » .

(٢) ط : « فتزوجها » ، د : « ثم تزوجها » .

(٣) ذكر ياقوت عن ابن الكلبي أن غمدان قصر بناه ليشرح بن يحيى بن صناع وطيوه . وقال قوم : إن الذي بنى غمدان سليمان بن داود عليه السلام ، أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء : غمدان وبيّنون وسلحين . معجم البلدان ٦ : ٣٠٢ .

(٤) الحضر ، بضم الحاء : اسم مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .

(٥) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . والبيت من قصيدته في الأغاني ٢ : ١٣٨ ، ١٣٩ (طبع دار الكتب) .

فقتله جَذِيمة الأبرش ، وطَرَدَ الزَّبَاءَ إلى الشام ، فلتحقت بالرُّوم ، وكانت
عربيةً اللسان ، كبيرةً الهمة .

قال ابن الكلبي : وما رُئيَ أَجَلُ منها في نساءِ زمانها ، وكان اسمها فارعة ،
لهاشعر طويل ؛ إذا مشت سحبته وراءها ، وإذا نشرته جَلَّلها ؛ فسميت الزَّبَاءُ -
والأزْبُ الكثير الشعر - . وبلغ من همِّها أنها جمعت الرِّجال ، وبذلت الأموال ،
وعادت إلى ديار أبيها ومملكته ، فأزالت جَذِيمة عنها ، وبنّت على الفرات
مدينتين متقابلتين ، وجعلت بينهما أنفاقاً تحت الأرض ، وتحصّنت . وكانت قد
اعتزلت الرجال ، فهي عذراء بَتُول ، وهادنت جَذِيمة مدّة ، ثم خطبها ، فاستدعته
وقتلته كما تقدّم في ترجمته .

فأما مقتلها ، فإنّ قصيرا ، لمافارق جَذِيمة ، وعاد إلى بلاده ، تحيّل على قتلها
فجَدَعَ أنفه ، وضرب جسده ، ورحّل إليها زاعماً أن عمرو بن عدى ابن أخت
جَذِيمة صنع به ذلك ، وأنه لجأ إليها هارباً منه ، واستجار بها ، ولم يزل يتلطف
لها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به ، وعلم خفايا قصرها وأفاقه .
ثم وضع رجالاً من قوم عمرو بن عدى في غرائر ؛ وعليهم السِّلّاح ، وحملهم على
الإبل على أنها قافلة متّجر ؛ إلى أن دخل مدينتها ، فخلّوا الغرائر ، وأحاطوا
بقصرها ، وقتلها قبل أن تصل إلى نفقها ؛ في حكاية مشهورة ^(١) ، وذلك بعد
مبعث المسيح عليه السلام .

* * *

٢٩ - وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ .

[مالك بن نويرة]

هو مالك بن نويرة بن شداد البربوعي التميمي^(١) ، فارس ذى الخمار - وذو الخمار فرسه - ويلقب بالجفول لكثرة شعره ، وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الردافة فى الجهلية ، وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر . ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه ، فإذا شرب الملك شرب الردف بعده ، وإذا غاب جلس الردف مكانه ، وللردف إناوة تؤخذ مع إناوة الملك ، وفى ذلك يقول الراجز :

ومن ينافر آل يربوع يحجب المجلس الأيمن والردف النجب^(٢) .
وأدرك مالك بن نويرة الإسلام وأسلم ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بنى يربوع . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج الصدقة ، وقيل : ارتد ، وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة ، وأوصاه ، فكان إذا صبح قوماً تسمع الأذان ، فإن سمعه كف عنهم ، وإن لم يسمعه قاتلهم ، إلى أن مرّ بالبطاح وبه مالك وأصحابه ؛ فقيل : إنهم لم يسمعوا أذاناً ، فقاتلهم ، وأتى بمالك بن نويرة أسيراً ، فأمر خالد ضرار بن الأزور بقتله فقتله .

واحتج قوم لخالد فى قتله ، وطعن عليه آخرون ، فأما من احتج ، فيزعم أن مالكا قتل مرتدّاً ، وأنه لما وقف بين يدى خالد كان يقول فى مخاطبته : « قال : صاحبك » ، و« توفى صاحبك » - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال له خالد : أوليس هو بصاحبك أيضاً يا عدوّ الله ! ثم قتله . ويحتجون أيضاً بقول أخيه متمم ؛ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع متمماً يُنشد رثاء أخيه مالك ، قال :

(١) الأغانى ١٥ : ٢٩٨ : « متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد » .

وَدِدْتُ لَوْ رِثْتُ أَخِي زَيْدًا بِمِثْلِ مَا رِثْتُ بِهِ أَخَاكَ ! قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ
أَخِي صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخُوكَ لَمْ أَرِثْهُ ، وَلَمْ أَحْزَنْ عَلَيْهِ - يَعْنِي الْجَنَّةَ .

وَأَمَّا الطَّاعِنُونَ فَدَّكَّرُوا أَنَّ خَالِدًا لَمَّا احْتَجَّ عَلَى مَالِكٍ بِارْتِدَائِهِ ، أَنْكَرَ مَالِكُ
ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ ؛ وَشَهِدَ قِتَادَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، لِحُجَاتِ امْرَأَتِهِ لَيْلَى بِنْتُ
سِنَانٍ كَاشِفَةً وَجْهَهَا . وَكَانَتْ مِنَ الْحَسَّانِ - فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : أَنْتِ
قَتَلْتِنِي - يَعْنِي أَنَّهَا أَعْجَبَتْ خَالِدًا ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ قَتْلَهُ وَيَتَزَوَّجُهَا - وَقَامَ ضَرَارُ
ابْنُ الْأَزْزُورِ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ أَثْقِيَّةً لِلْقَدَرِ ، وَوَجْهَهُ مِمَّا يَلِي النَّارَ ،
فَنَظَرَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ؛ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَتْ : اصْرَفُوا وَجْهَ مَنْ لَكَ عَنْ
النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ كَانَ غَضِيضَ الطَّرْفِ عَنِ الْجَارَاتِ ، حَدِيدَ النَّظَرِ فِي الْغَارَاتِ
لَا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ، وَلَا يَنَامُ لَيْلَةً يَخَافُ .

ثُمَّ بَلَغَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا صَنَعَ خَالِدٌ ؛ فَخَرَّضَ عَلَيْهِ أَبَا بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مُسْلِمًا وَزَنَى ؛ فَارْجُمْهُ . وَوَاقَفَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ ، وَمَا كُنْتُ لِأَشِيمَ سَيْفًا سَلَّهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي أَعْمَدَهُ - وَمَا زَالَ عُمَرُ حَاقِدًا عَلَى خَالِدٍ بِهَذِهِ
الْوَاقِعَةِ حَتَّى عَزَلَهُ عَنِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا وَلِيَ عَمَلًا فِي أَيَّامِي .

وَكَانَ مَتَمِّمٌ بَيْنَ نَوِيرَةٍ مُنْقَطِعًا إِلَى مَالِكٍ ، مَكْفِيٍّ الْمُتُونَةَ ، فَلَمَّا قِيلَ حَزَنَ
عَلَيْهِ حَزَنًا شَدِيدًا ، وَرِثَاهُ بِقِصَائِدٍ مَشْهُورَةٍ ، وَحَضَرَ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ إِلَى مَسْجِدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى الصُّبْحَ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ
وَانْفَتَلَ ، قَامَ مَتَمِّمٌ فَاتَّكَأَ عَلَى [سِيَةٍ ^(١)] قَوْسِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ النَّاسِ ، ثُمَّ
أَنشَدَ يَقُولُ :

(١) مِنَ الْأَعَانِي وَالْكَامِلِ لِلْمَعْرَدِ ، وَسِيَةِ الْقَوْسِ : مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفِهَا .

نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ خَلَفَ الْبُيُوتِ قَتَلَتْ يَابْنَ الْأَزْوَارِ^(١)
ثم أوماً إلى أبي بكر رضى الله عنه فقال :

أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَرْتَهُ^(٢) لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرْ
فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا غدرتة .

فأنشد بقية أبياته المشهورة^(٣) ، وانحطَّ على قوسه - وكان أعور - فما زال
يسكن حتى دمت عينه العوراء ؛ فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
وَدِدْتُ لَوْ رِثْتُ أَخِي زَيْدًا ! فَأَجَابَهُ بِمَا تَقَدَّمَ ، ثُمَّ رَفَى زَيْدًا فَلَمْ يُجِدْ ، فَسُئِلَ عَنْ
ذَلِكَ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَحْرَتُنِي لِأَخِي مَا لَا يَحْرَتُنِي لَزَيْدٍ .

وسأله عمر رضى الله عنه عن حزنه ، فقال : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَنَامُ اللَّيْلَ ، وَمَا رَأَيْتُ
نَارًا رُفِعَتْ بَلِيلٌ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي سَتُخْرَجُ ، أَذْكَرُ بِهَا نَارَ أَخِي ، إِنَّهُ كَانَ
يَأْمُرُ النَّارَ فَتَوَقَّدَ حَتَّى يُصْبِحَ مَخَافَةً أَنْ يَبِيتَ ضَيْفَهُ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَتَنَى رَأَى النَّارَ
يَأْتِي إِلَى الرَّحْلِ ؛ وَهُوَ بِالضَّيْفِ يَأْتِي مُتَهَجِّرًا أَسْرًا مِنَ الْقَوْمِ يَقْدَمُ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ
مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ . فقال عمر رضى الله عنه : أَكْرَمَ بِهِ !

وقال له عمر يوماً : حَدَّثْنَا عَنْ أَخِيكَ ، فَقَالَ : أَسِيرْتُ مَرَّةً فِي حَيٍّ عَظِيمٍ
مِنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَأَقْبَلَ أَخِي ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ طَلَعَ عَلَى الْحَاضِرِ ؛ فَمَا كَانَ أَحَدٌ
قَاعِدًا إِلَّا قَامَ ، وَلَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ حَتَّى تَظْلَعْتَ مِنْ خِلَالِ الْبُيُوتِ ، فَمَا نَزَلَ عَنْ
جَمَلِهِ حَتَّى تَلْقَوْهُ بِي فِي رُمْتِي فَخَلَنِي . فقال عمر : إِنَّ هَذَا لَهُوَ الشَّرَفُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ
يَوْمًا : يَا مَتَّمْ ، إِنَّكَ لَجَزَلٌ ، فَكَيْفَ كَانَ مِنْكَ أَخُوكَ ؟ فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ أَخِي

(١) الأغانى ١٥ : ٣٠٦ ، وفيه : « تنافحت تحت الإزار » ، السكامل ٤ : ٧٨ .

(٢) الإغانى : « ثم قتله » .

(٣) د : « بقية قصيدته » وفي الأغانى : « فقال :

لَا يُضْمِرُ الْفَحْشَاءُ تَحْتَ رِدَائِهِ حُلُوْ شَمَائِلُهُ عَفِيفُ الْمُزَرِّ
وَلِنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ وَحَاسِرٌ وَلِنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ

في الليلة الباردة ذات الأريز والصريير يركب الجمل الثفال^(١) ، ويحُب الفرس
الحرون^(٢) ، وفي يده الرمح الثقيل ، وعليه الشملة الفلوت^(٣) ، وهو بين
المزادتين [المضرجتين]^(٤) حتى يصبح وهو يبتسم^(٥) .

ومن جيد الراي متم له ، قوله من أبيات :

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ أَتَيْتُهُ لَقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ الْوَى فَالِدَ كَادِكِ^(٦)
خَلَّتْ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبِيعُ الْأَسَى دَعَوْنِي فَبِذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ

ومن جيد شعر مالك قوله :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ ، وَلَا مُحَالَةَ أَنْبِي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرِينِي أَجْزَعُ^(٧)
أَفْنِينِ عَادًا ثُمَّ آلَ مُحَرَّقِي تَزَكَّتْهُمْ بَدَدًا وَمَا قَدْ جَمَعُوا^(٨)
وَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فَدَعَوْتُهُمْ وَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا^(٩)

(١) الثفال : البطيء الذي لا يكاد ينبعث .

(٢) في الأغاني : « الجروور » ؛ وهو الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه ؛ والحرون مثله .

(٣) الشملة : كساء أو مئزر يتشح به ، والفلوت : التي لا ينضم طرفاها لصفرها .

(٤) من الأغاني ؛ والمضرجتان : المشققتان .

(٥) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٠٧ ، وفي آخره : « ثم يصبح ضاحكا » .

(٦) أمالي القالي ٢ : ١ ؛ من أبيات بهذه الرواية :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرِافِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بِالْمَلَا أَنْتِ رَائِحٌ عَلَى كُلِّ قَبْرِ أَوْ عَلَى كُلِّ هَالِكٍ !
خَلَّتْ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبِيعُ الشَّجَا فَدَعْنِي فَبِذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ
أَلَمْ تَرَهُ فِينَا يَقْتَسِمُ مَالَهُ وَتَأْوِي إِلَيْهِ مَرْمَلَاتُ الضَّرَائِكِ !

(٧) من المفضلة ٧ .

(٨) في المفضليات : « فتركتهم بلدا » ، أي ترابا .

(٩) عرق الثرى ، أي آدم عليه السلام .

ذهبوا فلم أدركهم ودهتهم غول الليالي والطريق المهيّج^(١)
وقوله أيضا :

وقالوا لي استأثر فإنك آمنٌ فقلت إن استأسرت إني لخائنٌ
علامَ تركت المشرقَ مضاجعي ومطرّداً فيه المنايا كوامنٌ
فإن تقتلونني بعد ذاك فإنني أموت بمقدارٍ وتبقى الضفائنُ

* * *

٣٠ - وَعُرْوَةُ بْنُ جَعْفَرٍ إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ .

[عروّة الرّحّال]

هو عُرْوَةُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْقِصَةَ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ يَنْتَسِبُونَ
إِلَى جَعْفَرٍ ، فَيُقَالُ : الْجَعْفَرِيُّونَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ زَيْدُونَ : «عُرْوَةُ بْنُ جَعْفَرٍ» ، وَلَمْ
يَقْبَلِ «ابْنُ عَتَبَةَ» . وَكَانَ يَعْرِفُ بِعُرْوَةِ الرَّحَّالِ لِرِحْلَتِهِ إِلَى الْمُلُوكِ . وَكَانَ مِنْ ذَوِي
الْعَقْلِ وَالشَّهَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أُرْدَافِ الْمُلُوكِ .

وَاللَّعْرَبُ مَبَالِغَةٌ فِي وَصْفِهِ ؛ فَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ الْجَوْنِ الْكِنْدِيِّ ،
فَفَزَا مَعَاوِيَةَ بَيْنِي حَنْظَلَةَ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَ
بَوَارِدَاتِ^(٢) قَالَ لِمَعَاوِيَةَ : إِنَّ لِي حَقَّ صُحْبَةٍ وَخَلَّةٍ^(٣) ، وَأُرِيدُ أَنْ أَنْذِرَ قَوْمِي مِنْ
هَاهُنَا - وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ لَيْلَةٍ - فَعَجِبَ مَعَاوِيَةُ مِنْهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَصَاحَ :
يَا صَبَّاحًا هَآه ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَسَمِعَهُ قَوْمُهُ مِنَ الشَّعْبِ فَاسْتَعْدُّوا .

(١) القول : ما اغتال الشيء وذهب ، أو المنية . والمهيّج : البين الواضح ؛ عني به طريق الموت .

(٢) واردات : موضع في طريق مكة ؛ وكان به اليوم المعروف بين بكر وتغلب ابني ربيعة .

(٣) م : « رحلة » .

وبسبب مقتله قامت حرب الفجار ، ؛ وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة^(١) في جوار رجل شريف من أشرف العرب يحيزها له من أحياء العرب حتى يبيعها هناك ، ويشتري له بثمنها من أدم الطائف وغيرها مما يحتاج إليه . وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذى القعدة الحرام ، فيتسوقون إلى حضور الحج ثم يحجون . وكانت الأشهر الحرم أربعة أشهر : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وكانت العرب من ذى القعدة يتهيئون للحج ، ويأمن بعضهم بعضاً ، فجهز النعمان غير اللطيمة ، ثم قال : من يحيزها ؟ فقال البراء بن قيس : أنا أجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : ما أريد إلا من يحيزها على أهل نجد وتهامة ؛ فقال : عروة الرحال - وهو يومئذ رجل هوازن - أهذا الكلب يحيزها لك ! أنا أجيزها على أهل الشَّيْح والقيصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراء : أعلى بني كنانة تجيزها يا عروة ! فقال : وعلى الناس كلهم ! فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها ، وتبعه البراء - وكان فاتكاً عياراً ، وعروة لا يحس منه شيئاً ؛ لأنه كان بين ظهراني قومه من غطفان - فزل بأرض يقال لها أواره ، فشرب الخمر ، وغنثه قينة ، ونام ، فجاء إليه البراء فدخل عليه وأيقظه ، فناشده عروة ، وقال : كانت منى زلة ، فقتله ؛ وخرج وهو يرتجز :

قد كانت الفعلة منى ضلّة هلاً على غيري جعلت الزّلة !
وهرب ، فضربت العرب المثل بفككة البراء له ، وقامت حروب عظيمة بسببه .
ومن شعر عروة :

أنعجب منى أم حسان إذ رأت نهراً وليلاً أبلينياً فأسرعاً !
وقد صار إخواني كأنّ عليهم ثياب المنايا والثغام المزّعا

(١) اللطيمة : المير تحمل العطر .

من أبيات ، وقد قيل : إنها لعروة الرجال ، [الجليم] ^(١) وهو رجل من بني أسد .

٣١ - وَكَلَيْبَ بْنَ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِمِرَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا
إِنَّمَا قَتَلَهُ بِأَنْفَتِكَ .

[كليب بن ربيعة]

كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي ، الذي يضرب به المثل ، فيقال : أعز
من حمى كليب ؛ فإنه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابني وائل ، وقاد معدّ
كلها يوم خزاز ، وفضّ جموع القوم فاجتمعت عليه معدّ ، وجعلوا له قسم الملك
وتاجه وطاعته ، فغبر بذلك حيناً ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه ، بما
هو فيه من عزّة ، واثقا بانقياد معدّ له ؛ حتى بلغ من بغيه وعُتُوّه أنه كان يحمي
مواقع السحاب فلا يرعى حماءه ، ويقول : وخش كذا وكذا في جوارى ؛ فلا
تهاج ولا يورد أحد مع أبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولا يحتجى في مجلسه ، ولا
يتكلم إلا بإذنه ، وفي ذلك يقول أخوه بعد قتله :

بُيِّنْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقِدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْجَلِيسُ ^(٢)
يَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبُسُوا
وقيل : إنه كان إذا مرّ بمرعى قذف فيه جرّوا يعوى ، فلا يرعى أحد من

(١) من ط .

(٢) شعراء النصرانية ١٧٩

(٣) النبس : أقل الكلام ؛ وبعدها :

وإذا تشاء رأيت وجهها واضحاً وذراع باكية عليها برنس
تبكي عليك ولست لائم حرّة تأسى عليك بميرة وتنفس

ذلك الكلاء؛ ولذلك قيل : «حَمَى كَلِيبٌ وَائِلٌ» ، يعنون الكلب ويضيفونه إلى وائِل ؛ وهو اسم الملك ، ثم غلب هذا القول حتى ظنَّوه اسمه .
ومرَّ يوماً بمرعى فيه حُمْرَةٌ - وهى طائرٌ صغير ، وقيل : قُبْرَةٌ - وقد باضت ، فلما رآته صرصرَتْ وخفقت بجناحيها ، فقال :
أَمِنْ رَوْعِكَ ، أَنْتِ فِي ذِمَّتِي ! ثُمَّ أَنْشَدَ :
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَالَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَاصْفُرِي
* وَتَقْرِي مَا شِئْتُ أَنْ تُنْقَرِي * ^(١)
فما جسر صاحب بعير يدخل ذلك المرعى .

* * *

[جَسَّاسُ بْنُ مُرَّة]

وأما جَسَّاسُ فهو ابن مُرَّة بن ذُهَل ؛ كانت أخته تحت كَلِيب ، وكان بنو جُثَم وشيبان في دار واحدة ، قبيلتي كَلِيب وجَسَّاس ، وكانت لجَسَّاس خالة من بنى سَعْد تسمى البُسُوس ، جاورت بنى مُرَّة ، فنزلت على ابن اختها جَسَّاس ومعها ابنُ لها ، ولها ناقة حَوَّارَةٌ من نَعَمِ بنى سَعْد ، ولها فصِيل ، فندَّت الناقة ذات يوم ، فدخلت في إِبِلِ كَلِيبِ ترعى في حِمَاه ، فنظر إليها فأنكرها ، فرماها بسهم في ضَرْعِهَا فولَّتْ حتى بَرَكَتْ بفناء صاحبها ، وضرعها يشخب دماً ، فلما نظرت إليها برزت صارخةً ويدُها على رأسها ، وهى تصيح : واذا لاه ! فلما سمع جَسَّاس قولها سكنها ، وقال : والله كيقتلنَّ غداً جملٌ هو أعظم عُقراً من

(١) من أبيات تنسب إلى طرفة بن العبد ، ديوانه ١٩٣ ، وبمدها هناك :

قَدْ رَحَلَ الصَّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي قَدْ رَفَعَ الْفَخَّ فَمَاذَا تَحْذِرِي

* لَا بَدْ يَوْمًا أَنْ تَصَادِي فَاصْبِرِي *

نافيك - يعني كليباً . ثم انتجع الحَيَّ ، فرؤوا على نَهْرٍ يقال له شُبَيْث ، فهام كليب عنه . وقال : لا تردن منه قطرة ، ثم مروا على نهر آخر ، يقال له : الأحص ، فهام عنه ؛ فمضوا حتى أتوا الذنائب ونزلوا ، فرجس جساس بكليب ، وهو واقف على غدير الذنائب منفرداً ، فقال : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال له جساس : هذ كفعلك بناقة خالتي ! فقال : وقد ذكرتها ! أما إني لو وجدتُها في غير إيلي مرةً أخرى لا ستحللتُ تلك الإبل . فعطف عليه جساس بفرسه ، فطعنه بالرمح فأزده ؛ ووجد الموت ، فقال : يا جساس ، اسقني ، فقال : هيهات ! تجاوزت الأحص وشيئنا ، ثم عطف المزدلف فأجهز عليه .

ثم إن جساساً لما فرغ من قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله ، فقالت أخته لأبيها : إن جساس شأنا ؛ قد جاءنا خارجاً ركبته^(١) . قال : والله ما خرجت ركبته إلا لأمرٍ عظيم - يعني أنه كان بركبته وضح لا يظهره ؛ فلما جاء قال : ما وراءك يا بُني ؟ قال : ورأى أني طعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل زمننا . قال : أقتلت كليباً ؟ قال : نعم ؛ قال : وددت أنك واخوتك ميم قبل هذا ! ما بي إلا أن تسأمني أبناء وائل . ثم نظر جساس إلى أخيه نضلة ، فقال :

وإني قد جنيتُ عليك حرباً تُعَصِّ الشَّيْخَ بالماء القراح^(٢)
مذكرة مني ما يضح منها^(٣) فتى نشتب بأخر غير صاح

(١) في الأصول : « ركبته » ، وفي ابن الأثير : « بدت ركبته » .

(٢) أيام العرب في الجاهلية ١٤٧ ، قبله :

تأهب مثل أهبة ذي كفاح فإن الأمر جلّ عن التلاحي

(٣) مذكرة : شديدة .

فاجابه نَضْلَةٌ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ :

وإنَّ تَكُ قد جنيتَ على حرباً فلاواه ولا رثَ السلاح^(١)

ثم هرب جَسَّاسٌ ، ووقعت بين الحَيِّين حرب البسوس المشهورة ، قيل :
أقامت أربعين سنة .

واختلف في قتل جَسَّاس ، فقيل : إن أبا النويرة قتله هارباً على طريق الشام بعد حين . وقيل : إن ابن أخته هَجْرَس بن كليب كان عند أمه وأخواله بعد الفتن ، فلما بلغ مبلغ الرجال ، وعرف أن خاله جَسَّاساً قاتل أبيه ، ركب فرسه ، وأخذ رُمُحَه ، وأتى نادى قومه ، وجَسَّاس خاله فى النادى مع جماعة ، فقال : ورمي ونضليته ، وسيفي وغراريته ، وفرسى وأذنيه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه . ثم طعن جَسَّاساً فقتله ولحق بعمومته .

* * *

(١) أيام العرب فى الجاهلية ، ١٤٧ ، وبعده :

بَجَعْتَ بِهَا يَدَيْكَ عَلَى كَلِيبٍ	فلا وركلٌ ولا رثَ السَّلاح
ولكنى إلى العِصَلاتِ أَجْرِي	إلى الموتِ المحيطِ مع الصِّباح
وإني حين تشَجَرُ العوالى	أعيد الرَّمح فى أثرِ الجراح
شديد البأس كَيْسَ بَذَى عِيَاء	ولكنى أبوء إلى الفلاح
سألْتُ ثوبها وأذْبُ عنها	بأطرافِ العوالى والصفاح
فما يبق لعرّته ذليلٌ	فيمنعه من القَدَرِ المتاح
فإني قد طربت وهاج شوقى	طرادُ الخيل عارضةَ الرِّماح
وأجملُ من حياةِ الدَّلِّ مَوْتُ	وبعضُ العار لا يمحّوه ماح

٢٢ - وَمُهْلِلًا إِنَّمَا طَلَبَ ثَارُهُ بِهَمَّتِكَ .

[مهليل بن ربيعة]

هو مهليل بن ربيعة بن الحارث ؛ أخو كليب المقدم ذكره ، واسمه عدي ، ولقب مهللاً بقوله :

لَمَّا تَوَغَّلَ فِي الْكَرَاعِ هَجِينَهُمْ هَلَهَتْ أُنَارُ مَالِكَا أَوْ صَنِيلًا^(١)

يعنى قاربت . وقيل : لقب مهللاً لأنه أول من هليل نسيج الشعر ، أى أرقه . وهو أول من قصّد القصائد ، وقال فيها الغزل ، وغنى بالتشبيب من شعره ؛ وهو خال امرئ القيس بن حُجْر ، ومنه ورث إجادة الشعر . وكان أيضاً كثير الحادثة للنساء ؛ حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء ؛ ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره :

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ لَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيْ زِيرٍ

وكان من خبره فى هذه الواقعة ، وطلب الثار - والثار بالثاء المثلثة : طلب الدم - وأصله الهمز - أن جَسَّاساً لما قتل كليباً وفرّ هارباً ، كان هَمَامٌ بن مرة أخو جساس ينادم مهليل بن ربيعة أخا كليب ، وكان قد صادقّه وآخاه ، وعاهدّه ألاّ يكرهه عنه شيئاً ، فجاءت إليه أمّه فأسرّت إليه قتل جَسَّاسٍ كليباً ، فقال له مهليل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره ، فذكره العهد ، فقال : أَخْبَرْتُ أَنَّ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ . فقال : لَأَسْتُ أَخِيكَ أَضِيقُ مِنْ ذَلِكَ ! فسكت هَمَامٌ ؛ وأقبل على شراهما ، فجعل مهليل يشربُ شرب الآمن ، وهَمَامٌ يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الحمرّة أن صرعت مهللاً ، فانسبل هَمَامٌ وأتى قومه ، وقد قوّضوا الخيم ، وجمعوا

(١) اللسان - هلل ؛ قال : « يقوله لزهير بن جناب » ، أمالى القالى ٢ : ١٢٩ ،

قال : الكرّاع : أنف الحرة .

الخيـل والنعم ورحلوا ، فرحل معهم ، فظهر أمر قتل كليب ، وفاق مهـلـل فصـحـح الخبر ، واجتمعت إليه وجوه قومه ، فقالوا : لاتعجلوا على قومكم حتى تعذروا^(١) بينكم وبينهم ؛ فانطلق رهط من أشرفهم حتى أتوا مرة بن ذهل ، فعظموا ما بينهم وبينه ، وقالوا : اخترمنا خيـصـالا ، إما أن تدفع إلينا جـسـاساً فنقتله بصاحبنا ، فلم يظلم من قتل قاتله - وإما أن تدفع إلينا هـمـاماً فنقتله ، وإما أن تقيـدنا من نفسك ؛ فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا : تسكـم غير مخذول ! فقال : أما جـسـاس فإنه غلام حدّث السن ، ركب رأسه ؛ فهرب حين خاف ، ولا علم لي به . وأما أخوه هـمـام فأخو عشرة ، وأبو عشرة ، ولو دفعته لكم لصيـح بنوه في وجهي ، وقالوا : دفعت أبانا ليقتل في ثأر غيره ؛ وأما أنا فلا أتمجّل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة ؛ فأكون أول قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنى ، فدونكم نخذوا أحدهم فشدّوا نـسـعة^(٢) في رقبته فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألف ناقة .

فغضبوا وقالوا : إننا لم نأتك لتبذل لنا بنيك ، أولتسو منا اللبن ! ففترقوا . فقام مهـلـل وشمر للحرب ، وبدا القتل ، واستحجّر بين الفريقين إلى أن كان يوم واردات ، وقد عظم القتل في بكر ، فاجتمعوا إلى الحارث بن عبـاد بن مالك - وكان قد اعتزل الحرب ، وقال : لا ناقة لي فيها لا جمل ؛ فذهبت مثلاً - فقالوا له : قد فني قومك ؛ فأرسل ابنه بجيراً - وقيل : ابن أخته - إلى مهـلـل ، وقال له : قلْ له : أبو بجير يقرئك السـلام ، ويقول لك : قد علمت أنّي قد اعتزلت قومي ؛ لأنهم ظلموك ، وخليتكم وإياهم ؛ وقد أدركت وترك^(٣) ، وقتلت قومك .

(١) حتى تعذروا ؛ أي يكون لكم عذر .

(٢) النسعة : سير مضفور يجعل زماما للبعير .

(٣) ط : ترك .

فأتى بجير مهلهل وهو في قومه ، فقال له : خالي يقرئك السلام ، فقال له :
 من خالك يا غلام ؟ ونزا نحوه بالرمح ، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي :
 مهلهل يا مهلهل ؛ فإن أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا ، ووالله لئن قتلته ليقتلن
 به رجل لا يسأل عن خاله . فلم يلتفت مهلهل إلى قوله ، وشد عليه فقتله وقال :
 بؤ يشنع نعل كليب^(١) . فقال الغلام : إن رضيت بهذا بنو تغلب رضيت .

فلما بلغ الحارث بن عباد قتله ، قال : نعم الغلام أصلح بين ابني وائل وباء
 بكليب ، فلما سمعوا قول الحارث قالوا : إن مهلهل قال له : « بؤ يشنع نعل
 كليب » ، فغضب الحارث ، ونهض للقتال . واستمرت الحروب بين الحيين
 دهرأ طويلا ، وفني معظمهم ، وقتل همام وغيره إلى أن قام في الصلح الحارث
 ابن عوف المرّي ، كما سيأتي عند قوله : « وإن الصلح بين بكر وتغلب تم
 برسالتك » . وآل أمر مهلهل إلى أن رحل إلى أخواله من بني يشكر فريداً
 وحيداً ، وأقام بين أظهرهم إلى أن مات ، وقيل : قتل .

وكان سبب قتله - كما ذكر ابن الكلبي - أنه أسنّ وخرف ، وكان له عبدان
 يخدمانه فملاً منه ، وخرج بهما يريد سفرا ، فأناخا به في بعض الفلوات ، وعزما
 على قتله ، فلما عرف ذلك كتب بسكين على رَحْل ناقتة هذا البيت - وقيل
 في بعض الروايات أنه أوصاها أن تقولاً لولديه :

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيَيْنِ أَنَّ مَهْلَهلاً اللَّهُ دَرُّكَ وَدَرُّ أَبِيكَ

ثم قتلاه ، ورجعا إلى قومه ، فقالا : مات ؛ وأنشداهم قوله ، ففكر بعض
 ولده ، وقال : إن مهلهل لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له ، وإنما أراد
 أن يقول :

مَنْ مُبْلَغُ الْحَيَيْنِ أَنَّ مَهْلَهلاً أَمْسَى قَتِيلاً فِي الْقَلَاةِ مُجَدَّلاً

(١) شنع النعل : قبلها الذي يشد إلى زمامها .

لله دَرْكُكُمْ وَدَرْكُكُمْ أَيْكُمْ لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا
فَضْرَبُوا الْعَبْدَيْنِ ؛ فَأَقْرَأَ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَا بِهِ .

وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ، ومن ذلك قوله :

بَكَرِهِ قُلُوبُنَا يَا آلَ بَكْرِ نُعَادِيكُمْ بِمَرْهَفَةِ النَّصَالِ
لَهَا لَوْزٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ وَإِنْ كَانَتْ تَحَادَثُ بِالصَّقَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلْكُمْ كَأَنَّا لَا نَبَالِي
وهذه الأبيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى ، وأميرهم^(١)
البحرئى في قصيدته العينية^(٢) .

ومن ذلك قوله — أعنى مهلهلا :

أَلَيْسَتْ بَذَى حُسْمٍ أَنْ يَرَى إِذَا أَنْتَ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِ^(٣)

(١) كذا في م ، وفي ت : « وأمهرهم » .

(٢) ديوانه ٢ : ٣١٦ - ٣١٨ ، مدح المتوكل ، ويذكر صلح تغلب ؛ وفيها :

أُسَيْتُ لِأَخْوَالِي رَبِيعَةً إِذْ عَفَتْ
بَكَرْهِي أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا
إِذَا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةِ جَمْعِهِمْ
تَذُمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شَيْمَةً بَعْلِهَا
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ وَعِزَّةُ
وَفَرَسَانٍ هَيَّجَاءٍ تَجِيشِ صُدُورِهَا
تَقْتُلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاوُهَا
شَوَاجِرَ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ
مَصَافٍ مِنْهَا وَأَقْوَتْ رُبُوعُهَا
وَوَحْشًا مَغَانِيهَا وَشَتَّى جَمِيعُهَا
لَاخِرَى دِمَاءٍ مَا يُبْطَلُ نَجِيعُهَا
إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّأْرِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا
كُلَيْبِيَّةُ أَعْيَا الرِّجَالِ خَضُوعُهَا
بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا
عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تَطِيعُهَا
تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا

(٣) أمالي القالي ٢ : ١٢٩ - ١٣٤ ، الأغاني ٥ : ٤٥ (طبع دار الثقافة) . ذو حسم :

موضع بعينه . وتحورى : ترجى .

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي وَأَنْقَذَنِي بِيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهَا
 قَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ (١) كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُوذُ
 لَقَدْ أَنْقَذْتُ مِنْ شَرِّ كَثِيرِ (٢) كَأَنَّ الْفَرَقْدِينَ يَدَا مُفِيضٍ
 مَعْطَفَةٌ عَلَى رُبْعٍ كَسِيرِ (٣) فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلِّيبٍ
 أَلَحَّ عَلَى إِفَاضَتِهِ قَبِيرِ (٤) وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتِ
 لَخَبَّرَ بِالذَّنَائِبِ أَيْ زِيرِ (٥) هَتَكَتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبَادٍ
 أَلَحَّ عَلَى إِفَاضَتِهِ قَبِيرِ (٦) عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّيبٍ
 أَلَحَّ عَلَى إِفَاضَتِهِ قَبِيرِ (٧) إِذَا مَا ضَمَّ جَبْرَانَ الْمَجِيرِ
 إِذَا بَرَزْتَ مَخْبَأَةَ الْخُدُورِ وَمِنْهَا بَعْدَ أَنْ كَرَّرَ قَوْلَهُ :

* عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّيبٍ *

في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الأمور العظيمة ، وتقريرها - وبهذه الأبيات استشهد المفسرون لقوله تعالى

(١) قال أبو علي : « يقول : إن كان طال ليله بهذا الوضع فقتل أخى ؛ فقد كنت أستمصر الليل ومضى حى » .

(٢) الموذ : الحديثات التاج ، واحدها عائد ، والربع : ما تنج في الربيع ؛ يقول : كأن كواكب الجوزاء توق حديثات التاج عطفت على ربع مكسور ، فهي لا تتركه وهو لا يقدر على التهور .

(٣) قبر : مقامر ؛ وهذا البيت لم يذكر في رواية القائل .

(٤) يقال : هو زير نساء وتبع نساء وطلب نساء ، والخبر محذوف كأنه قال : أحم زير أنا !

(٥) مجير ، ابن أخى الحارث .

(٦) كذا في رواية الأمازي ، وفي الأمازي : « وبعض القتل » ، وبعبارة هناك :

وهمام بن امرئة قد تركنا عليه القشعمين من النسور والقشعم من النسور : الحرم .

في سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وتكرير هذه الآية الشريفة -

كُنَّا غُدُوَّةً وَبَنَى أَيْدِيَنَا بِحَبِّ عُنِيزَةٍ رَحِيًّا مُدِيرٍ ^(١)
 كَانَ رَمَاحَنَا أَشْطَانُ يُثْرِ بَعِيدٍ بَيْنَ جَاثِيهَا جَرُورٍ ^(٢)
 تَظَلَّ الْخَلِيلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ كَانِ الْخَلِيلَ تَهَضُّ فِي غَدِيرٍ ^(٣)
 فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ يُحْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذِّكُورِ ^(٤)
 يقال : إِنَّ هَذَا أَوَّلُ كَذِبٍ وَرَدَّ فِي الشَّعْرِ وَأَبْلَغُهُ ؛ فَإِنَّ بَيْنَ الذَّنَائِبِ وَحُجَرٍ ^(٥)
 سَبْعَ لَيَالٍ .

ومن ذلك قوله :

قَالُوا كَلْبِيَا نِمِ قَالُوا لَا تَتُبْ كَلَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ ذِي الْإِحْرَامِ ^(٦)
 حَتَّى يَعْصُ الشَّيْخُ بِمَدْحَمِيَّةٍ مِمَّا يَرَى جَزَعًا عَلَى الْإِنْهَامِ
 وَتَحُولُ رَبَّاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسُخُنَ عَرَضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ ^(٧)
 وقوله :

طَفَلَةٌ شَتْنَةُ الْخَالِخَلِ بَيْضَا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِنَاقِ ^(٨)

(١) في شرح شواهد المعنى البغدادي : « قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي المسمى قرة النواظر في شرح النوادر : الرحيان إذا أدارها مدير أثرت لإحداها في الأخرى ؛ وهما من معدن واحد ؛ وكذلك هؤلاء ، هم من أصل واحد يتماحقون ويقتلون » .
 (٢) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الشديد القتل يستقى به . وجال البئر : ناحيتها والجرور من الآبار : البعيدة القمر .

(٣) الأمالى : « تدحض » ؛ قال : « أى تزلق » ؛ يقال : مكان دحض ومزلة » .

(٤) الأمالى : « أهل حجر » . والد كور : السيوف .

(٥) حجر : قصة اليمامة وحرهم لأنها كانت بالجزيرة ، وبينهما عشرة أيام .

(٦) شعراء النصرانية ١٧٥ ، مع اختلاف في الرواية .

(٧) يروى « عرض تمام الأيتام » .

(٨) الأغاني ٥ : ٤٦ (دار الثقافة) ، شواهد المعنى ٤ : ٢١٢ . طفلة ، أى ناعمة .

ضربت صدرها إلى وقالت يا عدياً لقد وقتك الأواق^(١)
ومنها يرثى كلييا :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجارِ حَزْماً وَعَزْماً وَخَصِيماً أَلَدَ ذَا مِغْلَاقِ
حَيَّةٍ فِي الْوَعْيِ ، وَأَرْبَدُ لَا تَذُفَعُ مِنْهُ السَّلِيمَ نَفْثَةُ رَاقٍ^(٢)

قوله : « ذا مغلاق » ؛ يروى بالعين ، وهو الرجل الكثير الخصومة
الشديدها ، كأنه يعلق بخصمه ، ويروى بالغين ، كأنه يغلِق على خصمه القول ،
وجميع شعره في هذه الغاية من التمكن والقوة .

* * *

٣٣ - وَالسَّمُوءِلَ إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ .

[السموءل بن عادياء]

هو السموءل بن عادياء ، من يهود يثرب ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْوَفَاءِ ،
فيقال : « أوفى من السموءل » ؛ وسبب ذلك أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ
الْكَنْدِيِّ لَمَّا قَتَلَ أَبُوهُ وَكَانَ مُلْكاً فِي كِنْدَةَ ، خَرَجَ يَسْتَنْجِدُ بِمَلِكِ الرُّومِ كَمَا
سَيَأْتِي ذِكْرُهُ ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَى تِيَاءَ وَبِهَا حَصْنُ السَّمُوءِلِ الْمُسَمَّى بِالْأَبْلَقِ الْمَذْكُورِ
فِي شِعْرِهِ ، أَوْدَعَ السَّمُوءِلَ مِائَةَ دِرْعٍ وَسِلَاحاً وَمَضَى ؛ فَسَمِعَ الْحَارِثُ بْنُ ظَلَمٍ —
وَقِيلَ : الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَيْمِرٍ الْغَسَّانِيُّ — بِهَا ، فَنَجَّاهُ لِيَأْخُذَهَا مِنْهُ ، فَأَبَى السَّمُوءِلُ ،
وَتَحَصَّنَ بِمَحْصِنِهِ ، فَأَخَذَ الْحَارِثُ ابْنَ السَّمُوءِلِ وَنَادَاهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ لَمْ تَسَلَمْ

(١) البيت من شواهد الألفية للعيني ، قال : الاستشهاد فيه في قوله : « يا عديا » ؛ فإن
الشاعر لما اضطر نون « عديا » الذي هو منادى مفرد معرفة ، ثم لما نونه نصبه ، تشبيهاً بالمضاف
(٢) الحية ، تطلق على الذكر والأنثى ، والوجار : جحر الضبع ، ويستعار لغيرها والأربد :
الذي يضرب لونه إلى السواد .

الأذراعَ وإلا قتلَ ابنك ، فأبى أن يسلمَ له الأذراع ، ف ضرب وسطَ الغلام
بسيفه قطعته — وأبوه يراه — وطرحه وأنصرف . فقال السموءل في ذلك
قصيدته التي [يقول فيها ^(١)] :

أعاذَني ألا لا تعــــــذُلي فكم من أمرٍ عاذلةٍ عصيتُ ^(٢)
وفيتُ بأدراع الكندي إني إذا ما ذمُّ أقوامٌ وفيتُ ^(٣)
وأوصى عادياً يوماً بالأآ تهدمَ يا سموءل ما بنيتُ
دعيني وارشدني إن كنت أعوى ولا تعوى — زعمت — كما غويتُ

ومات امرؤ القيس قبل أن يعود إلى تيماء ، ومنع السموءل الأذراع إلى أن
مات هو أيضاً ، ف ضرب به المثل ؛ وفي ذلك يقول الأعشى :

كنُ كالسموئل إذ طافَ الهمامُ به في جَحْفَلٍ كسوادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ ^(٤)
[إذ سَامَهُ خَطَّتِي خَسَفٍ فقال له مهما تَقَلُّهُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ] ^(٥)
فقال : غَدَرْتُوكُلَّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فاخترُ وما فيهما حظٌّ لِمُخَارِ
فشكَّ غير طویلٍ ثم قال له اقتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مانِعٌ جَارِي

والسموئل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين ، وله في الحماسة اللامية المشهورة
وهي قوله ^(٦) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ الْأَوْثَمِ عَرَضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ ^(٧)

(١) من د . ت . « في ذلك قصيدة » .

(٢) ديوانه ٤٩ ، ٥٠ ، الأغاني ٦ : ٣٣٢ ، مع زيادة ونقص واختلاف في الروايات .

(٣) الأغاني : « إذا ما خان » .

(٤) ديوانه ١٢٦ .

(٥) تكملة من الميزان .

(٦) كذا في د ، وفي ط : « اللامية المشهورة عند أرباب البديع ، أولها يقول » .

(٧) القصيدة في ديوانه ١٠ - ١٧ ؛ ولم يرد في الأصول الخطية سوى البيت الأول ،

والآيات التالية له وردت في ط .

[وإنْ هَوَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فليسَ إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قَلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
فَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ] ^(١)
وله أيضاً :

إِنِّي إِذَا مَا الْمَرْءُ بُيِّنَ شَكْلُهُ وَبَدَتْ عَوَاقِبُهُ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ ^(٢)
وَتَبَرَّأَ الضَّعْفَاءُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَأَلَحَّ مِنْ حُرِّ الصَّيْمِ الْكُلْكُلُ
لَدَعُ اللَّتَى هِيَ أَرْفَقُ الْخَلَائِ بِى عِنْدَ الْحَفِظَةِ لِلَّتَى هِيَ أَجْمَلُ
وله :

يَا لَيْتَ شَعْرَى حِينَ أُنْدَبُ هَالِكَا مَاذَا تَوَنَّبَنِي بِهِ أَنْوَاحِي! ^(٣)
أَجَلْنِ لَا تَبْعُدْ قَرِيبَ كَرِيمَةٍ قَرَجَتْهَا بِشَجَاعَةٍ وَمَمَاحِ
وَلَقَدْ أَخَذْتُ الْحَقَّ غَيْرَ مُخَاصِمٍ وَلَقَدْ بَذَلْتُ الْحَقَّ غَيْرَ مُلَاحِ

٣٤ - وَالْأَخْنَفَ ، إِنَّمَا احْتَبَى فِي بُرْدِكَ .

[الأخنف بن قيس]

هو الأخنف المضروب به المثل في الحلم والسيادة ، واسمه الضحَّاك - وقيل :
صخر - بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى ، ويكنى أبا بخر .
أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ودعا له . حدث الأخنف قال :
بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ إذ لقيت رجلاً
أعرفه ، فأخذ يبدى ، فقال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال : أما تذكر إذ بعثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومك من بنى سَعْدٍ أدعوه إلى الإسلام ؛ فجعلت

(١) تكملة من ط .

(٢) ديوانه ٥١ ، نقلا عن سرح العيون ، وفى د والديوان : « بين شكه » .

وفى م : « بين سكه » . (٣) ديوانه ٥٠ ، عن سرح العيون .

أَدْعُوهُمْ وَأَعْرِضْ عَلَيْهِمْ؛ فَقُلْتُ أَنْتَ : إِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَى خَيْرٍ ، وَلَا أَسْمَعُ إِلَّا حَسَنًا ؛
فَإِنِّي رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَقَالَتِكَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَغْفِرْ
لِلْأُحْنَفِ ! قَالَ : فَمَا شِئْتُ أَرْجِي لِي مِنْهَا .

وَسَمِيَ الْأُحْنَفَ لِحَنْفٍ فِي رِجْلِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَرْقِصُهُ وَهُوَ طِفْلٌ ، فَتَقُولُ :
وَاللَّهِ لَوْلَا حَنْفٌ فِي رِجْلِهِ مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ
يُقَالُ : تَحَانَفَ الرَّجُلُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَهُوَ أَنْ تَقْبَلَ الرَّجُلُ بِالْإِبْهَامِ عَلَى الْأُخْرَى .
وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُثْمَانَ : وَفَدَّ عَلَيْنَا الْأُحْنَفُ مَعَ مُضْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْكُوفَةِ ،
فَمَا رَأَيْتُ مِنْظَرًا يُذَمُّ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِيهِ ؛ كَانَ ضُئِيلًا ، أَصْلَعَ الرَّأْسَ ، مَتْرَاكِبَ الْأَسْنَانِ ،
بَاخِقٌ ^(١) الْعَيْنَيْنِ ، وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَّى عَنْ نَفْسِهِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : أَوْفَدَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَفَدَ الْبَصْرَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفِيهِمُ الْأُحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عُمَرَ ، تَكَلَّمَ كُلُّ رَجُلٍ
مِنْهُمْ فِي حَاجَةِ نَفْسِهِ ؛ وَكَانَ الْأُحْنَفُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَصَلَّى عَلَى
نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ أَهْلَ مِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ فِرْعَوْنَ
وَأَصْحَابِهِ ، وَأَهْلَ الشَّامِ نَزَلُوا مَنَازِلَ قَيْصَرَ ، وَأَهْلَ الْكُوفَةِ نَزَلُوا مَنَازِلَ كِسْرَى
وَمِصْرَانِهِ ؛ فِي الْأَشْهَارِ الْعَذْبَةِ وَالْجَنَانِ الْمُخْضَبَةِ ، وَفِي مِثْلِ عَيْنِ الْبَعِيرِ ^(٢) ، وَكَالْحَوَارِ فِي
السَّلَى ^(٣) ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ قَبْلَ أَنْ تَتَغَيَّرَ ؛ وَإِنْ أَهْلَ الْبَصْرَةِ نَزَلُوا فِي أَرْضِ سَبْخَةٍ

(١) باخق العينين ، منخفض العينين .

(٢) الفائق : « نزلوا في مثل حدقة البعير من العيون العذاب » ، قال في شرحه : « شبه
بلادهم في خصبها وكثرة ماؤها بحدقة البعير وحولاء الناقة ، لأن الحدقة توصف بكثرة الماء .
وقيل : أراد أن خصبها دائم لا ينقطع » .

(٣) الحوار : الفصيل أول ما ينتج ، والسلي : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد ؛
تكون للناس والإبل والحيل . وفي الفائق : وروى « إن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا
في مثل حولاء الناقة » . قال في شرحه : « والحولاء : جلدة رقيقة تخرج مع الحوار كأنها مرآة
مملوءة ماء أصفر » .

زَعِقَةٌ، نَشَاشَةٌ^(١)؛ طرف^(٢) في مِلْحٍ أَجَاجٍ، والطَّرَفُ الآخر في القَلَاةِ، لا يَأْتِيهَا
الْجَلَبُ إِلَّا في مِثْلِ حُلُقُومِ النِّعَامَةِ، فَارْفَعْ خَسِيسَتَنَا^(٣)، وَاَنْعِشْ رَكِيسَتَنَا^(٤)؛
وَاعْدِلْ لَنَا قَفِيزَنَا وَدِرْهَمَنَا، وَمَرَّ لَنَا بِنَهْرٍ نَسْتَعْذِبُ مِنْهُ الْمَاءُ^(٥). فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: أَعْجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ هَذَا الْعَبْدِ! هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ! فَمَا زِلْتُ أَسْمَعُهَا مِنْهُ،
ثُمَّ حَبَسَهُ عِنْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْنَفُ، إِنِّي قَدْ بَلَوْتُكَ فَأَعْجَبْتَنِي؛ وَإِنَّمَا حَبَسْتُكَ
لَأَعْلَمَ عِلْمَكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «احْذَرُوا الْمُنَافِقَ
الْعَالَمَ»؛ وَأَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَوَجَدْتُكَ بَرِيئًا مِمَّا تَخَوَّفْتُ عَلَيْكَ، وَسَرَّحَهُ،
وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ.

وَلَمْ يَزَلْ يُشَرِّفُ حَتَّى مَاتَ، وَسَادَ بِعَقْلِهِ وَحِلْمِهِ حَتَّى يَكَادُ يَجْرُدُ لَأَمْرِهِ مَائَةَ
أَلْفِ سَيْفٍ، وَكَانَ أَمْرَاءُ الْأَنْصَارِ يَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ فِي الْمَهْمَاتِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ حَرْبًا
قَالَ النَّاسُ: قَدْ غَضِبْتُ زُبْرَاءَ، فَصَارَ مِثْلًا. وَزُبْرَاءُ جَارِيَتُهُ فَكَانَ مَطِيعًا لَهَا،
فَكَانُوا يَكُونُونَ عَنْ غَضَبِهِ فِي الْحَرْبِ بِفَضْلِهَا.

وَكَانَ يَقُولُ: كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحِلْمَ، كَمَا نَخْتَلِفُ إِلَى
الْعَالِمِ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْعِلْمَ^(٦).

(١) في اللسان «سبخة ناششة، أى لا يحف ثراها ولا يثبت مرعاها».

(٢) كذا في ت، وفي باقي الأصول: «طرفها».

(٣) في اللسان عن الأزهرى: «يقال: رفع الله خسيصة فلان؛ إذا رفع حاله بعد انحطاطها»
ومنه حديث الأحنف: «إن لم ترفع خسيستنا» وفي ت: «خسيستنا».

(٤) يعنى الحال الضعيفة. والركيس: الضعيف.

(٥) حديث الأحنف وما فيه من غريب في الفائق ١: ٢٤٥.

(٦) في أخبار الأحنف في ابن خلكان ١: ٢٣١: «وكان يقول: ما تعلمت الحلم إلا
من قيس بن عاصم المنقري؛ لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه، فأتى بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه؛
فقال: ذعرتى الفتى؛ ثم أقبل على الفتى فقال: بابنى؛ بئس ما فعلت! تقصت عددك، وأوهنت
عزبك، وأشمت عدوك؛ وأسأت بقومك؛ خلوا سبيله، واحلوا إلى أم المقتول دينه؛ فإنها
غريبة. ثم انصرف القاتل، وما حل قيس حبوته، ولا تغير وجهه».

وحكى خالد بن صفوان ؛ قال : كنت بالرُّصافة عند هشام بن عبد الملك ،
فقدِم عليه العباس بن الوليد ، فغشيته الناس ، فدخلت عليه ، فقال : حدثني عن
تسويدكم الأحنف ، وانقيادكم له ؛ فقلت : إن شئت حدثتك عنه بواحدة تسود ،
وإن شئت بائنتين ، وإن شئت بثلاث ، وإن شئت حدثتك عشيتك حتى
تنقضى ولم تشعر بصومك — وكان صائماً في يوم خميس — فقال : هات الأولى ؛
فقلت : كان أعظم من رأينا أو سمعنا سلطاناً على نفسه فيما أراد حملها عليه ،
أو دفعها عنه ، ثم أدركني ذهني فقلت : غير الخلفاء .

فقال : لقد ذكرتها نجلاء كافية ؛ فما الثانية ؟ قلت : قد يكون الرجل عظيم
الشَّيطان على نفسه ولا يكون بصيراً بالحاسن والمساوى ، ولم نر ولم نسمع بأحد
أبصر منه بالحاسن والمساوى ؛ فلا يحمل السلطنة إلا على حسن ، ولا يكفها
إلا عن قبيح .

فقال : قد جئت بصلوة الأولى لا تصلح إلا بها ؛ فما الثالثة ؟ قلت : قد
يكون الرجل عظيم الشَّيطان على نفسه ، بصيراً بالحاسن والمساوى ، ولا يكون
حظيظاً فلا ينشر له ذكر ، وكان الأحنف عند الناس مشهوراً .

قال : وأبيك لقد وصلت الاثنين ، فما بقيّة ما يقطع عن الصوم العشية ؟
قلت : أيامه السالفة ، مثل : فتح خراسان ، اجتمعت عليه الأعاجم بمزو الرّوذ ،
فجاءه ما لا قبل له به ، وهو في منزل مضيفة ، وقد بلغ به الأمر ، فصلى العشاء
الآخرة ودعا ، وتضرّع إلى الله تعالى أن يوفقه . ثم خرج يمشي في العسكر مشى
المكروب متنكراً ليسمع ما يقول الناس ، فرّبع بعد يعجن وهو يقول لصاحب
له : العجب لأمرنا ! يقيم بالمسلمين في منزل مضيفة ، وقد أطاف بهم العدو من

نواحيهم ، واتخذوهم أغراضاً ؛ وله متحوّل ! فجعل الأحنف يقول : اللهم وفق ،
 اللهم سدّد . فقال العبد للعبد : فما الحيلة ؟ قال : أن ينادى الساعة بالرحيل ،
 وإتما بينه وبين الفيضة فرسخ ، فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها ؛ فإذا امتنع
 ظهره بها بعث بمجنّبتيه اليمنى واليسرى ، فيمنع الله تعالى بهما ناحيته ، ويلقى
 عدوه في جانب واحد . فسجد الأحنف ثم نادى بالرحيل من مكانه ؛ حتى أتى
 الفيضة ، فنزل في قبليها ، وأصبح فاتاه العدو ، فلم يجدوا سبيلاً إلاّ من وجه واحد
 وهولوا بطبول أربعة ، وركب الأحنف ، وأخذ اللواء ، وجمل بنفسه على طبل
 فشقه ، وقتل صاحبه وهو يقول :

إِن كَلَى كُلٌّ رَّئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصُّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا
 وشقّ بقيّة الطبول ، فلما فقد الأعاجم أصوات طبولهم انهزموا ، وركب
 المسلمون أكتافهم ، وكان الفتح . ثم عدّد خالد عنه بقيّة يومه ^(١) إلى أن انقضى
 [النهار] ^(٢) .

وللأحنف حكايات حسنة ، وألفاظ محكمة ، ومؤاخذات معدودة عليه .
 فمن حكاياته ما حدّث بعضُ غلمانه ، قال : كان الأحنف يكثر الصلّاة بالليل ،
 وكان يحىء إلى الصباح فيضع إصبعه فيه ثم يقول : حَسٌّ ، ويقول : ما حملك
 على أن صنعت كذا وكذا في يوم كذا ؟

وشكا إليه رجل وجعَ ضرسه ، فقال : لقد ذهب نور عيني منذ ثلاثين
 سنة ، ما علم بذلك أحد .

وقال له عمر رضى الله تعالى عنه : أىّ الطعام أحبُّ إليك ؟ قال : الرُّبْدُ

(١) ط : « أيامه »

(٢) من ط .

والكفاة ، قال عمر : ماها بأحب الطعام إليه ؛ ولكنه يحب الخصب للمسلمين -
يعنى أن الزبد والكفاة لا يكونان إلا فى الخصب .

وخلا به رجل فسبه سباً قبيحاً ، فقام الأحنف وهو يتبعه ، فلما وصل إلى
قومه وقف وقال : يا أخى ؛ ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن ، وإلا
يسمك قولى فتؤذى .

وقال له رجل : بم سدت قومك ولست بأشرفهم ؟ فقال : بتركى من أمرك
مالا يعذبنى ؛ كما لم تترك من أمرى مالا يعنك .

وقال له رجل : لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك ، فقال : فى قبرك يدخل
والله لافى قبرى .

وقيل له : بم سدت ؟ قال : «لأن الناس كرهوا الماء ما شربته» .

وقال يوماً : ما يسرني أنى نزلت بدار معجزة ؛ وأنى ألبنت فأسمنت .
قيل له : يا أبا بحر ، وما يراد من دار الحزم غير هذا ! فقال : إني أكره سوء
العادة .

ووفد على معاوية مع أهل العراق ، فقال آذنه : إن أمير المؤمنين يُقسم
عليكم ألا يتكلم أحد منكم إلا لنفسه ، فدخلوا ، فقال الأحنف : لولا حرمة أمير
المؤمنين لأخبرته أن نازلة نزلت ، ونائبة نابت ، وكلهم به فاقة إلى رفد أمير
المؤمنين ! فقال : حسبك يا أبا بحر ؛ فقد كففت من غاب ومن شهد .

وذكره معاوية يوماً بصحبته لعل بن أبى طالب كرم الله وجهه وأيام
صغين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، للقلوب التى أبغضناك بها بين جنوبنا ؛ والسيوف

(١ - ١) د : « قال : لو أن بينى وبين الناس شعرة ما قطعت ، ولو كرهوا الماء -

ما شربته » .

التي قاتلناك بها على عواتقنا ، وإن شئت استصفيت كدّرنا بحلمك ، فقال : أجل .
وما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضى الله عنه ؛ وذلك أنه
لما ترك القتال يوم الجمل ، ورجع عن الحرب مرّ بنى تميم ذاهباً إلى دياره ؛
فأتى رجل الأحنف فقال : هذا الزبير قدّم أنفاً ، فقال : ما أصنع به ؟ جمع بين
غارين^(١) يقتل بعضهم بعضاً ، ويريد أن ينجو هو إلى أهله . فتبعه ابن جرموز فقتله
غدرًا ، فقال الناس : إنما قتله الأحنف بكلامه ذلك ؛ وإن ابن جرموز إنما
فعل عن رأيه .

وحين أتاه كتاب الحسن بن علي رضى الله تعالى عنهما يستنصره ، فقال :
قد بلونا حسناً وآل حسن فلم نجد عندهم إيالة الملك ، ولا صيانة المال ، ولا مكيده
الحرب ؛ ولم يحبه .

وقوله للختات بن يزيد : اسكت يا آدر ؛ وكان الختات آدر .
وطاعته لجاريته زبراء ؛ حتى سئل عن ذلك ، فقال : كيف لا أطيع من لي
إليه كل يوم حاجة !

وأناه رجل فلطمه ، فقال : لم لطمتني ؟ قال : جعل لي جعل على أن أطم
سيد بنى تميم ؛ قال : لست بسيدهم ، وإنما سيدهم حارثة بن قدامة ، فضى
الرجل إليه فلطمه ، فقطع يده ، فقال الناس : إنما قطع يده الأحنف .
وأرسل إليه عمرو بن الاهم رجلاً يكايده ، فقال : ما كان مال أبيك ؟
ففيطن له الأحنف ، فقال : صرمة يقرى منها ضيفه ، ويكفى عياله ، ولم يكن
أههم سلاحاً .

فهذا ما حفظ من سقطاته . وقريب منها أنه خاط عند رجل ثوباً ، ثم
تقاضاه دهرًا ، فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء إلى الخياط فقال : إذا مت فادفع
الثوب لهذا .

ومن كلامه : لا خير في لذة تُعقب ندماً . لن يفتقر من زهد . أقبلوا عذر
 من اعتذر . ما أقبح القطيعة بعد الصلة ! أنصف من نفسك قبل أن ينتصف
 منك . لا تكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان . اعلم أن لك من
 دنياك ما أصلحت به مثواك ؛ فأنفق في حق ولا تكوننَّ خازناً لغيرك . لراحة
 لحسود ، ولا مروءة لكذوب . عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين !
 وقال يوماً : ما ردّدت عن حاجة قط ، فقليل له : ولم ؟ قال : لأنني لأطلب المحال .
 وقال : ما نازعني أحدٌ إلا وأخذت في أمره بثلاث : إن كان فوق عرفتي
 الله فضله ، وإن كان دوني رفعت قدرى عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .
 وقال له رجل : دلني على المروءة ، فقال : عليك بأخلق الفسيح ، والكف
 عن القبيح ؛ ثم قال : ألا أدلك على أدوأ الداء ؟ قال : بلى ، قال : اكتساب
 الذم بلا منفعة .

وقال يوماً : كانت المودة محضاً ، فليتها اليوم مذقاً^(١) !

ومن شعره :

ولو مدّ سرّوي بمالٍ كثيرٍ لجدتُ وكنْتُ له باذلاً^(٢)
 فإنّ المروءة لا تستطاعُ إذا لم يكن ماله فاضلاً
 وكان يجلس إليه رجل كثير الصمت ، فأعجب به الأحنف ، ثم تكلم يوماً
 فقال : يا أبا بحر ، تقدر تمشي على شرف المسجد ؟ فقال : يا أخى ، إنّي كبرت
 ولا أقدر على ذلك ، ثم أنشد يقول :
 وكأنّ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادته أو قصه في التكلّم^(٣)

(١) الحض : اللبن الخالص ، والمذق : المخلوط بالماء .

(٢) السرور : الشرف والسيادة . وانظر البيان ٢ : ٢٩٢ .

(٣) لو هير في معلقة بشرح الزوزني ، وانظر شعراء النصرانية ٥٢٤ .

لسانُ الفتي نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبق إلا صورة اللحم والدم .
 فرواها قوم له ، وقيل : تمثل بها وهي لغيره ، فإنها أرفع طبقة من شعره .
 ومات بالكوفة سنة تسع وستين ، وخرج مصعب بن الزبير في جنازته
 ماشياً بغير إزار ، وهو أول أمير قتل ذلك في جنازة كبير . ولما وضع في قبره قامت
 امرأة له فقالت : لله درك من مُدرَج في كفن ! نسأل الله الذي ابتلانا بفقدك ،
 أن يوسع لحدك ، ويكون لك يوم حشرِك . أما والذي كنت من أمره إلى مدة ،
 لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت شهيداً مفقوداً ؛ ولقد كنت من الناس قريباً ،
 وفي الناس غريباً . رحمتنا الله وإياك !

* * *

٣٥ - وَحَاتِمًا إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ .

[حاتم الطائي]

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وكنيته أبو سقانة وأبوعديّ ، وأجود^(١)
 العرب في الجاهلية ثلاثة : حاتم الطائي ، وهريم بن سنان ، وكعب بن مامة ؛
 وحاتم أشهرهم ذكراً ، أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل مبعثه .
 وحكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، أنه قال يوماً : سبحان الله !
 ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجباً لرجل يحييه أخوه المسلم^(٢) في حاجة ،
 فلا يرى نفسه للخير أهلاً !^(٣) فلو كان لا يرجو ثواباً ، ولا يخاف عقاباً^(٤) ؛ لكان
 ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاح^(٥) .

(١) ت : « أجود » . (٢) ساقطة من الأغاني .

(٣ - ٣) الأغاني : « فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ، ولا ننظر ثواباً » .

(٤) الأغاني : « النجاة » .

فقام إليه رجلٌ فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال : نعم [وما هو خير منه] ^(١) ؛ لما أَتَى بِسَيِّدَاتِي ، وقفت جارية عَيْطَاءَ لَعَسَاءَ ^(٢) ، فلما رَأَيْتُهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، وقلت : لأُطْلِبَنَّهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما تَكَلَّمْتُ أُنِيسْتُ جَمَالَهَا بِفَصَاحَتِهَا ، فقالت : يا مُحَمَّد ، إنَّ رَأَيْتَ أَنَّ تُحَلِّيَ عَنِّي ، وَلَا تَشْمِيتَ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي ابْنَةُ سَيِّدِ قَوْمِي ، و ^(٣) إنَّ أَبِي كَانَ يَفْكُ الْعَانِي ، وَيَشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيَكْسُو الْعَارِي ، ولم يردَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطَّ ^(٤) ؛ أَنَا ابْنَةُ حَاتِمِ الطَّائِي . فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جَارِيَّة ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، وَلَوْ كَانَ أَبُوكَ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلَّوْا عَنْهَا ؛ فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ؛ [وَاللَّهِ يَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ] » ^(٥) .

وقال عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَبِي كَانَ يُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ ، وَيَعْتَقُ الرِّقَابَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، فَهَلْ لَهُ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ ؟ قال : « إِنْ أَبَاكَ رَامَ أَمْرًا فَأَدْرِكْهُ » - يَعْنِي الذُّكْرَ .

وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَ مِنْ جُودِ حَاتِمٍ أَنَّ أَبَاهُ خَلَّفَهُ فِي إِبْلِهِ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَرَّ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فِيهِمْ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَبِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ، وَالتَّائِبَةُ الذِّيْبَانِي ، يَرِيدُونَ الثُّغْمَانَ ، فَقَالُوا لِحَاتِمٍ : هَلْ مِنْ قَرَى ؟ وَلَمْ يَعْرِفْهُمْ ، فَقَالَ : تَسْأَلُونِي ^(٥) الْقَرَى وَقَدْ رَأَيْتُمُ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ! انْزِلُوا . فَتَحَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ،

(١) مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) الْعَيْطَاءُ : الطَّوِيلَةُ الْعَنَقُ . وَاللَعَسَاءُ : مَنْ كَانَ لَوْنُهَا أَدْنَى إِلَى السَّوَادِ مَشْرُوبًا بِحُمْرَةٍ .
وَفِي الْأَغَانِي : « جَارِيَّةٌ حَمَاءُ حَوْرَاءَ الْعَيْنَيْنِ لَعَسَاءَ لِمَاءِ عَيْطَاءَ شِمَاءَ الْأَنْفِ مَعْتَدِلَةُ الْقَامَةِ ، رَدْمَاءُ الْكُعْبَيْنِ ، خَدِيلَةُ السَّاقَيْنِ ، لِفَاءُ الْفَخْذَيْنِ ، خِمِصَةُ الْخَصْرِ ، ضَامِرَةُ الْكُشْحَيْنِ ، مَصْقُولَةُ الْمُتْنَيْنِ » .
(٣ - ٣) الْأَغَانِي : « كَانَ أَبِي يَفْكُ الْعَانِي وَيَحْمِي التَّمَارَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيَشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيَفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعِمُ الطَّاعِمَ ، وَيَفْشِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطَّ » .
(٤) مِنَ الْأَغَانِي ؛ وَالْخَيْرُ هُنَاكَ فِي ١٦ : ٩٣ (سَامِي) .

(٥) تَسْأَلُونِي ؛ كَذَا فِي الْأَصُولِ ، بِحَذْفِ نُونِ الرَّفْعِ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِهِمْ مِنْ غَيْرِ نَاصِبٍ وَلَا جَازِمٍ .

وسألهم عن أسمائهم فأخبروه^(١)، ففرق فيهم الإبل والغنم . وجاء أبوه فقال :
ما فعلت ؟ قال : طوقتك مجدّ الدهر تطويق الحمامة ، وعرفته^(٢) . فقال أبوه :
[إذا والله لا أساكنك أبدا ولا أوويك ، فقال حاتم]^(٣) : إذا لا أبالي !
[فاعتزله]^(٤) .

وحكى عن زوجته النوار^(٥) ، قالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض ،
[واغبر أفق السماء ، وراحت الإبل حذبا حداير]^(٦) ، وضنت المراضع على
أولادها ، [فما تبيض بقطرة ، وجالفت السنة المال ، وأيقنا أنه الهلاك]^(٧) ، فوالله
إنّا لفي ليلة صئبر^(٨) بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاعى^(٩) أولادنا : عبد الله ،
وعدي ، وسفانة ؛ فقام حاتم إلى الصبيتين ، وقت إلى الصبيّة ، فوالله ماسكتوا
إلا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ، ونمت أنا وإيّاها ، فأقبل يعلّني بالحديث ،
فعرفت ما يريد ؛ فتناومت وما يأتيني نوم ، فقال : مالها ؟ أنامت ! فسكت ، ثم
تهورت النجوم^(١٠) إذا شئ قد رفع كسر^(١١) البيت ، فقال : من هذا ؟ فوالى
ثم عاد ، فقال : من هذا ؟ ، [فوالى ثم عاد في آخر الليل ، فقال : من
هذا ؟]^(١٢) ، قالت : جاريتك فلانة ، قال : مالك ؟ قالت : الشر ! أتيتك

(١) الشعر والشعراء : « فتسموا له »

(٢) الشعر والشعراء : « وأخبره بما صنع » .

(٣) الزيادة من الشعر والشعراء : « والخبر هناك في الجزء الأول ص ١٩٤ »

(٤) وكنا في الشعر والشعراء ، وفي الأغاني « عن امرأته ماوية » .

(٥) من الشعر والشعراء . الحدب : جم حديباء ؛ وهي التي بدت حراققتها وعظم ظهرها .

والحدايير : جم حديار ؛ وهي البجضاء الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال .

(٦) من الشعر والشعراء ، وأصل الجلف القشر ؛ فكأن السنة قشرت المال ، والجالفة :

السنة التي تذهب بأموال الناس .

(٧) صئبر : باردة .

(٨) تضاعوا : تضاعوا .

(٩) تهورت النجوم : ذهب أكثرها .

(١٠) الكسر : أول الشقة السفلى من الجاء .

(١١) من الشعر والشعراء .

من عند صديقه^(١) يتعاقبون تعلوى الذئاب من الجوع ، [فما وجدت معولاً إلا عليك أبا عدى]^(٢) ، قال : أعجليهم . فهبت إليه ، قتل : ماذا صنعت ! فوالله لقد تضاعى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعلهم ! فقال : اسكتي . وأقبلت المرأة تحمل اثنين^(٣) ويمشي جانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثالها ، فقام إلى فرسه حلاب ففحره ، وكشط جلده^(٤) ، ودفع المديّة إلى المرأة ، ثم قال : ابعتي صبيانك ، فبعتهم فاجتمعنا ، فقال : تأكلون دون أهل الصّرم^(٥) ! ثم جعل يأتيهم^(٦) بيتا بيتا ويقول : دونكم النار ، فاجتمعوا فالتفّع بثوبه ناحية ينظر إلينا ، فوالله ماذا من مازع^(٧) منها مزرعة^(٨) ، وإنه لأحوجهم^(٩) ؛ وأصبحنا وما على الأرض إلا أعظم أو حافر^(١٠) .

وحكى ابن الأعرابي ، قال : أسير حاتم في غزاة^(١١) ، فقالت له امرأة يوما : قم فافصد لنا هذه الناقة^(١٢) . - وكان الفصد عندهم أن يُقطع عرق من عروق الناقة ، ثم

(١) الشعر والشعراء : « أصيبة » . (٢) من الشعر والشعراء .

(٣) الشعر والشعراء : « ابين » .

(٤) الشعر والشعراء : « فوجاً لبته بدينه فخر ثم كسطه » .

(٥) الصرم ؛ بالكسر : الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس .

(٦) ط : « يأتي » .

(٧) المزرعة : القطعة من اللحم ونحوه .

(٨) الشعر والشعراء : « وإنه لأحوج إليه منا » .

(٩) الخبر في الشعر والشعراء : ١ : ١٩٥ - ١٩٧ ، وفي الأغاني ١٦ : ١٠٤ - ١٠٥ .

(١٠) (سأسي) ؛ وزاد في الشعر والشعراء : « فعدلته على ذلك ، فأنشأ حاتم يقول :

مهلاً نَوَارُ أَقْلِي اللّؤْم والعذلا ولا تقولن لشيء فات : ما فعلا !

ولا تقولن لمال كنت مهلكه مهلاً، وإن كنت أعطى الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبلاً

لا تغد لي في مال وضلت به رحماً، وخير سبيل المال ما وصلنا

(١٠ - ١٠) رواية الأغاني ١٦ : ١٠٣ : فجعل نساء غزاة يدارثن بيرا ليفصدنه =

يجمع الدم فيشوى ويؤكل - فقام حاتم إلى الناقة فمقرها ، فلطمته المرأة ، فقال :
لو غير ذات سوار لطمتي ! فذهبت مثلاً . ثم قال له النسوة : إنما قلنا لك :
افصدها ، قال : هذا فزدي أنه ، يعني فصدي أنا ، وهي لفة طي .

وحكى المدائني ، قال : أقبل ركب من بني أسد ، ومن قيس ؛ يريدون
النعمان ، فلقوا حاتمًا ، فقالوا : تركنا قومنا يُننون عليك خيراً ، وقد أرسلوا
إليك رسالةً ، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعراً لعييد ولبشر يمدحانه ^(١) ،
فلما أنشدوه ، قالوا : إنا نستحي أن نسألك شيئاً ، وإن لنا حاجة ! قال : وما هي ؟
قالوا : صاحب لنا قد رجل - يعني فقد راحلته - فقال حاتم : خذوا فرسي
هذه فاحملوه عليها ، فأخذوها ، وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت ^(٢) يتبع أمه ؛
واتبعته الجارية ، فصاح حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم . فذهبوا بالفرس
والفلو والجارية ^(٣) .

ولحاتم أخبار كثيرة ، وشهرته مغنية ^(٤) . وكانت أمه عنبه ^(٥) بنت عفيف
موسرة ، لا تمسك ^(٦) شيئاً ، وكان إخوتها يمنعونها ما لها فتأبى ، فحجروا عليها سنة

= فضعف عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفصده أنت إن أطلقنا يدك ؟ قال : نعم ، فأطلقن إحدى يديه ؛
فوجأ لبته ، فاستدعيه . ثم إن البعير عضد - أي لوى عنقه ، أي خر - فقلن : ما صنعت ؟ قال :
« هكذا فصدي » ، فجرت مثلاً ، قال : فلطمته إحداهن ، فقال : ما أتيت نساء عذرة بكرام
ولا ذوات أحلام . وإن امرأة منهن يقال لها عاجزة أعجبت به ، فأطلقت به ، ولم ينقموا عليه
ما فعل ، فقال حاتم يذكر البعير الذي قصده :

كذلك فصدي إن سألت مطيبي دم الجوف إذ كلَّ الفصاد وخيم
(١) كذا في ت ، وهو يوافق ما في الأغاني ؛ وعبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم
أسديان ، وفي ط : « شعرا للناقة فيه » ، والناقة ليس من بني أسد .

(٢) ت : « فاقطب » .

(٣) الخبر في الأغاني ١٦ : ١٠٤ ، وبسده هناك : « وإنهم وردوا على أبي حاتم ، فعرف
الفرس والفلو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بعلام كريم ، فسألناه فأعطى الجسيم » .

(٤) كذا في ت ، وفي ط : « شهرة زائدة » .

(٥) وكذا في الشعر والشعراء ، وفي الأغاني : « غنية » .

(٦) الأغاني : « لا تلبق شيئاً » ، أي لا تمسك .

يطعمونها قوتها ؛ لعلها تكف عما تصنع ، ثم مكثوا من صرمة^(١) من إبلها ، وقالوا : استمتعي بها ، فأتتها امرأة من هوازان فسألتها ، فقالت : دُونَكَ الصَّرْمَةُ ، فقد والله ذقتُ من الفقر ما آليتُ ألا أُمْنَعُ سائِلاً شيئاً^(٢) .

* * *

وحاتم من فحول الشعراء ، ومن محاسن شعره قوله — رحمه الله إن شاء بكرمه :

أَعَاذُلُ إِنْ الْمَالَ غَيْرَ مُخْلَدٍ وَإِنْ الْفَنَى عَارِيَّةٌ فَتَزُودُ
وَكَمْ مِنْ جَوَادٍ يَفْسُدُ الْيَوْمَ جُودَهُ وَسَاوِسُ قَدْ ذَكَرْنَهُ الْفَقْرُ فِي غَدِ
وَكَمْ لِيَمِّ آبَائِي فَمَا كَفَّ جُودَهُمْ مَلَامٌ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ خَلَقَتْ يَدِي
وقوله يخاطب امرأته :

أُمَاوِيَّ إِنْ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(٣)
أُمَاوِيَّ مَا يَغْنَى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
أُمَاوِيَّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بَقَرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ
تَرَى أَنَّ مَا أَهْلَكَتُ لِي بِكَ ضَرَرِي وَأَنَّ يَدِي مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صِفْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
وَإِنَّ لَا أَلُوْ بِمَالِي صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ

(١) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين

(٢) الأغاني ١٦ : ٩٣ ، وبعده هناك : ثم أنشأت تقول :

لَعَمْرِي لِقَدَمًا عَصْنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَأَلَيْتُ إِلَّا أُمْنَعُ الدَّهْرَ جَائِعًا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمَى الْيَوْمَ أَغْنِي فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا
فَمَاذَا عَسَا كَمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَخْتِكُمْ سَوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَانِعَا
وَمَا إِنْ تَرَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا طِبَانِعًا فَكَيْفَ بَتَرَكِي يَا بِنَ أُمَّ الطَّبَانِعَا !

(٣) ديوانه ١١٨ .

غَنِيًّا زَمَانًا بِالتَّصْلُكِ وَالْفَنَى
فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
وَقَوْلُهُ يَصِفُ طَارِقًا :

عَرَا آيَسًا شَبَهَ الْجُنُونِ وَمَا بِهِ
فَأَثْقَبْتُ نَارِي ثُمَّ أَبْرَزْتُ ضَوْءَهَا
وَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَقَتَّ إِلَى الْبُزْلِ الْمِجَانِ أَعْدَهَا
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالَ طَيْئٍ
وَلَوْنِي لِمَرْجٍ لِلْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَى
فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي أَيْ فَارِسٍ
فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي بِي صَحَابَتِي^(١)
رَأَيْتُنِي كَأَشْلَاءَ الْجُحَامِ وَلَنْ تَرَنِي^(٢)
أَخَوَا الْحَرْبِ إِنْ عَصَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَعَادِلَتَيْنِ هَبَّتَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
تَلُومَانِ مُتَلَفًا مَقِيدًا مَلُومًا^(٣)

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٢) الديوان :

* إِذَا بَادَرَ الْقَوْمُ الْكَئِيفَ الْمَتْبِرَا *

(٣) الديوان : « وَاسْأَلِي بِي صَحْبِي » .

(٤) الديوان : « وَلَوْنِي كَأَشْلَاءَ الْجُحَامِ » .

(٥) ديوانه ١٠٨ .

لَمَّا اللَّهُ صُغُلُوكَا مِنْهُ وَهَمُّهُ مِنْ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
وَلِلَّهِ صُغُلُوكَ يَسْأَوِرُ هَمُّهُ وَيَمِضُ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالْهَوْلِ مُقَدِّمًا
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا مَكَارِمَ أَعْرَضَتْ تَبَيَّنَ كِبْرَاهُنَ ثَمَّتْ صَمَمًا

* * *

٣٦ - وَزَيْدُ بْنُ مُهَلِّيلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخِذَيْكَ .

[زيد الخليل]

هو زيد بن مهليل بن زيد الطائى ، فارس مظهر بعيد الصيت ، أدرك الإسلام وأسلم ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيد الخير » .
وهو شاعر مقلق ، معدود من الشعراء والفرسان ، وإنمّا سُمّي زيد الخليل لكثرة خيله ؛ فإنه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين ، وكانت له خيل كثيرة ، منها البسطة المعروفة التى ذكرها فى شعره ، مثل : الهطال ، وكامل ودول ، ولاحق ^(١) .

وكان زيد الخليل عظيم الخِلَقة طويلا جداً ، ويسمى مقبل الظعن ، لأنه كان

(١) وذكر منها أبو الفرج الأصفهاني أيضاً : السكيت والورد ، قال : وفى الهطال يقول :

أَقْرَبَ مَرْبُطِ الْهَطَالِ إِنِّي أَرَى حَرْبًا سَتَلْقَحُ عَنْ حِيَالِ
وفى الورد يقول :

أَبْتُ عَادَةً لِلْوَرْدِ أَنْ يَكْرَهَ الْقَنَا وَحَاجَةَ نَفْسِي فِي نُمَيْرٍ وَعَامِرٍ
وفى دول يقول :

فَأَقْسَمُ لَا يَفَارِقُنِي دَوْلُ أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضَّرَابُ

قال : « هذا ما حضرني من تسمية خيله فى شعره » ، وقد ذكرها الأغاني فى ١٦ : ٤٦ (سامى) .

يقبل المرأة من الأرض وهي في الهودج ، وكذلك أبو زيد الطائي ، وابن جِذَل الطَّعَّان ، كما ذكره الرواة .

وحكى أبو عمرو الشيباني ، قال : وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه زَرِّ بن سدوس وغيره ^(١) من طيِّ ، فأنأخوا ركابهم بباب المسجد ، ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبُ الناس ، فلما رآهم قال : « إني خيرٌ لكم من العُزَّى ، ومما حازت مناغ ، ومن كلِّ ضارٍّ غير نفاع ، ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله » ، فقام زيد الخيل — وكان من أتم الرجال ، يركب الفرس ورجلاه تخطُّ في الأرض كأنه على حمار — فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فقال : ومن أنت ؟ قال : زيد الخيل بن المهلهل ، قال : « بل أنت زيد الخير » ، ثم قال : « الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ، ورقق قلبك على الإسلام . يا زيد ، ما وصف لي رجل فرأيتَه إلا كان دون ما وصف إلا أنت ، فإنك فوق ما قيل فيك » . وفي رواية أخرى : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الأناة والحلم » . فلما ولي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أي رجل إن سلم من آطام المدينة ! » فأخذته الحمى [فأشدد يقول : أنختُ بآطام المدينة أربعاً وخمساً يعني فوقها الليل طائرُ شدتُ عليها رَحَلَهَا وشليلها من الدرس والشعراء والبطن ضامرُ] ^(٢) فكث سبعا ، ثم اشتدَّت به الحمى فخرج وقال لأصحابه : جنبوني بلاد قيس ، فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أقاتل مسلما حتى ألقى الله عزَّ وجلَّ . فنزل بماء الجرِّم ^(٣) يقال له : فردَّة ، واشتدَّت به الحمى ، فقال :

(١) في الأغاني « زر بن سدوس النبهاني وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي ومالك بن جبير المعنى ، وقعين بن خليل الطريفي ، في عدة من طي » .

(٢) زيادة من الأغاني . والشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل على جزع البعير من وراء الرجل ، والدرس : البالي ، والشعراء : ما فيه شعر .

(٣) الأغاني : « بماء الحمى من طي » .

أُمْرِيحِلْ صَحْبِي الْمَشَارِقَ غُدُوَّةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتِ بَفْرَدَةٍ مُنْجِدٍ! ^(١)
 فَلَيْتَ اللَّوَاتِي عُدْنَ لِي لَمْ يَعُدْنَ لِي وَلَيْتَ اللَّوَاتِي غَنَيْنَ عَنِّي عُودِي ^(٢)
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبنى نبهان كتاباً بفدك ،
 فمكث زيد الخليل بفردة سبعا ثم مات ، فأقام عليه قبيصة بن الأسود
 «التياحة سبعا» ، ثم بعث راحلته ورحله ، وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم . فلما نظرت امرأته - وكانت على الشرك - إلى الراحلة وليس عليها زيد ،
 ضربتها بالنار ^(٣) ، فاحترق الكتاب فيما احترق ، فلما بلغ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحترق الكتاب قال : «ويل ^(٤) لبنى نبهان !» ^(٥)
 وحكى الشيباني عن شيخ من بني عامر ، قال : أصابتنا سنة ^(٦) ذهبت
 بالأموال ، فخرج رجل من القوم بعياله حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا
 قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع إليكم ؛ وآلى أليّة لا يرجع
 حتى يكسبهم خيرا [أو يموت] ^(٨) . فتزود زاداً ، [ثم مشى يوما إلى الليل ،

(١) بعده في الأغاني :

سقى الله ما بين القفيل قطاية فما دون أرمام فما فوق منشد
 - القفيل وطابة وأرمام ومنشد أما كن -

هنالك لو أتى مريض لعاذني عوائد من لم يشف منهم يجهد
 (٢) الخبر في الأغاني ١٦ : ٤٧ . وانظر الأبيات أيضا في معجم البلدان ٤ : ٣٥٧ .

(٣) في الأغاني : « وقالت :

ألا إنما زيد لكل عظمة إذا أقبلت أوب الجراد رعاها
 لقاهم فما طاشت يدها بضرهم ولا طعنهم حتى تولّى سجالها

(٤) الأغاني : « بؤساً » .

(٥) الخبر في الأغاني ١٦ : ٤٨ .

(٦) الأغاني : « من بنى نبهان » .

(٧) الأغاني : « أصابت بنى نبهان » .

(٨) من الأغاني -

فإذا هو بمهر مقيد؛ يدٍ ورجل حول خباء، فقال: هذا أول الغنيمة، فذهب يحلّه
 ويركبه فنودي: خلّ عنه واغمّ نفسك، فتركه ومضى [١]؛ ثم مشى سبعة أيام
 حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس؛ فإذا خباء عظيم، وفيه قبة من آدم.
 قال: قفلت في نفسي: ما لهذا الخباء بُدّ من أهل، وما لهذا العطن بُدّ من إبل [٢]!
 فنظرت في الخباء، فإذا شيخٌ قد اختلفت ترَقُوتاه كأنه نسر، جلست خلفه مختفياً،
 فلما وجبت الشمس، إذا بفارسٍ قد أقبل لم أرقطُ فارساً أعظم منه ولا أجسم،
 على فرسٍ مُشْرِفٍ، ومعه عبدان [٣] يمشيان جنبه؛ وإذا مائة من الإبل مع
 فلها، فبرك الفحل وركن معه وحوله، [ونزل الفارس] [١] فقال: لأحد عبدي:
 احلب فلانة، ثم امسّق الشيخ. فحلب في عُسٍّ حتى ملأه، ثم وضعه بين يدي
 الشيخ وتنحّى، فكرع الشيخ منه مرّة أو مرتين ثم نزع، فثرت إليه مختفياً
 فشربته، فرجع العبد، فقال: يا مولاي، قد أتى على آخر العُسِّ. ففرح وقال
 له: احلب فلانة، فحلبها، ثم وضع العُسِّ بين يدي الشيخ فكرع منه [كرعة] [١]
 واحدة، ثم نزع. فثرت إليه فشربت نصفه، وكرهت أن آتى على آخره؛
 [فأثّم] [١]؛ فجاء العبد فأخذه [وقال لمولاه: قد شرب وروى، فقال: دعه] [١].
 ثم أمر مولاه بشاة فذبحها، وشوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت
 حتى إذا ناموا وسمعتُ الفطيط تُرُت إلى الفحل، فخلت عقاله [وركبته] [١]
 فاندفع، وتبعته الإبل، فشيت ليلتي حتى الصّباح، [فلما علا النهار إذا أنا بفارس.
 قد أقبل]، وإذا هو صاحبي، فعقلت الفحل، وثلتُ كنانتي، ووقفت بينها

(١) من الأغاني

(٢) الأغاني: «رب».

(٣) الأغاني: «أسودان».

(٤-٤) الأغاني: «فلما أصبحت نظرت فلم أر أحداً، فسللتها إذا شلا عنيفا حتى تعالى

النهار بهم التفت التفانة فإذا أنا بشيء كأنه طائر؛ فا زال يدنو حتى قبيته؛ فإذا هو فارس
 على فرس».

وبين الإبل ، فوقف بعيداً وقال [لى]^(١) : أحلل عقاله^(٢) ، فقلت : كلا ؛ لقد
 بركت نُسَيَاتٍ بالحِيرة ، وآليت ألا أرجع إليهنّ حتى أفيدهنّ خيراً أو أموت .
 قال : فإنّك ميت ، حلّ عقاله لا أبالك^(٣) ! فقلت : هو ما أقول لك ، قال :
 إنّك لمغرور ، ثم قال : انصب لى خطامه - وفيه ثلاث عُجَر^(٤) - ففعلت ، فقال :
 أين تحبّ^(٥) أن أضع سهي ؟ فقلت : فى هذا الموضع ، فكأنما وضعه بيده ،
 ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلي ووقفت مستسلماً^(٦) . فدنا منى ، فأخذ السيّف
 والقوس ، ثم قل : اركب^(٧) ، وعرف أنى الذى شربت اللبن عنده ، فقال :
 كيف ظنّك بى ؟ قلت : أسوأ^(٨) الظنّ ، قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من
 تعبٍ ليلتك ؛ وقد أظفرك الله بى ، فقال : أتوانى كنت أهيجك وقدبت تنادم
 مهلهلا ! قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، فقلت : كن خير آخذ ، قال :
 لا بأس عليك ، ومضى بى إلى موضعه [الذى كان فيه]^(٩) ، ثم قال : أما لو كانت
 هذه الإبل لى لسلّمها لك ؛ ولكنها لابنة مهلهل . فأقم على . فأتى على شرف
 غارة ، فأقت أياما ، ثم أغار على بنى نُمير^(١٠) بالملح ، فأصاب إبلا فأعطانيها^(١١) .

(١) من الأغاني .

(٢) الأغاني : « أحلل عقال الفحل » .

(٣) الأغاني : « لا أم لك » .

(٤) العجر : جمع عجرة ؛ وهى العقدة .

(٥) الأغاني : « تريد » .

(٦ - ٦) الأغاني : « ثم أقبل يرمى حتى أصاب الحسين بخمسة أسهم ، فرددت نبلي » .

وحطّطت قوسى ، ووقفت مستسلما » .

(٧) الأغاني : « ارتدّف خلنى » .

(٨) ط : « أحسن » .

(٩) من الأغاني .

(١٠ - ١٠) الأغاني : « فأصاب مائة بعير ؛ فقال : هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت :

هذه ، قال : دونكها » .

وبعث معي خفراء^(١) من ماء إلى ماء حتى وردت الحيرة^(٢).

وحكى الأصمعي ، قال : أسرَ زيد الخليل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير
في حرب ، فأما كعب ففداه قومه ، وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة ، فقال زيد :
أقول لعبدي جروا إذ أسرته أئبني ولا يغررك أنك شاعر^(٣)
فقال الحطيئة :

إن لا يكن مالي بآتي فإنني سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل
فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا غداة التقينا في المضيق بأخيل
تفادي حمة الخليل من وقع رحمة تفادي ضعاف الطير من وقع أجدل
فرضي عنه زيد ، ومن عليه . فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم شاكرا
لزيد ذا كرا لنعمته . فلما أسرت طيئ بني بدر ، طلبت فزارة إلى شعراء العرب
أن يهجوا بني لأم وزيدا ، فتحامتهم الشعراء ، فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم
فقالوا : نجعل لك مائة من الإبل ، فقال : لو جعلتموها ألفا ما فعلت ، ثم قال :

(١) ط : « خفيرا » ، وما أثبتته من ت ، دوالأغاني .

(٢) الخبر في الأغاني ١٦ : ٤٩ ، ٥٠ ، وفي آخره هنال : « فلقيني بطنى » ، فقال لى :
يا أعرابي ، أسرك أن لك يابلك بستانا من هذه البساتين ؟ فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا
قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ؛ حتى إن أحدهم ليلتاع
البستان من هذه البساتين بثمر بعير . قال : فاحتملت بأهل حتى انتهيت إلى موضع الشيطان ؛
فبينما نحن في الشيطان على ماء لنا - وقد كان الحوفزان شريك أغار على بني نعيم - فجاءنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلنا ؛ وما مضت أيام حتى اشتريت بثمر بعير من ليلى
بستانا بالحيرة .

(٣) من أبيات في الأغاني ، منها :

أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات واللهم والمائر
وقومي رهوس الناس والرأس قائد إذا الحرب شبتها الأكف المساعر
فلست إذا ما الموت حوذو ورده وأترع حوضاه وجمح ناظر

كَيْفَ الهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةٌ
وَمِنْ شِعْرِ زَيْدِ الْخَيْلِ قَوْلُهُ (٢) :

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا عَدَا
أَبُو مَكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَائِرِ !
بَجِيشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ
تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ
أَبَتْ عَادَةٌ لِلْوَرْدِ أَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا
وَحَاجَةٌ رَمَحِي فِي نُفَيْرٍ وَعَامِرٍ (٣)
وَقَوْلُهُ : - وَقَدْ غَزَا غَزْوَةً فَظَلَعَ (٤) فَرَسٌ مِنْ خَيْلِهِ ، فَلَمْ يَتَّبِعِ الْخَيْلَ ، فَأَخَذَهُ .

بَنُو الصَّيْدَاءِ :

يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوْا فَرَسِي
إِنَّمَا يُضْنِعُ هَذَا بِالذَّلِيلِ (٥)
لَا تَذِيلُوهُ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ
يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ لِمَهْرِي بِالْمُذِيلِ (٦)
عَوَّدُوهُ بِالَّذِي عَوَّدْتُهُ (٧)
دَلَجَ اللَّيْلَ وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَسَامِي
تَخُبُّ تَرَابَعًا خَبَبَ الذَّنَابِ
ضَرَبْنَا بِغَمْرَةٍ نَفْرَحُنَ مِنْهَا
خُرُوجَ الْوَدْقِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ
وَقَدْ عَلِمَتْ بَنُو عَبْسٍ وَبَدَرُ
وَمَرَّةً أَنِّي شَقَبْتُ عَقَابِي

* * *

(١) فِي الْأَصُولِ : « تَأْتِي » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْأَغَانِي ، وَبَعْدَهُ :
الْمُنْعَمِينَ أَقَامَ الْعَزَّ وَسَطَهُمْ بِيضُ الْوَجْهِ فِي الْهَيْجَاءِ مَطَاعِينًا
وَالْحَرْفُ فِي ١٦ : ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) الْأَغَانِي ١٦ : ٥٠ ، قَالَ : « قَالَ فِي يَوْمٍ مَحْجَرٍ » .

(٣) لَمْ يَجِي فِي رِوَايَةِ الْأَغَانِي ، وَجَاءَ مَوْضِعُهُ :

وَجَمْعٌ كَيْثَلِ اللَّيْلِ مَرْتَجِزِ الْوَعْيِ كَثِيرِ حَوَاشِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ

(٤) ظَلَعَ : غَمَزَ فِي مَشْيِهِ .

(٥) الْأَغَانِي ١٦ : ٤٧ ، وَرِوَايَتُهُ : « لَمَّا يَفْعَلُ هَذَا » .

(٦) أَذَالَ فَرَسَهُ : لَمْ يَحْسَنْ الْقِيَامَ عَلَيْهِ فَهَزَلَ .

(٧) الْأَغَانِي : « كَالَّذِي عَوَّدْتُهُ » .

٣٧ - والسُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ إِنَّمَا عَدَا عَلَى رَجُلَيْكَ .

[السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ]

هو السُّلَيْكُ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبَ ، أَحَدُ بَنِي مُقَاعَسَ ، وَأُمُّهُ السُّلَكَةُ . جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ ، وَهُوَ أَحَدُ صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَلِصُوصِهِمُ الْعَدَائِينَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يُلْحَقُونَ وَلَا تَتَعَلَقُ بِهِمُ الْخَلِيلُ .

حَكَى الْمُتَجَمِّعُ بْنُ بَنِيَّانَ ^(١) ، قَالَ : كَانَ السُّلَيْكُ السَّعْدِيُّ إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ اسْتَوْدَعَ بَيْضَ النَّعَامِ مَاءَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ دَفَنَهُ ، فَإِذَا كَانَ الصَّيْفُ وَانْقَطَعَتْ إِغَارَةُ الْخَلِيلِ أَغَارَ . وَكَانَ أَدَلَّ مِنْ قَطَاةٍ ، فَيَجِيءُ حَتَّى يَقِفَ عَلَى الْبَيْضَةِ ؛ وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ عَلَى مُضَرٍّ ؛ بَلْ عَلَى الْيَمَنِ ، فَإِذَا لَمْ يُفِدْ ^(٢) أَغَارَ عَلَى رَيْبَعَةٍ ^(٣) .

وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَهَيَّيْ مَا شِئْتَ لِمَنْ شِئْتَ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ كُنْتُ ضَعِيفًا لَكُنْتُ عَبْدًا ، وَلَوْ كُنْتُ امْرَأَةً كُنْتُ أُمَةً . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَلِيَةِ ، فَأَمَّا الْهِيَّةُ فَلَا هِيَّةَ .

فَذَكُرُوا أَنَّهُ أَمْلَقُ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ ، فَخَرَجَ عَلَى رَجُلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يُصِيبَ غِرَّةً مِنْ بَعْضٍ مِنْ يَمْرِؤَ بِهِ ، فَيَذْهَبُ بِإِبِلِهِ ؛ حَتَّى أَمْسَى فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ الْمُقْمِرَةِ ، فَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ ^(٤) ثُمَّ نَامَ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ جَمَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَعَدَ عَلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَأْسِرْ ؛ فَرَفَعَ السُّلَيْكُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ ، وَأَنْتَ مُقْمِرٌ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ^(٥) . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَلْهَزُهُ ^(٦) ، وَيَقُولُ : يَا خَبِيثَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « ابْنُ شُهَاب » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) الْأَغَانِي : « لَمْ يَمُكِّنْهُ » .

(٣) الْأَغَانِي ١٨ : ١٣٣ ، ١٣٤ (سَاسِي) .

(٤) قَالَ فِي الْأَغَانِي : « وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ أَنْ يَرُدَّ فَضْلُ نَوْبِهِ عَلَى عِضْدَةِ الْيَمَنِ ثُمَّ نَامَ عَلَيْهَا » .

(٥) يَلْهَزُهُ : يَدْفَعُهُ وَيَلْكَرُهُ .

(٦) الْيَدَانِ ١ : ٢٨٤ .

استأسِر، فلما آذاه أخرج السُّليكَ يده، وضمَّ الرجل ضَمَّةً ضرَّطَ منها وهو فوقه .
 فقال السُّليكَ : أضِرِّطَا وَأَنْتِ الْأَعْلَى ! فذهبت مثلاً^(١) ، ثم قال السُّليكَ : من
 أَنْتِ ؟ قال : رجل افقرت فقلت : لأخرجنَّ فلا أعود إلى أهلي حتى استغنى
 [فَاتِيهِمْ وَأَنَا غَنِيٌّ]^(٢) ، قال : فانطلق معي ؛ فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل
 قصتهما ، فاصطحبوا جميعا حتى أتوا الجوف^(٣) ، وهو جوف مراد ، فلما أشرَفوا
 عليه إذ فيه نَعَمٌ كثير [قد ملاً كُلَّ شَيْءٍ مِنْ كَثْرَتِهِ]^(٤) فهابوا أن يغزوا^(٥)
 فيطردوا بعضها فيأحقهم الطُّلب ، فقال لهم السُّليكَ : كونوا قريباً حتى أتى
 الرِّعَاءُ ؛ فأعلم لكما عِلْمَ الحَيِّ ، أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ ؟ فَإِنْ كَانُوا قَرِيباً رَجَعْتَ إِلَيْكُمْ ،
 وَإِنْ كَانُوا بَعِيداً قُلْتُ لَكُمْ قَوْلًا أَوْحِي إِلَيْكُمَا بِهِ . فانطلق حتى أتى الرِّعَاءَ ، فلم
 يزل يستنطقهم^(٦) حتى أخبروه بمكان الحَيِّ ؛ فإذا هو بعيد ، إن طُلبوا لم يدركوا .
 فقال السُّليكَ للرِّعَاءَ : أَلَا أَغْنَيْكُمْ ؟ قالوا : بَلَى ، فرفع صوته وغنى :
 يَا صَاحِبِيَّ أَلَا لَاحِيٌ بِالْوَادِي إِلَّا عَبِيداً قِيَامًا بَيْنَ أَذْوَادٍ^(٧)
 هَلْ تَنْظُرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَغْدُونِ فَإِنَّ الرَّابِحَ الْغَادِي^(٨) !
 فلما سمعا ذلك ، أتيا السُّليكَ فأطردوا الإبل ، فذهبوا باكراً بأكثرها ،
 ولم يبلغ الصريح الحَيَّ حتى فاتوهم^(٩) .

(١) اليداني ١ : ٢٨٤

(٢) من الأغاني .

(٣) ذكره ياقوت ، وقال : وله ذكر في تفسير قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ .

(٤) الأغاني : ﴿ أَنْ يَغِيرُوا ﴾ .

(٥) الأغاني : ﴿ يَنْسَقُطُهُمْ ﴾ .

(٦) الأغاني :

* سوى عبيد وآيم بين أذواد *

والآم : جمع أمة إلى العشر ؛ فإذا كن أكثر قيل إماء .

(٧) الأغاني : ﴿ فَإِنَّ الرِّيحَ الْغَادِي ﴾ ، والريح : الغلبة والقوة .

(٨) الأغاني ١٨ : ١٣٣ ، ١٣٤ .

وحكى أبو عبيدة^(١)، قال : بلغني أن الشليّك رأى طلائع لبكر بن وائل -
وكانوا منحدرين ليغيروا^(٢) على بني تميم ولا تعلم بهم - فقالوا : إن علم الشليّك
أنذر بنا قومه ، فبعثوا له فارسين على جوادين ، فلما هاجاه خرج يمحّص^(٣)
كأنه ظبي ، وطاردها سحابة يومهما^(٤) ، ثم قال : إذا كان الليل أعيانهم سقط
أو قصر عن العدو فنأخذهم ، فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة ،
فترأ^(٥) عنها ، وندرت^(٦) قوسه فأنحطمت ، فوجدنا قيّدة^(٧) منها قد
ارتزت^(٨) بالأرض ، فقالا : ماله^(٩) ، أخزاه الله ! [ما أشده !]^(١٠) ، وهما
بالرجوع ثم قال : لعلّ هذا كان من أول الليل ، ثم فترفتبعاه ؛ فإذا أثره
متفاجأ^(١١) قد بال فرعاً في الأرض وخذّها ، فقالا : ياله أخزاه^(١٢) الله ! فما رأينا
أشدّ منه^(١٣) ، لا تتبعه^(١٤) أبداً ، فانصرفا . ووصل^(١٥) إلى قومه فأنذروهم ، فكذبوه
لبعد الغاية ، فأنشأ يقول :

يكدُّني العُمران : عمرو بن جُنْدَبٍ وعمرو بن سعد والمكذّبُ أكذَبُ

-
- (١) ت ، م : « قال أبو عبيدة » .
(٢) في الأصول : « ليعزوا » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني .
(٣) يمحّص : يسرع .
(٤) الأغاني : « يومه » .
(٥) كذا في ت ، والأغاني ، وفي ط ، م ، د : « فترأ » .
(٦) ندرت : سقطت .
(٧) القيّدة : القطعة المتكسرة .
(٨) ارتزت : أثبتت .
(٩) ط : « ياله » .
(١٠) من الأغاني .
(١١) يقال : فجع رجله وما بين رجله يفجها ؛ أي باعد ما بينهما في المشي -
(١٢) الأغاني : « فأناله الله » .
(١٣) الأغاني : « ما أشدّ منه » .
(١٤) الأغاني : « والله لا تتبعه » .
(١٥) الأغاني : « وتم إلى قومه » .

ثَكَّتُهُمَا إِنِّ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهُمَا كَرَادِيْسَ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبٌ ^(١)
وَجَاءَ الْجَيْشُ فَأَغَارُوا [عَلَى جَمْعِهِمْ] ^(٢) .

وَحَكِيَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ السَّلِيكَ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ خَثْعَمَ ، وَمَعَهُ امْرَأَةٌ فَأَخَذَهَا ،
فَقَالَ لَهُ الْخَثْعَمِيُّ : أَنَا أَفَرِدِي نَفْسِي مِنْكَ ، فَقَالَ لَهُ السَّلِيكَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَى الْآ
تَخِيْسِ بِي ، وَلَا تَطْلُعْ عَلَيَّ أَحَدًا مِنْ خَثْعَمَ ، فَخَالَفَهُ [عَلَى ذَلِكَ] ^(٣) .
وَخَلَّفَ عِنْدَهُ امْرَأَتَهُ رَهْنِيَّةً وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَنَكَحَهَا السَّلِيكَ ، وَجَعَلَ
تَقُولُ لَهُ : احْذَرِ خَثْعَمًا ، فَإِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ ، فَقَالَ :

[تَهْدِدُنِي كَيْ أَحْذَرَ الْعَامَ خَثْعَمًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي امْرُؤٌ غَيْرُ مُسْلَمٍ] ^(٤)
وَمَا خَثْعَمٌ إِلَّا لُثَامٌ أَذَلُّ إِلَى الذِّلِّ وَالْإِسْخَافِ تُنَمَّى وَتَنْتَبِئُ
وَبَلَغَ خَبْرَهُ شَبَلُ بْنُ قِلَادَةَ ^(٥) وَأَنْسُ بْنُ مَدْرِكُ الْخَثْعَمِيِّ ^(٦) ، فَخَالَفَا إِلَى
السَّلِيكَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ طَوَّقَاهُ بِالْخَيْلِ ^(٧) ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
مَنْ مَبْلَغُ قَوْمِي أَنِّي مَقْتُولٌ ^(٨) يَا رَبِّ قَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مَجْدُولُ
وَرَبِّ زَوْجٍ قَدْ نَكَحْتُ عُطْبُولُ وَرَبِّ عَانٍ قَدْ فَكَّكْتُ مَكْبُولُ
ثُمَّ عَطَفَا عَلَيْهِ [وَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ لِلْعَدُوِّ] ^(٩) ، فَقَتَلَاهُ ^(١٠) .

(١) ت : « إِلَى الْحَرْبِ » .

(٢) من الأغاني ؛ والخبر فيه في ١٨ : ١٣٦ (سأسي) .

(٣) من الأغاني والحامسة ٢ : ٣٨٢ .

(٤) الإسخاف : رقة الحال .

(٥) ط « الخثعميان » .

(٦) ت : « طوقاه في الجبل » ، الأغاني : « في الخيل » .

(٧) بعده في الأغاني :

* يَا رَبِّ نَهَبٍ قَدْ هَوَيْتُ عُشْكَوْلُ *

(٨) من ط .

(٩) الخبر في الأغاني ٢٠ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ (طابع بيروت) ؛ وهو مما لم يرد في طبعة

السامي .

(٩ - شرح العيون)

ومن شعره وقد أغار بقوم فأنصرفوا عنه خوفاً من العطش ، وبقي معه رجل
يسمى صُرْد فبكى ، فقال السُّليكَ :

بَكَى صُرْدٌ لَمَّا رَأَى الْحَىَّ أَعْرَضْتُ مَهَامَهُ رَمِلٌ دُونَهُ وَسُحُوبٌ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا قَضِيَّةٌ مَا يُقْضَى لَنَا فَتُوبُ

سَيَكْفِيكَ صَرْبُ الْقَوْمِ لَحْمٌ مُغْرَضٌ وَمَاءٌ قَدُورٍ فِي الْقَصَاعِ مَشُوبٌ^(٢)
الصَّرْبُ: اللَّبَنُ الْحَامِضُ. وماء القدور: المرق ، كأنه يقول : ستستغنى وتأكلي
اللَّحْمَ بَعْدَ اللَّبَنِ .

وقوله :

أَلَا عَتَبْتُ عَلَى فَصَارِمَتِي وَأَعْجَبَهَا ذُووُ اللَّحْمِ الطَّوَالِ
أَشَابَ الرَّأْسَ أَنَّى كُلِّ يَوْمٍ أَرَى لِي حَالَةً وَسَطَ الرِّجَالِ
يَشُقُّ عَلَى أَنْ يَلْقَيْنِ ضِيَاءً وَيَقْصُرُ عَنْ تَخْلُصِنَ مَالِي

* * *

٣٨ — وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ إِنَّمَا لَاعَبَ الْأُسْنَةَ بِيَدَيْكَ .

[ملاعب الأُسْنَةِ]

هو عامر بن مالك بن جَعْفَر ، من بني صَعْصَعَةَ ، المعروف بملاعب الأُسْنَةِ .
ويكنى أبا بَرَاء ، وأمه أُمُ الْبَنِينَ ، أنجبُ امرأةٍ في العرب ؛ وذلك أنها ولدت من

(٢) الأغاني ١٨ : ١٣٦ ، وبعده هناك :

وَحَوْفُهُ رَيْبُ الزَّمَانِ وَفَقْرُهُ بِلَادَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ وَجُدُوبُ
وَنَائِيٍّ بَعِيدٍ عَنْ بِلَادِ مَقَاعِسٍ وَأَنَّ مَخَارِقَ الْأُمُورِ تَرِيبُ

(٢) رواية الأغاني :

سَيَكْفِيكَ فَمَدَّ الْحَىَّ لَحْمٌ مُغْرَضٌ وَمَاءٌ قَدُورٍ فِي الْجِفَانِ مَشُوبُ

مالك بن جعفر خمسة : أبا براء ، والطَّقِيلُ أبا عامر بن الطَّقِيل ، وربيعة أبا الوليد ،
وزرار ومعاوية - ويسمى مموذ الحكماء ^(١) - وقد افتخر بها ليبيد عند النعمان ، فقال :
* نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةُ *

وإنما قال : « الأربعة » لضرورة الشعر ، ونصب « بني » على المدح ^(٢) .
وأبو براء من فرسان العرب ^(٣) للشهورين وكبارهم ؛ وإنما لقب ملاعب
الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

يَلَاعِبُ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ عَامِرٌ فَرَّاحٌ لَهُ حِظُّ الْكَتَائِبِ أَجْمَعِ ^(٤)

وقيل : لقول آخر ، وقد قرع عنه أخوه في حرب :

يَفَرَّتْ وَأَسَلَتْ ابْنُ أَمِّكَ عَامِرًا يَلَاعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمَرْعِجِ ^(٥)

وقيل : لقول حستان بن نير - وقد رآه بين فرسان أحاطوا ^(٦) به يقاتلهم :

ما هذا إلا ملاعب الأسنة ^(٧) .

ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُسَلِّمْ . ويرغم ^(٨) أبو جعفر
أنه مات مسلماً ؛ وحدث خالد بن عبد الله ، قال : قدم عامر بن مالك أبو براء

(١) قيل : إنه لقب بذلك لقوله من قصيدة مفضلية :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ يَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

وانظر اللالي ١٩٠ .

(٢) من رجز له في ديوانه ٣٤٠ - ٣٤٣ .

(٣) ط : « هو رجل من فرسان العرب » .

(٤) ديوانه ٥٨ ؛ وروايته : « وصار له » .

(٥) الروض الأتق ٢ : ١٧٤ من غير نسبة .

(٦) كذا في ت ، د ، وفي ط ، م : « أطافوا » .

(٧) وفي اللسان (لعب) : سمي بذلك يوم السوبان ؛ وجهه ليبيد « ملاعب الرماح » .

لحاجته إلى القافية فقال :

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الْفَلَاحِ أَدْرَكَهُ مُلَاعِبُ الرَّمَّاحِ

(٨) ط : « وزعم » .

ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له فرسين وراحلتين «
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قبلت هدية مشرك لقبلت هديتك » ..
 وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يُبعد^(١) ، وقال : يا محمد ، إني أرى أمرك هذا
 حسناً شريفاً ، وقومى خلفي ؛ فلو أنك بعثت نقرأ من أصحابك لرجوت أن يجيئوا
 دعوتك ، ويتبعوا أمرك ، فإن هم اتبعوك^(٢) فما أعزّ أمرك ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « إني أخاف^(٣) عليهم أهل نجد » ، فقال عامر : لا تخف ، إني
 جائر لهم ؛^(٤) إن تعرض لهم أحد من أهل نجد^(٥) . فبعث معه أربعين رجلاً من
 الأنصار - وقيل سبعين - وأمر عليهم المنذر بن عمرو ، فلما نزلوا بماء من مياه
 بني سليم يقال له بئر معونة^(٦) ، عسكروا وسرحوا ظهورهم ، وبعثوا مع سرحهم
 الحارث بن الصّمة وعمرو بن أمية ، وقدّموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، في رجال من بني عامر . فلما انتهى حرام
 لم يقرعوا الكتاب ، ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله ، واستصرخ عليهم
 بني عامر فأبوا . وقد كان عامر بن مالك خرج قبل القوم إلى ناحية نجد ،
 وأخبرهم أنه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم ، فقالوا : لن نخفر^(٧)
 جوار أبي براء ، وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل ؛ فاستصرخ قبائل
 من بني سليم فنفروا معه ، ورأسوه عليهم ، فقال ابن الطفيل : أقسم
 بالله ما أقتل هذا وحده ؛ فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم ، فقاتل القوم حتى

(١) ط : « بعد » ؛ والصواب ما أثبتته من باقي الأصول ، وهو يوافق ما في سيرة
 ابن هشام .

(٢) كذا في ط ، وفي ت : « اتبعوا » .

(٣) ابن هشام : « أخشى » .

(٤ - ٥) ابن هشام : « فابستم فليدعوا الناس إلى أمرك » .

(٥) ابن هشام : « بئر معونة ؛ ومي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ؛ كلا البلدين
 منها قريب » .

(٦) ابن خنفر : لن تنقض عهده -

قَتَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَقِيَ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو ^(١) ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنْ شِئْتَ أَمْتَاكَ ، فَقَالَ : لَنْ أَقْبَلَ لَكُمْ أَمَانًا ، حَتَّى آتَى مَقْتَلَ حَرَامٍ ؛ فَأَمْتَوْهُ حَتَّى آتَى مَصْرَعَهُ ، ثُمَّ بَرِئُوا مِنْ أَمَانِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ .

وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ الصَّعْمَةِ وَعَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ بِالسَّرْحِ ، وَقَدِ ارْتَابَا بِعُكُوفِ الطَّيْرِ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِهِمْ ، فَجَعَلَا يَقُولَانِ : قُتِلَ وَاللَّهِ أَصْحَابُنَا . ثُمَّ أَوْفِيَا عَلَى نَشْنِيزٍ مِنَ الْأَرْضِ ؛ فَإِذَا أَصْحَابُهُمَا مَقْتُولُونَ وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ ، فَقَالَ الْحَارِثُ لِعَمْرٍو : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ أَلْحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُخْبِرَهُ الْخَبِيرَ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : مَا كُنْتُ لِأَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذِرُ [بْنِ عَمْرٍو] . فَأَقْبَلَا فَلَقِيَا الْقَوْمَ ، فَقَاتَلَهُمُ الْحَارِثُ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَهُوَ فَأَسْرُوهُ ، وَأَسْرَوْا عَمْرٍو بْنَ أُمَيَّةَ . وَقَالُوا لِلْحَارِثِ : مَا تَحِبُّ أَنْ نَصْنَعَ بِكَ ؟ فَإِنَّا لَا نَحِبُّ قَتْلَكَ ، فَقَالَ : أَبْلَغُوا بِي مَصْرَعِ الْمُنْذِرِ وَبَرِئْتُ ذِمَّتِكُمْ . فَبْلَغُوا بِهِ مَصْرَعِ الرَّجُلِ ثُمَّ أَطْلَقُوهُ ، فَقَاتَلَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ اثْنَيْنِ ، فَشَرَعُوا لَهُ الرِّمَاحَ حَتَّى نَظَمُوهُ غِيهَا قَتَلًا . وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ لِعَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ وَهُوَ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ لَمْ يِقَاتِلْ : إِنَّهُ كَانَتْ عَلَى أُمَى نَسَمَةٌ ، فَأَنْتَ حَرَّعْتَهَا ؛ وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ .

فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرُ يَثْرَ مَعُونَةَ ، جَعَلَ يَقُولُ : « هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءَ ، قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارَهَا » ، وَدَعَا عَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ بَعْدَ الصَّبْحِ فِي الرُّكْمَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ صَبْحِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي جَاءَهَا فِيهَا الْخَبِيرُ ، فَلَمَّا قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ » ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُصْرَعِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ بَيْنِي ذِكْرًا وَغُصَّةً ؛ فَإِنَّهُمْ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » ؛ قَالَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ﴾ ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام : • المنذر بن محمد بن عقبة • .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨

ثم أقبل أبو براء سائرا وهو شيخ كبير ^(١) ، فأخبر بما فعل ابن الطفيل ، فشق ذلك عليه ، ولا حركة به من الضعف ، وقال : أخفرتني ابن أخي ، مرتين ؛ وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله — وقيل كان الطاعن ربيعة ولده — فتصايح الناس ، فقال ابن الطفيل : إنها لم تضرتني ، وقد وهبتها لعمي ؛ وانصرف عنه ^(٢) .

ونزل عاصم بن مالك بقومه ، فدعاهم إلى الارتحال إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب ثأر القتلى الذين كانوا في جواره ، فتأقلاوا عليه ، وقال له بعض بني أخيه : إنهم يقولون : إنه حدث لك عارض في عقلك ؛ فدعا ابن أخيه ليبدأ ، وقينة له وقال لها : غثي ؛ ثم قال : يا لييد ، لو حدث بعثك حدث ما كنت قائلا ؟ فإن قومك يزعمون أن عقله ذهب ، والموت خير من عزوب العقل ، ^(٣) فقال لييد ^(٤) :

قوما تنوحن مع الأنواح ^(٥) فأبنا مُلاعب الرماح
أبا براء مِدرَه الشِّياح ^(٦) كان غياث الرمل المِفتاح ^(٧)

من أبيات . ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول : لا خير في المِيش وقد عصفتني بنو عامر .

(١) ط ، م : « هرم » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٣ : ١٨٤ - ١٨٧ ، برواية مخالفة .

(٣) كذا في ت ، د ، م ، وفي ط : « من ذهب العقل ، وبعضهم يرونها : من عزوب العقل » .

(٤) كذا في الأصول المخطوطة ، وفي ط : « وقال : يا لييد اسمي » ؛ وهو خطأ .

(٥) من رجز في ديوانه ٣٣٧ - ٣٣٤ ، وروايته : « قوما تجوبان » ، ويجوب : يقد جيب القميص . قال شارح ديوانه : وقامت المرأة تنوح : جعلت تنوح ؛ ولكنه هامنا ضد القعود ؛ لأن أكثر نوائح العرب قيام .

(٦) مدره القوم : الذي يدافع عنهم . والشياح ، مصدر شايع ؛ وهو الجد والحذر أو القتال .

(٧) الرمل : الفقير المدم - المتناج : الذي يطلب رزقا .

وبنو جعفر يزعمون أنه مات مسلماً . وكان شريف بيته ، يزعمون أنه لما
ستافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الإعانة ، فأعطاه
نعليه ، وقال : استعين بهما في مفاخرتك ، فأبى رُبَعْتُ فيهما أربعين مربعا ،
مع أنه كان كارهاً للمنافرة ، وفي ذلك يقول :

أُؤْمَرُ أَنْ أُسَبِّحَ بْنِي شُرَيْحَ وَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيْثُ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لِما لَهِ اللهُ أَنَا عَنْ الضَّيْفِ بِالْقَرَى وَالْأَمْنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبًّا
وَأَدْخَلْنَا لِلْبَيْتِ مِنْ قَبْلِ اسْتِهِ إِذَا الْقُورُ أَبَدَى مِنْ جَوَانِبِهِ رَكْبًا
الْقُورُ : الْأَكَمَ وَالْجِبَالَ الصَّغَارَ ، يَعْنِي أَنَّ الْبَخِيلَ إِذَا كَانَ جَالِسًا بَفَنَائِهِ ،
فَرَأَى رَاكِبًا قَدْ لَاحَ مِنَ الْقُورِ ، زَحَفَ بظْهَرِهِ دَاخِلًا إِلَى بَيْتِهِ فَرَارًا مِنَ الضَّيْفِ ،
كَيْلَا يَرَاهُ فَيَطْرُقَهُ .

٣٩ - وَقَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ .

[قيس بن زهير]

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، صاحب الحروب بين عبس وذبيان ،
يسبب الفرسين : داحس والغبراء ؛ كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه .

كان فارساً شاعراً ذاهيةً ، يضرب به المثل ، فيقال : أذهى من قيس . حكى
المدائني أن رجلاً من بحري الأحوص ، فلما دنا من القوم حيث يروّنه ، نزل
عن راحلته ، فأتى شجرة فعلق عليها وطباً^(١) من لبن ، ووضع في بعض أغصانها
حَنَظَلَةً ، ووضع صُرّةً من تراب وصُرّةً من شوك ، ثم أتى راحلته فاستوى

(١) الوط : سقاء اللبن خاصة .

عليها وذهب . فنظر الأحوص والقوم في أمره ، فعى به ، فقال : أرسلوا إلى قيس ابن زهير ، فجاء ، فقال له الأحوص : ألم تخبرني أنه لا يرد عليك أمرٌ إلا عرفت مأتاه ؛ ما لم تر نواصي الخيل ؟ قال : وما الخبر ؟ فأعلموه ، فقال : وَضَحَ الصَّبَحُ لَذَى عَيْنَيْنِ ؛ فصار مثلاً يضرب في وضوح الشيء . ثم قال : هذا رجل أسره جيش قاصدٌ لكم ، ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق ألا يندركم ، فعرض لكم بما فعل ؛ أما الصُّرَّة من التراب فإنه يزعم أنه قد أتاكم عدد كثير ؛ وأما الحنظلة فإنه يخبر أن حنظلة غَزَتْكُمْ ، وأما الشوك فإنه يخبر أن لهم شوكة . وأما اللبن فهو دليل على قُرب القوم أو بُعدهم إن كان حلواً أو حامضاً . فاستعدت الأحوص ، وورد الجيش كما ذكر .

وَحَكِي أَنَّ التَّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَرْسَلَ إِلَى أَبِيهِ زُهَيْرٍ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بَعْضَ بَنِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ شَاسًا ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَرَدَّهَ إِلَى أَبِيهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَجِّهَ مَعَهُ ^(١) قَوْمًا يَخْفُرُونَهُ ، فَقَالَ : لَا شَيْءَ أَمْنَعُ لِي مِنْ نَسَبِي إِلَى أَبِي . وَخَرَجَ وَحْدَهُ ، فَتَرَّ بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ بَنِي غَنِيٍّ فَأَكَلَ وَشَرَبَ ، وَنَزَلَ إِلَى الْمَاءِ يَفْتَسِلُ . وَكَانَ رَبَاحُ بْنُ الْأَشْلَلِ الْغَنَوِيُّ نَازِلًا فِي بَيْتِهِ عَلَى الْمَاءِ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَرَأَاهَا تَحْدُ النَّظَرَ إِلَى جَسَدِ شَاسٍ ، وَقَدْ شَمَّاهُ مِنْهُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ ، فَأَخَذَتْهُ غَيْظًا ، فَفَوَّقَ إِلَيْهِ سَهْمًا فَقَتَلَهُ ، وَغَيَّبَ أَثَرَهُ ، وَأَخَذَ مَامِعَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ عِيَّةٌ مَمْلُوءَةٌ مِسْكَ [وَعِطْرًا مِنْ عَطْرِ التَّعْمَانِ] ^(٢) ، وَحُلَلًا مِنْ ثِيَابِهِ . وَأَبْطَأَ خَبَرَ شَاسٍ عَنْ زُهَيْرٍ ، فَأَخْبَرَ بِمَا انْصَرَفَ بِهِ مِنْ عِنْدِ التَّعْمَانِ ، وَلَمْ يُدْرَ مَنْ قَتَلَهُ ، فَتَقَلَّقَ لَذَلِكَ ، فَقَالَ قَيْسٌ : يَا أَبَتِ أَنَا أَكْشِفُ [لَكَ] ^(٣) خَبَرَ أَخِي ، ثُمَّ دَعَا بِامْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ قَوْمِهِ - وَكَانَتْ لَسِنَةً شَدِيدَةً - فَأَمَرَهَا أَنْ تَأْخُذَ لِحْمًا سَمِينًا فَتَقْدِدَهُ . وَتَخْرُجَ بِهِ إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَغَنِيٍّ ، وَتَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَتَقُولَ : إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُ

(١) ط : و أن يتبعه .

(٢) تسكلة من ط .

ابنتي ، فأنا أبتغي لها طيباً وثياباً ؛ ففعلتُ إلى أن وقعت على امرأة الغنوي ، فقالت لها : إن كنتِ عليّ أعطينك حاجتك ، فأخبرتها^(١) بأمر شأس ، وأعطتها مسكا وثياباً ، وباعتهما ذلك بما معها من الشحم واللحم ، وخرجت العبسية حتى أتت قيساً فأخبرته . فأخبر أباه ، فركب في قوم من بني عبس ، وأغار^(٢) على غنى فقتلهم وفرقهم .

وحكى أنه في بعض حروبه لبني ذبيان - وهو يوم الشعب المشهور - صعد بالجيش والنعم إلى الجبل ، وعقل الإبل عشرة أيام لا تشرب - والماء كثير تحت الجبل - فلما همّت بنو ذبيان بالصعود إلى الجبل حلّ عقال الإبل ، وأمسك بذنب كلٍّ بعير رجل معه سلاحه ، فمّرت الإبل طالبة للماء ، لا تمرّ بشيء إلا طحنه ، والرجال في أعقابها تضرب من مّرت به ، فكانت الهزيمة على بني ذبيان .

وحكى أنه لما تطاولت الحروب [المشهورة]^(٣) بينه وبين ابني بدر : حمّل وحذيفة الذبياتيين - كما سيأتي ذكره - جمع جمعاً عظيماً ، وبلغ بني عبس^(٤) أنهم قد ساروا إليهم ، فقال قيس : أطيعوني ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتكنن على سيفي إلى أن يخرج من ظهري . قالوا : فإننا نطيعك ، فأمرهم أن يسرحوا^(٥) السّوام والضعاف بليال ، وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك . ثم ارتحلوا في الصباح ، وأصبحوا على ظهر العقبة ، وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم ، فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا ، فقال قيس : خذوا غير طريق المال ؛ فلاحاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون غير ذهاب أموالكم ؛ فأخذوا غير طريق

(١) ط : « وأخبرتها » .

(٢) ت : « فأغار » .

(٣) من ط (٤) ت : « قيس » .

(٥) ت : « فسرحوا » .

المال ، فلما أدرك حذيفة الأثر ورآه ، قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ! وسارت طُعن عبس والمقاتلة من ورائهم ، وطلب ^(١) حذيفة وبنو ذبيان المال ، فلما أدركوه ردُّوا أوله على آخره ، فلم يفلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدَّر عليه من الإبل فيذهب بها وينفرد . واشتدَّ الحرُّ ، فقال قيس : يا قوم ، إنَّ القوم قد فرَّق بينهم المغنم واشتغلوا ، فاعطفوا الخيل في آثارهم . فلم يشعر بنو ذبيان إلا بالخيل ؛ فلم يقاتلهم أحد ^(٢) ؛ وإنما كان همَّ الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي . فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيَّة ، ولم يكن لهم همٌّ غير حذيفة ، فأرسلوا الخيل تقصَّ ^(٣) أثرهم ، وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فزل عنه ، ووضع رجله على حجر مخافة أن يُقصَّ أثره ، ثم شدَّ الحزام ، فعرفوا حنْفَ فرسه والحنْف أن تقبل ^(٤) إحدى اليدين على الأخرى — وتبعوه ومضى حتى استغاث بجفَر الهباءة — وهو ماء في موضع يستقى الهباءة — وقد اشتدَّ الحرُّ ، فرمى بنفسه ومعه حمَل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال ، وقد نزعوا سلاحهم ، وطرحوا سروجهم ودوابَّهم تتمكَّك ، وجعل ربيبتهم يتطلَّع ؛ فإذا لم ير شيئاً رجع فنظر نظرة ، فقال : إني أرى شخصاً كالنعامة ، فلم يكثر ثوابه ، وبينما هم يتكلمون إذ دهمهم شدَّاد بن معاوية ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء قرواش وقيس [وآخر] ^(٥) ؛ حتى تتاموا خمسة ، فحمل بعضهم على خيلهم فطردوها ، وحمل البقيَّة على مَنْ في الجفَر ، فقال حذيفة : يا بني عبس ، فأين العقول والأحلام ! فضر به أخوه حمَل بين كتفيه ، وقال : اتَّقِ ماثور القول ؛ فذهبت مثلاً ، يعني أنك تقول قولاً تخضع فيه ،

(١) د : « تبع » .

(٢) كذا في د ؛ وفي ت ، ط : « كثير أحد » .

(٣) ت : « تقصص » .

(٤) ط : « تميل » .

(٥) تكله من ت

وتقتل ، ويُشتهر عنك ، وقتل حذيفة وحمل ومن معه ، وتمزقت بنو دُبَيَّان ،
وأُسرف قيس في النكاح والقتل^(١) ، ثم ندم على ذلك ، ورثى حمل بن بدر
بالأبيات المشهورة في الحماسة^(٢) ، وهو أول من رثى مقتوله .

ولما طالت الحرب^(٣) وملّ ، أشار على قومه بالرجوع إلى قومهم
ومصالحتهم ، فقالوا : سِرْ نَسِرْ معك ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي
ذبيانية قتلت أباه ، أو أخاه ، أو زوجها ، أو ولدها . ثم خرج على وجهه
حتى لحق بالنمر بن قاسط ، فقال : يا معشر النمر ، أنا قيس بن زهير ،
غريب حَرِيب^(٤) ، فانظروا إلى امرأة^(٥) قد أدبها الفنى ، وأذلها الفقر ؛ فزوجوه
امرأة منهم . ثم قال : إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقى : إني امرؤ غيور
نفور ، أئيف ، ولست أغفر حتى أثبلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف حتى
أظلم ؛ فرضوا بأخلاقه . فأقام فيهم زماناً ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
يا معشر النمر ، إني أرى لكم على حقاً بمصاهرتي لكم ، ومقامي بين أظهركم ،
وإني آمركم بحصال ، وأنها كم عن خصال : عليكم بالأناة فيها تدرك الحاجة ،
وتسويد من لا تعاون بتسويده ، والوفاء به تتعايشون ، وإعطاء من تريدون
إعطائه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخلط الضيف
بالإلزام . وإياكم والرهان ؛ فيه ثكلت مالكا أخى ، والبغى فإنه صرع زهيرا أبى .

(١) ط : « والقتال » .

(٢) أورد منها في الحماسة ١ : ١٩٨ :

شقيتُ النفسَ من حملِ بنِ بدرٍ وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أكَ قد بردتُ بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بنائي

(٣) ت : « ولا أطال الحروب » .

(٤) ت : « حرب » ، وأثبت ما في باقي الأصول .

(٥) ت : « نفس » .

هوَحَمَلًا ، والسَّرَفَ في الدِّماء ؛ فإن قَتَلَ أَهْلَ المَبَاءَةِ أَوْ رَثْنِي العَارَ ، وَلَا تُمَطَّوْا فِي
الْفُضُولِ فَمُعْجِزُوا عَنِ الْحَقِّ .

ثم رَحَلَ إِلَى عُمان ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَصَاحِبُ لَهُ
مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، عَلَيْهِمَا الْمُسُوحُ يَسِيحَانِ فِي الْأَرْضِ ، وَيتَقَوَّانِ مِمَّا تَنْبِتُ ، إِلَى أَنْ
دَفَعَا فِي لَيْلَةِ قَرَّةٍ إِلَى أَخِيَّةٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِمَا الْجُوعُ ، فَوَجَدَا
رَاحَةَ الْقَتَارِ^(١) ، فَسَعِيََا يَرِيدَانِهِ ، فَلَمَّا قَارَبَا أَدْرَكَتْ قَيْسًا شَهَامَةَ النَّفْسِ وَالْأَنْفَةِ ،
فَرَجَعَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : دُونَكَ وَمَا تَرِيدُ ؛ فَإِنْ لِي لَبَنًا عَلَى هَذِهِ الْأَجَارِعِ ، أَتَرْقُبُ
«دَاهِيَةَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ» . فَمَضَى صَاحِبُهُ وَرَجَعَ مِنَ الْغَدِ ، فَوَجَدَهُ قَدْ لَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ
بِأَسْفَلِ وَادٍ ، فَنَالَ مِنْ وَرْقِهَا شَيْئًا ثُمَّ مَاتَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَظِيئَةُ مِنْ أَيْيَاتِ :

إِنَّ قَيْسًا كَانَ مِيتَهُ أَنْفًا وَالْحَرُّ مُنْطَلِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَا يَغِيْبُهُ رَبُّ حَرٍّ ثَوْبُهُ خَلَقُ

وَمِنْ شَعْرِ قَيْسِ بْنِ زَهْرٍ يَرْتِي حَمَلَ بْنِ بَدْرٍ ، يَقُولُ :

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ	عَلَى جَفَرِ الْمَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ ^(٢)
وَلَوْلَا ظِلُّهُ مَازَلْتُ أَبْكِي	عَلَيْهِ الدَّهْرُ مَا بَدَتْ النُّجُومُ ^(٣)
وَلَكِنْ الْفَتَى حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ	بَغَى وَالْبَغْيُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ
أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلٌّ عَلَى قَوْمِي	وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي	فَمُعْجُزٌ عَلَى مُسْتَقِيمُ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

تَعْرِفُنَ مِنْ ذُبْيَانٍ مَنْ لَوْ لَقِيْتُهُ يَوْمَ حِفَاطِ طَارٍ فِي اللَّهَوَاتِ

(١) الْقَتَارُ : رَاحَةُ الشَّوَاءِ .

(٢) دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ ١ : ٣٩٧ .

(٣) الْحَمَاسَةُ : « مَا طَلَعَ النُّجُومُ » .

ولو أن سافى الريح يجعلكم قذًى لأعطينا ما كنتم بقداة
وقوله أيضاً :

إذا أنت أقررت الظلّامة لأمي
رماك بأخرى شعبها متفاقم
فلا تُتبدّل للأعداء إلا خُسونة
فمالك فيهم إن تمكن راحم

* * *

٤٠ - وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك .

[إياس بن معاوية]

هو إياس بن معاوية بن قرّة المزنيّ ، قاضي البصرة ، وكفّته أبو وائلة ،
صاحب الفراسة والأجوبة البديعة ، يضرب به المثل فيقال : أُرْكنُ من إياس^(١)
والزّكنُ التّرس والظنّ [بالشئ بالصائب]^(٢) ، قال الشاعر :

* زَكِنْتُ مِنْهُمْ عَلَى مِثْلِ الَّذِي زَكُنُوا *

وبعض الناس يقول : أذكى من إياس ، وهو الذي أَرادَه أبو تمام في قوله :^(٣)

* فِي حِلْمٍ أَخْفَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسِ *

حكى ابن عائشة ، قال : أوّل ما عرف من ذكاء إياس أنه دخل الشام وهو
صغير ، فقدم خصماً له شيخاً إلى قاضي عبد الملك بن مروان - وكان القاضي يعرف
الخصم - فقال لا بأس ! أما تستحي ! تقدم شيخاً كبيراً ! فقال إياس : الحقّ .

(١) هو قنّب بن أم صاحب ، مختارات ابن السجري ٩ ؛ وروايته : « زكنت من
بعضهم » ، وصدّره :

* وَلَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي وَدُحْمُ أَبَدَا *

(٢) ديوانه ٢ : ٢٤٩ ؛ وصدّره :

(٣) من ط

* إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ *

أكبر منه ، قال له : اسكت ، قال : فمن ينطق بحجتي إذا سكت ! قال :
ما أحسبك تقول حقاً حتى تقوم ! قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى
فدخل على عبد الملك فأخبره الخبر ، فقال : اقض حاجته ، واصرفه عن الشام
[ثلاثاً] ^(١) يفسد علينا الناس .

وحكى غيره ، قال : أول ما عرف من ذكاء إياس ، أنه كان صبيّاً في المكتب ،
فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين ، وقالوا : إن المسلمين يزعمون
أنه لا يكون في الجنة ثقل الطعام - يعنون الغائط - فقال إياس لمعلمه : يا معلم ،
أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب في البدن ؟ قال : نعم ، قال : فما ينكر أن
يكون الباقي يُذهبه الله في البدن ! فسكت النصارى ، وأعجب به المعلم .

وحكى أنه دخل إلى الشام مرة ثانية ، وأراد الحج ، فقال للمكاري ^(٢) : انظر
لي إنساناً غريباً ، فإني أريد أن أخرج سرّاً - يعنى غدّيله - فأكرهما ، فلبثا في
الحمل ثلاثاً لا يسأل هذا هذا عن شيء ^(٣) ، فقال إياس : يا عبد الله ، أخبرني
من أنت ؟ قال : غيلان ، فقال : غيلان القدرى ؟ قال : نعم ، فمن أنت ؟ قال :
إياس ، قال : أبو وائلة ؟ قال : نعم ، إن شئت سألتني ، وإن شئت سألتك ،
فقال له غيلان : تكلم ، قال : إن شئت أخبرتك بقول ^(٤) أهل الجنة
والنار ، والملائكة ، والشيطان والعرب والعجم ، فقال غيلان : أخبرني بها ،
قال : قال أهل الجنة حين دخلوها : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ^(٥) ، وقال أهل النار [حين دخلوها] ^(٦) : ﴿ رَبَّنَا

(١) كما في ط : وفي ت « لا » ؛ والخبر في الشريشي ١ : ١١٤ .

(٢) المكاري : من يكرى دابته .

(٣) ط : « شيئاً » .

(٤) ط : « بنجر » .

(٥) سورة الأعراف ٤٣ .

(٦) من د ، ط .

غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا»^(١) ، وقالت الملائكة : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا﴾^(٢) ،
وقال الشيطان : ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرِيَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ، وقالت
العرب شعراً :

ولا يمنعك الطير شيئاً أردته فقد خُطَّ بالأقلام ما كُنت لاقياً^(٤)
وقالت العجم :

* هَرَجِهَ بَايْدَبَانُ بُودَهَمَانَ أَرْبِيشَ^(٥) *

وكان سبب ولاية إياس القضاء ، أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ،
أرسل رجلاً من أهل الشام ، وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشني
ويؤتي القضاء أنفذهما ، فجمع بينهما ، فكان كلُّ منهما يمتنع من الولاية ، فقال
إياس للشامي : سل عني وعن القاسم فقيهي المصّر : الحسن البصري وابن سيرين ،
فعلّم القاسم أنه إن سألهما عنهما أشارا به ، فقال القاسم للشامي : لا تسأل عنه ،
فوالله الذي لا إله إلا هو ، إن إياساً لأفضلُ مني وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ ممن
يصدّق^(٦) فينبغي لك أن تصدّق قولي ، وإن كنتُ كاذباً فما يحلُّ لك أن تولّيني
القضاء وأنا كذاب ؛ فقال إياس للشامي : إنك جئت برجل فأقمته على
شفير جهنم ، فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة ، يستغفر الله عز وجلّ منها ،
وينجو من النار . فقال الشامي : أمّا إذا فطنت لها فإني أوليك^(٧) : فاستقضاه ،

(١) سورة المؤمن ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة ٣٢ .

(٣) سورة الحجر ٣٩ .

(٤) ت « في الأقلام » ، وهو خطأ .

(٥) ورد هذا المصراع محرفاً في الأصول ، وقد ضبطته بمعرفة الأستاذ نصر الله الطرازي

مفهرس الكتب الفارسية بدار الكتب ، قال : ومعناه : « كل ما قدر لنا يكون أمامنا » .

(٦) أخبار القضاة : « فإن كنت عندك صادقا » .

(٧) أخبار القضاة : « فأنت أفهم منه » .

فلم يزل على القضاء مدة ، ثم هرب .

ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى لإياس ، وقال : يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاء ثلاثة : رجلٌ مال به الهوى فهو في النار ، ورجلٌ اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجلٌ اجتهد فأصاب فهو في الجنة : فقال الحسن : إن فيما قضى ^(١) الله تعالى في النبي داود ما يردّ قول هؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ فَهَمَّ بِهَا سُلَيْمَانُ وَكَلاَّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ^(٢) ، فحمد سليمان ولم يذم داود ^(٣) .

وحكى المدائني ، قال : أودع رجلٌ آخر كيساً فيه دنانير ، وغاب مدة طويلة ، فلما طال الأمر ، فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ، ووضع عوضها دراهم ، واخيط والخاتم على حاله ؛ ثم قدّم صاحب المال فطلب ماله ، فدفع له الكيس بخاتمه ^(٤) ، فلم يقبله ، وقال : هذه دراهم ومالي دنانير . فقال : هذا كيسك وخاتمك ، فرفعه لابن هُبيرة ، فقال لإياس : انظر بينهما ؛ فقال لإياس : منذ كم أودعك ؟ قال : منذ عشرة أعوام ، فقال : فضوا الخاتم ، ففضوه ، ونثروا الدراهم ، فوجدوا فيها ضرب خمس سنين ، وست سنين ، وأقلّ وأكثر ، فقال لإياس : قد أقررت أنه عندك منذ عشر سنين ، وفي الكيس ضرب خمس سنين ! فأقرّ بالدنانير وألزم بها ^(٥) .

ونظر إياس يوماً إلى رجل لم يره قطّ ، فقال : هذا غريب واسطىّ معلم كتاب ^(٦) ، هرب له غلام ، فوجدوا الأمر كذلك ، فسئل عن ذلك ، فقال :

(١) أخبار القضاة : « إن فيما قضى الله » .

(٢) سورة الأنبياء ٧٩ .

(٣) الخبر في أخبار القضاة لوكيع ١ : ٣١٢ ، ٣١٣ ، والفرشي ١ : ١١٣ ، وابن خلكان ١ : ٣٨٢ .

(٤) ت : « بختمه » .

(٥) د : « وألزمه بها » ، ط : « وألزمه لإياها » .

(٦) ط : « صبيان » .

رأيتُه يمشى ويلتفت في الأماكن والطرق ، فعلتُ أنه غريب ، ورأيتُ^(١) على
ثوبه حُمْرة تراب واسط ، فعلتُ أنه من أهلها ، ورأيتُه يمرّ بالصبيان فيسلم عليهم
ولا يسلم على الرجال ؛ فعلتُ أنه معلم ، ورأيتُه إذا مرّ بذى هيئة لم يلتفت إليه ،
وإذا مرّ بأسود ذى أُنْمال تأمله ؛ فعلتُ أنه يطلب آبقاً .

ووجده يوماً الحكم بن أيوب عامل البلد فسبّه وقال : إنك خارجيٌّ
منافق ، فأتني بكفيل ؛ فقال : أنت أيها الأمير تكفلي ، ولا أعلم أحداً
أعرف منك بي ، فقال : وما علمي بك ، وأنا من أهل الشام ، وأنت من أهل
العراق ! فقال إياس : ففيم الشهادة منذ اليوم !

وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحدٌ غير أنس بن مالك الأنصاريّ
— وقد قارب المائة سنة من العمر — فشهد عند إياس ، فقال إياس : أشير لنا إلى
موضعه ، فجعل يُشير ولا يروّنه ؛ فتأمل إياس ؛ وإذا شعرة^(٢) بيضاء من حاجب
أنس قد انثنت وصارت على عينه ، فمسحها إياس وسوّاها ، ثم قال : يا أبا حمزة^(٣) ،
أرنا موضع الهلال ؛ فنظر فقال : ما أرى شيئاً .

وقيل لإياس يوماً : إن فيك عيوباً : دمامة الشكل ، وإعجابك بالقول^(٤) ،
وعجلة بالحكم ؛ فقال : أمّا الدمامة فليس أمرها إلّى ، وأمّا الإعجاب بالقول ؛
أفليس يعجبكم ما أقول ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أحقّ بالإعجاب بقولي ؛ وأمّا
العجلة بالحكم ، فكم هذه ؟ ومدّ أصابع يده ، فقالوا : خمس ، فقال : أعجلتم
بالجواب ولم تعدّوها إصبعاً إصبعاً ! فقالوا : كيف نعدّ ما نعلمه ! فقال : وأنا
كيف أوخر حكم ما أعلمه^(٥) !

(١) ط : « وأيضاً رأيت » .

(٢) ط : « بشعرة » .

(٣) أبو حمزة ، كنية أنس بن مالك . تهذيب التهذيب .

(٤) ط : « بما أقول » .

(٥) د : « قال : فكذلك أنا في الحكم » .

ودخل إلى واسط ، فقال : يومَ قَدِمْتُ بلدكم عرفتُ خياركم من شراركم من غير أن أكشف عنهم ، قالوا : كيف ؟ قال : معنا قوم خيار ألفوا منكم قومًا ، وقوم شرار ألفوا قومًا ؛ فعلت أن خياركم من ألفه خيارنا وكذلك شراركم .

وكان يقول : عرفت الزَّكَن من أمِّي - وكانت خُرَاسانية وأهل بيتها يزكُّون - أى يتفرسون .

ولإياس أخبار كثيرة من هذا الباب ، مجموعة في كتاب يسمى «زكن إياس» ^(١) . ومات رحمه الله سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهو ابن ستٍّ وتسعين سنة . وقال في العام الذى مات فيه : رأيتُ فى المنام كأتى وأبى على فرَسَيْن ، فخرىاً جميعاً فلم أسبقه ولم يسبقني . وكان أبوه أيضاً قد مات وهو ابن ستٍّ وتسعين سنة . والله أعلم .

* * *

٤١ - وَسَحْبَانِ إِنَّمَا تَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ

[سحبان وائل]

هو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائليّ ، وائل باهلة . خطيب مُفَصِّح يضرب به المثل فى البيان ، أدرك الجاهليّة والإسلام وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين . وحكى الأصمعيّ ، قال : كان إذا خطب يسيلُ عرقاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقّف ، ولا يقعد حتى يفرُغ .

وقدِم على معاوية وفدٌ من خُرَاسان فيهم سعيد بن عثمان ، فطلب سحبان فلم يُوجد فى منزله ، فاقتُضِب من ناحية اقتضاباً ، وأُدخِل عليه ، فقال : تكلم ،

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ، ونسبه للمدائني .

فقال : انظروا إلى عصا تقوم من أودى ، قالوا : وما تصنع بها وأنت محضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربّه وعصاه في يده ! فضحك معاوية وقال : هاتوا عصا ، فجاءوا بها إليه ، فركلها برجله ، ولم يرضها^(١) وقال : هاتوا عصاى ، فأتوا بها فأخذها ، ثم قام فتكلّم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ماتنحج ولاسل ولا توقف ، ولا ابتداء فى معنى ، فخرج منه وقد بقى عليه منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سبحانه : ألا تقطع علىّ كلامى ، فقال معاوية : الصلاة ؛ قال : هى أمامك ؛ ونحن فى صلاة وتحميد ، ووعد ووعد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، فقال سبحانه : والعجم والجنّ والإنس^(٢) .

ومما روى عنه فى بعض خطبه البليغة ؛ إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ؛ فخذوا^(٣) من دار ممرّكم لدار مقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ؛ خفيها حييتم ، ولغيرها خلّقتم ؛ إن الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم لله ؟ قدّموا بعضاً يكون لكم ، ولا تخلّفوا كُلاًّ يكون عليكم . ومن شعره يمدح طلحة الطلّحات - وهو طلحة بن عبد الله الخزاعى :
يا طلّح أكرم من بها حسباً وأعطاءهم لتالداً^(٤)
منك العطاه فاعطني وعلى مدحك فى المشاهد
فيقال : إن طلحة قال له : احتكم ، قال : فرسك الورد^(٥) ، وقصرك بكذا ، فقال طلحة : أف لك ! لو سألتنى على قدرى لأعطيتك كل قصر لى وكل فرس ؛

(١) ت : « يرض بها » .

(٢) الخبر فى الشريشى ١ : ٢٥٣ .

(٣) ط : « أيها الناس فخذوا » .

(٤) الشريشى ١ : ٢٥٣ ؛ وفيها : « أكرم من مشى » .

(٥) فرس ورد : لونه أحمر يضرب إلى صفرة .

ولكن آيت إلا بأهليتك^(١) !

٤٢ -- وَعَمَرُو بَنَ الْأَهَمِّ إِنَّمَا سَحَرَ بَيَّانِكَ .

[عمرو بن الأهم]

هو عمرو بن سنان الأهم بن سمى التميمي المنقري ، وإنما لُقِبَ سنان بالأهم ، لأنه هتَمَت نَفْسُهُ يَوْمَ الْكَلَابِ^(٢) .

وعمره من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام . وهو بليغ القول ، طلق العبارة ، وكان يُدعى المكمل لجماله .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزُّبْرَقَانُ بن بدر فأساما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما ؛ فسأل يوماً عمرًا عن الزُّبْرَقَانِ بحضوره ، فقال : مطاع في أدْنِيهِ ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزُّبْرَقَانُ : يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ؛ ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله^(٣) فإنه زمر^(٤) المروءة ، ضيق العطن^(٥) ، لئيم الخلال ، أحق الولد ، وقريب العهد بالغنى ، [فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله]^(٦) ، فقال : والله يا رسول الله ما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية ؛ ولكنني رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح^(٧) ما علمت . فقال

(١) حاشية ت : « وقال غيره في طلحة الطلحات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

(٢) يوم الكلاب الثاني لتيم على مذبح ؛ والكلاب : اسم ماء بين البصرة والكوفة .

أيام العرب في الجاهلية ١٢٤ .

(٣) جمهرة الأمثال : « والله يا رسول الله إنه لزمر المروءة » ، أي قليلها .

(٤) العطن : مناح الإبل حول الماء ؛ وهو كناية عن البخل .

(٥) من ط .

(٦) الجمهرة : « فقلت بأسوأ ما علمت » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً »^(١) .
واختلف قوم في معنى الحديث : « إن من البيان لسحراً » ؛ فقال قوم :
أريد به المدح ؛ فإن البيان الفهم ؛ وإنما سُمِّيَ سِحْرًا لحدة عمله ، وسرعة
قبول القلب له ، والتعجب منه كما يُتعجب من السحر ؛ وقد اتفق الناس
على أن تصوير الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، من أعلى
درجات البلاغة . وقال قوم : أريد به الذم ، لأن السحر تمويه ، والبيان كثرة
الكلام والنفاق ، واحتجوا بقوله عليه السلام : « الحياء والمي شعبتان من الإيمان ،
والبداء والبيان شعبتان من النفاق »^(٢) ، والأول أصح ؛ وإنما سمي البيان هنا نفاقاً
إذا كان من البداء .

وحكى العتيبي ، قال : وفد الأحنف وعمرو بن الأهم على عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ، فأراد أن يقرع بينهما في الرياسة ، فلما اجتمعت بنو تميم
قال الأحنف - وهي من سقطاته :

ثَوَى قَدَحٍ عَنْ قَوْمِهِ طُولَ مِائَتِي فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ قَوْمُوا ففأخروا^(٣)
فقال عمرو : إنا كنا نحن وأتم في دار جاهلية ، وكان الفضل فيها لمن
جهل ؛ فسفكنا دماءكم ، وسببنا نساءكم ، ونحن اليوم في دار الإسلام ، والفضل
فيها لمن حلم ، فغفر الله لنا ولك ! فغلب يومئذ عمرو على الأحنف ، ووقعت
القرعة لآل الأهم ، فقال عمرو :

وَلَمَّا دَعَتْنِي لِلرِّيَاسَةِ مَعِشْرٌ لَدَى مَجْلِسٍ أَضْحَى بِهِ النَّجْمُ بِأَدْيَا
شَدَدْتُ لَهَا أَرْزِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا لِأَمْثَالِهَا قَدَمًا أَشَدُّ لَأَرْأِي
وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ . وَكَانَ يَقُولُ : أَشْجَعُ النَّاسِ مَنْ رَدَّ جِهْلَهُ
مَحَلَّهُ .

(١) الخبر في جبهة الأمثال للمسكري ١ : ١٣ ، ١٤ .

(٢) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ٢٦٠ .

(٣) د : « ففأخروا » .

وكان يقول : أفّ للخمر ! وكان ممن حرّمها في الجاهليّة ، وقال : لو كان شيء يُشترى ما كان شيء أنفس منه - يعنى العقل - فاعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله في رأسه ، فيقوّ في جيبه ، ويسلح في ذيله .

ومن شعره - وهو في أعلى الطبقات - قوله :

وَمُسْتَفْهِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طَرُوقُ^(١)
يَعَالِجُ عَزِينًا مِنَ اللَّيْلِ بَارِدًا تَلَفُ رِيَّاحُ ثَوْبَهُ وَبُرُوقُ^(٢)
أَضْفَتُ فَلَمْ أَفْحِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقْلُ لِأَحْرِمَتِهِ : إِنَّ الْمَكَانَ مَضِيقُ
وَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَغُبُوقُ^(٣)
وَقَمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْمُوَاجِدِ فَاتَّقْتُ مَقَاحِدُ كَوْمٍ كَالْجَادِلِ رُوقُ^(٤)
بِأَدْمَاءٍ مِرْبَاعِ النَّتَاجِ كَأَنَّهَا إِذَا عَرَضَتْ دُونَ الْعِشَارِ فَنِيقُ^(٥)
قَامَ إِلَيْهَا الْجَازَانُ فَأَوْفَدَا يُطِيرَانِ عَنْهَا الْجِلْدَ وَهِيَ تَفُوقُ^(٦)
فَجَرَّ إِلَيْنَا ضَرْعُهَا وَسَنَامُهَا وَأَزْهَرُ يَحْبُوبٍ لِلْقِيَامِ عَتِيقُ^(٧)

(١) من المفضليات ٢٣ . والمستنجح : الرجل الذى يضل الطريق ليلا فينبج لتجيبه الكلاب ، وفى المفضليات : « وقد حان من نعيم الشتاء خفوق » .

(٢) العرينين : الأنف ؛ وأراد به أول الليل ، وأصل اللف للرياح خاصة ، فأتبع البروق الرياح على المجاز .

(٣) المفضليات : « فهذا صبح راهن وصديق » .

(٤) البرك : إبل الحى كلها . المواجد : النيام . والهاجد من الأضداد ؛ يقال للنائم والمستيقظ . فاتقت ؛ أى جعلت بينى وبينها الأدماء التى فى البيت الآتى . المقاحيد : الإبل المسنة ، والكوم كذلك ، جمع كوما . المجادل : القصور ، واحدها مجدل . الروق : الحيار .

(٥) الأدماء : البيضاء . مرباع النتاج التى يكون نتاجها فى أول الربيع ؛ وذلك أقوى لولدها . العشار : جمع عشماء ؛ وهى الناقة التى مضى من لقاحها عشرة أشهر . الفنيق : الفحل الذى يودع للفحلة .

(٦) أوفدا ؛ أى ارتفعا وعالوا لعظمها . تفوق : تجود بنفسها .

(٧) الأزهر : الأبيض ؛ يعنى ولدها . والعتيق : الكريم ؛ أراد أنه نحر أنفاس الإبل وهى العشاء .

وَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَللضَّيْفِ مَوْهِنًا
وَكُلَّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالْقَرَى
لِعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادَ بَاهِلَهَا
نَمْتَنِي عُرُوقَ مِنْ زُرَّارَةِ اللُّعْلَا
مَكَارِمٍ يَجْعَلُنِ الْفَتَى فِي أُرُومَةٍ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ آيَاتِ :

وَذَى لَوْثُهُ شَهَى الرُّقَادَ بَعِينَهُ
فَقُلْتُ لَهُ كَمَشْتُ ثِيَابَكَ وَارْتَحِلْ
إِذَا مَا نَجُومُ اللَّيْلِ صَارَتْ كَأَنَّهَا
شَامِيَّةٌ إِلَّا سَهَيْلًا كَأَنَّهُ
بِغَامِ رَخِيمِ الصَّوْتِ أَلُوثُ فَاتِرُ
وَالْإِلَّا تَكَاءُ ذَلِكَ الشَّرَى وَالْهَوَاجِرُ
هَجَائِنُ يَطْلَعُنِ الْقَلَاةَ صَوَادِرُ
فَنِيْقُ غَدَا عَنْ شَوْلِهِ وَهُوَ جَافِرُ
وَقَوْلُهُ - وَهُوَ أَحْسَنُ مَا لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

تَطَارَحَيْ يَوْمٌ جَدِيدٌ وَلَيْلَةٌ
إِذَا مَا سَلَخْتُ الشَّمْعَ أَهْلَتْ بَعْدَهُ
هُمَا أَبْلِيَا جِسْمِي ، وَكُلَّ فِتَى بَالِي
كَفَى قَاتِلًا سَلَخِي الشُّهُورَ وَإِهْلَالِي

* * *

- (١) موهنا: بعد وقت من الليل قريب من نصفه . والزاهق : الذى ليس بعد سمته سمين -
والوشيق : اللحم يغلى فى ملح . وقيل : المقتد الذى يحمل فى الأسفار . وفى الفضليات :
« وغبوق » ، وهو شراب العشى .
(٢) نمتنى : رفعتنى ونوهت باسمى ، وأم عمرو بن الأهمميا بنت فدى بن أعبد ،
وأما بنت علقمة بن زرارمة ، يصف كرم آبائه وأخواله .
(٣) الأرومة ، بالضم - وهى لغة تميم : أصل الشئ . واليفاع : المرتفع .

٤٣- وَأَنَّ الصُّلْحَ بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبَ تَمَّ بِرِسَالَتِكَ .

[الصلح بين بكر وتغلب]

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حَزْبُ البَسُوس كما تقدّم في ذكر جَسَّاس ومهلل ، واستمرّت أعواما كثيرة إلى أن تَفَاقَى الحَيَان ، وقتل عَظَاؤُهُمْ ، فخرج مُهلل إلى أخواله ضَجِرًا من الحرب وتَطَاوُلُ المَدَّة ، ومَالَ مَنْ بَقِيَ من القوم إلى صلح بعضهم بعضا ، وراسلهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكِنْدِيُّ ملك كِنْدَةَ - وهو جدّ امرئ القيس الشاعر - في الصلح بينهم ، والتَمَلَّك عليهم ، وقد كانوا قالوا : إِنَّ سَفَهَاءَنَا قد غلبوا على أمرنا ، وأَكَلِ القوَى الضعيفَ ؛ والرأى أن نَمَلَّك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة ، فيأخذ من القوَى ، ويردّ المظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، فلا تنقطع الحروب .

فأجابوا الحارث بن عمرو إلى ما أراد ، فقدم عليهم وتلافى بقيتهم ، وأصلح أمرهم ، وشغلهم بغزو اللخميّين من بني غَسَّان ملوك الشام . وكان الحارث ملكا جليلاً ، رَفِيعَ الهِمَّة ، ويسمى آكل المرار ؛ وإِنَّمَا سُمِّيَ بذلك لأنَّ زيادة بن الهُبُولَةَ أحد ملوك الشام غزا أرضه - والقوم خُلوْف بالبحرين - فأصاب سَبِيًّا وغَنَائِم ، وسبى هنداً بنت ظالم زوجة الحارث بن عمرو ، فبلغ الحارث الخبر ، فخرج للقاء ابن الهُبُولَةَ ، وأرسل سدوس بن شيبان ^(١) وصليح بن وهب ^(٢) يتجسَّسان له الخبر في عسكر ابن الهُبُولَةَ ، فخرجا حتى هَجَمَا على العسكر ليلاً ، وقد أمِنَ الطلب ، وقَسَمَ النّهب ، وأخذ المرباع ، وأوقد ناراً عظيمة ، ونادى

(١) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « سنان » .

(٢) الأغاني : « صليح بن عبد غم بن ذهل » .

متلاديه : مَنْ جاء بحزمة حطب فله فِدْرَةٌ^(١) من تمر ، فأخذ كلٌّ منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار ، وأخذ التمر . فأما ضُلَيْع فقال : يكفى هذه آية^(٢) وانصرف ؛ وأما سدّوس فقال : لا أبرح حتى آتنيّه بأمر جليّ .

فلما دخل ابنُ الهَبُولَةِ قُبَّتَهُ ، قربَ سدّوس منها بحيث يسمع كلامه ، وأقبل أناس يجرّسون القبة ، ف ضرب سدّوس يده إلى جليس له مخافة أن يستنكره ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال : فلان . ودنا ابنُ الهَبُولَةِ من هند امرأة الحارث فقبلها وداعبها ، وقال : ما ظنّك الآن بالحارث ؟ قالت : ما هو الظنّ ؛ بل هو اليقين ، إنّه لن يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر - يعنى الشام - وكأني أنظر إليه في فوارس من شيبان يذمّهم ويذمّرونه ، وهو شديد الكلب كأنه بعير أكل مراراً - فسُمّيَ آكل المرار ، والمرار نبت فيه مرارة ، إذا أكلت منه الإبل قلصت مشافرها - وقيل : بل سمعها سدّوس - يعنى هنداً - تقول لابن الهَبُولَةِ ، وقد سألتها عن حبّها الحارث ، فقالت : والله ما أبغضت نسمة^(٣) قطّ بغضى له ، وما رأيت أحزَمَ منه نائمًا ومستيقظًا ، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسًا من لبن ؛ فبينما هو نائم يومًا ، وأنا قريب أنظر إليه ؛ إذ أقبل سالخٌ إلى [رأسه ، فنجى رأسه ، فقال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة فأهوى إليها فقبضها ، فقال إلى رجله وقد قبض واحدة وبسط الأخرى فأهوى إليها فقبضها ، فقال إلى]^(٤) العُسن فشرب منه ، ثم مَجّ فيه ، فقلت : يستيقظ فيشربه فيموت ، فأستريح منه . فانقبه من نومه فقال : علىّ بالإناء فناولته إياه فشَمّه ، ثم ألقاه فهُرّيق ، [ثم قال : أين ذهب الأسود ؟ فقلت : مارأيتَه ؟ فقال : كذبتِ]^(٥) .

(١) الفدرة : الكتلة من التمر .

(٢) بعدها في الأغاني : «وعلم مايريد ، فانصرف إلى حجر فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر» .

(٣) الأغاني : « ذا نسمة » .

(٤) من الأغاني .

(٥) من ط .

فلما سمع سدوس هذه المقالة ، أمنهل حتى نام الحرس ، وخرج يسرى ليلته حتى صبح الحارث ، فدخل عليه وهو ينشد :

أَتَاكَ الْمَرْجُوفُ بِرَجْمِ ظَنِّ عَلَى دَهْشٍ وَجُنُكٍ بِالْيَقِينِ^(١)

ثم قصّ عليه ماسم ، وكان الحارث جالسا في موضع فيه شيء كثير من نبت المرار ، فجعل يسمع الحديث ويبعث بالمرار ، ويأكل منه غضبا وأسفاً ، وهو لا يعلم أنه يأكله من شدة الغيظ ، إلى أن فرغ الحديث ووجد طعمه ؛ فسمّى آكل المرار . ثم لحق ابن الهبولة فقاتله ، وظفر عليه .

ولم يزل ميكا على بنى وائل إلى أن مات . ومن شعره يقول :

رَبِّ هَمْ جُسْمَتُهُ فِي هَوَاكُمُ وَبَعِيرِ بَرَكَتِهِ مَحْسُورُ
وَعِلَامٍ كَلَفْتَهُ دِلَجَ اللَّيْلِ لِي فَأُضْحِي كَأَنَّهُ مَخْمُورُ
إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَنْدٍ لَجَاهِلٍ مَغْرُورُ
كُلُّ أَتَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ حُبِّهَا خَيْتَعُورُ^(٢)

* * *

٤٤ - وَالْحَمَالَاتِ بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ أُسْنِدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ .

[حَرْبُ داحس والغبراء]

الحمالات ، جمع حمالة ؛ وهو ما يتحمّله الرجل عن القوم من دية ، أو غرامة ؛ وأصل الحروب بين بنى عَبَسٍ وَذُبْيَانَ ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ زَهْرٍ الْمَقْدَمَ ذَكَرَهُ ، كَانَ

(١) الأغاني : « برجم غيب » ؛ وبعبده :

فَمَنْ يَكُ قَدْ أَتَاكَ بِأَمْرِ لَبْسٍ فَقَدْ آتَى بِأَمْرِ مُسْتَبِينٍ

(٢) الخيتعور الباطل ؛ أو الذي لا يدوم على حالي . وأخبار حجر مع ابن الهبولة في الأغاني ١٦ : ٣٥٤ - ٣٥٨ (طبع دار الكتب) .

قد اشترى من مكة^(١) درعاً حسنة تُسمى ذات الفضول^(٢) ، ورد بها إلى قومه ،
فراها عمه الربيع بن زياد - وكان سيد بني عبس - فأخذها منه غصباً ، فانتقل
عنه قيس بن زهير بأهله وماله ، ونزل على بني ذبيان ، وسيدهم حمل بن بدر
ابن حصن^(٣) ، وأخوه حذيفة ، فأكرموه وأحسنوا جواره .

وكانت لقيس خيل كريمة ، من جملتها داحس - وإنما سمي داحساً لأنه
كان لرجل من بني يربوع - يقال له قرواش - فرس تسمى جلوى^(٤)
ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له : ذو العقال ، وكان لا يطرقه^(٥)
شيئاً ؛ وإنهم توجهوا في نجعة ، والفحل مع ابنتين كحوط تقودانه ، فمرت به جلوى
وديقا^(٦) ، فلما استنشاها^(٧) ودى ، فضحك شباب منهم ، فاستحيت الفتاتان ،
فأرسلتا مقوده ، فوثب على جلوى . ثم جاء حوط - وكان سيئ الخلق - فرأى عين
فرسه ، فقال : نار والله ! فأخبر بالخبر ، فنادى بني يربوع فاجتمعوا ، فقالوا :
والله ما أكرهناه ، قال : أريد ماء فرسى ، فقالوا : دونك ، فأوثقها حوط ، ثم
جعل في يده تراباً ، وسطا عايبها ، فأدخل يده في فرجها وأخرجها ، فاشتملت
الرحم على ما فيها ، ففتجها قرواش مهنراً ، فسماه داحسا لسطوة حوط عليها
ودخسه اليد إليها ، وخرج داحس كأنه أبوه^(٨) .

(١) ت : « مكة شرفها الله تعالى » . وفي ابن الأثير : « المدينة » .

(٢) ابن الأثير : « ذات المواشي » .

(٣) ط : « حصين » ؛ تصحيف .

(٤) ت ، د : « حوى » ؛ تصحيف ؛ وانظر القاموس .

(٥) يقال : طرق الفحل الناقة يطرقها طروقاً ؛ أى وقع عليها وضربها ؛ والضراب :

نسكاح الإبل ؛ ويقال : أطرقه فحلاً ؛ أعطاه إياه بضرب في لبله .

(٦) يقال : ناقة ودیق ، أى تريد الفحل وتحرس عليه .

(٧) استنشاها ، أى أحس رائحتها .

(٨) في ابن الأثير : « فسطا عليها رجل من القوم فدنس يده في رحمها ، فأخذ ما فيها »

فلم تزد الفرس إلا لقاها ، ففتجت مهراً ، فسمى داحسا بهذا السبب » .

ثم إن قيس بن زهير أغار على بني يربوع ، فغنم وسي ، وركب داحساً
فَتَيَّانٍ من بني أزنم^(١) ، فنجوا وقطعا الخيل . فلما رآه قيس أعجب به ، فدعا
إلى أن يُجَمَلَ فداء السبي ؛ ففعلوا وصار لقيس ، فتراهن رجلان من بني ذُبْيَانٍ
عليه وعلى فرس لحذيفة تسعى الغبراء : أيهما أسبق ؛ على عشر قلائص .
وقد قيل : إن داحساً والعبراء فرسا قيس ، والخطار والحنفاء فرسا لحذيفة ،
وأنهم أجزوا الجميع . وقيل : تراهنا على فرس قيس ، أيهما أسبق^(٢) !
وللرواة في ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطوّلة جداً ، تشتمل على أمثال
وأشعار ، اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات .

ثم إن الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس قيس ، فرضى
به وأمضاه^(٣) ، وأتيا^(٤) قيساً فقالا : إنا راهنا عن^(٥) فرسك ، فقال : راهنا من
شئنا وجنّابني بني بدر ؛ فإنهم قوم يظلمون ؛ فقالا : قد أوجبنا الرّهان مع حذيفة ،
فقال : والله لتشتعلن علينا شرّاً . ثم جاء قيس إلى حذيفة ، فقال : إنما جئتكَ
لأوضحك الرّهان عن صاحبي ، فقال : لا ، والله حتى تأتي بالعشر قلائص .
فأحفظ ذلك قيساً وغضب ، وتزايد حتى بلغا مائة قلوّص ، ووضع الرّهان على
يد رجل من بني ثعلبة ، وجعل الغاية مائة غلوة^(٦) ، ووقع بينهم الاتفاق على السباق ،
[وجعلوا الغاية من واردة إلى ذات الإصدا ، وجعلوا القصة في يد رجل ،
وملئوا بركة من ماء ، وجعلوا السباق أوّل الخيل يكرع فيها]^(٧) . ثم قادا
الفرسين إلى الغاية ، وركبهما فتَيَّانٍ منهم . وكان سمّل بن بدر قد جعل حيساً في

(١) ت : أريم ط : « رويم » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٢) د ، ط : « السابق » .

(٣) ط : « وأرضاه » .

(٤) ط : « فأتيا » .

(٥) ط : « على » .

(٦) الغلوة : مقدار الرمية بالنهاية .

(٧) من ت .

دلاء^(١) ووضعه في شِعْب من شِعَاب هَضْب القَلِيب على طريق الفرسين ، وأَكْمَن فيه فتيانا ، وأمرهم إن جاء داحسٌ سَابِقاً أن يردّوا وجهه إلى أن يسبقه ، فسبق داحس ، فأشار إليه مَنْ كان في السُّعْب ، فردّوا وجهه ، وجاءت الغبراء ، وعلم قيس والذي على يده الرّهان بذلك [فقال :

لقد لاقيتُ من سَحَلِ بن بدرٍ وإخوته على ذات الإصَادِ
هُمْ فُخِرُوا عَلَيَّ بغيرِ نَفَرٍ وردّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
وكنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِخُصْمٍ سُوءٍ دَلَفْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادِ
وقد دَلَفُوا إِلَيَّ بِفَعْلٍ سُوءٍ فَأَلْفَوْنِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ

ثم قال^(٢) [قيس لحذيفة : أعطني سَبَقِي^(٣) ، وقال الذي على يده الرّهان :
يا حُذيفة ، أعطه سَبَقه ، فقد سبق داحس ، فأعطاه السَّبَق .

ثم إن جماعة من قوم حُذيفة نَدَمَوْه على دَفْعِهِ السَّبَقِ إلى قيس ؛ ونهاه آخرون عن الشرّ وقالوا : إن قيساً لم يُسَبَقْ إلى مَكْرَمَةٍ ؛ وإِنَّمَا سبق دابةٌ دابةٌ ، فأَبَى وبعث ابنه نُدْبَةَ بن حذيفة إلى قيس يطلب منه السَّبَق ، فقال : هذا سَبَقِي ، فكيف أعطيكم إياه ! فتناول ابن حذيفة من عَرَضِ قيس وشتمه وأغلظ ، وكان إلى جانب قيس رُمَحٌ فطعنه ، فدقّ صلبه . واجتمع الحَيَّان ؛ وأدّوا دية المقتول ، وأخذها حُذيفة دفعاً للشرّ . ثم إن قومه نَدَمَوْه ، فعاد الشرّ بينهم ، فتحمل قيس بمنّ معه من قومه ورحل ، وجمع الفرسان ، وقامت الفِتَن بين الحَيَّين إلى أن قُتِلَ مالك بن زهير أخو قيس .

وكان الربيع بن زياد عَمَّهُما معتزل الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شقّ ذلك عليه ، وقاتل بني ذبيان ، وقال^(٤) :

(١) بعدها في جمع الأمثال : « فسمي ذلك الشعب شعب الحيس لهذا » .

(٢) من ت . (٣) السبق : الرهان الذي يوضع بين أهل السباق .

(٤) من كلمة له في ديوان الحماسة ٣ : ٣٥ - بشرح التبريزي .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَّاتِ نِسْوَتَنَا بُوْجَه نَهَارٍ
يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ بِالصُّبْحِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ !
يعنى أنه أخذ ثأر مالك ، فندبه النساء ، وكذلك عادة العرب لا تندب
القتيل حتى يؤخذ ثأره .

وليعض الأدباء اعتراض فى قوله :

* بِالصُّبْحِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ *

فإن الصبح لا يكون إلا بعد تبلُّجِ الأسحار . وأجيب بأقوال : منها ، أن
الصبح هاهنا الحق الواضح ، من وصف القتيل ^(١) الذى هو كالصبح ، كأنها ^(٢)
ندبته لخلاله الحسنة الواضحة .

والبيت الثالث يستشهد به العروضيون ^(٣) على دخول الحذف فى عروض
الطويل ، كما يدخل فى ضربه ، وهو زوال السبب من « مفاعلن » المقبوضة ،
وهو قليل ولا يستعمل ^(٤) .

ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الهبأة كما تقدم .
وسم قيس من القتال ، فذهب إلى أخواله كما ذكر فى ترجمته ، وكان
الزبيع قد مات ، وأكل بعضُ القوم بعضاً ، فقام فى الصلح الحارث بن عوف

(١) ت : « من وصفه » .

(٢) ط : « كان النساء » .

(٣ - ٤) كذا وقع فى الأصول ، وهو خطأ . والصواب : « على دخول التقطع فى
عروض السكامل ، كما يدخل فى ضربه ؛ وهو زوال الحرف الثانى المتحرك من الوند المحمّوع
فتصير : « متفاعلن » ، « متفاعل » ، وذلك قليل لا يستعمل » . راجع كتب العروض .

(٤) انظر أخبار هذه الحرب فى الميدانى ٢ : ٣٨ - ٤٠ ، ابن الأثير ١ : ٢٤٣ -
٣٤٩ ، الأغاني ١٦ : ٢٠ - ٢٣ (سامى) .

وهريم بن سنان المزيّان وسجل الحملات ، واجتهدا في إصلاح ذات البين .
وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى الشاعر :

تَدَارَكْتُمَا عَمْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَمَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ^(١)

وكانت اليد الطولى للحارث بن عوف أولا وآخرا ، والسبب في ذلك أن الحارث قال يوما لخارجة بن سنان : أتراني أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال : نعم ، قال : ومن ذلك ؟ قال أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، فقال الحارث لعلامه : ارحل ، فركبا حتى لقيّا أوس بن حارثة في بلاده ، فوجداه في فناء منزله ، فلما رأى الحارث بن عوف ، قال : مرحباً بك يا حارث . قال : وبك ، قال : وما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ، قال : لست هناك ! فانصرف ولم يكلمه .

ودخل أوس إلى امرأته مغضباً - وكانت من عيس - فقالت : من الرجل الواقف^(٢) عليك ؟ قال : ذلك سيّد العرب الحارث بن عوف ، قالت : فما لك لم تستنزه ؟ قال : إنه استحقم ، قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً ، قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوج سيّد العرب فمن ! قال : قد كان ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، قال : بماذا ؟ قالت : بأن تلحقه فترده ، قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ! قالت : تقول : إنك لقييتني وأنا مغضب بأمر لم تقدم فيه قولاً ؛ فانصرف ولك عندي ما تحب ، فإنه سيفعل . فركب أوس بن حارثة في أثره .

قال خارجة : فوالله إننا لنسير إذ حانت مني التفاتة ، فرأيتني فأقبلت على الحارث ، وما يكلمني غمّاً ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة ، فقال : وما نصنع به ! امضي ، فلما رأنا لا نلتفت صاح : يا حارث ، اربّع على ، فوقف له فكلمه

(١) ديوانه ١٥ . ومنضم ، قال شارح الديوان : « زعم الأصمعي أنها امرأة عطارة من خزاعة ، تحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر » .

(٢) ط : « الذي وقف » .

بذلك الكلام ، فرجع مسروراً . فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته : ادعى لي فلانة — لأكبر بناته — فأتته ، فقال : يا بُنتي ، هذا الحارث بن عوف ، سيّد من سادات العرب ، وقد جاءني خاطباً ، وقد أردت أن أزوّجك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العُهدة ^(١) ، ولست بابنة عمه فيرعى رَحِمِي ، وليس بجار لك في البلد فيستحي منك ؛ ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطّلقني ، فتكون على وضمّة . فقال : قومي بارك الله فيك ! ثمّ دعا الوسطى ، فأجابته بقريب من هذا الجواب ، ثمّ دعا الصغرى ^(٢) فقال لها كما قال لأختها ، فقالت : أنت وذلك ؛ فقال : إني عرضت ذلك على أختيك فأبياه ، فقالت : لكني الجميلة وجهاً ، الصّناع يد ، الحسبية أبا ^(٣) ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه . قال : بارك الله عليك !

ثم خرج إلينا ، فقال : قد زوّجتك [بهيسة] ^(٤) بنت أوس ، قال : قد قبلت ، فأمر أمتها أن تهيئها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر بيّت فضرب له وأنزله إليها ، فلما أدخلت إليه لبث هينة ثم خرج إلى ، فقالت له : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ، لما مددت يدي إليها ، قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! هذا لا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا بها ، فسرنا ما شاء الله ، ثم قال لي : تقدّم فتقدّمت ، فعدّل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحقني فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ! قالت لي : كما يفعل بالأمّة الجليلة والسبيّة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل مثلّي .

(١) الردة : القبح مع شيء من الجمال . والعهدة : الضعف .

(٢) ط : « الصغرة » ، وفي الأغاني : « ادعى لي بهيسة - وهي الصغرى » .

(٣) ت : « الحسنه أبا » ؛ وأثبت ما يوافق الأغاني وباقي الأصول .

(٤) من د .

قلت : والله لأرى هيئة عقل ، وإني لأرجو أن تكون المرأة النجبية ^(١) .
ثم سرنا حتى دخلنا بلادنا ، فأحضرنا الإبل والغنم ، ثم دخل إليها وخرج ،
فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : دخلتُ عليها
أريدها ، فقلت : قد أحضرنا من المال ما تريئ ، قالت : والله لقد ذكرت لي من
الشرف ما لا أراه فيك ، قلت : كيف ! قالت : أتفرغ لنكاح النساء ، والعرب
يقتل بعضها بعضا ! يعنى عبسا وذبيان - قلت : فتقولين ماذا ؟ قالت :
أخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح ما بينهم ، ثم ارجع إلي ، وإني لست فانتكتك .
قلت : والله إني لأرى عقلا وهمة ، ولقد قالت قولاً حقاً ، فأخرج بنا . فخرجنا
حتى أتينا القوم ، فمسينا بينهم بالصلاح ، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتل من
الفريقين ، ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه . فحملنا عنهم الديات ، فكانت
ثلاثة آلاف بعير ^(٢)

وعاش الحارث إلى أن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ووفد عليه وأسلم ،
وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار في جواره يدعو
قومه إلى الإسلام ، فقتله رجل من بني ثعلبة ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخبر ، فقال لحسان : قل فيه ، فقال :

يَا حَارِثَ مَنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ فَيْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَغْدِرُ ^(٣)
وَأَمَانَةُ الْمُرَيِّ حَيْثُ لَقِيْتَهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبِرُ

فتألم الحارث لهذا القول ، وأرسل يعتذر ، وبعث إليه بدية الرجل
سبعين بعيراً ، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات الحارث عقيب ذلك .

(١) الأغاني : « منجبة » .

(٢) الخبر في الأغاني ١٠ : ٢٩٤-٢٩٦ ؛ قال : « وفيه قال زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أَمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

(٣) ديوانه ٢١١ برواية مخالفة .

ومن شعره قوله:

فإن أكبر فإني في لداتي وعاقبة الأصغر أن يشبوا
وما كثرت فائدتي بغير دفاني في الفوائد ما يطيب
وقوله - ولولم يكن للشاعر إلا هذا القول لكفاء:

كم من يد لا أودى حق نعمتها عندى لمخيط طارٍ ومن من
إذ جاء يسعى إلى رجلي لأضعفه أليس قد ظن بي خيرا ولم يرني!

* * *

٤٥ - وَأَنَّ اخْتِيَالَ هَرَمٍ لِعَلْقَمَةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا كَانَ ذَاكَ عَنْ
إِشَارَتِكَ.

[منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل]

هو هَرَم بن قُطبة بن سَيَّار^(١) الفزارى ، حَكَم من حكام العرب ، يقضي
بين السادات فيرضون بقضائه ، ولا يُردُّ قوله إذا فضل أحد المتنافرين^(٢) على
الآخر . ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين ، يقال :
فأفره إذا حاكمه ، ونفره إذا غلبه .

وعلقمة هذا ، هو علقمة بن علاثة بن جعفر ؛ من بني عامر بن صعصعة .
وعامر هو ابن الطفيل بن مالك بن الأخوص ، وكل منهما سيّد من سادات
قومه ، فارس شاعر ، وسأورد من أخبارهما شيئا .

(١) كذا في ت والاشتقاق ٢٧٣ ، وفي ط والأغانى ١٦ : ٢٨٧ : « سنان » .

(٢) ط : « المتنافرين » .

فَأَمَّا سَبَبُ مَنَافَرَتِهِمَا كَمَا حَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ ^(١) ، قَالَ : أَوَّلُ مَا هَاجَ
«النَّفَارَ بَيْنَ عُلْقَمَةَ بْنِ عَلَانَةَ وَعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، أَنَّ عُلْقَمَةَ كَانَ قَاعِدًا ذَاتَ
يَوْمٍ يَسُورُ ، فَبَصُرَ بِهِ عَامِرٌ وَقَالَ : لِمَ أُرْكَالِيَوْمَ عَوْرَةَ ^(٢) رَجُلٍ أَقْبَحَ مِنْ
عَوْرَتِكَ ! فَقَالَ عُلْقَمَةُ : لِأَنَّهَا لَانْتَبَ عَلَى جَارَاتِهَا ، وَلَانْتَالُ كِنَانَتَهَا ^(٣) - يَعْرِضُ
بِعَامِرٍ - فَقَالَ عَامِرٌ : وَمَا أَنْتَ وَالْقُرُومَ ^(٤) ! وَاللَّهِ لَقَرَسُ أَبِي الْمُسَيِّ «حَنُوءَةٌ» ^(٥)
أَذْكَرُ مِنْ أَبِيكَ ، وَلَفَحْلُ أَبِي الْمُسَيِّ «الغَيْبُ» أَعْظَمُ ذِكْرًا مِنْكَ .

فَقَالَ عُلْقَمَةُ : أَمَّا فِرْسُكُمْ فَعَارَةٌ ^(٦) ، وَأَمَّا فَحْلُكُمْ فَغَدْرَةٌ - وَكَانُوا قَدْ اسْتَعَارُوا
هَذَا الْفَحْلَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ يَسْتَطْرِقُونَهُ ^(٧) فَعَلَبُوهُ عَلَيْهِ - وَلَكِنْ إِنْ
شِئْتَ نَافَرْتُكَ ؛ قَالَ : قَدْ شِئْتُ .

فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَكَبَرٌ وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي وَفَى وَإِنَّكَ لَغَادِرٌ ، فَبِمِ
تَفَاخَرْنِي يَا عَامِرُ !

فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْزَلُ مِنْكَ فِي الْقَفْرِ ^(٨) ، وَأَنْحَرُ لِلْبَكْرَةِ ، وَأُطْعِنُ
لِلنَّعْرِ ^(٩) ؛ ثُمَّ تَنَافَرُوا عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ ، يُعْطِيهَا الْحَكَمُ أَيُّهُمَا نَفَرَ
عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ^(١٠) . ثُمَّ خَرَجَ عُلْقَمَةُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِدٍ ، وَخَرَجَ عَامِرُ بِمَنْ مَعَهُ
مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، وَقَدْ أَتَى عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ عَمَّهُ مَلَاعِبَ الْأُسْتَنِ ، فَقَالَ : يَا عَمَّاهُ

(١) أوردتها أبو الفرج بأسانيد في الأغاني ١٦ : ٢٨٣ - ٢٩٦ (طبعة دار الكتب).

(٢) ط : «سوءة» ؛ وما أثبتت يوافق ما في الأصول الخطية والأغاني .

(٣) كذا في ت ، والأغاني ، وفي ط : «إلا كفاتها» . والسكنة : امرأة الابن .

أو الأخ .

(٤) ط : «القدوم» ، تصحيف .

(٥) كذا في نسب الحيل لابن الكلبي ٦٦ ، والمخصص ٦ : ١٩٦ ، والتاج «حنو» .

(٦) عارة : عارية .

(٧) يستطرقونه : يتخذونه فلا لنيافهم . (٨) ط : «للقرة» .

(٩) كذا في ط والأغاني ، وفي ت : «لنثرة» ؛ وهي بمعنى الحيشوم وما والاه .

(١٠) ط : «صحبه» .

أَعْنَى : قَالَ : يَا بَنَ أَخِي ؛ سَبِّبْنِي ، قَالَ : لَا أَسُبُّكَ وَأَنْتَ عَمِّي ، قَالَ : دُونَكَ تَعَلَّى ، فَإِنِّي رِبْعْتُ فِيهِمَا أَرْبَعِينَ مَرَبَاعًا ، فَاسْتَعْنِ بِهِمَا فِي نِفَارِكَ .

وجعللا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب ، فلم يقل فيهما شيئاً^(١) ، وكره ذلك الأمر لحالهما وحال عشيرتهما ، فانطلقا إلى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ حَتَّى نَزَلَا بِهِ ، فَقَالَ هَرَمٌ : لَأَحْكُمَنَّ بَيْنَكُمَا ثُمَّ لَا فَضَّلَنَّ ، ثُمَّ لَسْتُ أَتَقْبَلُ بَوَاحِدٍ مِنْكُمَا ، فَأَعْطِيَانِي مَوْثِقًا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ؛ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُول . وَأَمَرَهُمَا بِالْأَنْصِرَافِ وَوَعَدَهُمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فَانْصَرَفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ؛ فَخَرَجَ عِلْقَمَةُ بَنِي الْأَحْوَصِ مَعَهُمُ الْقَبَابُ وَالْجُزُرُ وَالْقُدُورُ ، يَنْحَرُونَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيُطْعَمُونَ . وَجَمَعَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَخَرَجُوا عَلَى الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السِّلَاحُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ غَنَى : يَا عَامِرُ ، مَا صَنَعْتَ ! أَخْرَجْتَ بَنِي مَالِكٍ تَفَاخَرُ بَنِي الْأَحْوَصِ مَعَهُمُ الْقَبَابُ وَالْجُزُرُ ، وَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ تَطْعُمُ النَّاسَ ! مَا أَسْوَأَ مَا صَنَعْتَ ! فَقَالَ عَامِرُ لِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَمِّهِ : أَخْصِيَا كُلَّ شَيْءٍ مَعَ عِلْقَمَةَ مِنْ قُبَّةٍ أَوْ قِدْرٍ أَوْ لَقِحَةٍ . ففعلوا ، فقال عَامِرُ : يَا بَنِي مَالِكٍ ، لِمَ تَتَفَارَعُونَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، فَاشْخَصُوا بِمِثْلِ مَا شَخَصُوا . ففعلوا .

وَأَتَوْا هَرَمًا فَأَقَامُوا عِنْدَهُ أَيَّامًا ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لِيَعْلَمَ بِهِ عِلْقَمَةُ ، فَقَالَ : يَا عَامِرُ ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا وَفِيكَ خَيْرًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَتَفَاخَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِ ، فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ! فَقَالَ عَامِرُ : نَاشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحْمَ أَلَّا تَفْضَلَ عَلَيَّ عِلْقَمَةَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي فَعَلْتُ لَا أَفْلِحُ بَعْدَهَا ! هَذِهِ نَاصِيتِي جُزْءُهَا ، وَاحْتَكَمُ فِي مَالِي . فَإِنِ كُنْتُ وَلَا بَدَّ فَاغْلَا فُسُوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . فَقَالَ : انْصَرِفْ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي .

فخرج عَامِرُ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ يَنْفَرُهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ هَرَمٌ إِلَى عِلْقَمَةَ سِرًّا لِيَعْلَمَ بِهِ عَامِرُ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا عِلْقَمَةُ ، وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَأَحْسِبُ فِيكَ خَيْرًا .

أَتَفَاخِرَ رَجُلًا هُوَ ابْنُ عَمِّكَ فِي النَّسَبِ ، وَأَبُوهُ أَبُوكَ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْكَ غَنَاءً ،
وَأَجَلُ لِقَاءٍ ^(١) ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : نَشَدْتُكَ اللَّهَ
أَلَّا تُنْفَرَّ عَلَيَّ عَامِرًا ! فَأَجَابَهُ بِمَا أَجَابَ بِهِ الْآخَرُ ، وَانصَرَفَ .

ثُمَّ إِنَّ هَرِمًا أَحْضَرَ بَنِيهِ وَبَنِي أُمِّيهِ ، فَقَالَ : إِنِّي قَاتِلٌ غَدًا بَيْنَ هَذَيْنِ
الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةً ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فليطرد أحدكم عشر جزائر فينحرها عن عامر ،
ويطرد بعضهم عشر جزائر فينحرها عن علقمة ، وفرّقوا بين الناس لثلاث يكون
لهم جماعة . وَأَصْبَحَ هَرِمٌ فجلس في مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر
حتى جلسا ، فقام لبيد ، فقال :

يَا هَرِمَ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا ^(٢)

* فَاحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْيَ مَنْ تَصَوِّبَا *

فَقَامَ هَرِمٌ وَقَالَ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ، قَدْ تَحَاكَمْتُمَا عِنْدِي ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ كَرُّ كَيْتِي
«الْبَعِيرِ الْأَدْرَمِ» ^(٣) ؛ يَقَعَانِ مَعًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ [مِنْكُمَا] ^(٤) إِلَّا وَفِيهِ
مَا لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ ، وَكَلَّا كَمَا سَيِّدُ كَرِيمٍ . وَعَمِدَ بَنُو هَرِمٍ إِلَى الْجُرُرِ ، فَنَحَرُوا
هُوَ فَرَّقُوا بَيْنَ النَّاسِ ، وَكَرِهَ أَنْ يُفْضَلَ بَيْنَهُمَا وَهِيَ ابْنَا عَمٍّ ، فَيُوقَعُ بِذَلِكَ عِدَاوَةُ
بَيْنَ الْحَيِّينَ ، وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ رَاضِيَيْنِ .

وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قَالَ لَهَا : أَنْتَا كَغَزَنِي السِّيفِ ، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ : « كَرُّ كَيْتِي
«الْبَعِيرِ» لَقَالَا : أَيُّهُمَا الْيَمِينُ ؟ وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا اِكْتَفَى
بِمَا قَالَ سِرًّا ، وَذَهَبَا عَنْهُ .

وَادَّعَى الْأَعَشَى أَنَّهُمَا حَكَمَاهُ ، فَحُكِمَ لِعَامِرٍ عَلَى عَلْقَمَةِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ

(١) ط : « وَأَحَدُ لِقَاءٍ » ، وَفِي الْأَغَانِي : « وَأَحَدُهُمْ » ،

(٢) ديوانه ٥٢ .

(٣) الْأَدْرَمُ : الَّذِي تَرَكَ لِحْمَهُ وَشَحْمَهُ حَتَّى غَطَى عِظَامَهُ .

(٤) مِنْ ت .

قصائد ، منها التي أولها :

* أعلقمُ لستَ إلى عامر^(١) *

* * *

[علقمة بن علاثة]

ومات علقمة مسلماً . وله وفادتان : إحداها على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم فيها ، والثانية على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وجرت له معه حكاية ظريفة^(٢) . كان علقمة صديقاً لخالد بن الوليد رضى الله عنه ، وكان عمر يشبه بخالد ، فالتفاه في الليل ، فقال : يا خالد ، أعزُّوك ؟ وهو يظن أنه خالد - وكان عمر قد عزل خالداً عن جيش الشام غيظاً منه ، بسبب قتل مالك بن نويرة وتزويج زوجته كما تقدم - فقال عمر : نعم ، فقال علقمة : والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك ! فقال عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟ فقال : معاذ الله ! إن لعمر علينا سمعاً وطاعة ، ولا نخرج عليه ولا نخالفه ، وانصرفا . فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد ، فقال عمر رضى الله عنه له : إيه يا علقمة ! أنت القاتل البارحة لخالد ما قلت ! فقال علقمة لخالد : أفعلتها ! فقال : والله ما لقيتُك البارحة ولا رأيْتُك إلا في هذه الساعة . ففطن علقمة ، وعرف أنه إنما لقي عمر فظنه خالداً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعت إلا خيراً ، قال : أجل . ثم ولّاه حوران ، وخرج إليها ، فقصده الخطيئة مادحاً له ، فمات علقمة قبل أن يصل إليه ، فقال :

لعمرى لنعم المرء من آل جعفرٍ بحوران أمسى أعلقتُه الجبائل^(٣)

(١) بقيته :

* الناقض الأوتار والأوتر *

(٢) ط : « لطيفة » . (٣) من مقطوعة له في ديوانه ٩٦ - ١٠٠ -

وما كان بيني لو لقيتُك سالماً وبين الغنى إلا ليالي قلائل
فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله^(١) .

* * *

[عامر بن الطفيل]

وأما عامر بن الطفيل فكان شجاعاً مشهوراً شاعراً مقدماً ، قال أبو عبيدة:
اجتمع العُكَاظِيُونُ على أنَّ فرسان العرب ثلاثة : ففارس تميم عُتَيْبَةُ بن الحارث
ابن شهاب ، أحدُ بني ثعلبة ، صَيَّادُ الفوارس^(٢) ، وفارس ربيعة بِسْطَامُ بن قيس ،
وفارس قيس عامر بن الطفيل . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أُرْبَدُ
ابن قيس مع قوم من بني عامر ؛ فقال : يا محمد ، ما لي إن أسلمتُ ؟ قال النبي
صلى الله عليه وسلم : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . قال : لا ، إلاَّ أن تجعل
لي الأمر من بعدك ؛ قال : ليس ذلك لقومك ، قال : فتجعل لي الوبر ولك
المدَر ؛ قال : لا ، ولكن أجعل لك أعنة الخيل ، قال : أو ليست لي ! ثم قال :
يا محمد ، والله لأملأنَّها عليك خيلاً ورَجَلاً ، ولأربطنَّ بكل نخلة فرساً ، ووَلِيَّ ،
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامراً وأربداً ، واهد
بني عامر ، وأغنِ الإسلام عن عامر » .

ثم انصرفوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله تعالى على عامر بن
الطفيل الطاعون في عنقه ، فاندلع لسانه من فيه كضَرْعِ الشاة ، فمال إلى بيت
امرأة من سُلُول ، وجعل يقول : « غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعير ، ومَوْتُ في بيت سُلُولِيَّةٍ ! » .
ثم مَاتَ ، فواراه أصحابه ، وجعلوا على قبره أنصاباً ميلاً في ميل ، وجعلوه حِمًى
فقيل : إن بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال : لقد ضَيِّقْتُمْ على أبي !

(١) الخبر في الأغاني ١٦ : ٢٩٦

(٢) ط : و الفرسان .

وأما أريد ، فأرسل الله تعالى عليه صاعقةً قتلت^(١) ، وفي ذلك يقول أخوه :

أَخْشَى عَلَى أَرِيدَ الْخُتُوفِ وَلَا أُرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سرى متمكن ، فمن ذلك قصيدته الرائية التي ذكر فيها عور عينه ، وذلك أن مسهر^(٢) بن يزيد كان فارساً شريفاً ، فغنى جنانية في قومه ، فلحق ببني عامر ، فشهد يوم قيف الريح^(٣) مع عامر بن الطفيل ، وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول : يا فلان ، ما رأيتك فعلت ، ويا فلان ما صنعت ؟ فيقول الرجل الذي قد أبلى : أنظر إلى سيفي وما فيه ، ورحي وما فيه . وإن مسهراً قد أقبل في تلك الهيئة ، فقال : يا أبا علي - يعني عامر بن الطفيل - انظر إلى ما صنعت اليوم ، انظر إلى سنان رحي ، حتى إذا أقبل عليه عامر وجاء بالرمح في وجهه فقلق الوجنة ، وانشقت عين عامر فقفاها ، وترك مسهر الرمح في عينه ، وضرب فرسه ولحق بقومه .

قالوا : والذي دعا مسهراً إلى الغدر بعامر أنه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال : هذا والله مُبِيرُ قومه ، فأراد قتله وإراحتهم منه ، فقال عامر :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا هَوَازَنَ أَنَّنِي أَنَا الْفَارَسُ الْحَامِي حَقِيقَةَ جَعْفَرِ^(٤)
وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنِّي أَكْرُهُ عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ^(٥)
أَلَسْتَ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ فِي شُرْعَا وَأَنْتَ حَصَانٌ مَاجِدُ الْعِرْقِ فَاصِبِرِ^(٦)

(١) ط : « فقتلته » .

(٢) ط : « مشهر » ، تصحيف .

(٣) يوم قيف الريح للمذحج على عامر ؛ وقيف الريح : موضع بنجد ؛ وانظر أيام العرب في الجاهلية ١٣٢ .

(٤) من الفضلية ١٠٦ ، والأصمية ٧٧ وهوازن : جدم الأعلى ، وعليها هوازن ثم سعد بن بكر بن هوازن الذين استرضع فيهم رسول الله . والحقيقة : ما يحق عليهم أن يحموه من منع جار وإدراك ثار . وجعفر هو ابن كلاب بن ربيعة بن عامر .

(٥) المزنوق : اسم فرسه ، والمنيح : قدح تكثر به القداح ولاخطله . والمشهر : المشهور .

(٦) شرع : جمع شارع ؛ من قولهم : شرع الرمح ؛ إذا سده .

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرٍ
فَبِئْسَ الْفَتَىٰ إِنْ كُنْتَ أَغْوَرَّ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مُحْضَرٍ

ومن ذلك قوله :

مَوْكَمَ مُظْهِرٍ بَغْضًا لَنَا وَدَّ أَنْنَا إِذَا مَا التَّقَيْنَا كَانَ أَخْفَىٰ الَّذِي أَبْدَىٰ
مُطَاعِيمُ فِي الْأَلَاوَا، مُطَاعِينَ فِي الْوَعَىٰ شَمَائِلُنَا تُتَلَّىٰ وَأَيْمَانُنَا تَنْدَىٰ

وقوله أيضاً :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ قَدْ أَخَذَتْ بَضْبِعِهِ وَقُلْتُ لَهُ وَازِرُ أَخَاكَ فَأَزْرَا^(١)
ضُرُوبٍ بِنَضْلِ السَّيْفِ خَلْفَ صَحَابِهِ إِذَا أُغِيرَ أَوْلَادُ الْمُقَارِيفِ أَسْفَرَا

* * *

٤٦ - وَجَوَابُهُ لِعَمْرٍ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيُّهُمَا كَانَ يُنْفَرُ وَقَعَ عَنْ

إِرَادَتِكَ

يعني هَرَمَ بن قُطْبَةَ المَقْدَم ذكره ، وذلك أنه كان أسلم ، وكان عمرُ
أَبْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَحِبُّهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَيُّهُمَا كُنْتَ
تَنْفَرُ ؟ يَعْنِي عِلْقَمَةَ وَعَامِرًا . وَمَنْ كَانَ عِنْدَكَ الْأَفْضَلُ مِنْهُمَا ؟ فَقَالَ : لَوْ قُلْتُ
الْآنَ فِيهِمَا كَلِمَةً لَعَادَتْ جَدَّةٌ — يَعْنِي الْحَرْبَ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ — فَأَعْجَبَ بِهَذَا
الْقَوْلِ مِنْهُ ، وَقَالَ : بِحَقِّ حَكَمَتِكَ الْعَرَبُ^(٢) .

* * *

(١) آزره ووازره : أعانه على الأمر .

(٢) له ترجمة في الإصابة ٣ : ٥٨٣ .

٤٧ - وَأَنَّ الْحَجَّاجَ تَقَلَّدَ وَلَايَةَ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ

[الحججاج بن يوسف الثقفي]

الجِدَّةُ الحِطَّةُ ، والجِدَّةُ الاجتهاد في الأمور ، وكَلَّأَ الوجهين يَصْلُحُ هاهنا .

وهذا المذكور هو الحججاج بن يوسف بن أبي عُقَيْلِ الثَّقَفِيِّ السَّفَّاحِ المشهور ، ولد سنة إحدى وأربعين ومائة ، ونشأ بالطائف . وزعم بعض الرواة أنه كان أوَّلَ أمرِهِ معلِّماً للصبيان ^(١) ، ويسمى كُليِّباً ، وفيه يقول الشاعر : ^(٢)

أَيْتَسَى كَلِيبُ زَمَانَ الْهَزَالِ وَتَعْلِيمُهُ سُورَةَ الْكُوْثَرِ ^(٣)
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَا تُرَى ^(٤) وَآخِرُ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ

يشير إلى خبز المعلمين ، فإنه يختلف في الصَّغَرِ والكِبَرِ ، على قَدَرِ بيوت الصَّيِّبَانِ ، ثم صار دَبَاغاً ، ويستدلُّ على ذلك بحكايته مع كعب الأشقرى ^(٥) أيام ولايته ، وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الأزارقة في ولاية الحججاج ، كتب إليه يستبطنه في تأخير مُناجزة الأزارقة ويعجزه ، فقال المهلب لرسوله : قل له : إِنَّ الشَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ، وقام كعب الأشقرى — وكان من جند المهلب — فأنشد :

إِنَّ ابْنَ يَوْسُفَ عَزَّهٗ مِنْ غَزَوَكُمُ خَفَضَ الْمَقَامَ بِجَانِبِ الْأَمْصَارِ
لَوْ شَهِدَ الصَّغِيرُ حِينَ تَلَاقِيَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيَّةُ الْأَفْطَارِ

(١) ط : « معلم صبيان » .

(٢) الكامل ٢ : ١٠٤ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٩١ .

(٣) كنا في الأصول : وهي رواية الكامل ، وفي معجم البلدان : « وتعليمه صبيته الكوثر » . قال : « وكوثر : قرية بالطائف وكان الحججاج بن يوسف معلماً بها » .

(٤) الفلكة : مستدار كل شيء . وفي ط : « فلكة دائر » ، وأثبت ما في الكامل .

(٥) زيادات الكامل ١ : ٣٥٢ : « الأشقرى ، بالقاف لا غير » .

ورأى معاودة الدباغ غنيمةً أيامَ كَانَ مُحَالَفَ الإِقتَارِ
فبلغت آيياته الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب ، فأعلم
كعباً بذلك ، وأوفده من ليثته إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه يستوهبه
منه . فقدم كعب برسالة من المهلب إلى عبد الملك ، فاستنطقه واستنشدته ،
فأعجبه ما سمع ^(١) منه ، وكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عنه ، فلما دخل
كعب على الحجاج ، قال : إيه يا كعب !

* ورأى معاودة الدباغ غنيمة *

فقال : أيها الأمير ، والله لوددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب
وما يوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها ، وأكون حياً أو حائكاً .
فقال له الحجاج : أولى لك ! لولا قسمُ أمير المؤمنين ما نفعتك ما أسمع ،
فالحق يصاحبك .

وبعضُ الرواة ينكر هذا القول ويقول : هذه من أكاذيب الشعراء ،
ويزعم أن الحجاج لم يزل في كنف أبيه ، وكان أبوه رجلاً نبيلاً ، جليل القدر
إلى أن اتصل — يعني الحجاج — بروح بن زنباع ، ثم بعده الملك بن مروان ،
ولم يزل يترقى إلى أن ولي العراق والمشرق ، وطار ذكره ، وعظم سلطانه .

وأولُ ما عرف من شهامته وجوره ، أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك
ابن مروان ، ومعه ابنه الحجاج ، فأقبل سليم بن عمرو القاضي — وكان
من أروع الناس وأتقاهم — فقام إليه يوسف فسلم عليه ، وقال : إني أريد أن
أتى أمير المؤمنين ، فإن كانت لك حاجة فأعلمني ، قال : نعم ، حاجتي أن
تسأله أن يعزني عن القضاء ، فقال يوسف : والله لوددت قضاء المسلمين
كلهم مثلك ، فكيف أسأله هذا ! ثم انصرف ، فقال ابنه الحجاج : من هذا

الذى قت إليه ؟ فقال : يا بنى ، هذا سليم بن عمرو ، عالم ^(١) أهل مصر وقاضيه ^(٢) ، فقال : يغفر الله لك بأبت ! أنت ابن أبى عَقِيل ، تقوم إلى رجل من كِنْدَةَ أو تَحِيَّه ! فقال : والله يا بنى ، إني أرى الناس ما يُرْحَمُونَ إلا بهذا وأشباهه ، فقال : والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين إلا هذا وأشباهه ، يَقْعِدُونَ ويقعد إليهم أحداثُ الناس ، ويدكرون سيرة أبى بكر وعمر ، فيخرجون على أمير المؤمنين ! والله لو صفا هذا الأمر إلى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فأقتل هذا وأشباهه ، فقال أبوه : والله يا بنى إني لأظن أن الله تعالى خلقك شقيًّا !

وأول ما أعجب عبد الملك منه أنه كان قد اتصل بروح بن زنباع ، وصار من جملة أصحاب شرطته - وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك - ثم إن عبد الملك توجه إلى الجزيرة لقتال زُفَر بن الحارث عند ما عصى عليه بِقَرِيسِيَاء ، فأمر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر في كل منزلة ، وكان الحجاج من مجلتهم ، وكان يتحدث في ذلك إلى أن مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح ، في خيمة يأكلون ، فأمرهم بالرحيل فسخروا منه إدلالاً بمجلتهم ومحل سيدهم ، وقالوا له : انزل كل واسكت . ف ضرب بسيفه أطناب الخيمة ، فسقطت عليهم ، وأطلق فيها ناراً فأحرقت أثنائهم عليهم ، فأمسكوه وأتوا به إلى روح ، وسمع عبد الملك الخبر فطلبه ، وقال : من فعل هذا بغلمان روح ؟ فقال : أنت يا أمير المؤمنين ، أمرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا ، ففعلنا ما أمرتنا ^(٣) به ، وبهذه الفعلة يرتدع من بقي من أهل العسكر ، وما على أمير المؤمنين أن يعوّض عنهم [ما ذهب] ^(٤) ،

(١) ط : « فاضى » .

(٢) على هامش ت : « وقاضيه » من نسخة .

(٣) ط : « ما أمرت » .

(٤) تسكيلة من ط

وقد قامت الحرمة وتم المراد . فأعجب عبد الملك فقال : إن شرطيكم جلد «
ثم أقره على ما هو عليه . ولما طال القتال والحصار بينه وبين زُفر بن الحارث
أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج إلى زُفر بكتاب يدعوه
إلى الصلح ، فأتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة ، فقام رجاء فصلّى مع زُفر
وصلى الحجاج وحده ، فسئل عن ذلك فقال : لا أصلي مع منافق خارج
(١) «عن طاعة أمير المؤمنين» ، فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجباً بالحجاج ، ورفع
قدره (٢) ، وولاه بلدا تسمى تباله (٣) - وهي أول ما ولى - فخرج إليها ، فلما
قرب سأل عنها ، فقيل : إنها وراء هذه الأكمة ، فقال : أف لبلدة تسترها أكمة !
فرجع ، فقيل في المثل : «أهون من تباله على الحجاج» .

ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته ، فلما فرغ عبد الملك من قتال مُصعب
ابن الزبير ، ورجع إلى الشام قال : من لابن الزبير ؟ يعني عبد الله القائم بمكة
والحجاز - وندب الناس إلى قتاله ، فقام الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين ،
أنا له ؛ فقال : أقعدتم ! ثم قال : من لابن الزبير فقام الحجاج ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، ابعثني إليه ، فلقد رأيت في المنام كأني أخذته فسلكته وجرّته
من جلده . فبعثه إليه ، وجّهز معه جيشاً فقدم إلى مكة ، ونصب المنجنيق
على الكعبة ، وفعل ما فعل من (٤) قتل ابن الزبير ، وصفت الخليفة لعبد الملك .
فسرّ باجتهاده ، وأرسل إليه عهده على مكة والمدينة والطائف ؛ فاستخفّ بأهل
الحرّمين وأهانهم ، ثم كتب إلى عبد الملك يقول : إني قد حزت الحجاز
بشمالى ، وبقيت يمينى فارغة - يعرض بالعراق - فبعث إليه عهده على العراق .
وهذا أحد الأقوال في سبب ولايته العراق .

(١-١) ط : « خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته » .

(٢) ت : « يده » .

(٣) تباله الحجاج ، : بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن . ياقوت .

(٤) ط : « حتى » .

والقول الآخر ، أنه وفد على عبد الملك ومعه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، وكان من رجال قريش علماً ونُبلاً ، وعَمَلاً وزُهْداً ومهابةً ، وكان الحجاج مسخراً له لا يترك من إجلاله شيئاً ؛ فلما قدم على عبد الملك أذن للحجاج في الدخول ، فلماً دخل سلم ولم يبدأ بشيء إلا أن قال : يا أمير المؤمنين ، قَدِمْتُ عليك برجلٍ من أهل الحجاز ، ليس له نظيرٌ في كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة ، مع القَرابة ووجوب الحق ، فقال : ومن هو ؟ قال : إبراهيم ابن طلحة التيمي ، فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعل بأمثاله . فقال عبد الملك : ذكّرْتَنَا حقّاً واجباً ، ورَحِمَا قُرْبِيَّة ! ثم أذن له ، فلما دخل قَرَّبَهُ وأذناه ، ثم قال له : إنَّ أبا محمد ذكّر لنا ما [لم نزل] ^(١) نعرفك به ، من الفضل وحسن المذهب ؛ فلا تدعَنَّ حاجةً إلا ذكّرتَها .

فقال إبراهيم : إنَّ أَوْلَى الْأُمُور أن تُفْتَحَ ^(٢) به الحوائج ما كان لله فيه رضا ، ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ، ولجماعة المسلمين نصيحة ؛ قال : وما هو ؟ قال : لا يمكن القول إلا وأنا خالي ، فأخبرني . قال : أو دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ ؟ قال : نعم ، فأشار عبد الملك إلى الحجاج [وإلى من كان حاضراً] ^(٣) ، فخرج وقال : قل ، فقال ^(٤) : يا أمير المؤمنين ، إنك عهدتَ إلى الحجاج مع تفطرسه وتعجرفه ، وبعده عن الحق ، وركونه إلى الباطل ؛ فوليتَه الحرمين وفيهما من أبناء ^(٥) المهاجرين والأنصار من قد علمت ، يسومهم الخسف ، ويتوعدّهم بالعنف ^(٦) ، ويطوهم بطغام ^(٧) أهل الشام ورعاعٍ لا روية لهم في إقامة حق ،

(١) تكملة من ط .

(٢) ت : « تفتح » .

(٣) تكملة من ت .

(٤) من نسخة : « فقام هو ومن كان حاضراً ولا يعرف أين يضع قدمه ! » . حاشيت .

(٥) ط : « وبهما من أولاد المهاجرين » .

(٦) ط : « ويقودهم بالختف » . (٧) الطغام : أوغاد الناس .

مولا في إزاحة باطل ، ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله ! فكيف بك إذا جئتك ^(١) محمد صلى الله عليه وسلم غداً للخصومة بين يدي الله تعالى ! أما والله إنك لن تنجو هناك إلا بحُجَّةٍ تضمن لك النجاة ، فاتق ^(٢) لنفسك أودع . وكان عبد الملك متسكناً ، فاستوى جالسا ، وقال : كذبت وميت فيما جئت به ! ولقد ظن بك الحجاج ظناً لم يحذه فيك ، فأنت المائن الحاسد !

قال إبراهيم : قممت ووالله ما أبصر شيئاً ، فلما جاوزت الستر لحقني لاحق ، فقال للحاجب : امنع هذا من الخروج . ثم أذن للحجاج ، فدخل غلبت ملياً ، وما أشك ^(٣) أنهم في أمرى ، ثم خرج الإذن لي فدخلت ، فلما كشف الستر إذا أنا بالحجاج خارج ، فأعنتني وقبل ما بين عيني ، وقال : إذا جرى الله المتواخين بفضل توأصلهما ، فجزاك الله أفضل الجزاء ! أما والله لئن بقيت لأرفعن ناظريك ، ولأتبعن الرجال غبار قدميك .

قال : فقلت في نفسي : إنه ليسخر بي ! فلما وصلت إلى عبد الملك أذني مجلسي كما فعل في الأول ، ثم قال : يابن طلحة ، هل أعلمت الحجاج بما جرى ؛ أو شاركك أحد في نصيحتك ؟ فقلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً أظهر بداً عندي من الحجاج ، ولو كنت محايياً أحداً بدينى لكان هو ؛ ولكني آثرت الله ورسوله والمسلمين . فقال : قد علمت صدق مقالتيك ، ولو آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل ، وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما ، وأخبرته أنك [أنت] ^(٤) الذي استنزلتني له عنهما استصغاراً للولاية ، [وأعلمتني أنك

(١) جأته ؛ أى أوقفه موقف الخصومة ؛ والجأى فى الأصل : الذى يجلس على ركبته ؛ وفى حديث على : « أنا أول من يجشو للخصومة بين يدي الله عز وجل » .

(٢) ت : « فاتق » .

(٣) ط : « ولا أشك » .

(٤) من ت .

أنت الذى سألتنى له فى ذلك لعظمهما^(١) ووليّته العراق ، لما هنالك من الأمور
التي لا يدحضها إلا أمثاله [فلا تقطع نصيحتنا عنها ما بقيت]^(٢) ؛ وإنما قلت له
ذلك ليؤدّى ما يلزمه من ذمامك ، فأخرج معه فإنك غير ذام لصحبته مع يدك
عنده . فخرجت مع الحجاج ، وأكرمنى أضعاف إكرامه ، واستدللت على
مكارم عبد الملك وتدييره^(٣) ، واعترافه بالحق ، وتلطّفه فى الأمور .
وقيل فى سبب ولاية الحجاج للعراق قول آخر^(٤) .

* * *

ثم دخل الحجاج إلى الكوفة، فخطب خطبته المشهورة^(٥) التي يقول فيها :
يا أهل العراق والتفاق ، والله لأعصبنكم عصب السّلمة^(٦) ، ولألحوّنكم
لحوّ العصا ، فطلما أوضعتم فى الضلالة^(٧) ، وتماديتم فى الجهالة ! يا عبيد العصا
أنا الغلام التقى ، لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت^(٨) ، إنما مثلكم
كما قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٩) ، فإنكم أشباه ذلك ؛ فاستوثقوا واستقيموا .
أقسم بالله لتدعن الإرجاف ، ولتقبلن على الإنصاف ، ولتنزعن عن القيل
والقال ، وكان وكان ، والهّن وما الهّن ، أو لأهبرنكم بالسيف هبّراً يدع النّساء

(١) من ت

(٢) ط : « أخلاقه » .

(٣) ت : « وهذا أحد الأقوال فى سبب ولاية الحجاج للعراق » .

(٤ - ٥) ط : « ثم دخل الحجاج إلى العراق ، ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد » .

(٥) السّلمة : نبت كثير الشوك . قال الجاحظ : « لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تحبّط

بالعصا لسقوط الورق وهشيم العبدان » .

(٦) أوضعتم : أسرعتم ؛ والإيضاع : ضرب من السير .

(٧) أخلق : أقدر ، وفريت : قطعت .

(٨) سورة النحل ١١٢

أيامى ، والولدان يتامى ؛ والله لكأنى أنظر إلى الدماء تتفرق بين اللحي والغلاصم^(١) .

فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة ، وكان بعضهم قد أخذ حصا أراد يحصب به الحجاج ، فנסاقت من أيديهم خوفا ورعبا ،^(٢) وثبتت مهابة في قلوبهم ، وتحكم حينئذ في رقابهم^(٣) .

وكان القاسم بن سلام ، يقول : قاتل الله أهل الكوفة ! أين قبائلهم وعشائرهم وأهل الأنفة منهم ! وأين تجبرهم ! قتلوا عليا ، وطعنوا الحسين ، وقتلوا المختار ، وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة ، وقد جاءهم في اثني عشر راكبا وهم في مائة ألف ! ولكن ظهر تصديق أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه في قوله : « اللهم سلط عليهم الغلام الثقي » .

ثم أقام الحجاج بالعراق يُرهب ويفتك ، حتى استوثقت له الأمور . ثم خرج عليه عبد الرحمن بن الأشعث بأهل العراق ، فأمدّه عبد الملك بأهل الشام ، فكانوا شيعته ، فاستمرت بينه وبين ابن الأشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجاهم بعد ثمانين وقعة ، في ستة أشهر . وكان مع ابن الأشعث أكثر من مائة ألف^(٤) ، فلما هُزموا قال الحجاج : لأصحابه : أتركوهم فلينبذوا ولا تتبعوهم ، ثم نادى مناديه : مَنْ رجع فهو آمِن .

ودخل الكوفة ، وجاء الناس من المهزمين يبائعونه ، فكان يقول لمن جاء يبايعه : اشهد على نفسك بالكفر ، وبخروجك عن الجماعة ، ثم تُب ؛ فإن شهد وإلا قتله . فأتاه رجل من خثعم ، فقال : اشهد على نفسك بالكفر ،

(١) الغلاصم : جم غلصة ؛ وهى رأس الخلقوم .

(٢-٣) ت : « وأخاف القوم ، وأثبت المهابة في قلوبهم ، وتحكم في رقابهم » .

(٣) ط : « مائتي ألف » .

فقال : إن كنتُ عبدتُ ربِّي ثمانين سنة ، ثم أشهد^(١) على نفسي بالكفر ، لبئس العبد أنا ! والله ما بقي من عمري إلا ظمء حمار^(٢) ، وإنني أنتظر الموت صباحاً ومساءً ؛ فأمر به فضرب عنقه ، وقُدِّم بعده شيخ آخر ، فقال الحجاج : ما أظنُّ الشيخ يشهد على نفسه بالكفر ! فقال : يا حجاج ، أنخأعني أنت عن نفسي ! أنا أعرف بها منك ، وإنِّي لأُكفر من فرعون وهامان ! فضحك الحجاج وخلقى سبيله .

وكان في الحجاج خلال امتاز بها في وقته^(٣) : الكرم ، والدهاء ، والجور ، وحلم [نادر]^(٤) في بعض الأوقات ، والفصاحة .

فأما كرمه ، فحكى أنه لما دخل المدينة ، فرَّق في أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال : أتيتكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب ، فاعذرونا . فقال رجل : لا عذر الله مَنْ يعذرك ! وأنت أمير المصيرين ، وابن^(٥) عظيم القريتين ! فقال : صدقت ، واقترض أموال مَنْ هناك من التجَّار ، فكان شيئاً عظيماً [وفرقها]^(٦) .

ولما ولي العراق كان يُطعم في كلِّ يوم على ألف مائدة ، يجتمع على كلِّ مائدة عشرة أنفس ، ويُطاف به في بحفةٍ على أيدي الرجال ، يشرف على القوم ويقول : يا أهل الشام ، اهشموا الخبز لثلاثي أعاد عليكم .

وقيل : كان فعله هذا خصيصاً بأهل الشام ، وكان يرسل الرِّسل إلى الناس لحضور الطعام ، فكثرت عليه ذلك ، فقال : أيتها الناس ، رسلِي إليكم الشمس ، إذا

(١) ت : « شهدت » .

(٢) الظمء : ما بين الشربين والوردن ، قالوا : ليس شيء من الدواب أقصر ظمءاً من الحمار . وقولهم : ما بقي منه إلا قدر ظمء الحمار ؛ أي لم يبق من عمره إلا شيء يسير .

(٣) ط : « عن أبناء وقته » .

(٤) تكملة من ت .

(٥) ط : « وأنت » .

(٦) تكملة من د ، ت .

طلعت ، فاحضروا للغداء ، وإذا غربت فاحضروا للعشاء ، فكانوا يفعلون ذلك . واستقل الناس يوماً ، فقال : ما بال الناس قد قلوا ! فقام رجل وقال : يا أيها الأمير ؛ إنك أغنيت الناس في بيوتهم عن الحضور إلى مائدتك ؛ فأهجمه ذلك ، وقال : اجلس ، بارك الله عليك !

وأما «هاؤه» ، فحكى عبد الله بن ظبيان ، قاتل مصعب بن الزبير ، قال : كنت يوماً واقفاً على باب الحجاج ، فإذا به قد خرج وحده - وكانت القائلة ، وما بالباب أحدٌ - فوقع في نفسي أن أقتله ، فنظر إلى ، فقال : هل لقيت يزيد ابن أبي أسلم ؟ يعني كاتبه ، قلت : لا ، قال : القه ؛ فإن عهدك على الرئي معه ؛ فطمعت وكففت عنه ، وتوجهت إلى يزيد ، فلم يكن معه ^(١) عهد ولا شيء من ذلك ، وإنما قال الحجاج ذلك حذراً وشغلاً ^(٢) لي عما أردته به .

وبنى هو وعبد الملك في بعض المساجد بايين ، فوقعت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك ، فدخله حسدٌ للحجاج ، فكتب إليه الحجاج : إنما مثل أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابني آدم ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ ﴾ ^(٣) .

ودخل يوماً على عبد الملك فدعاه للشراب ^(٤) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعفني ؛ فإني أنهي أهل عملي عنه ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ لَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ ^(٥) ، فقال عبد الملك : إنه نبذ الرثمان ، يشهى الطعام ، ويزيد في الباه ؛ فقال الحجاج : أما كونه يشهى الطعام ، فوالله لوددت

(١) ط : « عنده » .

(٢) ت ، د : « إشغالا » .

(٣) سورة اللائدة ٢٧ .

(٤) ط : « فدعا بالشراب » .

(٥) سورة هود ٨٨ .

أَنَّ هَذِهِ الْأَكْلَةَ تَكْفِينِي إِلَى أَنْ أَمُوتَ^(١) ؛ وَأَمَّا كَوْنُهُ يَزِيدُ فِي الْبَاءِ ، فَحَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يُضْرَعَ فِي الشَّهْرِ مَرَّةً .

وَصَعِدَ يَوْمَا الْمَنِيرِ ؛ فَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ طَاعَةَ النَّاسِ لَهُ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ الْحِجَّاجَ كَافِرٌ ؛ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ شَيْئًا ؛ فَقَالَ : بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، وَبِالْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ ، وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ قَتْلَةٍ^(٢) الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : دَسَرْتُهُ بِالرَّمْحِ دَسْرًا ، ثُمَّ هَبَرْتُهُ بِالسِّيفِ هَبْرًا^(٣) ، وَوَكَلْتُ أَمْرَ رَأْسِهِ إِلَى أَمِيرٍ غَيْرِ وَكَلٍ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْجَنَّةِ . وَكَانَ قَصْدُهُ رَضَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الشَّامِ ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَقُولُونَ : صَدَقَ الْحِجَّاجُ ، لَا يَجْتَمِعُ وَاللَّهُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَاتِلُهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَخَرَجَ أَهْلُ الشَّامِ يَقُولُونَ : صَدَقَ الْأَمِيرُ ، لَا يَجْتَمِعُ مَنْ شَتَّى عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ وَقَاتِلُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ .

وَأَمَّا جَوْرُهُ [وَسَفْكُهُ الدَّمَاءَ]^(٤) ، فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ قَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ صَبْرًا ، آخَرَهُمْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَاتَ فِي حَبْسِهِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا ، لَمْ يَجِبْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَدٌّ ، وَكَانَ حَبْسُهُ بِغَيْرِ سَقْفٍ وَلَا ظِلٍّ ، صَيْفًا وَشِتَاءً ، وَلَيْسَ فِيهِ مُسْتَرَا حٌ ، وَالنَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَمَرَّ يَوْمًا عَلَيْهِمْ فَاسْتَفَانُوا بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُوا ﴾^(٥) .

(١) د، ط : « حَتَّى أَمُوتَ » .

(٢) د، ط : « قَاتِلُ » .

(٣) الهبر : القِطْعُ .

(٤) من ط .

(٥) سورة المؤمن ٨٠ .

وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أقرأ: ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾^(١) بالفتح ، وبلغ الحجاج - وكان يقرأ بالضم - فطلبني فهربت إلى وادٍ بصنعاء ، فأتمت زماناً ، فسمعت أعرابياً يقول لآخر: قد مات الحجاج ، فقال الأعرابي: رُبَّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(٢) فلم أدرِ بأي شيء كنت أشدَّ فرحاً ، أَمُوتَ الحجاج ، أم بسماع البيت أَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى الْقِرَاءَةِ !

وحكى بعضُ القراء ، قال: قرأ الحجاج في سورة هود: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٣) ، فلم يدر أن يقول: «عَمَلٌ» أم «عَمِلَ» ! فقال: اثنوني بقاري ، فاتوا بي وقد قام من مجلسه ، فحسبت ونسيت الحجاج حتى عَرَضَ السَّجْنُ بعد ستة أشهر ، فلما انتهى إلي قال: فيم حسبت ؟ فقلت: في ابن نوح ، أصلح الله الأمير ! فضحك وأطلقني .

وحكى أنه أراد سفراً فصعد إلى المنبر ، فقال: إني قد عزمتُ على السفر ، وخلقْتُ عليكم ابني محمداً ، وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح: ألاَّ يتقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وإني أعلم أنكم تقولون: لا أحسن الله له الصحابة ! ألا وإني معجل لكم الصواب بالجواب ، فأقول: لا أحسن الله عليكم الخلافة !

وحدث رجلٌ ، قال: هربت من الحجاج حتى مررتُ بقريةٍ ، فأجد كلباً نائماً في ظلِّ جُبٍّ ، فقلت في نفسي: ليتني كنتُ هذا الكلب ، وكنت مستريحاً من خوف الحجاج ! ومررتُ ثم عدتُ من ساعتى ، فأجد الكلب

(١) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٢) لأمية بن أبي الصلت ، اللسان (فرج) ، وقبلة :

لَا تُضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفُؤَ غَمَاؤِهَا بغير احتيالٍ

(٣) سورة هود ٢٢ .

مقتولا ، فسألت عنه ، فقيل : جاء أمر الحجاج بقتل الكلاب ! فمجبت
من عموم جوره .

وأما حله ، فحكى أنه خرج يوماً إلى ظاهر الكوفة منفرداً ، فرأى رجلاً
[أعريباً] ^(١) ، فقال : ما تقول في أميركم ؟ قال : الحجاج ؟ قال : نعم ،
قال : زعموا أنه من نمود ، وكفى بسوء مسيرته شراً ؛ فعليه لعنة الله والملائكة
والناس [أجمعين] ^(٢) ! فقال الحجاج : أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا الحجاج ،
فقال الأعرابي : أتعرفني أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : أنا مولى بنى عامر ،
أجنّ ^(٣) في كل شهر ثلاثة أيام ، هذا اليوم على أشدها ^(٤) ، فضحك الحجاج
من قوله وصفح عنه .

وأتى بقوم من أصحاب ابن الأشعث ، فأمر بضرب رقابهم ^(٥) ، فقام رجلٌ
فقال : أيها الأمير ، إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : شتمك رجلٌ بحضرة
ابن الأشعث ، فرددتُ عنك ، فقال : من يشهد لك ؟ فأشار : هذا - وأشار
بيده إلى رجل منهم - فقال : صدق أيها الأمير ، فقال : مامنك أن تفعل كما
فعل ؟ قال : بغضى لك ، فقال الحجاج : أطلقوا هذا ليده عندنا ، وهذا
لصدقه في مثل هذا الوقت .

وقال يوماً لأحمد بن يونس ^(٦) : فكّرت في أمرك فوجدت دمك ومالك
حلالاً ؛ فقال : أيها الأمير ، أشد ما في القضية أن هذا الرأي بعد التفكير
فضحك وعفا عنه .

(١) من ت .

(٢ - ٢) ط : « أجن في الشهر ثلاث مرات ، هذا اليوم أشد الصراع على » .

(٣) ط : « أعناقهم » .

(٤) ت : « يوسف » .

وكان عنده يوماً بعضُ نُدُمائه؛ وقد أدركته سِنَةٌ، فعطس النَّدِيم عطسةً منكّرةً، ففزع الحجاج وقام منكراً مغضباً، وقال: ما أردت بهذه العطسة إلا أن تروّعي! فقال: أيّها الأمير، هذه والله عادتي، فقال: والله إن لم تأتني بشاهد على ذلك وإلاّ ضربتُ عنقك. فخرج الرّجل فوجد بعض أصحابه، فقصّ عليه الأمر، فقال: أنا أشهدُ لك. فدخل على الحجاج فقال لصاحبه: بم تشهد؟ فقال: أيّها الأمير، أشهدُ بأنّه عطس يوماً عطسة وقع منها ضرره. فضحك الحجاج حتى استلقى، فقال: حسبك! وأمر بهما فأخرجا. وكان قليل الضحك إلا أن يُغلب عن نفسه.

وأما فصاحته وبلاغته، فمنها خطبه المشهورة المطوّلة [المذكورة في الكتب بأيدي الناس، مثل يوم دير الجماجم وغيره^(١)]، وفصوله الموجزة في المكاتبات، وعلى المنابر.

قال مالك بن دينار: والله لربّما رأيت الحجاج [يتكلم^(٢)] على المنبر، ويذكر حسن صنيعه إلى أهل العراق، وسوء صنيعهم له حتى يحتمل لي أنه مظلوم. وقال الحسن البصري: لقد وقذنتي^(٣) كلمة سمعتها من الحجاج؛ يقول على هذه الأعواد: إن امرأ ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته، [فقام إليه رجلٌ فقال: يا حجاج، ما أقبح وجهك! تقول ماتقول وتفعل ماتفعل! فأمر به فأخذ، فلما نزل من على المنبر قال له: لقد تجرأت على! فقال له: يا حجاج استرح من الله! تجرأت عليه ولا تنكره على نفسك، وأتجرأ عليك فتنكره على! نخلى سبيله^(٤)].

(١) من ت.

(٢) من ط.

(٣) ت: « أيقظني ».

(٤) بكلمة من ت.

وخطب يوماً فقال : أيُّها الناس ، اقدِّعُوا هذه الأَنفُسَ ، فإنَّها أَسْأَلُ شَيْءَ
إِذَا أُعْطِيَتْ ، وَأَعْطَى شَيْءٌ إِذَا سُئِلَتْ ؛ فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خِطًّا مَّا
وَزَمَامًا ، فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَعَظَفَهَا بِزَمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ؛ فَإِنِّي
رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ (١) مَحَارِمِهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِهِ . -

وَبَلَغَهُ وَفَاةُ أَخِيهِ وَابْنِهِ ، فَصَعِدَ الْمُنْبِرَ ، وَقَالَ : مُحَمَّدَانِ فِي يَوْمٍ ! أَمَّا وَاللَّهِ
مَا كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَا مَعِيَ فِي الدُّنْيَا بِمَا أَرْجُو لهُمَا مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَإِيْمُ اللَّهِ
أَيُوشِكُنَّ الْبَاقِي مَنَا وَمِنْكُمْ أَنْ يَفْنَى ، وَالْجَدِيدُ أَنْ يَبْلَى ، وَسِتْدَالُ الْأَرْضِ مَنَا
فَتًّا كُلٌّ مِنْ لَحْمِنَا ، وَتَشْرَبُ مِنْ دِمَائِنَا ، كَمَا أَكَلْنَا مِنْ ثِمَارِهَا وَشَرَبْنَا مِنْ مَائِهَا (٢) .
وخطب يوماً فقال : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِالْعَمَلِ ، وَكَفَانَا الرِّزْقَ ، فَلْيَتَنَا لَوْ أَمَرْنَا
بِالرِّزْقِ ، وَكَفَيْنَا الْعَمَلَ !

وقال : أيُّها الناس ، وَاللَّهِ مَا أَحَبَّ أَنْ مَاضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَعَامَتِي هَذِهِ ؛ وَلَمَّا
مَضَى مِنْهَا أَشْبَهَ بِمَا يَبْقَى مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ .

ولما قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ بِالْبُكَاءِ ، فَصَعِدَ الْحُجَّاجُ الْمُنْبِرَ
فَقَالَ : أَلَا إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ مِنْ أَحْبَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، حَتَّى رَغِبَ فِي الْخِلَافَةِ ،
وَنَازَعَ فِيهَا ، وَخَلَعَ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَاسْتَكَنَّ بِحَرَمِ اللَّهِ ؛ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مَانِعًا لِلْعَصَاةِ
لَمُنِعَ (٣) آدَمَ حُرْمَةُ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَبَاحَ
جَنَّتَهُ ، فَلَمَّا عَصَاهُ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِخَطِيئَتِهِ ، وَآدَمَ عَلَى اللَّهِ أَكْرَمُ مِنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَالْجَنَّةُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ السَّكْبَةِ .

وخطب يوماً فقال : أيُّها الناس ، مَنْ ادَّعَى دَاءَهُ ، فَعَنْدِي دَوَائُهُ ، وَمَنْ
ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَمَّتْ عَنْهُ ثَقَلُهُ . إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طِيفًا ، وَلِلْإِسْلَامِ سِيفًا ، فَمَنْ وَضَعَهُ

(١) م : « عَلَى » .

(٢) ط : « أَنْهَارَهَا » . (٣) د : « لَمُنِعَتْ » .

ذَنبِهِ رَفَعَهُ صَلْبُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسْمَعْهُ الْعَافِيَةُ ، لَمْ تَضُقْ عَنْهُ الْهَلَكَةُ .
وَأَرْجَفَ قَوْمَ بَمُوتِهِ ؛ فَنُفِخَ مَتَحَامِلًا حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ أَهْلَ
الْعِرَاقِ أَهْلُ نِفَاقٍ ، نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنَاخِرِهِمْ ، فَقَالُوا : مَاتَ الْحِجَّاجُ ، وَإِنْ
مَتَ فَمَهْ ! وَاللَّهِ مَا يَرْجَى الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَمَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِالتَّخْلِيدِ
لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا لِأَخْسَرِهِمْ وَأَهْوَنِهِمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ إِبْلِيسُ إِنَّهُ اللَّهُ !
وَلَقَدْ سَأَلَ سَلِيمَانُ يَوْمًا رَبَّهُ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْدِبِعَنِي
لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، ^(١) ففعلَ ثم اضمحلَّ كَأَن لَمْ يَكُنْ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّ وَلِلْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ نَزَلَ .

وَكُتِبَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ : إِنِّي نَظَرْتُ فِي سَنِّي ، فَإِذَا أَنَا قَدْ بَلَغْتُ خَمْسِينَ
سَنَةً ، وَأَنْتَ نَحْوُ مَنِّي فِي السَّنِّ ، وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مُورِدٍ لَقَمِينَ
أَنْ يَرُدَّهُ .

* * *

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ؛ كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ
لَا تَفْعَلُ .

وَمَاتَ بِوَسْطِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ . وَهِيَ مَدِينَتُهُ الَّتِي أَنْشَأَهَا . وَكَانَ يَوْمَ
مُوتِهِ يَسْتَعِي عَرْسَ الْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِمُوتِهِ حَتَّى أَشْرَفَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْقَصْرِ وَهِيَ تَبْكِي
وَتَقُولُ : أَلَا إِنَّ مَطْعَمَ الطَّعَامِ ، وَمَفْلَقَ الْهَامِ ، قَدْ مَاتَ .

ثُمَّ دُفِنَ ، فَسَمِعَ جَرَّ السَّلَاسِلِ مِنْ قَبْرِهِ ، فَقَالَ كَاتِبُهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ !
مَا تَدْعُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا . فَضَحَكَ الْفَاسُ مِنْ قَوْلِهِ .

وَوَقَفَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا شَفَاعَةَ
الْحِجَّاجِ .

وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثَ [مِنْ زَوْجَتِهِ] ^(٢) ، أَنَّ الْحِجَّاجَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ،

(٢) مِنْ ط .

(١) سُورَةُ ص ٣٥ .

فاستفتى طائوس فقال : يغفر الله لمن يشاء ، وما أظنها إلا طُلِّتْ ؛ فاستفتى الحسن البصريُّ فقال : اذهب إلى زوجتك وكنْ معها ، فإن لم يكن الحجاج في النار ؛ فما يضرُّ كما أنكما في الحرام !

* * *

٤٨ - وَقْتِيْبَةُ فَتَحَ مَآوِرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ .

[قتيبة بن مسلم الباهليّ]

هو قُتَيْبَةُ بن مسلم بن عمرو الباهليّ ، وكُنِيَّتُهُ أبوصالح . نشأ في الدَّوْلَةِ المَرْوَانِيَّةِ وترقى وتولّى^(١) الإمارة ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وعَبَّرَ إلى ماوراء النَّهْرِ مراراً ، وأبلى في الكفار .

وكان شجاعاً جواداً ، دَمِثَ^(٢) الأخلاق فطناً ، ولم يكن يعاب إلا بأنه باهليّ . وكان أصحابه يمازحونه بذلك ، فيحتمل ويحلم .

حكى أبو عبيدة ، قال : قدِمَ رجل من بني سُلَولٍ على قُتَيْبَةَ بن مسلم بكتاب عامله على الرِّيّ - وهو المعلّى المحاربيّ - فراه على الباب قدامة بن جعفر ، وكان صديقاً لقُتَيْبَةَ كثير الإِدْلال عليه ، فدخل على قُتَيْبَةَ ، فقال : يبابك الأمُّ العرب ، فقال : ومن هو ؟ قال : سَلَوِيّ ، رسول محاربيّ ، إلى باهليّ ؛ فتبسّم قُتَيْبَةُ تبسّم غيظ ، والتفت إلى مِرْدَاسِ الأَسَدِيّ ، وقال : أنشدني شعراً للأقيشر ، فقهم مِرْدَاسُ مراده ، فأنشده شعراً^(٣) للأقيشر ، فيه تعريض بقُدَامة [يقول]^(٤) :

(١) ط : « وولى » .

(٢) نسخة بهامش ت : « سهل » .

(٣) ت : « شعر الأقيشر » ، د : « فأنشده للأقيشر » .

(٤) تكملة من ط . وفي د : « فقال » .

قلت قم صلّ فصلّي قاعداً يتغشاهُ سُمَادِيرُ السَّكْرِ^(١)

فتغيّر وجهُ قدامه ، فقال قُتَيْبَةُ : هذه بتلك ، والباديُ أظلم .

ويُرَوَّى أنه مازح إعرابياً جافياً ، فقال : أيسرُّك أن تكون مثلي باهلياً أميراً ؟ فقال : لا والله ؛ قال : فتكون باهلياً خليفة ؟ فقال : لا والله ، ولو أن لي ما طلعت عليه الشمس ! قال : فيسرُّك أن تكون باهلياً وتكون في الجنة ؟ فأطرق ثم قال : بشرط ألا يعلم أهلُ الجنة أني باهلي ! فضحك قُتَيْبَةُ من قوله .

وكان قُتَيْبَةُ من أكبر الأمراء المتتمين^(٢) إلى الحجاج ؛ وهو الذي كاتب عبد الملك بن مروان في أمره ، حتى ولّاه خراسان ، وذلك أن يزيد بن المهلب كان قد ولي خراسان بعد أبيه ، وظهرت مناقبه ، وعظمت آثاره ، فحسده الحجاج وعمل على عزله وتولية قُتَيْبَةَ ، وكان مما أكد أمر يزيد عنده أن الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد إلى العراق ، فمر في [طريقه]^(٣) بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الأول ، فسأله : هل تجدون أمورنا في كتبكم ؟ قال : نعم ، قال : ما تقول في عبد الملك ؟ قال : نجده في زماننا الذي نحن فيه ، قال : ومن يقوم بعده ؟ قال : رجل يسمى الوليد ، قال : فهل تعلم ما لي ؟ [يعني عمله]^(٤) قال : نعم ، قال : فمن يليه ؟ قال : يزيد ، قال : في حياتي أم بعد مماتي ؟ قال : لأعلم ، فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب .

ثم جلس يوماً يفكر ؛ وعنده عبيد بن يونس ، وهو ينكت^(٥) في الأرض ،

(١) السُمَادِيرُ : الشيء الذي يترأى للانسان من ضعف بصره عند السكر .

(٢) ت : « المتتمين » ، د : « من أكبر أمراء الدولة » .

(٣) تكملة من د ، ط .

(٤) تكملة من ت .

(٥) ت : « يكتب » .

فقال له : ما الذى بك ؟ قال : أهل^(١) الكتاب يذكرون أن ما تحت يدي
 يليه رجل يستقى يزيد ، وأنى نظرت فى [هذا]^(٢) الاسم ، فذكرت جماعة ، منهم
 يزيد بن أبى كبشه ، ويزيد بن الحصين ، ويزيد بن دينار ، وليس فيهم من
 يصلح لهذا الأمر ، وما ثم غير يزيد بن المهلب ؛ قال : فأخلق به ! فلم يجد شيئاً
 يعزله به ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول : إنه يميل
 إلى آل الزبير . فكتب إليه عبد الملك : إن ذلك وفاء لآل الزبير من آل
 المهلب ، وإن وفاءهم لأولئك يدعوهم إلى الوفاء لنا ؛ فكتب إليه الحجاج يحثوه
 غدر يزيد وآل المهلب ؛ فكتب إليه عبد الملك : قد أكرت فى يزيد ، فسم
 رجلاً لي يصلح لخراسان ، فسمى له جماعة بن مسعر^(٣) . ولم يكن يصلح ، وإنما
 جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعلم ميله إلى قتيبة ، ويعلم أن عبد الملك لا يرضى جماعة
 ابن مسعر . فكتب إليه عبد الملك يسفه رأيه . - معناه لم يرض ابن مسعر -
 فسمى له قتيبة بن مسلم ، فقال : ولّه ، فولاه ، وكره أن يواجه ابن المهلب
 بالعزل ، فكتب إليه : أقدم على ، واستخلف أخاك . ففعل ، وعند قدومه سار
 قتيبة إلى خراسان فدخلها وصعد المنبر ، فسقطت العصا من يده ، فتطير الناس
 فأخذها ، وقال : ليس كما ساء الصديق ، وسر العدو ، ولكن كما قال الشاعر :

فَأَلْقَيْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٤)

ثم نهض^(٥) قتيبة لغزو ما وراء النهر ، فجمع جيوشه ، وخطبهم خطبة بليغة ،
 فقطع النهر ، فتلّقاه من الطالقان رسل الملوك وهداياهم ، أولهم صاحب طخارستان

(١) ط : « إن أهل » .

(٢) من د ، ط .

(٣) ت : « مسعد » .

(٤) كتاب العاصم ١٩٣ من غير نسبة .

(٥) ط : « وثب » .

وهو من ملوك الترك - وأرسل إليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا ، فصالحه ، وأقام قتيبة على بلخ ؛ لأن بعضها كان عاصياً عليه ، فقاتل أهلها وسباهم ؛ وكان فيمن سبى امرأة برّ مك جد البرامكة ، فصارت إلى عبد الله بن مسلم ، أخى قتيبة فواقعها ، فيقال : إنها حملت منه بخالد ، وقيل : كانت حاملاً به .

ثم غزا قتيبة بيكند - وهى أذن مدائن بخارى إلى النهر ، ويقال لها مدينة التجار ، وهى على رأس المفازة من بخارى - فلما نزل بها استنصروا بالصغد ، واستجدوا من حولهم ، فأتوهم فى جمع كثير ، وأخذوا على قتيبة الطرق والمضائق ، فلم يصل إليه رسول ، ولا قدر على إنفاذه رسول مدة شهر ، وأبطأ على الحجاج خبره ، فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين ، فأمر الناس بالدعاء ، وكتب بذلك إلى الأمصار ؛ وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم ؛ وكان لقتيبة عين فيهم ، يقال له بُندار ، أعجمي ، فدفع إليه أهل بخارى مالاً على أن يدفع قتيبة عنهم ، فأتاه فقال : أخلى ، فأخلى المجلس ، فقال : قد عزل الحجاج عن العراق ، وهذا عامل جديد يقدم عليك ؛ فارجع بالناس إلى مزو - وكان عند قتيبة ضرار الضبي - فقال قتيبة لغلامه : أقتل بُندار ، فضرب عنقه ، فقال لضرار : والله لئن علم أحدهما الحديث قبل أن يقضى حربنا لألحقنك به ؛ فإن انتشار مثل هذا الحديث يفتت فى أعضاد المسلمين .

ثم أصبح الناس على راياتهم ، وأنكروا قتل بُندار ، وقالوا : كان ناصحاً للمسلمين ؛ فقال قتيبة : ظهر لى غشه ، فأخذه الله بذنبيه . ثم تقدم فقاتل ، وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح قتيبة أكنافهم ، ووصل إلى بيكند ، ففتحها عنوة ، وأصاب بها من الأموال والجواهر ما لم يصنّه فى بلد آخر ؛ وكان بها صنم من ذهب فأذا به ، فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف مثقال من الذهب . وكتب إلى الحجاج بالفتح ، ثم توجه إلى سجستان ، فأرسل إليه صاحبها

فصالحه ، ثم توجه إلى خوارزم - وكان صاحبها قد راسله سرّاً خوفاً من أخيه الخارج عليه - فصالحه وسلم إليه أخاه ؛ لأنه كان شرط عليه ذلك . ثم توجه إلى سمرقند ، فقاتل وثلم الشور ، فصاحوا : الصلح ! فصالحهم على ألف ألف ومائتي ألف في كل سنة ، وعلى أن يعطوه ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم طفل ولا شيخ ، وعلى أن يُخلوا المدينة لقتيبة ويُخرجوا منها المقاتلة ، ويدخلها قتيبة ويبني بها مسجداً ويصلي فيه ، ويخطب ويتغدى ويخرج منها . فأجابوه إلى ذلك ، فقال : ابعثوا لنا ما صالحناكم عليه ، فبعثوا إليه بالمال والثروة ، فقال قتيبة : الآن ذلّوا حين صار أولادهم وإخوانهم في أيدينا ! ثم بنوا جامعاً ونصبوا منبراً ، وأخلوا المدينة ، وانتخب قتيبة من أراد من فرسانه ودخلها ، فأتى المسجد فصلى وخطب ، ثم تغدى وأرسل إلى أهلها : لست بخارج منها ؛ فخذوا ما أعطيتمونا .

وكان قتيبة يعيّر بالغدر بأهل سمرقند ، ثم أحرق الأصنام وبيوت التيران ، ووجد جارية من بنات يزّ دجرد ، فقال قتيبة : أترى ابن هذه يكون هجينا ؟ فقالت : نعم ، من قبل أبيه ، فأرسل بها إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولدت له يزيد .

ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر^(١) ، فبعث إليه ملك الصين : ابعث لنا رجلاً من قومك نسأله عن دينكم ؛ فانتدب له عشرة من أشراف القبائل ، لهم هيئة وجمال ، فدخلوا عليه ، وعليهم ثياب رقيقة ، فلم يكلمهم أحد ، فهضوا ثم دخلوا عليه في اليوم الثاني وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال ، فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم أمس واليوم ، فقالوا : ذاك لباسنا في أهلنا وهذا في حريتنا ، فقال : انصرفوا إلى صاحبكم ، وقولوا له : ينصرف ، فقد عرفت قلة أصحابه ، وإلاّ بعثت له من يهلكه ومن معه . فقالوا : كيف نقول هذا لمن أوّل خيله في بلادك

(١) كاشغر ، ذكرها ياقوت ، وقال : هي مدينة وقرى ورساتيق في وسط بلاد الترك .

وآخرها في منابت الزيتون - يعنون الشام - وقد غزاك في بلادك ودوخها^(١) وهو في طلبك لا ترد له راية [ولا غاية]^(٢) ؛ قال : وما الذى يريد ؟ قال : إنه أقسم ألا يرجع حتى يطا أرضك ، ويحتم على أعناق أولاد الملوك ، ويأخذ الجزية . قال الملك : ونحن نبر قسمه ؛ ثم دعا بصحاف من ذهب ، وجعل فيها تراباً^(٣) ، ثم دعا بجماعة من أبناء الملوك^(٤) ، وبعث مالا كثيراً ، وقال : ليطا هذا التراب ، ويحتم على هذه الغلعة ، ويأخذ منا المال .

ففعل قتيبة ذلك ، وقرر عليهم مالا ومضى ، وقد أذغنت له ممالك ما وراء النهر ، واشتهرت فتوحاته ، حتى سمع معبد المغنى أنه فتح سبعة حصون في المشرق لا يترقى إليها ، فصنع سبعة أصوات صعبة المآخذ ؛ وسمها مدن معبد ، معارضة لقتيبة .

* * *

وأقام قتيبة بالشرق والياً عليه ثلاث عشرة سنة ، عظيم الرتبة ، مرهوب الجانب ، وكان شرف بيته ، ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع أنه عازم على ولاية يزيد بن المهلب ؛ حكى الجاحظ ، قال : لما بلغ قتيبة أن سليمان يريد عزله عن خراسان ، كتب إليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعها إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه هذه ، فإن شتمنى فادفع إليه الثالثة . فلما دفع له الكتاب الأول ، إذ فيه : يا أمير المؤمنين ، إن بلائى في طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت ، فدفعه إلى يزيد ؛ فدفع إليه الرسول الكتاب

(١) بعدها في ط : « وقد سبى » .

(٢) من ط .

(٣) ط : « من تراب قصره » .

(٤) ط : « بأربعة من أبناء الملوك » .

الثاني ، وفيه يقول : عجبا ! كيف تأمن ابن رحمة^(١) على أسرارك ، ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! يعني يزيد بن المهلب ، فشم قتيبة ، فدفع إليه الثالث ، وفيه : من قتيبة إلى سليمان ؛ أما بعد ، والله لأوثقن لك أختي^(٢) لا ينزعها المهر الأرض ، فقال سليمان : جدّوا له عهداً على عمله .

ثم فسدت على قتيبة بطاقته ، فقتلوه في خلافة سليمان ، وقام العزاء في المشرق عليه . وقال رجل من الأعاجم : يا معشر العرب ، قتلت قتيبة ، والله لو كان فينا [ومات]^(٣) لجللناه في تابوت ، واستفتحنا به غزونا .

ولقتيبة أخبار وألفاظ تدلّ على غزارة علمه وعقله وفصاحته ؛ كتب إليه الحجاج : إني قد طلّقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبه فتزوجها ؛ فكتب إليه : ليس كلّ مطالع الأمير أحبّ أن أطلع ، فقال الحجاج : ويل أم قتيبة ! إعجابا بقوله^(٤) .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : أنت قدح ابن مقبل ، فلم يدر الحجاج ما أراد ، فسأل قتيبة — وكان عالماً برواية الشعر — فقال قتيبة : إن ابن مقبل نعت قدحاً له ، فقال :

غدا وهو مجدولٌ فراح كأنه من المسّ والتّقليب بالكف أفتح^(٥)
إذا امتحنته من معدّ قبيلة غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح — وهو السهم الذي يُستقسم به على عادة العرب في الميسر — وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف ، فيقول : إن هذا القدح لكثرة

(١) د : « وجه »

(٢) الأخت : جبل يدفن الأرض ، ويبرز طرفه فتشده به الدابة .

(٣) ن ت .

(٤) ت : « كيف ألام عليه ! »

(٥) ديوانه . . . والآلى ٦٦ . قال أبو عبيد : غدوا به مجدولا مدجاً ، ثم راحوا به لكثرة استعماله لفوزه كما أنه أفتح ، والفتح : العرض .

فوزه وخروجه دون قداح الجماعة لكثرة تقلبيه والتعجب منه ، يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقةً بفوزه .

وقال قتيبة : إن هذا القدح فاز ستين مرة^(١) ، لم يخب منها مرة واحدة ؛ حتى ضرب به المثل .

ولما دخل قتيبة خراسان ، قام إليه بعض الشعراء ، وأنشد يقول :
شد العقاب على البريِّ وما جنى حتى يكون لغيره تنكيلاً
والجهل في بعض الأمور وإن غلا مستخرج للجاهلين عقولاً
فقال قتيبة : قبحك الله من مُشير ! والله لا قت معي في بلد ؛ ثم أخرجه من خراسان .

ونظر في بعض مغازيه إلى رجل من الأزد ، معه رأس من جلد بعير قد تتلم^(٢) من جميع نواحيه ، فقال : أيها الأزدى^(٣) ، رأس ابن أبي ربيعة خير من رأسك - يريد قول عمر بن أبي ربيعة^(٤) ، يصف خروجه من خباء محبوبته متخفياً^(٥) :

فكان محيى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثلاث شخصوس : كاعبان ومُعصر^(٥)

فقال الرجل : أيها الأمير ، هذا المجنّ أوفى من ذلك المجنّ .

ومن كلام قتيبة : لا تستعن على مَنْ تطلب إليه حاجةً بمن له عنده طمع فإنه لا يؤثرك على نفسه ، ولا بكذاب فإنه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ، ولا بأحق فإنه ربما أراد نفعك فضرّك .

(١) كذا في ت ، وفي د ، ط : « سبعين » .

(٢) ط ، د : « شعب » .

(٣) ط ، د ، م : « يا أبا الأزد » .

(٤ - ٤) ط ، د : « في قصيدته المشهورة ، وقد تشر بنسوة من الحى » .

(٥) ديوانه ٩٢ . والمعصر : الجارية أول ما أدركت .

ومرّ يوماً بكُناسة فيها عظام وأقدار ، فقال : إنّ الذي يبخل بما يصير
آخره إلى هذا ، لبخيل .

٤٩ - وَالْمُهَلَّبَ أَوْهَنَ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيَدِكَ ، وَفَرَّقَ ذَاتَ
يَدَيْنِهِمْ بِكَيِّدِكَ .

[المهلب بن أبي صفرة]

هو المهلب بن أبي صفرة ، واسمه ظالم بن سراق بن صبيح الأزديّ العتكيّ
البصريّ ، أمير كبير مشهور الدِّكر ، شجاع جواد . نشأ في دولة آل أبي سفيان
ثم أمره مُصعب بن الزُّبير على البصرة نيابةً عنه ، في أيام أخيه عبد الله بن الزُّبير ،
ثم ولّاه عبدُ الله خُراسان وقتال^(١) الخوارج ؛ واستمرّ على ذلك إلى أن مات في
زمن الحجاج ، في سنة ثلاث وثمانين من الهجرة .

وهو أوّل من اتخذ الرّكب الحديد ، وكانت قبل ذلك من الخشب .

وكان يقال : ساد الأحنفُ بحلمه ، ومالكُ بنِ مِسمع بمحبّته للعشيرة ، وقتيبة
يدهائه ، وساد المهلبُ بهذه الخلال جميعها . وسيأتي في آخر الترجمة نُبذ من
أخباره وألفاظه .

فأمّا الأزارقة فهم الخوارج القائمون بمذهب نافع بن عبد الله بن الأزرق
الخارجيّ ، خرجوا معه من البصرة والأهواز وغيرها من بلدان^(٢) فارس
واتبعوه ، وعظمت شوكتهم ، وتمسكوا الأمصار . وكانت له آراء ومذاهب
دانوا بها معه .

(١) ط ، د : « قتل » .

(٢) ط : « بلاد » .

منها أنه كفر علنياً كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور ، وقال : أنزل الله في حقه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ... ﴾ ^(١) الآية ، وأنزل في حق ابن ملجم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشِيرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
ومنها أنه كفر من لم يقل برأيه ، واستحلّ دمه ، وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه - [وإن كان على دينه] ^(٣) - وحكم ^(٤) أن من ارتكب كبيرة خرج عن الإسلام ، وكان مخلداً في النار مع سائر الكفار .
واستدلّ بكفر إبليس ، وقال : ما ارتكب إلا كبيرة حيث أمر بالسجود [لآدم عليه السلام] ^(٥) فامتنع ، وإلا فهو طارف بوحداية الله عز وجل ، إلى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الأزارقة .

وحكى عن خالد بن خدّاش ، قال : لما تفرقت الأزارقة وآراء الخوارج ^(٦) ومذاهبهم ، أقام نافع بن الأزرق بسوق الأهواز يعترض الناس - وكان متشككاً في ذلك - فقالت له امرأته : إن كنت كفرت بعد إيمانك وشككت ، فذبح تحملك ^(٧) ودعوتك ، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم - يعني المسلمين المخالفين لمذهبه - وأئخني في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ^(٨) .
فقبل قولها ، وبسط سيفه ، فقتل الرجال والنساء ، فإذا وطئ بلداً كان ذلك مدأبه إلى أن يحبيه أهلها ؛ فيضع عليهم الجباية ^(٩) والخراج . واشتدت شوكته ،

(١) سورة البقرة ٣٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ .

(٣) من ط .

(٤) ت ، د : « وحكمه » .

(٥) من ت .

(٦) ت ، د : « لما تفرقت آراء الخوارج » .

(٧) كذا في ت ، د ، م ، ي ، ط : « كلمتك » .

(٨) سورة نوح ٢٦ .

(٩) ط : « الجباية » .

وفشا عماله^(١) في السواد [الأعظم] ،^(٢) فاوتاع لذلك أهل البصرة ، فمشوا إلى الأحنف بن قيس ؛ وشكوا إليه أمرهم ، وقالوا : ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان . فقال لهم الأحنف : إن سيرتهم في مصركم إن ظفروا بكم مثل سيرتهم في سواكم . فخذوا في جهاد عدوكم .

وقد حرّضهم الأحنف ، فاجتمعوا إليه زهاء عشرة^(٣) آلاف في السلاح . وأمر عليهم مسلم بن عنبس - وكان شجاعاً ديناً - وخرج بهم ، فلما صاروا بموضع يعرف بدولاب ، خرج إليه نافع بن الأزرق على الشراة - وكانوا ستمائة نفر - فافتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح ، وعقرت الخيل ، وتضاربوا بالمعد ، قتل في المعركة ابن عنبس وهو أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق أيضاً ، فعجب الناس من قتل الاثنين . ثم ولى على أهل البصرة الربيع بن عمرو ، وعلى الأزارقة عبد الله بن الماحوز . فقتل الربيع ، وتولى الحجاج بن ناب^(٤) قتل ، وتولى حارثة بن بدر ، ونادى في الناس أن اثبتوا . فإذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين ، وللموالى زيادة فريضة ، وثبت الناس فالتقوا ، وقد فشت بينهم الجراح ، وماتوا الخيل إلا على القتل . فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة مدد عظيم للأزارقة ، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم ، وحلوا على الناس ،^(٥) فلما رأهم حارثة نكص فرسه^(٥) ، فانهزم وقال لأصحابه :

(١) ط : « أعماله » ، م : « عمله » .

(٢) من ط .

(٣) ط : « بزهاء عن عشرة آلاف » .

(٤) ط : « باب » ، تحريف .

(٥ - ٥) كذا في ث ، وفي ط : « فلما رأهم الجيوش ورآهم حارثة فكس برأيه » .

ومثله في الأغاني .

كَرَبُوا وَدَوَّلُوا — وَحَيْثُ شِئْتُمْ فَأَذْهَبُوا^(١)
 [وقال] (٢):

أَيُّ الْحَارِ فَرِيضَةٌ لِعَبِيدِكُمْ وَالْخَصِيَّتَانِ فَرِيضَةُ الْأَعْرَابِ
 فَتَتَابَعُ النَّاسُ عَلَى أَثَرِهِ مِنْهَزِمِينَ ، وَتَبِعَهُمُ الْخَوَارِجُ ، فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي
 دُجَيْلٍ^(٣) ، فَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْأَزْدِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُ
 الْأَزْرَاقَةِ:

يَرَى مَنْ جَاءَ يَنْظُرُ فِي دُجَيْلٍ شِيُوخَ الْأَزْدِ طَافِيَةً لِحَاهَا^(٤)
 وَقَلِقَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ لَذَلِكَ ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الرَّعْبُ مِنَ الْخَوَارِجِ ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ
 كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ لِلْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ مَتَوَجِّهًا إِلَى خُرَاسَانَ ، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ
 بْنُ الزُّبَيْرِ عَهْدَهُ بِهَا ؛ فَلَمَّا مَرَّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ الْأَحْنَفُ لَوْجُوهَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : وَاللَّهِ
 مَا لِلْخَوَارِجِ غَيْرُ الْمُهَلَّبِ ! فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : هَذَا عَهْدِي عَلَى خُرَاسَانَ
 وَمَا كُنْتُ لَأَدْعِي أَمْرَ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ . فَاتَّفَقَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَعَ
 الْأَحْنَفِ عَلَى أَنْ يَفْتَعِلُوا كِتَابًا عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ؛ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ،
 فَكَتَبُوهُ ، وَفِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَتَبَ إِلَيَّ يُخْبِرُنِي أَنَّ الْأَزْرَاقَةَ أَصَابُوا جَنْدًا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ عَهْدَكَ عَلَى خُرَاسَانَ
 وَوَجَّهْتُكَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تَبْتَدِي بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ؛ فَإِنَّ الْأَجَرَ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْ
 سَبْرِكَ إِلَى خُرَاسَانَ .

(١) كَرَبُوا : انزلوا كربني ؛ وَهِيَ مَوْضِعٌ بِالْأَهْوَازِ . وَدَوَّلُوا : انزلوا دولاب .
 وَبَعْدَهَا فِي الطَّبَرِيِّ

• قَدْ أَمَرَ الْمُهَلَّبُ •

- (٢) مِنَ الْأَغَانِي ، بَوَيْت : « وَزَيْدٌ فِيهَا » .
 (٣) دُجَيْلٌ : نَهْرٌ بِالْأَهْوَازِ حَفَرَهُ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ أَحَدُ مُلُوكِ الْفَرَسِ .
 (٤) انْظُرِ الْحَبْرَ فِي الْأَغَانِي ٦ : ١٠٤٣ - ١٠٤٧ (طَبْعَةُ الدَّارِ) .

فلمّا قرأ المهلب الكتاب قال : والله ما أسيرُ إليهم حتّى تجعلوا لي ما غلبتُ عليه ، وتقوّوني من بيت المال ، وأنتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت .^(١) فأجابوه إلّا طائفة من بني مسمع ، فخذوها عليهم [المهلب] ،^(٢) وسار إلى الخوارج فكان عليهم أشدّ من كلّ من قاتلهم . وبلغ ابن الزبير افتعال الكتاب فلم يقل شيئاً ، وأقرّه على ذلك .

ثم إن المهلب أخذ بالحزم في القتال وإعمال الرأى والمطالعة ، فأذكى العيون ، وأقلم الحرس وخندق ، ولم يزل الجند على مصافهم ، والناس على راياتهم وأخاسهم ، فكانت الأزارقة إذا أرادوا بيات^(٣) المهلب وجدوا أمراً محكماً . ثم خرج المهلب يوماً على تعبیه حسنة ، وخرج الخوارج على مثل ذلك إلّا أنهم أحسن عُدّة وأكرم خيلاً وأكثر سلاحاً من أهل البصرة ؛ وذلك أنهم أكلوا ما بين كَرَمَان إلى الأهواز ، فجاءوا في المغافروالدروع يسحبونها ، فالتقى الناس ، واشتدّ القتال ، وصبر بعضهم على بعض عاتمة النهار . ثم شدّت الخوارج على الناس شدّة منكراً ، فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين ، وأسرع المهلب حتّى سبقهم إلى مكان يفاع ، ثم نادى الناس : إلىّ إلىّ عباد الله ! فتاب إليه جماعة من قومه حتّى اجتمع إليه مقدار^(٤) : دة آلاف . فلمّا نظر إلى من اجتمع إليه رضى جماعتهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ؛ فإن الله يكلّل الجمع الكثير إلى أنفسهم فينهزمون ، ويُنزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ؛ ولعمري إنّى الآن بجماعتكم لراضٍ ، وأتم والله^(٥) أهل النصر ، وفرسان العصر^(٦) ، وما أحبّ أن أحداً منّ انهزم معكم ، ولو كانوا

(١) من ط ، م ،

(٢) كذا في ت ، د ، م ، وفي ط : « إتيان » .

(٣) ط ، د : « نحو من » .

(٤ - ٥) كذا في ت ، وفي ط : « أهل النصر وقوساق العصر » .

فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا^(١) . عزمت على كل نفر منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا نحو وكرهم فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم .

فقبلوا منه ، ثم أقبل بهم زحفاً ، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم في جانب عسكرهم . ثم استقبلوا أميرهم عبد الله بن الماحوز وأصحابه ، وعليهم الدروع والسلاح ، فجعل الرجل من أصحاب المهلب يعترض وجه الرجل بالحجارة حتى يُثخنه ، ثم يضربه بسيفه ، فلم يقاتلهم إلا ساعة حتى قتل ابن الماحوز ، وضرب الله وجوه أصحابه ، وأخذ المهلب معسكر^(٢) القوم وما فيه ، ومضى المنهزمون إلى كرمان وأصبهان .

ثم ولّى مصعب بن الزبير العراق ، ورجع إليه المهلب ، فقاتل معه المختار بن أبي عبيد إلى أن قتل ، ورجع إلى الأزارقة ، فلم يزل يفاديهم القتال ويرأوهم ، وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره ، والتحفّظ واليقظة إلى أن مضت مدة طويلة . وبلغ^(٣) الخوارج قتل مصعب بن الزبير أمير العراق ، واستيلاء عبد الملك ابن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ماتقولون في مصعب ؟ قالوا : إمام هدى ، ولينا في الدنيا والآخرة ، قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك ابن اللعين ، قالوا : فأنتم منه برآء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، ونحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم المصعب قد قتله عبد الملك ، وإنكم ستجعلون عبد الملك غداً إمامكم ، وأنتم اليوم تتبرءون منه وتلعنون أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله ! فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك ، فناداهم الأزارقة : يا أعداء الله ، بالأمس تتبرءون منه

(١) سورة التوبة ٤٧ .

(٢) ت ، د : « عسكر » .

(٣) ط ، د : « بلغ » بدون واو .

[وتلعنون أباه^(١)] ، واليوم تبايعونه بالخلافة ! وقد قتل إمامكم الذي كنتم توالونه فأيهما المهديّ ، وأيهما الضالّ ؟ فقالوا : رضينا بذلك ، ونرضى بهذا إذ ولى كلٌّ منهما أرواحنا وأمورنا ، فقالوا : لا والله ، ولكنكم إخوان الشياطين وطلبة الدنيا .

ثم ولى عبد الملك وأمر الحجاج على العراق ، وأمره بإمداد المهلب ، فشمر الحجاج لذلك ، وتتابع المدد إلى أن قال المهلب : لقد ولى العراق والي ذكرك . ثم إن الحجاج كتب إلى المهلب يستبطنه في مناجزة الأزارقة ، ويستعجزه ، فحبس المهلب رسول الحجاج أيما حتى رأى صنع^(٢) الخوارج وجلدهم وثباتهم . وكتب إلى الحجاج يقول : إن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، فإن كنت نصبتني لحزب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى ، فإن أمكنتني فرصة انتهزتها ، وإن لم تمكّنني توقفت ، فأنا أدير ذلك بما يصلحه ؛ وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فإن كان صوابا فلك وإن كان خطأ فعليّ . فابعث من رأيت مكانى . والسلام .

ولما طالت الحرب بين المهلب وبينهم ، ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم ، علم أنه لا يظهر^(٣) إلا بالاختلاف إذا وقع بينهم ، وكان في عسكرهم حدّاد يسمى أبزى^(٤) ، يصنع نصالاً مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب ، فوجّه المهلب رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر الخوارج ، وقال : ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك . وكان في الكتاب : « إلى الحدّاد : أمّا بعد فإن نصالاً قد وصلت إلينا ، وقد وجّهت إليك بألف درهم فاقبضها ، وزدنا

(١) من ط .

(٢) ط ، م : « صنع » .

(٣) كذا في ت ، د ، وفي ط ، م : « لا يظهر » .

(٤) كذا في السكمل للبهرد ٣ : ٣٨٢ ، وفي الأصول : « لم يكن » .

من هذه النصال « فوق الكتاب [والدراهم] ^(١) إلى قَطْرِيّ ، فدعا أُبْرِيّ وقال : ماهذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فما هذه الدراهم ؟ قال : لا أعلم علمياً . فأمر به فقتل ، فجاءه عبد ربّه الصغير ^(٢) - وكان من كبار القوم - فقال له : قتلْتَ رجلاً على غير بينة ولا تبين أمره ^(٣) ! فقال : فإحال هذه الدراهم ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذباً ، ويجوز أن يكون حقاً . قال قَطْرِيّ : قتلُ رجل في صلاح الناس غير منكّر ، والإمام أن يحكم بما يراه صلاحاً ، وليس للرعية أن تعترض عليه . فتنكّر له عبدُ ربّه وجماعة معه ، ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلب ، فدرس إليه رجلاً نصرانياً ، فقال له : إذا رأيت قَطْرِيّاً فاسجد له ، فإذا نهاك فقل له : إنما سجدتُ لك . ففعل النصراني ذلك ، فقال له قَطْرِيّ : إنما السجود لله ، فقال : ما سجدتُ إلا لك ، فقال له رجل من الخوارج : قد عبدك من دون الله ، وتلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ^(٤) ، فقال قَطْرِيّ : إن هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم ، فماضره شيئاً ^(٥) . فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر ذلك عليه ، وقال : قتلْتَ ذمياً ، فاختلفت الكلمة ، فبعث إليهم المهلب رجلاً يسألم عن شيء تقدّم به إليه ، فأتاهم الرجل ، فقال : رأيتم رجلين ^(٦) خرجا مهاجرين إليكم ، فأت أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه ، فلم يجز الحنة ، ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميّت فهو من أهل الجنة

(١) زيادة من كتاب الكامل .

(٢) بعدها في الكامل : « مولى قيس بن ثعلبة » .

(٣) كذا في ط ، وفي ت : « من غير ثقة ولا تبين » ، وفي د : « على غير بينة » .

(٤) سورة الأنبياء ٩٨ .

(٥) ط ، د : « فاضر عيسى شيئاً » ، م : « فاضر عيسى شيء » .

(٦) ط : « رأيتم لو أن رجلين » ، وأثبت ما في ت ، د والكامل .

وأما الذى لم يميز الحنة فكافر حتى يميزها . وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يميزا الحنة .

فكثر الخلاف ^(١) ، فخرج قَطْرِيٌّ إلى حدود إصطخر ، وأوقع المهلب بمن بقى منهم مع صالح بن مخراق ، وزحف إلى البقية ، وخندق عليهم . ثم أقام أياما ، وأقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قَطْرِيٍّ وعبدربه ، وانحاز إلى عبدربه جماعة وولوه عليهم ، وذهب قَطْرِيٌّ بأصحابه . وقَاتِل المهلب جيش عبدربه ، فقتل عبدربه بعد وقائع طويلة ، وانفلَّ حد ^(٢) الأزارقة وتشتوا في البلاد ، وتحطفهم الناس . وكتب المهلب إلى الحجاج بالفتح يقول :

الحمد لله الكافى بالإسلام فقدما سواء [الذى وصل المريد بالشكر ، والنعمة بالحمد ، وقضى] ^(٣) بأن حكم ألا ينقطع المريد منه حتى ينقطع الشكر من عباده . أما بعد ، [فقد كان من أمرنا ما قد بلغك] ^(٤) وكنا نحن وعدونا على حالين : مختلفين ، يسرنا منهم أكثر ما يسوءنا ، ويسوءهم منا أكثر ما يسرهم ، على اشتداد شوكتهم ، فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت الفتاة ، وتوهم ^(٥) به الرضيع ، فانهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدريت السواد [من السواد] ^(٦) حتى تعارفت الوجوه ، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله ، ففُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ^(٥) .

فكتب إليه الحجاج يشكره ويذكر بلائه ، ويأمره بالقدوم عليه

(١) الكامل : « الاختلاف » .

(٢) ط : « جند » .

(٣) زيادة من الكامل .

(٤) الكامل : « ونوم » .

(٥) سورة الأنعام ٤٥ .

واستخلاف أحد بنيهِ ، فقدم الحجاج فأجلسه على السرير إلى جانبه ، وأظهر إكرامه وبره ، وقال : يا أهل العراق ، أنتم عبيد عتقاء المهلب ، ثم قال : أنت والله كما قال لقيط الإيادي :

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمْ رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَقِّ مُضْطَلَعًا^(١)
لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هُمَّ يَكَادُ حَسَاهُ يَقْصِمُ الضَّلْعَا
حتى استمرَّ على شَرْرِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرْعًا^(٢)
فقام رجل وقال : أصلح الله الأمير ! والله لكأنني أسمع قطريًا وهو يقول :
المهلب ، كما قال لقيط ، ثم أنشد هذا الشعر . فسرَّ الحجاج حتى ظهر عليه^(٣) .
وسئل المهلب : ما أعجب ما رأيت من قتال الأزارقة ؟ قال : رأيت
رجلا منهم يطعنه الرجل فيمشی في الرمح إلى طاعنه ليضربه^(٤) ، وهو
يقول : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾^(٥) .

وكانت مدة إقامه المهلب على قتال الخوارج ومصابرته لهم تسع عشرة سنة ،
إلى أن فتح الله على يديه ، وطهر منهم الأرض ، ومات سنة ثلاث وثمانين
للهجرة^(٦) .

ومن أخباره المستحسنة أنه أقبل يوماً من بعض غزواته ، فتلقت امرأة
فقلت له : أيها الأمير ، إنني نذرت إن أقبلت سالماً أن أصوم يوماً^(٧) ، وتهب

(١) مختارات ابن السجري • ومضطلعا : أي شديدا .

(٢) قوله : « على شَرِّ مَرِيرَتِهِ » : مثل : يقال : شَرَّتِ الحبل : إذا كُرت فتله .
بعد استحكامه راجعا عليه ، والمريرة : الحبل . والضرع : الصغير الضعيف . وآخر سن
الشيخ

(٣) انظر أخبار المهلب مع الأزارقة ، في السكامل للمبرد منثرة في الجزء الثالث ما بين

صفحتي ٣١٠ و ٤٠٨ .

(٤) كذا في ت ، وفي ط : « وينال منه » .

(٥) سورة طه ٨٤ .

(٦) ط : « ومات على فراشه » .

(٧) ط : « شهرا » .

لى جارية وألف درهم . فضحك وقال : قد وقينا نذكرك فلا تعودى لمثله ، فابس كل أحد ينى لك به .

ووقف له رجل فقال : أريد منك حويجة ، فقال : اطلب لها رجلاً ، - يعنى أن مثلى لا يسأل إلا حاجة عظيمة .

ومرّ يوماً بالبصرة فسمع رجلاً يقول : هذا الأعور ساد الناس ، ولو خرج إلى السوق لا يساوى أكثر من مائة درهم ؛ فبعث إليه بمائة درهم ، وقال : لموزدتنا فى الثمن زدناك فى العطية .

ولما هزم قطري بن الفجاءة دخل عليه المغيرة^(١) وأنشد :

أمسى العباد لعمري لا غياث لهم إلا المهلب بعـد الله والمطر
هذا يجود ويحمي عن ديارهم وإذا يعيش به الأنعام والشجر
فقال : هذا والله هو الشعر ، وأمر له بعشرين ألفاً .

ومن كلامه : عجبت لمن يشتري العبيد بماله ، ولا يشتري الأحرار بأفصاله .
وكان يقول لولده : إذا غدا عليكم الرجل وراح ، فكفى بذلك تقاضيا .
وتذاكروا عنده الثياب ، فقال : أحسن ثيابكم ماراً يتموه على غيركم .
وكان كثيراً ما يأمر بصلة الرحيم والمبكية فى الحرب .

وحكى أن عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على الحجاج [بالجيش الذى كان بعثه معه إلى قتال رتبيل]^(٢) كاتب المهلب ، وهو بخراسان يدعوه إلى خلع الحجاج ، فقال المهلب : لا غدر بعد سبعين سنة . ثم كتب إلى الحجاج :
أما بعد ، فإن أهل العراق مع ابن الأشعث قد أقبلوا إليك ، وهم مثل السيل المنحط من عل^(٣) ، ليس يرده شئ حتى ينتهى إلى قراره ، ولأهل العراق شدة

(١) ت : « رجل » ، وهو المغيرة بن حبناء ، التميمي ، شاعر المهلب المرزبانى ٢٧٣

(٢) من ط ، م .

(٣) ط : « من أعلى إلى أسفل » . د ، « من علو » .

في أول حربهم ، وبهم صباية إلى نساءهم وأبنائهم ، فلا شيء يرثهم دون أهليهم ،
فلا تستقبلهم ، وخلّ لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم ، ويتشبهوا
أبناءهم ، فترقّ قلوبهم ، ويخلدوا إلى المقام في منازلهم ، ويتفرّقوا عن ابن الأشعث .
فأوقع بمن حاربك منهم ، فإنّ الله ناصرك عليهم .

فلما قرأ الحجاج كتابه قال : ويلى على ابن المردى^(١) ! والله ما لي نظر
ولمّا نظر إلى ابن عمّه . ولم يقبل منه ذلك ، وكان ذلك مراد المهلب - ^(٢) أغنى
دخول ابن الأشعث وتلفظه بهذه المكيدة طي هذه النصيحة . ومن شعره^(٣) -
إنا إذا أنشأت قوماً لنا نعمٌ قالت لنا أنفسُ أزديةً عودوا
لا يوجد الجودُ إلا عند ذى كرمٍ والمال عند ثام الناس موجودُ

٥٠ - وَأَنَّ هَرْمُسَ أَعْطَى بَلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ .

[هرمس وبلينوس]

هرمس هذا هو الذي تزعم الصابئة^(١) أنه نبي مرسل ، وأنه إدريس عليه
السلام ، ويسندون إليه شرائعهم من^(٢) تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني
عشر ، والتقرّب إليها بالذبايح ، وما أشبه ذلك من مذهبهم .
قال أبو معشر البلخي : هو أول من تكلم في الأشياء العلوية ، من الحركات
النجومية ، وجدّه كيومرث - وهو آدم عليه السلام - علّمه ساعات الليل والنهار .
وهو أول من بنى الهياكل ، ومجّد الله فيها ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه .

(١) كذا في ت ، وفي د ، ط : « المروي »

(٢-٢) كذا في ت وفي ط ، م : وتلفظ له في طي هذه النصيحة البليغة ، وما روى من

شعره . (٣) ط ، د : « الذي يزعم قوم من الصابئة » .

(٤) ت : « في » .

موصّفات لأهل زمانه كتباً كثيرةً بأشعار موزونة بلغتهم ، في معرفة الأشياء العلوية والأرضية . وأوّل من أنذر بالطوفان ؛ ورأى أن آفة سايوية تلحق الأرض من الماء والنار ^(١) .

وكان مسكنه مصرَ ، فعند ذلك بنى الأهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان ، فبنى البرابيَّ ، والجيل المعروف ببرابة أخميم ، وصوّر في ذلك الموضع ^(٢) الصناعات وصناعاتها نقشاً ، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده ؛ حرصاً على تحايدها من بعده .

وتزعم الصائبة أن النبوة من بعده لإسقليبيوس ، وكان اسمه بليينوس فريد فيه تعظيماً لاسمه ^(٣) ، وكذلك يقال في أرسطاطاليس ، فإن اسمه أرسطو . وكان كلّ من مهر في علومه زيد في اسمه .

وكان بليينوس قد أخذ العلوم والأسرار عن هرمس هذا ، وهو هرْمَس الهرامسة .

وزعم آخرون أن هرْمَس صاحب بليينوس كان بعد الطوفان ، وهو غير هذا . وقال الكندي : وهو صاحب كتاب الحيوانات ^(٤) ذوات السموم ، وكان طبيباً فيلسوفاً ، عالماً بطبائع الأدوية ، جوالاً في الأرض ، طوّافاً في البلاد ، عالماً بنسبة ^(٥) المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها ، وهو صاحب الطلسمات الأندلسية مثل السودانية الفحاس وغيرها

وكان بليينوس هذا تلميذه ، سافر معه البلاد ، فلما خرجا من الهند إلى فارس خافه بيا بل ، وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له في الطب وإبراء المرضى وقائع معجزة ؛ إلى أن كثرت فيه أفاويلهم ، وقالوا : هو نبيّ ، وقلّوا :

(١) ت : « أو النار » .

(٢) ت : « وصور فيها » ، م : « وصور فيه » .

(٣) ت ، م : « له » .

(٤) ت « الحيوان » . (٥) م : « بنصب » .

مَلَك. وزعموا أن مولده روحاني ، وأن الله تعالى رفعه في عمود من نور ، وإقليدس ينسب إليه .

وهو الذي وضع علم الطب في هيكل يعرف بهيكل إسقليبيوس ؛ ويدل على ذلك قول جالينوس في بعض كتبه : إن الله تعالى لما خلصني من دُبيلة^(١) قتالة كانت عرضت لي ، حججت إلى بيته المسمى بهيكل إسقليبيوس ، ويقال : إن هذا الهيكل بمدينة رومية ، كانت فيه صورة تكلم الناس ، مركبة على حركات نجومية ، وأنه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة .

وحكى جالينوس أن الله تعالى أوحى إلى إسقليبيوس : أتني إلى أن أسميك ملكاً أقرب من تسميتك إنساناً .

وكان معظمًا عند اليونان ، يستسقون بقبه ، ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل ، تخلف ابنين ماهرين في صنعة الطب ، وعهدا إليهما ألا يعلما الطب إلا لأولادهما وأهل بيتهما ، ولا يدخلوا في هذه الصناعة غريباً ؛ وكان تعليم الطب تلقيناً إلى أن وضع أبقرط الكتب ، وهو السادس عشر من ولده .

قال جالينوس : وأما صورته - يعني المصورة التي في الهيكل - فصورة رجل ملتحم قائماً متشمرًا ، مجموع الثياب ؛ يدل بهذا الشكل على أنه ينبغي للأطباء أن يستعدوا في جميع الأوقات ، آخذاً في يده عصاً معوجة ذات شعب ؛ يدل ذلك على أنه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج إلى عصاً يتوكل عليها .

وقيل : إنما صور العصا لأنها من شجرة الخيطي ، وأنه يطرد بها الأمراض . وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ، ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر ، وهو الثنين . ويقرب هذا الحيوان منه لأشياء كثيرة .

(١) الدبيلة : خراج أو دمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالباً .

أحدها أنه حيوان حادّ البصر ، كثير السّهر ، وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد كذلك .

والثاني أنه يسلخ لباسه الذي يسؤونه الشيخوخة ؛ فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيد من الصّحة .

والثالث أنه طويل العمر ، وعلى ذلك يحرص بعض الأطباء .

ويروى أنه عاش تسعين سنة .

ومن كلامه : الصنّعة عند الكفور إضاعة للنعمة .

المتعبّد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشى ولا يبرح ، ولا يعرف ماهو فاعل في تديره .

* * *

٥١ - وَأَفْلَاطُونُ أَوْرَدَ عَلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ مَا تَقَلَ عَنْكَ .

[أفلاطون]

هو أفلاطون بن أرسطو الإلهي ، آخر المتقدمين ^(١) الأوائل ، معروف بالتوحيد والحكمة ^(٢) ، ولد في زمان أزدشير الأوّل ، وتلمذ لسقراط ، ولما اعتلّ سقراط ومات مسموماً قام مقامه ؛ وجلس على كرسيه ، وقد أخذ العلم عن ^(٣) سقراط وطليموس ^(٤) ، وكان قد رحل إلى مصر ، فأخذ أيضاً عن أصحاب ^(٥) فيثاغورس وغيره ، وضمّ إلى علومه الإلهية العلوم الطبيعية والرياضية . وهو أحد المشائين المشهورين ، ومعنى المشائين أنه كان من رأيهِ الرياضة للبدن بالسعي المعتدل ؛ لتحليل الفضول ، ومدرسة في تلك الحال . ويقال إنه أمر الملوك بأنّ

(١) ت : « المجتهدين .

(٢) ت ، د : « الحكم .

(٣) ت : « من .

(٤) كذا في م وطبقات الأطباء لابن جليل ٣٣ ، وفي د ، ط : « طيمارس .

(٥) د : « وغيرهم .

بيوت الحكمة لتعليم أولادهم ، فكانوا^(١) يتخذون البيوت المذهبة والمزخرفة^(٢) ، ويصوّرون فيها أصناف الصوّر المستحسنة التي ترتاح إليها النفوس ، ثم يتعلّم فيها الصبي ، فإذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيدٍ على درج إلى^(٣) مجلس بديع الصنعة ، وقد اجتمع كبار أهل المملكة ؛ فيتكلّم بالحكمة التي حفظها على رؤوس الأشهاد ، وعليه التاج ، ويسمى حكيما ؛ كلّ ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال ؛ لما يحصل له من التشرّيف^(٤) والسرور ، وفي يومٍ من هذه الأيام ظهر أمر أرسطاطاليس كما سيأتي ذكره .

ولأفلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس ، وخالفه في بعضها ؛ مثل حدوث العالم وغيره .

وكان يصوّر لأفلاطون الصّورة ، ويؤثّر بها إليه فيقول : ^(٥) « مِنْ خَلَقِ هَذِهِ الصُّورَةَ كَذَا ؟ وَمِنْ حَالِهَا كَذَا ؟ فَصُوِّرَتْ صُورَتُهُ ، وَسُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ : مِنْ خَلَقِ صَاحِبِ هَذِهِ الصُّورَةِ كَذَا وَكَذَا ، وَهُوَ مُحِبٌّ لِلزَّنا ، فَقِيلَ : إِنَّهَا صُورَتُكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَحْبَبْتُ نَفْسِي عَنِ الزَّنا لَفَعَلْتُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِقَدْرِ مَا يُعْطَى مِنَ الْحِكْمَةِ يَمْنَعُ مِنَ الرِّزْقِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْحِكْمَةَ حَظُّ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ ، وَالْمَالُ حَظُّ النَّفْسِ الشَّهَوَاتِيَّةِ ، وَالنَّاطِقَةُ غَالِبَةٌ عَلَى الشَّهَوَاتِيَّةِ ، فَالْمَالُ وَالْحِكْمَةُ مَتَغَايِرَانِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ .

وَقَالَ : لَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا إِذَا عُبِّرَتْ بِهِ غَضَبْتُ^(٦) ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، كُنْتَ أَنْتَ الْقَازِفَ لِنَفْسِكَ .

(١) ت : « فَكَانُوا » .

(٢) كذا في ت ، وفي ط ، م ، د : « المزخرفة » بدون واو .

(٣) ط : « ف » .

(٤) ط : « التّشريف » .

(٥-٥) كذا في ط ، م ، وفي ت ، د : « مِنْ خَلَقِ هَذِهِ الصُّورَةَ كَذَا وَكَذَا » .

(٦) بعدها في ت : « أَنْ تَفْعَلَهُ » .

وقال : عقول الناس مدونة في رؤوس أفلامهم ، وظاهرة في اختياراتهم .
وقيل له : بماذا ينتصف الإنسان من عدوه ^(١) ؟ قال : بأن يزداد فضلاً
بقي نفسه .

وقال في معنى الملك : هو كالبحر تستمد منه الأنهار ، فإن كانت الأنهار
عذبة فأصلها منه ، ^(٢) وإن ضد ذلك فمعه ^(٣) .

وقال : ينبغي للذين يأخذون على أيدي الأحداث أن يدعوا لهم موضعاً
للعذر ، لئلا يضطروا إلى القحة ^(٤) بكثرة التوبيخ .

وقيل له : فلان لا يعرف الشر ^(٥) ، قال : فإذا لا يعرف الخير ؛ يريد
أن تكون الأمور متميزة عند الإنسان ، فإنه بعد تمييزها يختار منها ،
وإذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ، ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع
في مهلكاتها .

وقال : من القبيح أن تمتنع من الطعام الذي لتصح أبداننا ، ولا تمتنع
من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا .

* * *

[أرسطاطاليس]

فأما أرسطاطاليس فهو ابن نيقوماخس ، المعروف بالمعلم الأول ؛ وإنما
سمي بذلك لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وأخرجها من القوة

(١) ت : « حسوده » .

(٢-٣) ت ، م : « وضد ذلك » ، وأثبت ما في ط .

(٣) كذا في الأصول المخطوطة ، وفي ط : « الضجر » .

(٤) كذا في ت وفي ط : « لا يعرف شيئاً » .

إلى الفعل ، وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض .

وكان سبب محبة أفلاطون له وإلقاء علومه إليه ، أن أباه كان قد أسلمه لأفلاطون صغيراً ومات ، فاستمر أرسطاطاليس يتيماً في خدمته ، وكان بروسطافس الملك قد اتخذ لولده نطاقورس بيتاً للحكمة ، وأمر أفلاطون بتعليمه ، وكان غلاماً متخلفاً قليل الفهم ، وأرسطاطاليس غلاماً ذكياً حاداً ، موكان أفلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة ، وأرسطاطاليس يبي ذلك [سراً] ^(١) ويرسخ في صدره ، حتى إذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذي هو بيت الحكمة ، وألبس نطاقورس التاج ، وحضر الملك وأهل المملكة على العادة ، وصعد أفلاطون وولد الملك إلى مجلس الحكمة والتشريف ^(٢) على رموس الأشهاد ، فلم يورد الغلام ^(٣) حرفاً ، ولا نطق بشيء ^(٤) ، فأسقط في يد أفلاطون ، واعتذر بأنه لم يقصر في الإلقاء عليه ، ثم قال : يا معشر التلامذة ، من فيكم من ينوب عن نطاقورس ؟ فبذر أرسطاطاليس وصدر إلى مجلس التشريف ، وأخذ يسرد جميع ما ألقاه أفلاطون إلى ابن الملك ، لم يغادر منه حرفاً ؛ فقال أفلاطون : أيها الملك ، هذه الحكمة التي ألقيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم ، فما احتياي في الرزق والحرمان ! ثم انصرف الجمع ، وقد اغتبط أفلاطون بأرسطاطاليس ، واعتنى به بعد ذلك ، ومكث عنده تيقفاً وعشرين سنة ، وكان كثير التعظيم له بحيث أنه كان إذا جلس واستدعي منه الكلام يقول : اصبر حتى يحضر الناس ، وربما قال : اصبر حتى يحضر العقل ، فإذا حضر أرسطاطاليس قال : تسكلموا .

ثم مات أفلاطون ، وقد أخذ عنه أرسطاطاليس جميع علومه ، وخالفه في مسائل

(١) من ت ، د .

(٢) د ، ط : « التشريف » .

(٣) د ، ط : « شيئاً ولا نطق بحرف » .

استدركها عليه ، وكان يقول : إنا لنحب أفلاطون ونحب الحق ، فإذا افترقا فالحق أولى بالحب .

ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله ، وقال : إنما فُضِّل الناس على البهائم بالمنطق ، فأحقرهم بالإنسانية أبلغهم منطقاً ، وأوصلهم إلى عبارات من ذات نفسه بالإيجاز .

وله في ذلك مسائل ومصنفات معروفة ، وكذلك في جميع علومه الحكيمية والفلسفية ، وكان قد تسلَّم الإسكندر بن فيلبس من أبيه ، فعلمه وهذبه ، وولى الإسكندر المملكة ، فكان لا يبرم أسراً ولا ينقضه ^(١) إلا بإشارته . وكان منزلة الوزير والمشير إلى أن توفي الإسكندر ، وعاش بعده قليلا ومات ، فوضعت جثته في إناء من نحاس - وقيل في خشبة كالنابوت - وعُلِّقت في جزيرة صقلية ، وكان أهل البلد يجتمعون إليها عند المشاورة والمدارسة في فنون الحكمة ، ويقولون : إنَّ مجيئهم إلى ذلك الموضع يذكى عقولهم ، ويصحح فكرهم ، ويزيلاً استسقوا به في الجدب .

ومن كلامه مما كتب به للإسكندر وهو في غاية البلاغة : أيها الملك ، لا تنخدع للهوى ، وإن خُيِّل إليك أن في انخداعك له خداعه ، فقد يسترسل الإنسان وهو يظن أنه متحقق . واجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه ، وريث لا غفلة معه ، وامزج كلَّ شكل بشكليه حتى تزداد قوة . وكن عبداً للحق فعبد الحق حر . وليكن وُكُودك ^(٢) الإحسان إلى الخلق ، ومن الإحسان وضع الإساءة في موضعها . وكن نصيحاً نفسك ، فليس لك أرف بك منك . وإذا أشكل عليك أمرٌ فاضرع إلى الله تعالى يبتغى هذه النجاة ، فإنه يفتح لك المخرج ، وإذا فاتك شيء فاعلم أن ذلك لسهوه عرض لك في الشكر على ما أفادك . ومهما أخطأك شيء

(١) ط : • وينقضه •

(٢) ت : • فكرك •

فلا يخطئك الفكر في الرّحيل عن هذه الدار .

ومنه : إنّ لكل شيء صناعةً ، وصناعة العقل حسن الاختيار .

ورأى إنساناً سمين البدن ، فقال : ما أشدّ عنايتك برفع سور جسمك ^(١) !

وقال : سلوا القلوب عن المودّات ، فإنها لا تقبل الرّشا .

وقال : مقدّم الرأس للفكر ، ومؤخّره للدّكر ، والدليل على ذلك أن المتنفكر يطأطئ برأسه ، والمتذكّر يرفع رأسه .

وقال : من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب .

وأكثر الأمثال في شعر المتنبي من قوله . وقد أفرد الحاتمي ^(٢) رسالة في ذلك .

وحكى عبد الله بن طاهر أنّ المأمون ، قال : رأيتُ في المنام رجلاً قد جلس مجلس الحكاء ، فقلت له : مَنْ أنت ؟ فقال : أرسطاطاليس الحكيم ، فقلت : أيّها الحكيم ، ما أحسن الكلام ؟ قال : ما يستقيم في الرأى ، قلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما يستحسنه سامعه ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما لا تُحشى عاقبته ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء .

قال المأمون : ولو كان حيّاً ما زاد على هذا الكلام شيئاً آخر ، إذ به جمع .
ومنع وقال قوم : إنّ هذا الكلام وُجد في كتبه .

* * *

(١) ت : « حبسك » .

(٢) ط : « الهاشمي » ، تصحيف .

٥٢ - وَبَطْلِيمُوسَ سَوَى الْأَسْطَرَلَابَ بِتَذِيرِكَ ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ .

[بطليموس]

هو بطليموس صاحب كتاب المجسطى الكبير ، والجغرافيا ، والأسطرلاب ، وكتاب اللحن الثمانية . وغير ذلك .

وهو أول من شرح القول على هيئات الفلك ، وأخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل .

وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الإسكندر : وبطليموس لقب ملوكهم .

وكان رجلاً حكيماً ، وسبب ملكه أنه لما مات بطليموس الصانع ملك اليونان ، لم يكن في بيت هذا الملك من أهله من يصلح للملكة ^(١) ، فذكر لليونان رجل يصلح ، فقال بطليموس : إنه لا يصلح للملك ، قالوا : ولم ؟ قال : لأنه كثير الخصومة ، وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالماً أو مظلوماً ، فإن كان ظالماً لم يصلح للملك لظلمه ، وإن كان مظلوماً لم يصلح للملك لعجزه وضعفه ، قالوا : صدقت ، فانت أولى بالملك ؛ فملكوه عليهم .

وقال بعض محققى التاريخ : ليس بطليموس الحكيم من ملوك اليونان ، بل هو رجل حكيم كان في زمن أنطينوس ، أخذ ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة . والدليل على أنه ليس من ملوك اليونان ، أنه ذكر في كتاب « المجسطى » أنه رصد الشمس بالإسكندرية ، سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر ، وكان من مختصر

(١) ط : • الملك • .

إلى قتل دارا أربعمئة وتسع وعشرون سنة ، ومن قتل دارا إلى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وثمانون سنة ، ومن غلبة أوغسطس إلى أن ملك أنطيينوس مائة وسبعون سنة ؛ فيكون ذلك موافقاً لما حكاه بطليموس في كتابه .

وأما الأسطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية « ميزان الشمس » ، وبه يعرف مقدار الساعات ، وأخذ الأرصاد ، ومطالع الكواكب وغير ذلك ، وبه مثلت هيئة الفلك ، وكذلك الكرة . والأسطرلاب كرة مطبوعة مثاله كرة من شمع ضمت عليها البدان ، فصارت دائرة .

وزعم بطليموس أن الأفلاك تسعة ، فأولها أقربها إلى الأرض ، وهو أضغرها ، وهو فلك القمر ، ثم الذي يليه فلك عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ، ثم المشتري ، ثم زحل ، والثامن فلك البروج - وفيه سائر الكواكب الثابتة - والتاسع الفلك الأعظم الحاكم على جميع الأفلاك ، ويسمى الأثير ، لأنه يؤثر في غيره ، وغيره لا يؤثر فيه . ويقال : القسري لأنه يدير الأفلاك دورة قسرية في كل يوم وليلة . وهيئات البروج مثال البطيخة الخططة ، أعلاها وأسفلها كالتقطعين ، وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج^(١) . ثم إن الفلك المحيط يدير الأفلاك الثمانية من الشرق إلى المغرب [كل يوم دورة واحدة ، والأفلاك الثمانية تدور من المغرب إلى المشرق ، وشبهوا ذلك بسفينة تجرى مع الماء ، وفيها رجل يمشى مصعداً]^(٢) .

وحكى أبو حيان التوحيدى ، قال : كان ابن بكير يقول : دون فلك القمر فلكان ، هاسب المد والجزر ، ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين . وهذا من

(١) ت : « البروج » .

(٢) ن ط .

آرائه التي تفرّد بها ، ولم أجد أحداً يوافقها عليها ؛ والصّناعة برهانيّة ، ولا أعرف
أحد برهان قام له على هذه الدّعوى !

ومن كلام بطليموس : ما أحسن بالإنسان أن يضرب عمّا يشتهي ، وأحسن
منه ألاّ يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال : ينبغي للعاقل أن ينظر كلّ يوم في المرآة ، فإن رأى وجهه حسناً
لم يشنه بشيء قبيح يفعله ، وإن رآه دميماً لم يجمع بين قبيحين .

وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه ، فهزّ ربحاً بين يديه ليعلموا
أنه يسمع منهم ، وأن يتباعدوا عنه قيد رُمح ، فيقولوا ما أحبّوا .

وكان يقول : إنّما نحن كائنون في الزّمن الذي يأتي من بعد هذا - رمزاً
إلى المعاد - إذ الكون والوجود الحقيقيّ ذلك الكون والعالم .

* * *

٥٣ - وَأَبْقَرَاطَ عِلْمَ الْعِلَالِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ .

[أبقراط]

هو أبقراط بن إيراقليس ، كان في زمن بهمن بن إسفنديار ، ويقال : إنه
سابع الأطباء الذين أوّلهم أسقنبليوس ، وهو قبل سقراط وأفلاطون ، وهو الذي
نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبديد لقلّة أبناء المورثين لها من
آل أسقنبليينوس ؛ فإنّهم كانوا يلقنونها الأبناء منهم ولا يكتبونها ؛ فيتعلمها
غيرهم ، فبثّ أبقراط هذه الصّناعة في الناس ، وعلم الغرياء ، وعهد إلى الأطباء
عهداً طويلاً مشهوراً .

وقال جالينوس في بعض كتبه : إنّ أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه
في الطب من أمر التّجّوم ما لم يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه ، وكان يعلم

أمر الأركان التي منها تركيب أبدان الحيوان ، وكون جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد ، وفسادها ؛ وهو الذي برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان والنبات ، واستنبط أجناس الأمراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ اليمارستان ؛ وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعاً مفرداً للمرضى ، وجعل لهم خدماً يقومون بمداواتهم وسمّاه «أخشيدوكن» أي مجمع المرضى ، وكذلك لفظ «اليمارستان» بالفارسي ، ولم يكن يرغب في الاتصال بالملك ؛ حتى إن ملك الفرس كتب إلى عامله من بلاد اليونان ، يأمره بحمل أبقرات إليه لأجل ولاء عرض في بلاده ، وأن يحمل مائة قنطار ذهباً ، ويضمن له أقطاعاً مثلها ، وكتب إلى ملك اليونان في ذلك الوقت يستعين به على إخراجهم إليه ، وضمن له مهادنته سبع سنين ، فلم يجب أبقرات إلى هذا ، وقال أهل المدينة : إن خرج أبقرات خرجنا كلنا وقتلنا دونه .

وتفسير «أبقرات» ضابط الكل . وقيل : ضابط الحيل ، وهو الصحيح . وكتبه جليلة ، وأخباره حسنة . ومن ظريف حكاياته أن ولد أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه ، فنحل بدنه ، واشتدت علاته ، وهو كاتم خبره ، فأحضر أبقرات ، فحس نبضه ، ونظر إلى بشرته فلم يرَ عنده علة ، فذاكره حديث العشق ، فرآه يهتز لذلك ويطرب ، فاستخبر الحال من حاضنته ، فلم يكن عندها خبر ، فقال : هل خرج من الدار ؟ فقالت : لا ، فقال لأبيه : مَرُ رئيس الخُصيان بطاعتي ؛ فأمره بذلك ، فقال : أخرج عليّ النساء ، فخرجن - وأبقرات واضع يده على نبض الصبي - فلما خرجت الصبية الحظيئة اضطرب عرقه ، وحر طبعه ، فعلم أبقرات أنها المعنية بهواه . فصار إلى الملك فقال : إن ابن الملك عاشق لمن الوصول إليها صعب ، قال الملك : ومن تيك ؟ قال : هي زوجتي ، قال : فانزل عنها ولك عنها بدل ، فتمنع أبقرات ، وقال : هل رأيت أحداً كلّف لأحدًا طلاق زوجته ؟ ولا سيما الملك في عدله ونصفته ، يأمرني بمفارقة زوجتي

وهي عذيلةٌ روحى ! فقال الملك : إني أوتر ولدى عليك ، وأعوذُك أحسنَ منها ، فامتنع حتى بلغ الأمرُ إلى التهديد والسَّيف ، فقال أبقرط : إنَّ الملكَ لايسمى عادلاً حتى يُنصفَ من نفسه ما ينصف من غيره ، أرايتَ لو كانت الغشقة حظية الملك ! ففهم الملك المراد ، وقال : يا أبقرط ، عقلك أتم من معرفتك ، ونزل عن الحظية لابنه ، وشقَّى الفتى من لاعج الهوى .
ومن كلام أبقرط : سألوا القلوب عن المودات فإنها شهود لانقبيل الرِّشاش^(١) .
وقال : الإقلال من الضار خيرٌ من الإكثار من النافع - يعنى من اللآكل والمشارب .

وقال : خير الغداء بواكره ، وخير العشاء بواحد - يعنى بذلك المبادرة به فى بقايا النهار والضوء متمكن ، وقبل الدخول فى حد النوم .
وقال : استهينوا بالموت ، فإن مرارته فى خوفه .
وسئل : كم ينبغى للإنسان أن يجمع ؟ فقال : فى كل سنة مرة ، قيل : فإن لم يقدر ، قال : فى كل شهر ، قيل : فإن لم يقدر ، قال : فى كل أسبوع ، قيل : فإن لم يقدر ، قال : هى روحه ، متى شاء أخرجها^(٢) .
ولما حضرته الوفاة ، قال : خذوا منى العلم بغير حسد ؛ من كثر نومه ، ولانت طبيعته ، وندبت جلده فقد طال عمره .

٥٤ - وَجَالِينُوسَ عَرَفَ طِبَائِعَ الْحَشَائِشِ بِدِقَّةٍ حَدْسِكَ .

[جالينوس]

جالينوس هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى خاتم الأطباء والعلمين ، وذلك أنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء الشوفسطائيين ،

(١) تقدم هذا الكلام لأرسطاطاليس ص ٢١٣ .

ومحيت محاسنها ، فانتدب لذلك ، وأبطل آراءهم ، وشيد أراء أبقراط والتابعين له ونصرها ، وساح وطلب الحقائق ، وجرب وقاس أمرجتها وطبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب للنفيسة في هذه الصناعة ، وهي مادة الأطباء إلى يومنا هذا ؛ وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الإسكندرانيون ، ولم يأت بعده إلا من هو دون منزلته ، وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ، ولم يرّه .

حكى أنه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه إحياء الموتى ، وخلق الطير ، وإبراء الأكمه والأبرص ، قال لمن حوله من التلامذة : إن علم من هذا المدعى بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادّعاء لا يخاطب ، ويحمل فيما ادّعاء على ما تقدم العلم منه من السفه ، وإن لم يُعلم منه سفه تقدم دعواه يُطالب ^(١) بالبيان لإمكانه من علم ما وراء عالم الطبيعة ؛ وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كل قرن يأتي من الزمان للاضطراب إليه عند ظهور الفساد في الأرض ، سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانتقاد الناس إلى طاعته بعد القيام بصحة ما ادّعاء ، فمن سلك سبيله بعد ذلك تمت حركته .

ثم تجهز للاجتماع به ، وسار إليه ، فمات في طريقة بمدينة الفرما ، وهي على شاطئ بحيرة تنيس ، وبها قبره .

ولما اشتد به المرض قيل له : ألا تتداوى ؟ قال : إذا نزل قدر الرب بطل حذر الربوب ، ونعم الدواء الأجل ! ثم مات مبطونا ، ومات أرسطاطاليس بالسلى ، ومات أفلاطون مبرسماً ، ومات أبقراط مفلوجاً .

ومن حكايات جالينوس عن نفسه ، قال : مررت بشيخ يزرع شجرة ، فقلت : يا شيخ ، ما تزرع ؟ فقال : شجرة ثمرتها لي ولك ، قلت : وما هي ؟ قال : شجرة المشمش ، ثمرتها لي ؛ لأنني آخذ ثمنها ، ولك لأنها تكثر المرضي فتأخذ من أموالهم .

(١) كذا في د ، وفي باقي الأصول : « يطلب » .

وحكى عن نفسه في معرفة التشريح ، قال : أعرف رجلاً شكا ضعف شهوة الطعام ، فوضعت على رقبته أدوية فبرى ؛ لأن في العضوين المجاورين للدرقين النابضين شعبة إلى فم المعدة ، تنال منها الحس ، وكان في رقبة الرجل خنازير فقطعها الأطباء ، فأضر ذلك بتلك القصبة التي منها الشعبة ، وبرئت رقبته ، وصار ضعيف الشهوة عن الطعام ، فوضعت عليها الأدوية المقوية فبرى .

ومن كلامه : الإنسان سراجٌ ضعيف ، كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع !
يعنى الطبائع .

وقال : الإنسان إلى تجنب ما يضره أحوج منه إلى تناول ما ينفعه .

وقال : مَنْ كان له درهم ؛ فليجعل نصفه في التَّرجس ؛ فإنه راعى الدماغ ، والدماغ راعى العقل .

ورأى مُصارعا كان لا يرمى أحداً قد صار طيبيا ، فقال : الآن كما صرعت الناس !

* * *

٥٥ - وَكِلَاهُمَا قَلْدُكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِزَاجِ

العلاج والمعالجة في اللغة المغالبة ، وسمي الطبُّ علجا لكون الطيب يغالب المرض .

وقال أبقراط : يُعالج الجسد على خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ، وما في المعدة بالقيء ، وما في أسفل المعدة بالإسهال ، وما بين الجذنين بالعرق وإسهال الدم ، ويحتاج ذلك إلى علوم الأصول من الاستقصات ، والطبائع ، والأخلاط ، والقوى ، والأرواح ، والأسباب ، وغير ذلك .

والمزاج في اللغة خلط الشراب بغيره ؛ وعبر عنه الأطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها في البدن ، والمزاج عندهم تسعة : واحد معتدل ، وثمانية غير معتدلة ، وفي الثمانية أربعة مفردة ؛ وهي الحار والبارد ، والرطب واليابس . والأخلاط أربعة ؛ وهي : الدم ، والمِرَّة الصفراء ، والمِرَّة السوداء ، والبلغم ؛ فالدم حار رطب ، والمِرَّة الصفراء حارة يابسة ، والبلغم بارد رطب ، والمِرَّة السوداء باردة يابسة . ومعرفة أمزجة الإنسان من أقسام الأسباب والعلامات ، ويعرف مزاج غير ذلك بالتجربة ، وبالقياس ؛ فليعلم ذلك .

* * *

٥٦ - وَاسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَاسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالذَّوَاءِ .

يشير بمعرفة الأعضاء إلى ذكر صفات التشريح التي ذكرها جالينوس ، وحكي فيها عن نفسه الحكايات للعجبية . والأعضاء عندهم على قسمين : بسيط ومركب ، فالبسيط كالعظم والعصب والعروق ، والمركب كالرأس واليدين والرجلين ، ومن الأعضاء أعضاء رئيسة ^(١) وأعضاء مرسوسة ، وأعضاء ليست برئيسة ولا مرسوسة ، فالرئيسة أربعة : كالدماع ، والقلب ، والكبد ، والأثنيتين . والمرسوسة ما تخدم هذه الرئيسة ، وذلك أن الدماغ يخدمه العصب ، والقلب يخدمه الشرايين ، والكبد تخدمها ^(٢) العروق . والأثنيتان أوعية المنى ، وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والتضاريف والشحم واللحم ، والأعضاء التي لها قوى كالمعدة والكلى .

والدَّاء هو المرض الدَّاخل على الأبدان ، وأجناسه ثلاثة : الأول فساد المزاج .

(١) ط : « رئيسية » .

(٢) د : « تخدم » .

«والثاني تفرّق الاتصال ، والثالث المرض المشترك ، والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن، أو ما يجلب به الصحة للبدن المزيلة له ؛ وهو نفس القسم العملي ، وموداره على الحذق .

وكان أبقراط يقول : الطبيب الحاذق يصيّر بحذقه السمّ دواءً نافعاً ، والجاهل يصيّر الدواء سُمّاً قاتلاً ؛ مثال ذلك أنّ الجاهل بالطبّ إذا أخذ الصنّدل ومسّحه كالسكر ، ثم طلاه على بدن حارّ كثير الحرارة طلياً ثخيناً ، دخلت تلك الأجزاء الدقيقة في منافس الجسد ومسّمته ، فتؤذي العليل ؛ والطبيب الحاذق يأخذ العود الهنديّ فيسحقه ناعماً ، ثم يطليه على البدن طلياً رقيقاً ، فيتصل ما فيه من الرطوبة إلى حرارة البدن فيبردها ، ويحد الحرّ سبيلاً إلى الخروج ، فتكون حرارة العود مبرّدة بتدبير الطبيب [الحاذق] ^(١) ؛ فاعلم ذلك ^(٢) .

* * *

٥٧ - وَأَنْتَ نَهَجْتَ لِأَبِي مَعْشَرٍ طَرِيقَ الْقَضَاءِ .

التّهج بيان الطريق ووضوحه ، ومنه : نهج الثوب : إذا بان فيه البلى ^(٢) .
والقضاء فضل الأمر قولاً كان أو فعلاً ، وأصله « قضاي » ، من « قضيت »
« فقبلت الباء همزة ، والمرادُ به هاهنا حكمُ المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب ،
قال الشاعر ^(٣) :

* يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ * ^(٤)

(١) من م .

(٢) ساقط من د .

(٣) هو أبو تمام .

(٤) ديوانه ١ : ٥٠ وبقية .

* مَادَّارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ *

[أبو معشر الفلكي]

وأبو معشر هذا هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي ، المنجم المشهور في علم النجامة ؛ كان في الأوّل من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشتغل على الكنديّ الفيلسوف بعلوم الفلسفة ، ويفرّى به العامة ، فذسّ له الكنديّ من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك ، ثم عدل إلى أحكام النجوم فتفنّن ومهر ، وانقطع شرّه عن الكنديّ ، لأنه من جنس علوم الكنديّ .

ويقال : إنّه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره ، وصنّف الكتب الحسنة في هذا العلم ، مثل كتاب : الألوف ، وكتاب المدخل ، وكتاب المذكرات وغير ذلك ؛ وظهرت له إصابات عجيبة ، وحكى عنه فيها حكايات بدیعة ، قال في كتاب المذكرات : حضرت وشيلة والزياديّ عند الموفق ، وكان الزياديّ أستاذ زمانه في النجوم ، فأضمر الموفق ضميرا ، فقال الزياديّ : أضمر الأمير فقد أمر جليل رفيع ، فقال له : كذبت ! فقال شيلة قولاً قريبا منه ، فقال الموفق : كذبت ! ثم قال لي : هات ما عندك ؛ فقلت : أضمر الأمير « الله عز وجل » ، فقال : أحسنت والله ! ويلك أنى لك هذا ! قلت : الرئيس يرى فعله ، ولا يرى نفسه . وكان في أرفع درجة الفلك في الضمير ، ولم أعرف له مثلاً إلا الله عز وجل ؛ لأنّ الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو ، وهو فوق كلّ عزة وسلطان ؛ ليس فوقه شيء .

وحكى عنه أنه كان قد تنقل في البلاد ، فأنصل ببعض ملوك العجم ، وأنّ الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ، ليطالبه بجريمة وقعت منه ، فاستخفى الرّجل ، وعلم أن أبا معشر يدلّ عليه بالطريق الذي يستخرج بها الخفا ، والأشياء الكامنة ، فأراد أن يصنع شيئا لا يهتدى إليه ، ويبعد عنه الخدس با

فأخذ طستاً وملاه دماً ، وجعل في الدّم هاوناً من ذهب كبير ، يتمكن من القعود عليه ، ثم جلس عليه عليه أياماً ، وتطلب الملك ذلك الرَّجُل فأعياه ، فأحضر أبا معشر ، وقال له : عَرَّفَنِي بموضعه كما جرت عادتك ، فعمل المسألة التي يستخرج بها المجهولات ، وسكت زماناً حائراً ، فقال الملك : ما سبب حيرتك ؟ قال : أرى شيئاً عجيباً ؛ قال : وما هو ؟ قال : أرى الرَّجُل المطلوب على جبلٍ من ذهب ، والجبل في بحرٍ ديم ، ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصّفة ! فلما يئس الملك من القُدرة عليه نادى في البلد بأمان الرجل ومن أخفاه ، فلما اطمان الرجل بذلك ظهر ، وحضر بين يدي الملك ، فسأله عن الموضع الذي كان فيه ، فأخبره بما اعتمد ، فأعجبه حسن احتياله ، وإصابة أبي معشر في استخراجِه (١) .

ولأبي معشر في هذا الباب أخبار كثيرة ، والله أعلم بحقيقتها . وكان مع تقدمه في هذه الصناعة يُصيبه الصّرَعُ عند امتلاء القمر في كلِّ شهر ، وكان لا يعرف لنفسه مولداً ؛ ولكن كان قد عمل مسألة عن عمره وأحواله ، وسأل عنها الزياديّ النجّمْ ليكون أصحَّ دلالة ، إذا اجتمع عليها طبعتان : طبيعة المسئول ، وطبيعة السائل ؛ فخرج طالع تلك السّنة الشّنبلة ، والقمر في العقرب في مقابلة الشمس ، والمُرِّيخ ناظرٌ إلى القمر من الدّلّو .

وهذه الصورة توجب الصّرَع . ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

وقيل : كان سبب موته أنّ المستعين ضربه أسواطاً ؛ لأنه أخبر بشيء قبل كونه فأصاب ، فكان يقول : أصبتُ فعوقبت !

* * *

٥٨ - وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ عَلَى سِرِّ الْكِيمِيَاءِ .

الكيمياء معروفة الاسم ، باطله المعنى ، وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها « إبطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة » ، جعلها مقالتين يذكر فيهما ^(١) تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله ، وخدع أهل هذه الصناعة وجههم .

ويقال : إن أبا بكر الرازى ردّ عليه ردّا لا طائل فيه . وأعرف ^(٢) لأبى عثمان الجاحظ فى كتاب « الحيوان » عند ذكر خلق الفأر من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ، ولم يخرج على شىء من إبطالها ولا تحقيقها ، والصحيح الأشهر عدم الصحة فيها . ولذكروها هاهنا عقيب صناعة التجوم مناسبة لأقوال الناس فيهما .

* * *

[جابر بن حيان]

وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد على نقله ^(٣) ، وهذا دليل على قول أكثر الناس : إنه اسم موضوع ، وضعه المصنفون فى هذا الفن ، ويزعمون ^(٤) أنه كان فى زمن جعفر الصادق رضى الله عنه ، وأنه إذا قال فى كتبه : « قال لى سيدى » ، و« سمعت من سيدى » ، فإنه يعنى به جعفر الصادق رضى الله عنه ؛ ومع ذلك فإن الله تعالى أعلم بحقيقتها ^(٥)

(١) ت ، م : « فيها » .

(٢) ط ، م : « ورأيت » .

(٣) د ، ط : « عليه » .

(٤) د ، ط ، م : « وزعموا » .

(٥) ترجم لجابر بن حيان ابن النديم ، والفطى فى أخبار الحكماء ؛ وانظر أيضا

الأعلام ٢ : ٩٠ ، ٩١ .

٥٩ - وَأَعْطِيتَ النَّظَامَ أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ .

[النِّظَام]

هو إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ، المعروف بالنظام ، ويكنى أبا إسحاق . شيخ من كبار المعتزلة وأتمتهم ، متقدم في العلوم ، شديد الغوص على المعاني ، وإنما أذاه إلى المذاهب التي استبشعت منه تدقيقه وغوصه^(١) ؛ فإنه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ، ومال في كلامه إلى الطبيعيين منهم والإلهيين ، فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل ، وخطبها بكلام المعتزلة ، وانفرد بها عنهم ؛ مثل قوله : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ؛ خلافاً لأصحابه ؛ لأنهم قضوا بأنه قادر عليها ، لكنه لا يفعلها .

ومثل قوله : إن الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت .

وقوله : إن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن ، معادن ونباتاً ، وحيواناً ، وإنساناً ، ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده ، غير أن الله تعالى أكن بعضها في بعض ؛ وهذا قول أهل الكون من الفلاسفة .

وقوله في القرآن : إن في قوى البشر أن تأتي بمثله ، إلا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك .

إلى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب^(٢) الأصوليين .

ومراد ابن زيدون بالحقائق ، غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة ، فإنها كثيرة ، وإنما عدت سقطات النظام لكثرة إصابته .

وكان من صغره يتوقد ذكاء ، ويتدقق فصاحة ؛ حكي أن أباه جاء به وهو صغير إلى الخليل بن أحمد ليعلمه ، فقال له الخليل يمتحنه ، وفي يده قدح زجاج :

(١) ط ، م ، : « وتغلغله » . (٢) ت : « كتاب » .

حيّا بني ، صف لي هذه الزُّجاجة ، قال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال :
تريك القذى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما ورا ؛ قال : فدمّها ، قال : يسرع
إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر .

قال : فصف لي هذه النّخلة - وأوماً إلى نخلة في داره - ^(١) قال : بمدح ، أم بدم
قال : بمدح ^(٢) ، قال : حلّو جناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها . قال : فدمّها ،
قال : صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، مخوفة بالأذى ؛ فقال الخليل : يا بني ، نحن
إلى التعلّم منك أحوج .

ثم اشتغل على أبي الهذيل العلاف بمذهب الكلام إلى أن برّع ، وظهر في
أيام المعتصم ، وتبعه خلق كثير ، وكن أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى
شيء فهو كافر .

ثم ناظر شيخه أبا الهذيل ، وظهر عليه مراراً ، وقيل له : أنتاظر أبا الهذيل !
قال : نعم ، وأطرح له رُخاً من عقلي ^(٣) .

وحكى الجاحظ عنه - وكان من أكبر تلامذته وأصحابه - قال : دخل
أبو إسحاق النّظام على أبي الهذيل - وقد أسنّ ، وبعد عهده بالمناظرة ،
وأبو إسحاق حديث السنّ - فقال : يا أبا الهذيل ، أخبرني عن فرارك أن يكون
جوهرًا مخافة أن يكون جسماً ، فهلاً فررت من أن يكون جوهرًا مخافة أن يكون
عرضاً ، والجوهر أضعف من العرض ! فبصق أبو الهذيل في وجهه ، فقال
أبو إسحاق : قبّحك الله من شيخ ! فما ^(٤) أضعف حجّتك !

وحكى عنه ، قال : مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فمضى إليه أبو الهذيل

(١-١) ت : « قال : بمدح ؟ قال : نعم » .

(٢) حاشية ت : « قوله : وأطرح له رُخاً من عقلي تشبيه ، كما يفعل الماهر في لعب
الشطرنج بطرحه رُخاً أو فرزاً ، أو فرساً لمناظره ؛ لسعة ميدانه » .

(٣) د : « ما أضعف »

والنظام معه ، وهو غلام حَدَّث كالتبّع له ، فرآه محترقا ، فقال أبو الهذيل :
 لا أعرف لجَزَعِكَ وجهًا ، إذا كان الناس عندك كالزروع ! فقال صالح : يا أبا الهذيل ،
 إنما أجزع عليه ، لأنه لم يقرأ كتاب «الشكوك» ، فقال أبو الهذيل : وما كتاب
 الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ،
 وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان . فقال له النظام : فشك أنت في موت ابنك ،
 واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضا في أنه قد قرأ هذا الكتاب
 وإن لم يكن قرأه ! فخصر صالح .

وكان مذهبه مذهب السوفسطائية ، فإِثْمهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ،
 وأن ما يستبعده^(١) الإنسان يجوز أن يكون على ما يُشاهده ، ويجوز أن يكون
 على غير ما يُشاهده ، وإن حلّ اليقظان كحال النائم .

وحكى الجاحظ ، قال : تجاذبت يوما وإياه حديث الطيرة ، فقال : أخبرك ،
 أني جمعت حتى أكلت الطين ، وما صرت إلى ذلك حتى قلبت قابي ؛ أتذكر
 هل تمّ رجل أصيب عنده غداء أو عشاء ! فما قدرت عليه — وكان على جبة
 وقيص — فبعت القميص ، ثم قصدت الأهواز وما أعرف بها أحدا ، وما كان
 ذلك ناشئا إلا عن الحيرة والضجر ، فوافيت الفُرْضة فلم أصب^(٢) بها سفينة ،
 فتطيرت من ذلك . ثم إني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا ،
 فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم ، قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ» بالفارسية —
 وهو اسم الشيطان — فتطيرت وركبت معه ، فلما قربت من الفُرْضة صحت :
 يا حمال — ومعنى حمال سَمَل ، ومضربة خاق ، وبعض ما لا بد لمثلي^(٣) منه —
 فكان أول حمال أجابني أعور ، فقلت لبغار كان واقفا : بكم تكري ثورك

(١) كذا في ت ، و ط ، د : « يستبعده » .

(٢) ط ، د : « أجده » .

(٣) ت : « لي » ، وهي ساقطة من م .

هذا إلى الخان؟ فلما أدناه منى إذا هو أعضب^(١)، فازدادت طيرة إلى طيرة، وقلت في نفسي: الرجوع أسلم، ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين، وقلت: ومن لي بالملوت! فلما صرت إلى الخان وأنا حائر ما أصنع، إذ سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه، فقلت: من هذا؟ فقال: رجل يريدك، فقلت: من أنا؟ فقال: إبراهيم بن سيار النّظام، فقلت: هذا عدوّ ورسول سلطان! ثم إنى تحامات وفتحت له الباب، فقال: أرسلني إليك إبراهيم بن عبد العزيز، ويقول لك: إن كنّا اختلفنا في المقالة، فإننا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية، وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها، وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة، فإن شئت فاقم بمكانك مدة شهر أو شهرين، فمضى نبعث إليك ببعض ما يكفيك^(٢) زماناً من دهرك؛ وإن اشتبهت الرجوع؛ فهذه ثلاثون ديناراً تحفظها وانصرف، وأنت أحقّ من عذر.

قال: فورد على أمرّ أذهلني، أما واحدة؛ فإني لم أكن ملكة قبل في جميع دهرى ثلاثين ديناراً، والثانية أنه لم يُطلّ مقامي وغيتي عن أهلي، والثالثة ما تبين لي من الطيرة أنها باطل.

وتوفّي النظام سنة إحدى وعشرين ومائتين، وله من العمر ست وثلاثون سنة. وله كلام حسن، وشعر رقيق.

ومن كلامه: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك، فإذا أعطيتك كلّك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر.

وقال: كنّا نلهو بالأمانى، ونعد أنفسنا بالمواعيد، فذهب من كان ينجز، ثم اشتغلنا بالهموم عن الأمانى^(٣).

وقال: مما يدلّ على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللثام، فالشيء

(١) الأعضب: مكسور القرن؛ وكانوا مما يتطربون به.

(٢) ت: « بما يكفيك ». (٣) ط، م: « الآمال ».

يصير إلى شبهه ، والجنسية علة الضم .

وقال : إذا كان في جيرانك جنازة ، وليس في بيتك دقيق فلا تحضر
الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكثر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمآثم .
وقال أبو العيناء : أنشدت النظم :

إِذَا هُمْ اللَّدِيمُ لَهُ بِلَحْظٍ تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ الْكُلُومُ
فقال : ما ينبغي أن ينادى هذا إلا أعشى ، ثم نظم المعنى في شعره (١) .
ومن شعره :

ذَكَرْتُكَ وَالرَّاحُ فِي رَاحِي فَشُبْتُ الدَّمَامَ بِدَمْعِ غَزِيرِ
فَإِنْ يُنْفِدِ الدَّمْعَ فَرَطُ الْأَمْسِ بِكَتْكَ الْحَشَا بِدَمْعِ الضَّمِيرِ
ومنه أيضا :

يَا تَارِكِي جَسَدًا ضَيْرَ فَوَادٍ أَسْرَفْتُ فِي الْهَجَرَانِ وَالْإِبْعَادِ
إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الزَّيَارَةُ أَعَيْنُ فَادْخُلْ إِلَى بَعْلَةِ الْعَوَادِ
إِنْ الْعَيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ كَانَتْ بَلِيَّتُهَا عَلَى الْأَجْسَادِ
ومنه :

أَرِيدُ الْفِرَاقَ وَاشْتَاقُكُمْ كَأَنَّا افْتَرَقْنَا وَلَمْ نَفْتَرُقْ
وَأَسْتَغْنِي الْوَصْلَ كِي أَشْتَقِي وَهَلْ يَشْتَقِي أَبَدًا مَنْ عَشِقَ
ومنه :

يَرُوعُ مُنَاجِيهِ بِهَلَرُوتٍ لَفْظِهِ وَيُؤْنِسُهُ مِنْهُ بِصُورَةِ آدَمِ
تَرَى فِيهِ لَامًا فَرْدَةً فَوْقَ وَرْدَةٍ وَفَصًّا مِنَ الْيَاقُوتِ مِنْ فَوْقِ خَاتَمِ
ومنه :

وَشَادِنٍ يَنْطِقُ بِالظَّرْفِ يَقْصُرُ عَنْهُ مُنْتَهَى الْوَصْفِ
رَقَّ فُلُو بَزَتْ سَرَايِلُهُ عَلَّقَهُ الْجَوُّ مِنَ اللَّطْفِ

يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ وَيَشْكِي الْإِيمَاءَ بِالطَّرْفِ
أَفْدِيهِ مِنْ مَغْرَى بِمَا سَاءَ فِي كَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا أُخْفِيَ
وقيل له وهو في مرضه ، وفي يديه قَدْحٌ من زُجَاجٍ ^(١) مملوء من بعض
الأدوية : ما هذا ؟ فقال : أَصْبَحْتُ فِي دَارِ بَلِيَّاتٍ ، أَدْفَعُ ^(٢) آفَاتِ بَآفَاتٍ .
٦٠ - وَجَعَلْتُ لِلْكِنْدِيِّ رَسْمًا اسْتَخْرَجَ بِهِ الدَّقَائِقَ .

[الكِنْدِيُّ]

الكِنْدِيُّ ، هو يعقوب بن إسحاق بن الصَّبَّاح ؛ المسمَّى في وقته فيلسوف
الإسلام ، من ولد الأشعث بن قيس ، كان أبوه ابن الصَّبَّاح من وُلاة الأعمال
بالكوفة وغيرها ، في أيام المهدي والرَّشيد ، وانتقل يعقوب إلى بغداد ، واشتغل
بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها فَأَتَقَنَهَا ^(٣) ، وحلَّ مشكلات كتب الأوائل ،
وحذا حذو أرسطاطاليس ، وصنَّف الكتب الجليلة الجمَّة ، وكثرت فوائده
وتلامذته ، وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنَّفاته ؛ وهي كثيرة جدًّا ؛ ومن
أجودها : كتاب أقسام العقل الإنسي ، وكتاب الجوامع الفكرية ، وكتاب
الفلسفة الأولى .

وله أخبار حسنة ، ونوادر في البخل وغيره ، فمن أخباره ما حكى أَنَّهُ كان
حاضراً عند أحمد بن المعتصم ، وقد دخل أبو تمام ، فأنشده قصيدته السَّيِّئَةَ ، فلما
بلغ إلى قوله :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ ^(٤)

(١) ت : « قدح دواء » .

(٢) ت : « دفع » .

(٣) ت ، د : « فَأَتَقَنَهَا » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩

قال الكندى : ما صنعت شيئا ! قال : كيف ؟ قال : ما زدت على أن
 سميت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب ! وأيضا إن شعراء دهرنا تجاوزوا
 بالممدوح من كان قبله ، ألا ترى إلى قول العكوك في أبي دلف ، حيث قال :
 رَجُلٌ أَبْرَ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ بَأْسًا وَغَبْرًا فِي مُحَيَّا حَاتِمٍ
 فاطرق أبو تمام ، ثم أنشد :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
 فَإِنَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشَاكَةِ وَالنَّبْرَاسِ
 ولم يكن هذا في القصيدة ، فتعجب منه [ومن بديهته ^(١)] ، ثم طلب أن
 أن تكون الجائزة ولاية عمل ، فاستصغر عن ذلك ، فقال الكندى : ولوه ، فإنه
 قصير العمر ، لأن ذهنه ينحت من قلبه ؛ فكان كما قال ، ولعل الكندى رأى
 من سجنه أبي تمام في ذلك الوقت ما يدل على قرب أجله .

وسمع الكندى إنسانا ينشد ، ويقول :
 وَفِي أَرْبَعٍ مَتَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَمَا أَنَا أَدرى أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي
 حَيَاكَ فِي عَيْنِي ، أَمْ الذِّكْرُ فِي فَمِي أَمْ النَّطْقُ فِي سَمْعِي ، أَمْ الْحَبُّ فِي قَلْبِي
 فقال : والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا .

وقال يوما لجارية كان يهواها : إني أرى فرط الاعتياضات ، من المتوقعات ،
 على طالبي المودات ، مؤذونات بعدم المعقولات ؛ فنظرت إليه - وكان ذا لحية
 طويلة - فقالت : إنّ اللحي المسترخيات ، على صدور أهل الرّكاكات ، محتاجات
 إلى المواسى الحالقات .

ومن نوادره وكلامه في البخل ، كان يقول : من شرف البخل أنك تقول
للسائل : لا ، ورأسك إلى فوق ، ومن ذلّ العطاء أنك تقول : نعم ، ورأسك^(١)
إلى أسفل .

وكان يقول : سماع الغناء برسام^(٢) حاد ؛ لأنّ الإنسان يسمع فيطرب ،
فينفق فيسرف ، فيقتصر فيغتم ، فيعتلّ فيموت .

وقال عمر بن ميمون : تغذيت يوما عند الكندي ، فدخل جاره ، فدعوته
إلى الطعام ، فقال الرجل : والله تغذيت ، فقال الكندي : ما بعد الله شيء !
فكفّفه كفافا لو نشط لياكل معه لكان كافرا .

ومن وصيته لولده : يا بني ، كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئا
وتأخذ من شيءهم ، فإنّ مالك إذا خرج عن يدك لم يعد^(٣) إليك ؛ واعلم أن
الدينار محموم ، فإذا صرفته مات . واعلم أنّه ليس شيء أسرع فناء من الدينار إذا
كُسِر ، والقرطاس إذا نُشِر ؛ ومثل الدرهم كمثّل الطير الذي هو لك مادام في يدك ،
فإذا طار عنك صار لغيرك . وقال المتلمّس :

قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلِحُهُ فَبِئْسَ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(٤)
لَحِظْ الْمَالَ خَيْرٌ مِنْ نَفَادٍ وَسِيرْ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
وَأَعْرِفْ هُنَا يَتَأَيَّتْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ فِي الْمَسَاجِدِ . وهو قول القائل :
فسر في بلاد الله واتمس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فتمذرا
فاحذر يا بني أن تلحق بهم .

* * *

(٢) البرسام : علة يهذى فيها المريض .

(٤) الشعر والشعراء ١٣٦ .

(١) ط : « وأنت رأسك » .

(٣) د : « ما يعود » .

ومن كلامه في الفلسفة : علوم الفلسفة ثلاثة : فأولها العلم الرياضي في التعليم ، وهو أوسطها في الطَّبع ، والثاني علم الطبيعيات وهو أسفلها في الطَّبع ، والثالث علم الربوبية ، وهو أعلاها في الطَّبع ؛ وإنما كانت العلوم ثلاثة لأنَّ المعلومات ثلاثة : إما علم مايقع عليه الحس وهو ذوات الهَيُولَى ، وإما علم ما ليس لذى هَيُولَى ، إما أن يكون لا يتصل بالهَيُولَى البتة ، وإما أن يكون قد يتصل بها ، فأما ذات الهَيُولَى فهي المحسوسات وعلمها ، وهو العلم الطبيعي ، وإما أن يتصل بالهَيُولَى فإن له انفراداً بذاته ، كعلم الرياضيات التي هي العدد ، والهندسة ، والتنجيم ، والتأليف ، وإما لا يتصل بالهَيُولَى البتة ، وهو علم الربوبية .

ومن شعره في وصف قصيدة :

تَقْصُرُ عَنْ مَدَاهَا الرِّيحُ جَزِيًّا وَتَجْزُرُ عَنْ مَوَاقِعِهَا السَّهَامُ
تَنَاهَبَ حَسَنَهَا حَادٍ وَشَادٍ فَحُثَّ بِهِ الْمَطَايَا وَالْمَدَامُ
ومنه له :

أَنَافَ الذَّنَابِي عَلَى الْأُرُوسِ فَمَعَّضْ جُفُونَكَ أَوْ نَكَّسِ
وَعِنْدَ مَلِيكَكَ قَابِغِ الْعُلُوِّ وَبِالْوَحْدَةِ الْيَوْمَ فَاسْتَأْنِسِ
فَإِنَّ الْغَنَى فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ وَإِنَّ التَّمَرُّزَ بِالْأَنْفُسِ
وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ أَخِي عُسْرَةَ غَنَى وَذِي ثَرْوَةٍ مُفْلِسِ
وَكَمْ كَاتِمٍ شَخْصُهُ مَيِّتٌ عَلَى أَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يُرْمَسِ
وسمع رجلاً ينشد قول ربيعة الرقي :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ « لَا » وَأَنْتَ خَلَّدَ مَا قَالَهَا
فقال : ليس يجب أن يقول الإنسان في كل شيء « نعم » ، وكان الوجه أن يستننى ، ثم قال :

هَجَرْتُ فِي الْقَوْلِ « لَا » إِلَّا لِمَاضِيَةٍ تَكُونُ أُولَى بِ« لَا » فِي اللَّفْظِ مِنْ نَعَمٍ

٦١- وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ، وَتَأْلِيفَ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوَلِيدُكَ وَابْتِدَاعُكَ .

الألحانُ: الأصواتُ ذواتُ النَّغَمِ والإيقاعِ المؤلف على أعدادٍ هندسيّةٍ . وزعمَ قومٌ أنَّ الألحانَ هي موضوعة على أعاريض ؛ وليس كذلك .^(١) وكان إسحاق الموصليّ — وهو خاتمُ القوم — يقول^(٢) : هذا قول من لم يدّر هذه الصناعة .
واختلف فيمن وضعها ، فقيل : بطليموس . وقيل : غيره . والصحيح أنها قديمة موجودة في تعاليم الفلاسفة الأولى ، وإنما الأشهر^(٣) أنَّ بطليموس أول من أفرد لها كتاب « اللحن الثمانية » ، ولها ألقاب [مختلفة]^(٤) ، وأوضاع معروفة .

وكان بطليموس يقول : الألحان أشرف المنطق ؛ ولذلك تراح إليها النفوس أكثر من كل نطق ، وأشرف النفوس ما كان إليها أكثر ارتياحاً .
وقال غيره : النَّغَمُ فصلٌ بقي من المنطق ، لم يقدر اللسان على استخراجِه^(٥) .
فاستخرجته الطبيعة بالألحان ؛ على التّرجيع لاعلى التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس ، وحنّ إليه القلب .

وقال إفلاطون : مَنْ حزنَ فليسمع الأصوات المطربة ؛ فإنّ النفس إذا حزنت حشد نورها ، فإذا سمعت ما يطربها^(٥) ، اشتعل منها ما خمد .
وسئل أبو سليمان المنطقيّ : لم صارت الطبيعة محتاجة إلى الصناعة في أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب ، فإذا غنى بالحن مطربة عشق قربه ،

(١-٢) كذا في ت د ، وفي ط ، م : « فقال إسحاق الموصلي وهو خاتم القوم » .

(٢) ط : « والأشهر » . (٣) من ت .

(٤) كذا في ت م ، وفي ط : « لإخراجه » . (٥) ت ، م : « من يطربها » .

وأقبل الظرف عليه ؟ فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت إلى الصناعة في هذا المكان لأن الصناعة هاهنا تستملي من النفس والعقل ، وتلمي على الطبيعة ، وقد صبح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس ، وإنما تعشق النفس وتقبل آثارها ، وتكتب بإملائها . والموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف ؛ فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة منقادّة ، أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوسا شريفا ، وأعطاهها صورة معشوقة ؛ فمن هاهنا احتاجت الطبيعة إلى الصناعة ؛ [لأنها وصلت إلى كمالها من ناحية النفس الناطقة ، بواسطة الصناعة] ^(١) الحاذقة ، التي من شأنها استملاء ما ليس لها ، وإملاء ما يحصل فيها مستكملا ؛ استكمالا بما تأخذ لما تعطى .

فأما الأوتار والأفكار فإشارة إلى الآلات المطربة للمهية من العيدان والدّفقة .
وما أشبه ذلك .

ويقال : إن أول من اتخذ العود لَمَك بن مَثُوشَلَح ، على مثال نَحْذ ابنه الميث ، وهو قول منكر ^(٢) .

وقيل : بطليموس . وقيل : بعض حكماء الفرس ، وسماء البربط ، وتفسيره حباب التجارة ؛ ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة ، وقد جعلت أوتاره أربعة بإزاء الطبائع ؛ فالزير بإزاء المرّة السوداء ، والمثنى بإزاء الدم ، والمثلث بإزاء البلغم ، والهمّ بإزاء المرّة الصفراء . فإذا اعتدلت ^(٣) أوتاره المرتبة ^(٤) على ما يجب جانست الطبائع ، فأنجبت الطرب ، وهو رجوع النفس إلى الحالة الطبيعية دفعة واحدة .

وأول من اتخذ الدّفقة لوبا بن لَمَك ، واتخذت العرب القصب والتوقيع

(١) تكملة من ت .

(٢) ط : « ضعيف » .

(٣) ط : « أحكت » .

(٤) ط : « المركبة » .

عليها ، واتَّخَذَتِ الْفَرَسَ الصُّنُوجَ وَأَشْبَاهَهَا ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مَوْضُوعٌ عَلَى نَقَرَاتٍ مَعْدُودَةٍ ، وَوَقَفَاتٍ بَيْنَهَا .

وَأَوَّلَ مَنْ غَنَّى مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْعُودِ بِالْحَانَ الْفَرَسَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ كَلْدَةَ ، وَفَدَّ عَلَى كَسْرَى بِالْحِيرَةِ ، فَتَعَلَّمَ ضَرْبَ الْعُودِ وَالْغَنَاءِ ، وَقَدِمَ مَكَّةَ ، فَعَلَّمَ أَهْلَهَا .

وَأَوَّلَ مَنْ غَنَّى فِي الْإِسْلَامِ بِالْحَانَ الْفَرَسَ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ ، وَقِيلَ : طُوَيْسٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا وَهَى بِنَاءَ الْكَعْبَةِ رَفَعَهَا ، وَجَدَّ بِنَاءَهَا ، وَكَانَ فِيهَا صَنَاعٌ مِنَ الْفُرْسِ يَفْتَنُونَ بِالْحَانِهِمْ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا ابْنُ مَسْجَحٍ الْغَنَاءَ الْعَرَبِيَّ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الشَّامِ ، فَأَخَذَ الْأَحْنَافَ عَنْ الرُّومِ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى فَارَسَ ، فَأَخَذَ الْغَنَاءَ وَضَرَبَ الْعُودَ ، وَاتَّبَعَهُ مَنْ بَعْدَهُ ؛ وَبَدَىٰ هَذَا الْعِلْمُ بِبِطْلَمَيْوسَ ، وَخَتَمَ بِإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ .

* * *

٦٢ — وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ يَحْيَىٰ بَارِي أَقْلَامِكَ .

[عبد الحميد الكاتب]

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ^(١) «الكاتب البليغ المقدم» ، يقال : إنه كان في أوّل أمره معلّم صبيان بالكوفة ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِمُرْوَانَ بْنِ الْجُعْدِيِّ ^(٢) قبل أن يصل إلى الخلافة ، وصحبه وانقطع إليه ، فلما جاء مروان الخبير بالخلافة ^(٣) سجد وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟

(١-١) ط : «البالغ إلى أعلى المراتب في الكتابة البليغة» .

(٢) في ابن خلكان : «مروان بن محمد بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية» .

المعروف بالجمدي .

(٣) ط : «فلما جاء الأمر بالخلافة» . د : «فلما جاء الخبر بالخلافة» .

فقال : ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ! يعني بالخلافة ، فقال :
إذا تطير معي ؛ قال : الآن طاب السجود ، وسجد . وكان كاتب مَروان
حلول خلافته .

وهو أوّل من اتخذ التّحميدات في فصول الكتب ، واستعمل في بعض
كتبه الإيجاز البليغ ، وفي بعضها الإسهاب المفرط ، على ما اقتضاه الحال .
فمن الإيجاز أن بعض عمّال مَروان أهدى إليه عبدًا أسود ، فأمره بالإجابة
ذا مّا مختصرا ، فكتب : لو وجدتَ لونيًا شرًّا من السّواد ، وعدداً أقلّ من
الواحد ، لأهديته .

وأما الإسهاب ، فإنّه لما ظهر أبو مسلم الخراسانيّ بدعوة العباس ، كتب
إليه عن مَروان كتابًا يستميله ويضمّنه ما لو قرئ لأوقع الاختلاف بين
أحباب أبي مسلم ؛ وكان من كبر حجمه يُحمّل على حمل ، ثم قال مَروان :
قد كتبتُ كتابًا متى قرأه بطل تديبه ، فإن يك ذلك ؛ وإلاّ أهلاك .
فلما ورد الكتابُ على أبي مسلم لم يقرأه ، وأمر بنارٍ فأحرقه ، وكتب على
جريدة^(١) منه إلى مَروان :

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتجى عليك ليوثُ الغابِ من كلّ جانبٍ

ولما اشتدّ الطلب على مَروان ، وتتابعت هزأته المشهورة ، قال لعبد الحميد :
القوم محتاجون إليك لأدبك ، وإنّ إعجابهم بك يدعُوهم إلى حُسن الظنّ بك ،
فاستأمن إليهم ، وأظهر الغدرَ بي ، فلعلّك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي ! فقال
عبد الحميد :

أسيرٌ وفاءٌ ثمّ أظهرُ غدرَةً فمن لي بعُدْرِ يوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهُ !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين إليك ، وأقبحهما يعني ؛ ولكنني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك ، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد ، فغمز عليه بالجزيرة عند ابن الققع - وكان صديقه - وفاجأها الطلب وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا [البيت] (١) : أيتكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما : أنا ، خوفاً على صاحبه ؛ إلى أن عرف عبد الحميد فأخذ ، وسلمه السفاح إلى عبد الجبار صاحب شُرطته ، فكان يُحمي له طَسْتًا ؛ ويضعه على رأسه ، إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وكان أبو جعفر المنصور يقول : غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء : بالحجاج ، وعبد الحميد ، والمؤذن البعلبكي .

وقيل لعبد الحميد : ما الذي مكّنك من البلاغة ؟ قال : حفظ كلام الأصلع - يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . قيل له : أيما أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ قال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى .

وقال : أكرموا الكتاب فإن الله تعالى أجرى الأرزاق على أيديهم . وقال : العلم شجرة ، وثمارها الألفاظ .

وكان إبراهيم بن جيلة يكتب خطاً رديئاً ، فقال عبد الحميد : أطل جلفه (٢) فملك وأسمنها ، وحرف قَطَّتكَ وأيمنها ، يصلح خطك . وإلى هذا أشار ابن زيدون بقوله : « وعبد الحميد بارى أقلامك » .

ومن رسائله ما كتب عن مروان إلى هشام يعزّيه بامرأة من حظاياها : إن الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقرينته متاعاً مدّه إلى أجل

(١) من ت .

(٢) الحلقة : القشرة .

مستغنى ، فلما تمت له مواهبُ الله وعاريته ، قبض إليه العارية ، ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها ، والصبر عند ذهابها أنفسَ منها في المنقلب ، وأرجح في الميزان ، وأسنى في العوض . فالحمد لله رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون !

وكتب موصتياً بشخص ، يقول : حق موصِّل كتابي إليك كحقه على ، إذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق أمله . وكتب يعرض بشعار بنى العباس الأسود من رسالة : فريداً حتى ينضب السيل ، وتمجى آية الليل ^(١) .

وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة :

حتى اعتراني حنادسُ جهالة ، ومهاوى سُبُل ضلالة ، ذللاً لسياقه ، وسلماً إلى قياده ، إلى نزل من حميم ، وتصلية جحيم ، سوى ما أنتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسك ^(٢) ، وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب ؛ مضادةً لله تعالى بالمناسبة ، ومبارزةً لأمر المؤمنين بالمحاربة ، ومجاهدة المسلمين بالخالفة ؛ إلى أن أصبح بفلاة قفر ، وتيه صفر ، بعيدة المناط ، يُقطع دونها النياط ، وكذلك يفعل الله بالظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ^(٣) .

وكتب من رسالة أخرى إلى أهله ، وهو منهزم مع مروان :

أما بعد ، فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكُرْه ^(٤) ، والسرور ، فمن

(١) أوردتها محمد كرد علي في أمراء البيان ١ : ٥٧ ، قال : ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد ، قائمين بالدولة العباسية : « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفئة الأعجمية ، واثبتوا ربما تنجلي هذه الغمرة ، ونصحو من هذه السكرة ، فسينضب السيل ، وتمجى آية الليل ، والله مع الصابرين » . والعافية المتقين » .

(٢) الحفيظة : الغضب ، والحسك : الحقد والعداوة . وعوائد : رواجع .

(٣) هذه الرسالة لم ترد في ت . (٤) ت : « المكروه » .

ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عَضَّتْه بنايها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاه
 مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقنا أفاويق^(١) استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ،
 ورحمتنا^(٢) مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفَرَّقَتْنَا
 عن الإخوان ، فالدار نازحة ، والطير بارحة^(٣) . وقد كتبت الأيام تزيدينا
 منكم بعداً ، وإليكم وجداً ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد
 بكم وبناء ، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم^(٤) ، نرجع إليكم بذل الإِسار ،
 والذل شر جار . نسأل الله الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أن يهب لنا
 ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان والأديان ، فإنّه رب العالمين ،
 وأرحم الراحمين .

ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب .

ومن شعره رحمه الله :

ترحل ما ليس بالقافل وأعقب ما ليس بالزائل
 فلهني لذي خلفٍ قادمٍ ولهني على سلفٍ راحلٍ !
 سأبكي على ذا وأبكي لذا بكاء مولاهِ ثاكلٍ
 فتبكي من ابنٍ لها قاطعٍ وتبكي على ابنٍ لها واصلٍ

ومنه أيضاً :

كفى حزنًا أني أرى من أحبه قريباً ولا غير العيون تترجمُ
 فأقسم لو أبصرتنا حين نلتقي ونحن سكوتٌ خلقتنا تتكلمُ

* * *

(١) الأفاويق : ما اجتمع في السحاب من ماء فهو يطر ساعة بعد ساعة .

(٢) رحمتنا : رفسنا .

(٣) البارح من الطير : مامر من ميامنك إلى مياسرك ؛ وهو مما يتشام منه .

(٤) ت : « ممن يليكم » .

٦٣ - وَسَهْلَ بْنَ هَارُونَ مُدَوِّنَ كَلَامِكَ .

[سَهْلَ بْنَ هَارُونَ]

هو سهل بن هارون بن راهبون^(١) ، ويكنى أبا عمرو ، من أهل نيسابور .
نزل البصرة فنسب إليها ، ويقال : إنه كان شعوبياً ، والشعوبية فرقة تبغض
العرب وتمتعّب عليها للفرس .

وانفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة ، وصنّف الكتب [الحسنة]^(٢) ،
معارضاً بها كتب الأوائل ، حتى قيل له : بُرُزَ مُجْمِعُ الْإِسْلَامِ ، وله اليد الطوّلى
في النّظم والنثر .

وكان في أول أمره خصباً بالفضل بن سهل ، ثم قدّمه إلى المأمون فأعجب
ببلاغته وعقله ، وجعله كاتباً على خزانة الحكمة ، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت
للمأمون من جزيرة قُبرس ؛ وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ،
أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر
عليها أحدٌ أبداً ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى ، واستشارهم
في حمل الخزانة إلى المأمون ، فكلّهم أشاروا بعدم الموافقة إلا مطراناً واحداً ،
فإنّه قال : الرأى أن تعجل بإنفاذها إليه ؛ فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة
شرعية إلا أفسدتها ، وأوقعت بين علمائها . فأرسلها إليه ، واغبتب بها المأمون
[وأمر العلماء بتعريبها]^(٣) ، وجعل سهل بن هارون خازنًا لها ، فتصفّحها ونسج
على منوال كتب منها . وصنّف كتاب «عقراء وثعلبة» في معارضة كتاب «كلىة
ودمنة» ، [وكتاب «سيرة المأمون» ، وغير ذلك]^(٤) .

وصنّف كتاباً في مدح البخل ، ثم أهداه للحسن بن سهل واستأخذه ،
فكتب إليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم
بفساد معنك صلاح لفظك ؛ وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما
نعطيك شيئاً .

وكان سهل من أبجل الناس ، وله في البخل وغيره نوادر حسنة ؛ حكى
الجاحظ قال : لقي رجل سهل بن هارون ، فقال : هب لي مالا ضرر به
عليك ، فقال : وما هو يا أخي ؟ قال : درهم ، قال : لقد هوت الدرهم ، وهو
طائع الله في أرضه [الذي] ^(١) لا يعصى ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ،
والمائة عشر الألف ، والألف عشريّة المسلم ؛ ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم
الذي هوتته ! وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا
انصرافه لم يسكت .

وحكى دجيل الخزاعي ، قال : أقفنا يوماً عند سهل بن هارون ، وأطلقنا
الحديث حتى أضرب به الجوع ، فدعا بعدائه ، فأتي بصحفة فيها مرق ، تحته ديك
هرم ، فأخذ كسرة وتفقّد ما في الصّحفة ، فلم يجد رأس الديك ، فبقى مطرّقا ، ثم
قال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ،
قال : ولم ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرمي برجله ، فكيف برأسه !
والرأس رئيس يتفاهل به ، وفيه الخواص الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا
صوته ما أريد ، وفيه قرقة الذي يُتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفائها الثعل ،
ودماغه عجيب لوجع الكلية ، ولم أر عظماً قط أهش من رأسه ؛ فإن كان بلغ
من قبلك ألا تأكله ، فعندنا من يأكله . أما علمت أنه خير من طرف

الجناح والساق ! انظر أين رميته ؟ فقال : والله ما أدري ، قال : لكنني أدري
أنتك رميته في بطنك .

وحكى الجاحظ ، أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رُقعة يكتب بها إلى
الحسن سهل ، يستعينه على ضائقة لحقته ، فكتب رُقعة وختمها ، ودفعها إليه ،
فأوصلها إلى الحسن ، فلما رآها ضحك ، وأوقف عليها أبا الهذيل ، وإذا فيها
مكتوب :

إنَّ الضميرَ إذا سألْتَكَ حاجةً لأبي الهذيل خلافَ ما أبدى
فأمْنَحْهُ رُوحَ اليأسِ ثم امدُدْ له حبلَ الرجاءِ الخلفِ الوعدِ
حتى إذا طالت شقاوةُ جدِّه وعنائه فاجِبُه بالردِّ
وإن استطعتَ له المضرَّةَ فاجتهدْ فيما يضرُّ بأبلغِ الجهدِ
وانظرْ كلالِي فيه فارْمِ بِهِ خَلْفَ الثريا مِنكَ في البُعدِ^(١)
وكذاكَ فافْعَلْ غيرَ محْتَشَمٍ إن جئتَ أشفعَ في أبي هند

ثم قال الحسن : هذه صفته لا صفتنا ؛ وأمر لأبي الهذيل ببال ، فعاد إليه
وعاتبه ؛ فقال سهل : ترى أين عزب عنك الفهم ! أما سمعت قولي : « إن الضمير
خلاف ما أبدى » ! فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا .

وهذه من مغالطات سهل وبلاغته ، وستأتي في ترجمة الجاحظ حكاية
مثل هذه .

ومن محاسن تعريضات سهل ، أنه خاطب بعض الأمراء ، فقال له :
كذبت ! فقال : أيها الأمير ، إنَّ وَجْهَ الكذاب لا يقابلك - يعني الأمير
يذلك ؛ لأنَّ وَجْهَ الإنسان لا يقابله .

(١) هذا البيت وتاليه لم يذكر في ط .

وَيُرَوَّى أَنَّ الْمَأْمُون كَانَ قَدْ انْحَرَفَ عَنْ سَهْل إِلَى أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ ظَلَمْتَنِي ، وَظَلَمْتَ فَلَانًا الْكَاتِبَ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ !
 وَكَيْفَ ؟ قَالَ : رَفَعَنِي فَوْقَ قَدْرِهِ ، وَوَضَعْتَنِي دُونَ قَدْرِي ، إِلَّا أَنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ
 أَشَدَّ ظُلْمًا ، قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ أَقَمْتَهُ مَقَامَ هُزْءٍ ، وَأَقَمْتَنِي مَقَامَ رَحْمَةٍ .
 فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ ، وَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ! مَا أَجْحَاكَ ! وَرَضِيَ عَنْهُ .

وقد رويت هذه الحكاية لغيره .

وَحُكِيَ عَنْ سَبَبِ رِضَا الْمَأْمُونِ عَنْهُ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَسَنٍ فِي مَحْفَلٍ ، فَقَامَ
 سَهْلٌ ، وَقَالَ : مَا لَكُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَعُونَ وَلَا تَعْجَبُونَ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُ
 وَيَفْعَلُ فِي الْيَوْمِ الْقَصِيرِ مِثْلَ مَا قَالَتْ وَفَعَلَتْ بَنُو مَرْوَانَ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ ؛
 فَاعْجَبَ الْمَأْمُونُ قَوْلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ يَعْزَى : التَّهْنِئَةُ عَلَى آجَلِ الثَّوَابِ ، أَوَّلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ
 الْمَصَابِ (١) .

وَقَالَ فِي الْمَعْنَى : مَصِيبَةٌ فِي غَيْرِكَ لَكَ ثَوَابُهَا ، خَيْرٌ مِنْ مَصِيبَةٍ فِيكَ
 لَغَيْرِكَ ثَوَابُهَا .

وَقَالَ : حَقٌّ عَلَى كُلِّ ذِي مَقَالَةٍ أَنْ يَبْدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَبْلَ اسْتِفْتَا حُجَّتِهَا ، كَمَا بَدَأَ
 بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا .

وَكُتِبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ أَبْلٌ مِنْ ضَعْفٍ : بَلَغَنِي خَبَرُ الْفِتْرِ (٢) فِي إِلَامِهَا
 وَانْحِسَارِهَا ، وَالشَّكَاةُ فِي حُلُولِهَا وَارْتِمَالِهَا ، فَكَادَ يَشْغَلُ الْقَلْقُ بِأَوَّلِهِ عَنْ
 السَّكُونِ لِآخِرِهِ ، وَتُذْهِلُ الْحِزَّةُ فِي ابْتِدَائِهِ عَنِ الْمُسْرَةِ فِي انْتِهَائِهِ ، وَكَانَ تَغْيِيرُ
 فِي الْحَالَيْنِ بِقَدْرِهِمَا ، ارْتِيَاعًا لِلْأَوَّلَى وَارْتِيَا حًا لِلْآخِرَى .

وكتب لآخر : أما بعد ، فالسلام على عهدك ، وداع ذى ودّ ضنين بك فى غير مقلية لك^(١) ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى فى أمرك ، وإقرار بالعجز عن استعطافك إلى أوان فيئتك ، أو يحمل الله لنا دولة من رجعتك^(٢) .

وقال يفضل الزجاج على الذهب ، من رسالة : الزجاج مجلّو نورى ، والذهب متاع سائر ، والشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل معدن ، ولا يُفقد معه وجه النديم ، ولا يثقل فى اليد^(٣) ، ولا يرتفع فى السوم^(٤) ؛ واسم الذهب يُتطير منه ؛ ومن لؤمه سرعته إلى اللثام ، وهو فأن فأنك^(٥) لمن صاته ، وهو أيضاً من مصايد إبليس ، ولذلك قالوا : أهلك الرجال الأحران^(٦) . والزجاج لا يحمل الوزر^(٧) ولا يتداخله القمّر ، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً ؛ وهو أشبه شئء بالماء ، وصفته عجيبة ، وصناعته أعجب . . .

من رسالة طويلة . وكان سبب قوله لما أن شدّاداً الحارثى كان قد وصف الذهب فأطرب ، وكان النظام قد ذمّ الزجاج ، وقال : تعلموا العلم فلأن يذمّ الزمان لكم خير من أن يذمّ بكم .

قال يوما : ثلاثة من المجانين : الفضبان ، والقيران ، والسكران ، فقال شخص من العوامّ : فما تقول فى المنعِظ ؟ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول :
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِى لَا تَصْحَبِينَا^(٨)

(١) مقلية : كراهية .

(٢) ط : « رمقك » ، أى نظرك .

(٣) ط : « ولا يثقل اليد » .

(٤) السوم فى المباية : المساومة .

(٥) انظر جهرة الرسائل ٣ : ٤٧٢ .

(٦) فى اللسان : « أهلك النساء الأحران ، أى الذهب والزعفران ، أى أهلكنه .

الحلى والطيب » .

(٧) الوزر : وسخ القم .

(٨) لعمر بن كلثوم ، من معلقته س . . . يشرح التبريزى .

ومن كلامه في كتاب « عفراء وثعلبة » : اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ؛ فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في أداء الفريضة شاهدٌ على وهن العقيدة وتقصير الرويّة ، ومضرّ بالتدبير ، ومخلٌ بالاختيار ، وليس في نفعٍ تحمّدُ به عوضٌ من فساد المروءة ، ولزوم النقيضة .

ومن شعره قوله :

إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ أَوْ أَسَأْتُ فِي عَفْوِكَ مَاوَى لِلْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَايَا فَجَدُّ بَمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ وَمَنَّهُ :

أَعَانَ ظَرْفِي عَلَى جِسْمِي وَأَعْضَائِي بِنَظَرَةٍ وَقَفْتُ جِسْمِي عَلَى دَائِي
وَكُنْتُ غِرًّا بَمَا تَجْنِي عَلَى يَدِي لَا عِلْمَ لِي أَنْ بَعْضُ بَعْضٍ أَعْدَائِي وَقَوْلُهُ :

هَدَى لَا يَسْتَرِيحُ وَلَا يَرْمُحُ وَقَلْبٌ مِنْ جَوَانِحِهِ مَرْمُحٌ^(١)
فَإِنْ يَكُ سَرَ قَلْبًا - أَعْجَبًا فَإِنَّ الدَّمْعَ لَمَامٌ فَضُوحٌ
سَاجِحٌ فِي الْهَوَى وَالْحَ فِيهِ وَلَيْسَ أَخُو الْهَوَى إِلَّا الْجَمُوحُ
عَلَى أَنْ الْهَوَى لَمْ يُبْقِ مَتًى سَوَى كَيْدٍ عَلَى بَدَنِ يَنْوَحُ
وَقَوْلُهُ يَهْجُورُ جَلًا :

مَنْ كَانَ يَغْمُرُ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهُ فَأَنْتَ تَهْدِمُ مَا شَادُوا وَمَا تَسْكُو
مَا كَانَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْبَى فَعَالَهُمْ وَأَنْتَ تَحْوِي مِنَ الْمِيرَاثِ مَا تَرَكَوا وَقَوْلُهُ :

(١) هي الأبيات لم ترد في ط .

تَكْنَفَنِي هَمَّانٌ قَدْ كَسَفَا بَالِي وَقَدْ تَرَكَ قَلْبِي مَحَلَّةً بَلْبَالِي
 هُمَا أَجْرِيَا دَمْعِي وَلَمْ تَذَرِ أَدْمَعِي رَيْبِيَّةٌ خِذِرٍ ذَاتِ سِمَطٍ وَخَلْخَالِ
 وَلَكِنَّمَا أَبْكِي بِعَيْنِ سَخِينَةٍ عَلَى خَلَلٍ تَبْكِي لَهُ عَيْنُ أُمِّثَالِي
 فِرَاقُ خَلِيلٍ فَقْدَهُ يُورِثُ الْأَمْسَى وَخَلَّةٌ حَرٌّ لَا يَقُومُ لَهَا بَالِي
 فَوَاحَرَبَا حَتَّى مَتَى أَنَا مَوْجَعٌ بِفَقْدِ حَبِيبٍ أَوْ تَعَذَّرَ أَفْعَالِ! (١)

وقوله :

إِذَا امْرُؤٌ ضَاقَ عَنِّي لَمْ يَضِقْ خُلُقِي مِنْ أَنْ يَرَانِي غَنِيًّا عَنْهُ بِالْيَاسِ
 لَا أَطْلُبُ الْمَالَ كَيْ أَغْنَى بِفَضْلَتِهِ مَا كَانَ مَطْلَبُهُ فَقْرًا إِلَى النَّاسِ

* * *

٦٤ - وَعَمْرَو بْنَ بَحْرٍ مُسْتَمْلِكٌ .

[الجاحظ]

هو عمرو بن بحر بن محبوب ؛ ويكنى بأبي عثمان ، ويعرف بالجاحظ ،
 وبالحدق^(٢) ، والأول أشهر . إمام الفصحاء والمتكلمين ؛ الذي ملأ الآفاق
 أخباره وفوائده ، حتى قيل : مما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب بسياسته ، والحسن البصري بعلمه ،
 والجاحظ ببيانه .

ولد بالبصرة ، ونشأ ببغداد ، واشتغل على أبي إسحاق النظمي القدام ذكره

(١) بعده في أمراء البيان ١ : ١٦٤ :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلُ وَإِلَّا لِقَاءُ الْأَخِ بِالْخُلُقِ الْعَالِي

(٢) الحدق ، منسوب إلى حدقة العين .

يمذهب الاعتزال ، وتأمل كتب الفلاسفة ، ومال إلى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين بفصاحته ، وحسن عبارته .

ومما تفرّد به القول بأن المعرفة طبائع^(٢) ، وهى مع ذلك فعل العباد على الحقيقة .

وكان يقول فى سائر الأفعال : إنها إنما تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى .

والكفار عنده بين معانٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبية ، فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

إلى غير ذلك من آرائه التى تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية .

فأما مصنفاته الأدبية ، مثل كتاب «البيان والتبيين» ، وكتاب «الحيوان» ، وكتاب «الأمصار» ، وغيرها من الرسائل ، فكثيرة جداً ، مشحونة بأنواع الفضائل . وكان منقطعاً إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات [منحرفاً عن ابن أبي دؤاد]^(١) . ولما قبض عليه وعوقب فى التنور ، هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ قال : خفت أن أكون ثانياً اثنين إذ هما فى التنور - يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات ، من إدخاله تنوراً فيه مسامير محمّاة ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب به حتى مات - ثم أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات ، وفى عنقه سلسلة ، وهو مقيد فى قيص سمل ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمت إلا كفوراً للنعمة ، معدناً للمساوى . . . فى كلام يُقرّعه به ؛ فقال الجاحظ : خفف عليك أيدك الله ! فوالله لأن يكون لك الأمر على خير

(١) ت : « طباع » .

(٢) من ت .

من أن يكون لى عليك ، ولأن أسيء فتحسن أحسنُ في الأحداثِ عنك من أن أحسن فتسيء ، ولأن تغفوَ عني في حالِ قدرتك ، أجملُ بك من الانتقام، متى . فقال ابن أبي دُوَاد : قبحك الله ! فوالله ما علمتك إلا كثير تزويق اللسان ؛ يا غلام ، سرّبه إلى الحتام ، فأدخل الحمام ، وحمل إليه تحت من ثياب فاخرة ، ولبس ذلك ، وأتاه فصدّره في مجلسه ، ثم أقبل عليه فقال : هاتِ الآن أحاديثك يا أبا عثمان !

ولم يزل عزيزَ الجانب ، موفور المال والجاه ، من مبتدأ أمره إلى أن مات سنة خمس وخمسين ومائتين ، وبعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة .

وله أخبار ظريفة كثيرة ، ونثر طائل ، ونظم ضعيف . فمن أخباره ونوادره ، قال : أتيتُ منزلَ صديق لي ، فطارقت الباب ، فخرجت إليّ جارية سنديّة ، فقلت : قولي لسيدك : الجاحظ بالباب ، فقالت : أقول : « الجاحد بالباب » ؟ على لفتها ، فقلت : لا ، قولي : الحديقي ، فقالت أقول : « الحاققي » ؟ فقلت : لا تقولي شيئاً ، ورجعت .

وقال : ما أخجلني أحدٌ مثل امرأتين ، رأيتُ إحداهما في العسكر^(١) وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ، فأردتُ أن أمازحها فقلت : انزلي كلى معنا ، فقالت : اصعد أنت حتى ترى الدنيا . وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب داري ، فقالت : لى إليك حاجة ، وأريد أن تمشي معي ، فقمْتُ معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهودي ، فقالت له : مثل هذا ، وانصرفت ! فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتت إليّ بفصّ ، وأمرتني أن أقش لها عليه صورة شيطان ، فقلت : ياستي ، ما رأيتُ الشيطان ! فأنت بك ، [وقالت : ماسمت]^(٢) .

(١) العسكر : اسم مكان في سامرا ؛ كان مصيفاً للخلفاء العباسيين .

(٢) من ط .

وكان الجاحظ بشع المنظر ، إلا أن بيانه كان يحلى عنه . وقال : دخلت ديوان المكاتبات ببغداد ، فرأيت قوماً قد صقلوا ثيابهم ، وصفوا عما همهم ، وسووا طررهم ^(١) ، ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ ^(٢) ، ظواهر نظيفة ، وبواطن سخيفة : ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٣) .

وقال : وقفت يوماً على قاص ، فأردت الولع به ، فقلت لمن حوله : إنه رجل صالح لا يحب الشهرة ، فتفرقوا عنه ، فنظر إلى وقال : حسبك الله !

وقال : قلت يوماً لعبيد الكلابي : أيسرك أن تكون هجيناً ولك ألف دينار ؟ قال : لا أحب اللؤم بشيء ، قلت : فإن أمير المؤمنين ابن أمة ، قال : أخزى الله من أطاعه : قلت : نبي الله : محمد وإسماعيل كانا ابني أمة ، قال : لا يقول هذا إلا قدرى ، قلت : وما القدرى ؟ قال : لا أدري إلا أنه رجل سوء .

وقال : أتاني بعض الثقلاء ، فقال : سمعت أن لك ألف جواب مُسكِت ، فعلمني منها ، فقلت : [إنها لا تتعلم] ، فإن الجواب على قدر الكلام ، فقال : على كل حال [^(٤)] فقلت : نعم ، فقال : إذا قال لي شخص : ياروج القحبة ، يا ثقيل ، أيش ^(٥) أقول له ؟ قلت : قل له : صدقت .

وقال : أنشدت أبا شعيب القلال شعراً لأبي نواس ، وهو :

ودار ندأى عطلوها وأدججوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسٌ
مساحبٌ من جرّ الزقان على الثرى وأضعات ربحان : جنيّ ويايس ^(٦)

(١) ط : « ووشوا طرورهم » .

(٢) سورة الرعد ١٧ (٣) سورة البقرة ٧٩ .

(٤) من ت . (٥) ط : « أى شيء » .

(٦) ديوانه ٢٩٥ ، أمالي المرتضى ١ : ١٩٨ ، الكامل - بشرح الرصافي ٧ : ٤ .

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فُخِّدْتُ عَنْهُمْ
وَلَمْ أَذْرِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ
وَأَقْنَأَ بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ
قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَابَاتِهَا
مَهًا تَدْرِيهَا بِالْقَيْسِيِّ الْفَوَارِسُ^(١)
فَلِخَمِرٍ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جَبُوبُهَا
وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ^(٢)

فقال : لا أعرف شعراً يفضل عليه ، ثم قال : هذا شعر لو تفرته لطن^(٤) ،
فقال : ويحك ! ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت !
واشتري خصيماً أسود ، ف قيل له في ذلك ، فقال : أخذته أسود لثلاثتهم بي ،
وخصيماً لثلاثهم به .

واجتمع في البصرة بالجماز في مجلس ، فقال له الجماز : كم ناراً في اللغة ؟
فقال : نار الحب ، ونار الشجر ، ونار الجاهل ، ونار المعدة ، والنار المعروفة ؛
قال : تركت أبلغ النيران ، قال : وما هي ؟ قال : نار حرامك ؛ التي كلما ألقى
فيها فوج سألهم خزنتها . فقال الجاحظ : أما نار حرامى ، فقد قضيت أن لها
خزاناً^(٥) ، فما الشأن في نار حرامك التي يقال لها : ﴿ هَلِ امْتَلَأَتْ فَتَقُولُ
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾^(٦) !

وسأله شخص كتاباً إلى بعض أصحابه بالوصية ، فكتب له رقيقة وختمها ،
فلما خرج الرجل من عنده فصَّها ، فإذا فيها : كتابي إليك مع من لا أعرف
ولا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أجدك ، وإن رددته لم أذك .

(١) البساس : الحوالى .

(٢) تدريها : تختلها .

(٣) تسكلة من ت .

(٤) ط : « هذا شعر لو نثر لطف » ، وانظر أمالي المرتضى ١ : ١٩٤ .

(٥) ط : « حدأ » .

(٦) سورة ن ٣٠ .

فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَقَالَ الْجَاهِظُ : كَأَنَّكَ فَضَضْتَ الرِّقْعَةَ^(١) ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا يَضُرُّكَ مَا فِيهَا ؛ فَإِنَّهُ عِلَامَةٌ لِي إِذَا أَرَدْتُ الْعِنَايَةَ بِشَخْصٍ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَلَعْنُكَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ! قَالَ : عِلَامَةٌ لِي إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَ شَخْصًا .

وقال : نزلت على صديق لي فلم آكل عنده لحما ، فَعَرَضْتُ لَهُ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَكْثُرُ مِنَ اللَّحْمِ مِنْذُ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ : « إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْبَيْتَ اللَّحْمِ » . فَقُلْتُ : يَا أَخِي ، إِنَّمَا أَرَادَ الْبَيْتَ الَّذِي تَوْكُلُ فِيهِ لَحُومُ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ ؛ فَلَمْ يُؤَخِّرْ حُضُورَ اللَّحْمِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَحَكَى أَنَّ أَبَا طَاهِرٍ ، قَالَ : صِرْتُ إِلَى الْجَاهِظِ وَمَعِيَ جَمَاعَةٌ ، وَقَدْ أَسْنَّ وَاعْتَلَّ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَهُوَ فِي مَنْظَرَةٍ لَهُ ، وَعِنْدَهُ ابْنُ خَاقَانَ جَارُهُ ، فَقَرَعْنَا الْبَابَ فَلَمْ يُفْتَحْ لَنَا ، وَأَشْرَفَ مِنَ الْمَنْظَرَةِ فَقَالَ : أَلَا إِنِّي قَدْ حَوَّ قُلْتُ ، وَحَمَلْتُ رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ ، وَسَقَتِ الْغَنَمُ^(٢) ، فَمَا تَصْنَعُونَ بِي ؟ سَلِّمُوا سَلَامَ الْوَدَاعِ ، فَسَلَّمْنَا وَانْصَرَفْنَا .

قَوْلُهُ : « حَوَّ قُلْتُ » ، أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِي : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ؛ لَتَتَابِعَ الْأَمْرَاضَ ، وَقَوْلُهُ : « رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ » هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، أَسْنَّ فَاسْتَعَانَ بِالْعَصَا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ شَاحَ : « أَخْذِ رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ » . وَقَوْلُهُ : « سَقَتِ الْغَنَمُ » ، هُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ كِنَايَةٌ عَنِ الْهَرَمِ ، لِأَنَّ سَائِقَ الْغَنَمِ يَطَامِنُ رَأْسَهُ .

وَكَانَ سَبَبُ عِلَّةِ الْجَاهِظِ أَنَّهُ حَضَرَ مَائِدَةَ ابْنِ أَبِي دَوَادٍ ، وَفِي الطَّعَامِ سَمَكٌ وَلَبَنٌ ، وَكَانَ ابْنُ بَخْتِيشُوعَ الطَّبِيبُ حَاضِرًا ، فَتَنَاهَا عَنْ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ الْجَاهِظُ : إِنَّ السَّمَكَ إِنْ كَانَ مُضَادًّا لِلْبَنِّ ، فَإِنِّي إِذَا أَكَلْتُهُمَا دَفَعْتُ كُلَّ مَنَّهُمَا ضَرَرَ الْآخَرِ ، وَإِنْ كَانَ مَتَسَاوِيَيْنِ فَكَأَنِّي أَكَلْتُ شَيْئًا وَاحِدًا . فَقَالَ ابْنُ

(٢) ت : « العنز » .

(١) ط : « الورقة » .

مُخْتَبِشُوع : أنا لأحسن الكلام ، ولكن إن شئت أن تجربَ فكل ، فأكل
فأصابه فالجٌ عظيم ونقرس حتى دخل عليه بعضُ أصحابه ، فقال له : كيف حالك ؟
فقال اصطَلَحْتَ عَلَى الْأَعْلَالِ ، لو خرج شِقِّي الْأَيْمَنُ ^(١) مَا أَحْسَسْتُ بِهِ مِنَ الْفَالَجِ ،
ولو مرت على شِقِّي الْأَيْسَرُ ^(٢) ذَبَابَةٌ أَوْ جَعْتَنِي ، وَأَشَدُّ مَا أَشْكُو التَّسْعُونَ !

وحكى بعضُ أبناء البرامكة ، قال : تَقَلَّدْتُ السُّنْدَ ، وَحَصَلَ لِي
مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ صُرِفْتُ عَنْهَا ، وَكُنْتُ قَدْ اكْتَسَبْتُ ^(٣) بِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،
فَصَفَّيْتُهَا عَشْرَةَ آلَافٍ إِهْلِيلِجَةً ، وَجَاءَ الصَّارِفُ ، فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، فَخُبِّرْتُ أَنَّ الْجَاظِظَ بِهَا ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ بِالْفَالَجِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ
وَفَاتِهِ ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ فَفَرَعْتُ الْبَابَ ، فَخَرَجْتُ إِلَى خَادِمَةٍ صَغِيرَى ^(٤) ، فَقُلْتُ : رَجُلٌ
غَرِيبٌ أَحِبُّ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى الشَّيْخِ ، فَلَبَّغْتُهُ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قُولِي لَهُ : مَا تَصْنَعُ
بِشَقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَلَوْنٍ حَائِلٍ ! فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ : لَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ وَرَدَ الْبَصْرَةَ ، وَسَمِعَ بِي ، وَيُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ الْجَاظِظَ .
فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ ، فَدَرَدًا جَمِيلًا ، وَقَالَ : مَنْ تَكُونُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ ؟
فَاَنْتَسَبْتُ لَهُ ، فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَسْلَافَكَ وَأَبَاءَكَ السُّمَحَاءَ ! فَلَقَدْ كَانَتْ أَيَّامُهُمْ
رِيَاضَ الدَّهْرِ ، وَلَقَدْ رَأَى بِهِمُ الْخَلْقَ خَيْرًا كَثِيرًا ، فَسَقِيَا لَهُمْ وَرَعِيًا ! فَدَعَوْتُ
لَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنْشُدْنِي شَيْئًا ، فَقَالَ :

لَنْ قَدَّمْتُ قَبْلِي رَجُلًا فَطَالَمَا مَشَيْتُ عَلَى رِثْلِي فَكُنْتُ الْمَقْدَمَا
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَأْتِي صُرُوفُهُ فَتَبْرِمُ مَنَقُوصًا وَتَنْقُصُ مُبْرَمَا
ثم نهضت ، فلما قُربَت مِنَ الْبَابِ قَالَ : يَا فَتَى ، أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ
الْإِهْلِيلِجُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : إِنَّ الْإِهْلِيلِجَ الَّذِي مَعَكَ يَنْفَعُنِي ، فَابْعَثْ إِلَيَّ مِنْهُ

(٢) ت : « الْأَيْمَنُ » .

(١) ت : « الْأَيْسَرُ » .

(٤) ت : « جَارِيَةٌ صَغِيرَاءُ » .

(٣) ت : « كَسَبْتُ » .

فقلت : نعم ، وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمتي له ، وبعثت له منه شيئاً .
ومن كلامه في رسالة :

أبقاك الله بقاء أياديك ، ولا تقلنا عن ظلك ، ولا أضلنا عن سُبُلِكَ ، فما صان
وجه الأحرار سواك ، ولا أخذ الماهوف مظلمته في دهرٍ إلاَّ بعدَ وَاكِ .
وكتب إلى قُليب المغربي :

والله يا قُليب ، لولا أن كبدى في هواك مقروحة ، ورُوحى بك مجروحة ،
لساجلتك هذه القطيعة ، وما ددتك حَبْلُ المصارمة ، وأرجو أن الله تعالى
يبدل صَبْرِي من جفائك ، فيردك إلى مودتي ، وأنف القلي راغم ؛ فقد طال
العهد بالاجتماع حتى كدنا ننناكر عند الالتقاء !
وكتب إلى ابن أبي دُوَاد يستعطفه :

ليس عِنْدِي - أعزك الله - سببٌ ، ولا أقدر على شفيح إلا ما طبعك الله
عليه من الكرم والرحمة والتأميل ؛ الذي لا يكون إلا من نتاج حُسْنِ الظنِّ ،
وإثبات الفضل بحال المأمول ، وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين ، فتكون
خير معتب^(١) ، وأكون أفضل شاكر ، ولعل الله أن يجعل هذا الأمر سبباً لهذا
الإِنعام ، وهذا الإِنعام سبباً للانقطاع إليكم ، والكون تحت أجنحتكم ، فيكون :
لا أعظم بركة ، ولا أنبى بقيَّة من ذنب أصبحت فيه ، ومثلك - جعلت فداك -
عاد الذنب وسيلة ، والسيئة حسنة ، ومثلك من انقلب به الشرُّ خيراً ،
والغرم غمّاً . من عاقب فقد أخذ حظّه ، وإنما الأجر في الآخرة ، وطيب الذِّكر
في الدنيا على قَدَر الاحتمال وتجرّع المرائر ، وأرجو ألا أضيع وأهلك فيما بين عقلك
وكرمك ، وما أكثر مَنْ ينفو عن صغر ذنبه ، وعَظَم حقه ! وإنما الفضل
والثناء والعفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة ، وإن كان العفو العظيم

(١) أعتبه : أَرْضاه .

مستطرفاً من غيركم ، فهو تِلَادٌ فيكم ، حتّى رُبَّمَا دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تَنكَلُمُونَ^(١) ولا على سالفِ إحسانكم تَنَدَمُونَ ، وما مَثَلُكم إلا كمثل عيسى بن مريم حين كان لا يُمِرُّ بمُلاٍّ من بني إسرائيل إلا أسمعوه شرّاً ، وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيتُ كالْيَوْمِ ؛ كلُّما أسمعوك شرّاً أسمعتهم خيراً ! فقال : كلُّ امرئٍ يُنفق بما عنده ، وليس عندكم إلا الخير ، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ، وكل إناء بالذى فيه ينضح .

ومن كلامه في المعنى :

زَيْنَكَ اللهُ بالتقوى ، وكفأك ما أتهمك من الآخرة والأولى . مَنْ عاقب - أبقاك اللهُ تعالى - على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى المهفوة عقوبة الإصرار ، فقد تنساهى في الظلم . وَمَنْ لم يفرّق بين الأسافل والأعلى ، والأداني والأقاصى فقد قصر ، والله لقد كنتُ أكره سَرَفَ الرضا مخافة أن يؤدّى إلى سَرَفِ الهوى ، فما ظنُّك بسَرَفِ الغيظ ، وغلبة الغضب ، من طيَّاش ، عَجُولٍ فحّاش ، ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المِرّة . الجراء ! وأنت روحٌ كما أنت جسم ، وكذلك جنسك ونوعك ، ألا إنَّ التأثير في الرقاق أسرع ، وضده في الغلاظ الجفاة أكمل ، ولذلك اشتدَّ جَزَعِي عليك من سلطان الغيظ وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك مِنْ مقدار عقابك عليه فانظر في علته ، وفي سبب إخراجهِ ، إلى معدنه الذى منه نَجَمٌ ، وعُشّه الذى منه درج ؛ وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، وإلى حلمه عند التعريض ، وفِطْنَتِهِ عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببهُ ضيق صدر من جهة القبض في المقادير ، أو مِنْ طريق الأنفة ، وغلبة طباع الحميّة من جهة الجفوة

أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصّر به في حقه ، مؤخر عن رتبته ،
أو كان مبلغاً عنه ، مكذوباً عليه ، أو كان ذلك جائزاً فيه ، غير ممتنع منه .

فإذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ، ولا ينظر
فيها حليم ، ولست أسميه بكثرة معروفة كريماً ؛ حتى يكون عقله غامراً لعله ،
وعلمه غالباً على طباعه ، كما لا أسميه بكف العقاب حكيماً ؛ حتى يكون عارفاً
بمقدار ما أخذ وترك . ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له إلا البغض
المحض ، والنفاق الغالب ، فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم ، لعذرك
كثير من العقلاء ، وصوب رأيك عالم من الأشراف ؛ والأناة أقرب من الحمد ،
وأبعد من الذم ، وأنأى من خوف العجلة ؛ وقد قال الأول : عليك بالأناة ، فإنك
على إيقاع ما تتوقعه أقدر منك على رد ما قد أوقعته . وليس يصارع الغضب أيام
شبابه شيء إلا صرعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه إلا قهره ، وإنما يحتال له قبل
هنيجه ، فتي تمكن واستفحل ، وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من صاحبه
قدرة ، ومن أعوانه سمعاً وطاعة ، فلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرت^(١) بالإنجيل ،
ولددته^(٢) بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأتيت به بآدم شفيماً ؛ لما
قصر دون أقصى قوته ، ولن يسكن غضب العبد إلا ذكره غضب الرب .

فلا تقف - حفظك الله - بعد مضيتك في عتاي التماساً للعفو عني ، ولا تقصر
عن إفراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على
عقله ، والشيطان على دينه ، ويعلم أن للسكر أعداء ، ويمسك إمساك من لا يرى
نفسه من الهوى ، ولا يرى الهوى من الخطأ ، ولا تنكسر لنفسك أن تزق ،

(١) وجرته الدواء ، وأوجرت له إياه ؛ جعلته في فيه .

(٢) اللدود ، كصبور وكريم : ما يصب بالمسقط من الدواء في إحدى شقي القيم .

ولعلك أن يهفؤ ، فقد زلَّ آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده . ولستُ
 اسألك إلا ريثما تسكن نفسك ، ويرتد إليك ذهنك ، وترى الحلم وما يحلب
 من السلامة وطيب الأحذوثة ، والله يعلم وكفى به علما - لقد أردت أن أفديك
 بنفسى فى مكاتبائى ، وكنت عند نفسى فى عداد الموتى ، وفى حيز الملوكى ،
 فرأيت أن من الخيانة لك ، ومن اللؤم فى معاملتك ؛ أن أفديك بنفسى ميتة ،
 وأن أريك أنى قد جعلت لك أنفس دُخر ، والدُّخر معدوم ، وأنا أقول كما قال
 أخوتيف : مودة الأخ التالذ وإن أخلق ، خيرٌ من مودة الأخ الطَّارف وإن
 ظهرت مساعيه ، وراقت حَدَثُهُ ؛ سلمك الله ، وسلم عليك ، وكان لك ومعك .
 ومن فصوله القصار ، قال :

البخل والجبن غريزة واحدة ، يجمعهما سوء الظن بالله تعالى .

وقال :

مَنْ قَابِلُ الإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ فَقَدْ خَالَفَ الرَّبَّ فِي تَدْبِيرِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ رَحْمَتَهُ
 فَوْقَ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ؛ وَالنَّاسُ لَا يَصْلَحُونَ إِلَّا عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

وقال من رجالة :

مِنَ الْعَدْلِ الْحُضُّ أَنْ تَحْطَّ عَنِ الْحَاسِدِ نَصْفَ عِقَابِهِ ؛ لِأَنَّ أَلَمَ حَسَدِهِ لَكَ
 قَدْ كَفَاءُ شَرِّ مَثُونَةٍ^(١) غِيْظُهُ عَلَيْكَ .

وقال : لما مُسِخَ الْإِنْسَانُ قَرْدًا أُنْزِلَ فِيهِ مِثَابَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَلَمَّا سِخَ زَمَانُنَا
 لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ مِثَابَةٌ مِنَ الْأَزْمَانِ .

ومن شعره يقول :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْتَقَى حَكِيمًا غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ الْمَصِيبُ

فيكشف عَنْكَ حِيرَةً كُلَّ جَهْلٍ وفضل العلم يعرفه اللَّيْبُ
سَقَامَ الْحِرْصِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ وداء الجهل ليس له طِيبٌ

ومنه :

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ حَالِهِ ففي خضاب السرِّ مستمِعٌ
هَبْ أَنْ مَنْ شَابَ لَهُ حِيلَةٌ فما الذي تُحْنِي لَهُ الْأَصْلُعُ

ومنه :

وَكَمْ كَانَ مِنْ أَصْدِقَاءَ لَهُ وأعدا تفانوا فما خَلَدُوا
تَسَاقَوْا جَمِيعًا كُتُوسَ الرَّدَى فَمَاتَ الصَّدِيقُ وَمَاتَ الْعَدُوُّ

قوله من أبيات يتحدح بها :

بِذَا حِينَ أَنْتَ يَا خُوانِي يَفْلُلُ عَنْهُمْ شِبَابَةُ الْعَدَمِ^(١)
وَذَكَرَهُ الْحَالُ صَرَفَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النَّعَمِ
فَتَى خَصَّةَ اللَّهِ بِالْمَكْرَمَاتِ فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَا بِالْكَرَمِ

ومما أورد له الشريف المرتضى - والمُهْدَى عليه ، فإن هذا الشعر أرفع طبقة

من شعره ، يذكر فيه الخضاب :

رُبَّ فِتَاةٍ مِنْ بَنَى هَلَالٍ^(٢) قَدْ عَجَلَتْ إِلَى السَّوَالِ^(٣)
مَالِي أَرَاكَ قَافِي السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعَتْ فِي جِرْيَالِ^(٤)

(١) أمالي المرتضى ١ : ١٩٧ .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ١٩٧ ، وروايته : « زرت فتاة » .

(٣) الأمالي :

* فاستعجَلَتْ إِلَى السَّوَالِ *

(٤) الكرع : أن يمشي الرجل بفيه من التهر . والجريال : صفوة الحمى . قال المرتضى :

قوله : « كأنما كرعَتْ في جريال » ملبح قوي ، ولا يشبه شعر الجاحظ لبيته وضعف كلامه .

[ما يبتغى مثلك من أمثالي]^(١) تنح عن فكرك وعن خيالي^(٢)

٦٥ — وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ مُسْتَفْتِيكَ .

[مالك بن أنس]

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التميمي ، وكنيته أبو عبد الله ،
إمام دار الهجرة . ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ، ويقال : إنه أقام في بطن أمه
ثلاث سنين .

وكان يقول : قد يكون الخيل ثلاث سنين ، وقد حمل ببعض الناس ثلاث
سنين — يعني نفسه .

وكان طويلاً شديد البياض ، مائلاً إلى الشقرة ، مهيباً ، سوى اللباس
والجلنس ، وهو أول من صنف في الفقه كتاباً ، فوضع « الموطأ » ، كذا قال
العسكري في « الأوائل » ، ولعله أراد : بالمدينة .

وكان مالك إذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ينفصل
ويتبخر . ويتطيب^(٤) ، فإذا رفع أحد صوته ، قال له : انخفض صوتك ، فإن
الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ ﴾^(٥) ، فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته .

(١) من الأمالي .

(٢) الأمالي .

(٣) — ٣ — ب : « اغسل وتبخر وطيب » .

(٤) سورة الحجرات ٢ .

وقال زيد بن داود : رأيت في المنام كأن القبر انفرج ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، والناس مصفوفون ، فصاح صائح : أين مالك بن أنس ؟ فجاء مالك حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه شيئاً ، فقال : خرقه على الناس ^(١) ، فإذا هو منك .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : قال لي محمد بن الحسن : أيهما أعلم ؟ صاحبنا أم صاحبكم ؟ يعني أبا حنيفة ومالكاً رضي الله تعالى عنهما ، فقلت : على الإنصاف ؟ قال : نعم ، فقلت : ناشدتك الله ! من أعلم بالقرآن ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قلت : فمن أعلم بالسنة ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قلت : فمن أعلم بأقاويل الصحابة ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قلت : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فعلى أي شيء يقيس ؟

وقال وهب : سمعت منادياً ينادي : ألا لا يُفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذؤيب .

وقال محمد بن جعفر : لما دُعِيَ مالك وأشار وقبل منه ، حسده الناس وبغوه بكل شيء ، فلما ولي جعفر بن سليمان سَعَوْا به إليه ، وقالوا : إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، وهو يأخذ بحديث رواه الأحنف في طلاق المكره ؛ أنه لا يجوز ، فدعا جعفر بمالك - وقد غضب - فاحتج عليه بما قيل عنه ، ثم جرّده وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه ^(٢) ، فوالله ما زال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس ، وعلا من قدره ، وإعظام من الناس له ؛ حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضرب بها حلياً حلياً به .

(١) ت : « قسم هذا على الناس » .

(٢) ت : « ومدت يداه حتى خلع كتفاه » .

وقيل : إنما ضُربَ مالك لأنه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية
الأمويّ الداخل إلى الأندلس ، والتملك بجزيرته ، فقيل له : إنه يأكل خبز
الشعير ، ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله ... وعُدَّت مناقبه ، فقال مالك :
ليت أن الله زينَ حرمنا بمثله ! فنقم عليه بنو العباس هذا القول ، وبلغ
عبد الرحمن ، فسرّ بقوله ، وجمع أهل الأندلس على مذهب مالك ؛ فهذا سبب
اجتماع المغاربة على مذهبه .

وتوفّي رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة .

ومن أخباره ما حكى الشافعيّ رضي الله تعالى عنه ، قال : رأيتُ كلّي باب
مالك رضي الله عنه كُراعاً^(١) من أفراس خُرَاسان - ويقال مِضر - فلما رأيتُ
مثله ، فقلت لمالك : ما أحسنه ! قال : هو هدية مني إليك ، فقلت : يا أبا عبد الله ،
دع لنفسك منها ما تركته ، فقال : أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحافٍ دابة .

ووجه الرّشيد إلى مالك رضي الله تعالى عنه ليأتيه فيجدّه ، فقال مالك :
إنّ العلم يؤتَى ؛ فصار الرّشيد إلى منزله ، واستند إلى الجدار ، فقال مالك :
يا أمير المؤمنين ، من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلال العلم ، فقام
فجلس بين يديه ، فحدثه ، فبعث^(٢) الرّشيد إلى سفيان بن عُيينة فأتاه سفيان ،
فقعده بين يديه فحدثه ، فكان الرّشيد يقول : يا مالك ، تواضّعنا لعلمك فانتفعنا
به ، وتواضّع لنا علم سفيان فلم ننتفع به .

وسكى أن أبا يوسف القاضي حضر مجلس مالك ، فقال أبو يوسف من

(١) الكراع ، يطلق على جماعة الخيل .

(٢) ت : د . ولت .

جملة كلام : الإنسان تارةً يخطئ ، وتارةً يصيب ؛ فقال مالك : هكذا عرفنا مشايخنا ، فضحك بعض الحاضرين ، فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك : إن أبا يوسف قال كذا ، ولعله متعمد ، وأجبت كذا فجل مالك ، ودعا على أبي يوسف ألا ينتفع بعلمه ، فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية .

وحكى ابن حمدون في تذكرة : أن حسن بن نعمان قال : كنت بالمدينة فخلا بي الطريق نصف النهار ، فجعلت أتغنى في شعر ذي يزن ، وأقول :
مَا بَالُ قَوْمِكَ يَا رَبَّابُ خُزْرًا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

فإذا كؤوة قد فتحت ، وإذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء ، فقال : يا فاسق ، أسأت التأديبة ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ! ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله ، فقلت : أصلحك الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام ، فأعجبني الأخذ عن المغنين ، فقالت أمي : يا بني ، إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه ؛ فتركت المغنين ، وتبعت الفقهاء ، فبلغ الله أبى إلى ما ترى . فقلت : أعد الصوت ، جعلت فداك ! فقال : لا ولا كرامة ! تريد أن تقول : أخذته عن مالك بن أنس ! وإذا به مالك رضى الله تعالى عنه .

ومن كلامه : إذا توك العالم قول : « لا أدري » أصيبت مقاتله .
وقال : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نور يقذفه الله في القلب .
وسأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(١) ، فقال :
الاستواء معقول ، والكيف مجهول ، وما أظنك إلا رجل سوء !

٦٦ - وَأَنْتَ الَّذِي أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَائِينَ .

البرهان في اللغة بيان الحجة وظهورها ، وهو مصدر بره يبره ، إذا ابين ، وامرأة برهاء وبرهرة : شابة بيضاء . وقال الراغب : البرهان أوكد الأدلة ، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة ، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب : دلالة تقتضي الصدق أبداً لا محالة ، ودلالة تقتضي الكذب أبداً ، ودلالة إلى الصدق أقرب ، ودلالة إلى الكذب أقرب ، ودلالة هي إليهما سواء ^(١) .

وقال بعض الحكماء : مبادئ البرهان خمس : الأوليات ، والمشاهدات ، والتواترات ، والمجربات ، والحدسيات .

وقال آخر : البرهان حجة تنتج يقينا ، وينقسم إلى برهان أني وبرهان « لتي » ، وأمثله معروفة .

وقد ذكرت أن أول من حرر كتب المنطق أرسطاليس ، وقد تقدم ذكره . والقوانين واحدا قانون ، وهو لفظ رومي ، ومعناه عند المنطقيين صورة كلية تعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها .

* * *

٦٧ - وَحَدَّ الْمَاهِيَّةَ ، وَبَيَّنَ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ .

ماهية الشيء ، تصوّره في الفكر ، ومعرفة ماهو ؛ وأوجز حدوده في المنطق قولهم : ماهية الشيء ما يحصل في الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف الشخصات عنه إن كان جزئيا ، وهي أحد حدود العلم عند الحكماء ، فإن العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : علم ما ، وعلم كيف ، وعلم كم ؛ فالعلم الذي يطلب منه

(١) مفردات الراغب ٤ : ٤ .

ماهيات الأشياء هو العلم الإلهي ، والذي يُطلب منه كميّات الأشياء هو الطبيعي ،
والذي يطلب منه كمّيّات الأشياء هو الرياضي ، والكميّة والكيفيّة النسبة إلى
« كم » و « كيف » .

وكمّ عبارة عن العدد ، ومن النّحاة من يجعله اسماً ناقصاً مبنياً على السكون ،
والنسبة إليه الكمية بالتحقيق . ومنهم من يجعله اسماً تاماً فشدّد آخره وصرفه ،
فقال : أكثر من الكم ، والنسبة إليه الكمية بالتشديد ، وهو عند المنطقيين
قسم من أقسام العرّض ، وهو نوعان : منفصل ومتّصل ، فإن لم يكن بين أجزائه
حدّ مشترك فهو الكمّ المتّصل ^(١) [وهو العدد] ، ^(٢) وإن كان بين أجزائه حدّ
مشترك فهو الكمّ المنفصل ، وهو إن كان قارّاً بالذات فهو المقدار ، وإن لم يكن
قارّاً بالذات فهو الزّمان .

وكيف اسم مبهم غير متمكّن ، وإنّما حُرّك آخره لالتقاء الساكنين ،
وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء . قال الرّاغب : يُسأل به عمّا يصحّ
أن يقال فيه : شبيه وغير شبيه ، كالأسود والأبيض ، والصّحيح والسقيم ، ولهذا
لا يصحّ أن يقال في الله عزّ وجلّ : كيف .

وقال بعض الحكماء : هو كلّ هيئة قارّة في جسم لا تقتضي قسمة ولا نسبة ،
فقولنا : قارّة . يخرج الزّمان ، وقسمة يخرج الكمّ ، ونسبة تخرج المقولات
في العرّض ، والله تعالى بكلّ شيء عليم .

* * *

(١) ق ط : « المنفصل » .

(٢) من ت .

(٣) مفردات الرّاغب ٤٤٤ .

٦٨ - وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ، وَمَيَّزَ الصِّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ .

قال بعض الأدباء : الكلام في الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض ، وإنما أنقل نُبذةً من أقرب ما سمعت ؛ فالجواهر هو الجسم ، كالإنسان والفرس والحجر ونحو ذلك . والعرض : الحال والوصف المتعاقب عليه ، كالألوان ؛ من بياض وسواد وحمرة ، والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر ، فاسم العرض واقع عليه ، وإنما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر ؛ لأن الذين أثبتوا جواهر ليست بأجسام كالعقل ، والنفس والجزء الذى لا يتجزأ ، ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرًا ، فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه .

وقال بعض الحكماء : الجوهر خمسة أنواع : المادّة ، والصورة ، والجسم ، والنفس ، والعقل ؛ ووجه الحضر أنه إن كان حالاً في محل فهو الصورة ، وإن كان محلاً لحال فهو المادّة ، وإن كان مركباً منهما فهو الجسم ، وإن لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق ؛ وهو إن تعلّق بالجسم بالتدبير فهو النفس ، وإلاّ فهو العقل .

والعرض عند أكبرهم أحدٌ وعشرون ضرباً ، وعند بعضهم ثلاثة وعشرون : عشرة منها تختص بالأحياء ، وهى . الحياة والقُدرة والشّهوة ، والقوّة ، والإرادة ، والكراهة ، والاعتقاد ، والظن ، والنظر ، والألم . وأحد عشر تكون للأحياء وغير الأحياء ، وهى : الكون ؛ وتشتمل على أربعة أشياء : الحركة ، والسكون ، والاجتماع ، والافتراق ، والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة ، والبرودة واليبوسة ، والرطوبة ، واللون والرائحة ، والطام . والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما : البقاء والموت .

والصحة هي وجود الاعتدال الخاص^(١) بالإنسان وتُستعار لغيره . والمرض .
الخروج عن الاعتدال .

والتمييز الفصل بين الشئين ، والمعنى أنك الذى حرر صناعة الطب ؛
وذكر الطب عقب الجوهر والعرض ؛ لأن الجميع من العلوم العقلية ، وقد يكون
مراده التمييز بين صحة الأشياء ومرضاها ، كالحقائق والشكوك ، والفضائل
والرذائل ، وإنما شَبَّهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن إدراك
الفضل ، كالمرض المانع للبدن عن إدراك التصرف الكامل ؛ وعلى كلاً الوجهين .
فالمراد أنك أنت الحكيم الذى نظر فى هذه العلوم وأظهرها .

* * *

٦٩ - وَفَكَ الْمَعْنَى .

عمى الأمر ؛ إذا التبس ، وعميت معنى البيت من الشعر ، إذا أخفيت ،
ومنه المعنى اللغز ، والمراد هاهنا حُرُوف يصطلىح عليها الكاتب مع نفسه ،
ويكاتب بها ، ويسمى الآن المترجم ، ولها طرائق مذكورة تعين على
استخراجها .

وأول من وضعها الخليل ، واضع العروض . ولا بأس بإيراد نبذة من أخباره
وفوائده ، وكذلك أفعُل عند كل بيت أو لفظة تمثل^(٢) بها ابن زيدون فى هذه
الرسالة [فما أحفظه من الفاظ المتقدمين]^(٣) فإنى أذكر قائلاً ، وشيئا من نوادره ؛
إذ لا بدّ فى ذلك من فائدة ونكتة ، والكلام عليها أولى من السكف عنها .

* * *

(١) ط : « الخالص » ، وأثبت ما فى ت .

(٢) ط : « يمثل » ، وما أثبت من ت .

(٣) من ط .

[الخليل بن أحمد]

والخليل هو ابن أحمد بن عمر الفراهيدي الأزدي . ويكنى أبا عبد الرحمن .
 وُلِدَ بالبصرة سنة مائة ، ونشأ بها ، واشتغل بالعلوم وصنّف الكتب الكثيرة ،
 مثل كتاب « العين » ولم يمتّه ، وكتاب « النقط والشكل » ، وكتاب
 « النغم » ، وكتاب « الشواهد » ، وأجودها « العروض » ، وهو أوّل من
 وضعه ، فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ، ثم تبعه فيه الناس .
 واستخرج من بحر المتقارب بحر^(١) مخبُون^(٢) الأجزاء ويسمى الخُتْب . ووصل
 الأمر إلى أبي نصر الجوهري فأوضحه - أعنى العروض - واختصره أحسن اختصار .
 وأوّل ما خالفه فيه أن الخليل جعل الأحرف التي يوزن بها الشعر ثمانية : اثنان
 خُجاسيان : فعولن ، وفاعِلن ، وستة سباعيّة : متفاعِلن ، فاعلاتن ، مستفعِلن ،
 مفاعيلن ، مفاعِلتن ، مفعولات ؛ فنقص الجوهري منها جزء « مفعولات » ،
 وأقام الدليل على أنه مقول في « مستفع لن » مفروق الوند ؛ لأن « مفعولات »
 مركب من سبعين خفيفين ، ووند مفروق مؤخر ، وزعم أن « مفعولات » لو كان
 جزءاً صحّحاً لركب من مفرده بحر كما يركب من سائر الأجزاء ، يريد أنه ليس
 في الأوزان وزن انفرد به « مفعولات » ، ولا يكرر في قسم منه .

ثم استخرج المعنى ، وهو أيضاً أوّل من نظر فيه ؛ وذلك أن بعض اليونان
 كتب بلغتهم كتاباً إلى الخليل ، يخلا به شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك ،
 فقال : علمت أنه لابدّ وأن يفتتح باسم الله تعالى ، فبنيت على ذلك ، وقست ،
 وجعلته أصلاً ففتحته ، ثم وضعت كتاب المعنى .

وكان الجاحظ يقول : ليس المعنى بشيء ، قد كان كيّسان مستعِلي

(١) في الأصول : « بحر » .

(٢) الخين : حذف الحرف الثاني الساكن

أبي عبيدة ، يسمعُ خلاف ما يقال ، ويكتبُ خلاف ما يسمع ، ويقرأُ خلاف ما يكتب ؛ وكان أعلم الناس باستخراج المعنى . وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم ، لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعنى .
وللجاحظ تحاملٌ على مصنفات الخليل ، ليس هذا موضع ذكره .

ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم ، فقال : عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ، ثمانية وعشرون ، وغاية ما بلغ الكلام إليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة ، وصور الزوائد اثني عشر على عدد البروج ، وأربعة عشر تُدغم مع لام التعريف ، مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الأرض ، وأربعة عشر فوقها .

ثم وضع في الشَّطرنج جملين في طرفي الرقعة لعب بها زماناً ، ثم تركت . ثم أراد أن يبتدع شيئاً في الحساب فقال : أريد أن أقرر نوعاً من الحساب ، تيمض الجارية بدرهم إلى البئاع فلا يمكنه ظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك ، فصدفته سارية وهو غافل عنها لفكره ، فالتفت على ظهره ، فكان سبب موته .

ومات سنة ستين ومائة ، وكان من العقلاء الزُّهاد .

واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان إلى القداة ، فلما تفرقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ قال : رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله ؛ وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه ، فكان كذلك ، أدّى الخليل عقله إلى أن مات زاهداً ، وابن المقفع إلى أن مات قتيلاً بسبب كتاب كتبه .

وحكي أن سليمان بن المهلب بعث إليه يوماً بألف دينار ليتجسس بها ، ويأتيه إلى الأهواز ، فدخل عليه الرسول وهو يبكي كسرة يابسة ويأكلها ، فردّ

«الآلف دينار وقال للرسول : ما دمت أجد هذه فلا حاجة لى إلى سليمان
وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدّة ، فلم يفهم منه شيئاً وأتبعه ، فقال له
«الخليل يوماً : قَطَّعَ هذا البيت :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
فَفهم الرجل التعريض ولم يعد .

ودخل يوماً إلى مريض يعود ، فقال أخو المريض : افتح « عيناك » ،
فإن « أبو » عبد الرحمن حَضَرَ ، فقال الخليل : ما داء أخيك إلا من كلامك .
وكتب إليه بعض الثقلاء معيى يحله ، فإذا هو بيت من الشعر يقول فيه :
أَنَا إِنْ لَمْ أَكْ أَهْوَا كَ فَرَأَيْتُ فِي خِرَافِي
فكتب الخليل تحته : « وإن هويت أيضا » .

ومن كلامه : الزاهد من لم يطلب المفقود ، حتى يفقد الموجود .
وقال : مَنْ اسْتَعْمَلَ الْحَزْمَ فِي وَقْتِ الاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ غَنِيََ عَنِ الْاِحْتِيَالِ فِي وَقْتِ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

وقال : بحسب امرئ من الشرّ أن يرضى من نفسه فساداً لا يصلحه ،
ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها ، وأقبح التحوّل أن يتحوّل المرء من ذنب
إلى غير توبة منه .

وقال : من الأبواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى في علم القوى والضعيف
كفعلنا ، ولتكنّا نحبّ أن يكون للعالم مؤنة .
ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى :

زُرُودَى الْقَصْرِ نَعْمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِى لَا بُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ
زُرُوهُ فَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ يَمَانِيهِ مِنْ مَنْزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شِئْتَ أَوْ بَادِى

تلقى سفائنه والعيسُ سائرةً والثون والضبُّ والملأحُ والحادي
ومنه ما قاله في سليمان بن المهلب :

إِنَّ الَّذِي شَقَّ فَعِيَ ضَامِنٌ لِلرَّزْقِ حَتَّى يَتَوَفَّانِي^(١)
حَرَمَتِي خَيْرًا قَلِيلًا فَمَا زَادَكَ فِي مَالِكَ حِرْمَانِي
وقال فيه وقد قطع عنه برًا :

يَا زَلَّةً يَكْثُرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرَتْ مِنْهَا التَّعَجُّبُ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ^(٢)
لَا تَجِبَنَّ لِرَفْدِ زَلٍّ مِنْ يَدِهِ فَالْكُوكَبُ النَّحْسُ يُسْقَى الْأَرْضُ أَحْيَانًا
وقال أيضًا :

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي غَنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
شَجًّا بِنَفْسِي إِنْ لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هَزَلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
وقال : نظرت في علم النجوم ، فهجمت منه على ما لزمني تركه ، فقلت
منشدًا إذ ذاك :

بَلِّغْنَا عَنِّي النُّجُومَ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكُوكَبُ
عَالَمٌ أَنْ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ قَضَاءُ مِنَ الْمُهَيَّمِ وَاجِبٌ^(٣)

٧٠ - وَفَصَلَ بَيْنَ الْأَنْمِ وَالْمُسَمِّي .

الاسمُ ما يعرف به ذات الأصل ، وأصله من السموّ ، وهو الذي ذكر به
المعرّف ، ويقال : سَمٌّ واسمٌ ومُسمٌّ ، واختلف في تقدير أصله .

(٢) ابن خلكان . .

(١) مراتب النحويين

(٣) من ت .

والمستى هو المعنى الذى وضع له الاسم ، وللقدماء مباحث طويلة فى معنى الاسم والمستى ، فمنها قول بعضهم - وعليه الجمهور : الاسم غير المستى ، وهو الذى يراد به التسمية ؛ كقولك للرجل : عرفنى ما اسمك ؟ لست تسأله أن يعلمك بذاته ، وإنما تلتبس منه العبارة المعبر بها عنها ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة » .

ولو كان الاسم هاهنا هو المستى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيئاً ، وهذا كُفر .

وقول عائشة رضى الله تعالى عنها : والله يا رسول الله ، ما أحجر إلا اسمك . وقال آخرون : الاسم هو المستى ، لا على أن معنى العبارة عين المعبر عنه ، وأن اللفظ هو الشخص ، فإن ذلك محال ، ولكن الاسم هو المستى على معان ثلاثة :

الأول : إنما وضعت الأسماء ليتصور بها المسميات فى نفوس السامعين ، وتقوم عند الغيبة مقامها لو شاهدها ، فلما ناب الاسم من هذا مناب المستى فى التصوير جاز أن يقال : إن الاسم هو المستى .

الثانى : إن أكثر ما يتبين فى الأسماء التى تشتق للمستى من معان موجودة فيه قائمة به ، كقولنا لمن وجدت فيه الحياة : حى ، فالاسم من هذا النوع لازم للمستى ، يرتفع بارتفاعه ، ويوجد بوجوده ، ألا ترى أن الحياة إذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له : حى ، وإذا بطل أن يقال له : حى ، بطل أن يكون به حياة ، فيجوز من هذا أن يقال : إن الاسم عين المستى ، يوجد بوجوده ، ويرتفع بارتفاعه .

الثالث : أنَّ العرب قد تذهب بالاسم إلى المعنى الواقع تحت التسمية ،
فتقول : هذا مسمًى زيد ، أى هذا المسمًى بهذه اللفظة التى هى « الزاى والياء
والدال » ، ويقولون فى هذا المعنى : هذا اسم زيد ، وهو باب ظريف من كلام
العرب يحتاج إلى فَضْلٍ نظر ؛ ويحىء فى كلامهم على ضربين :

الأول : ما صرّح فيه بلفظ الاسم حتى بانَ لمُتأمله ، مثل قول ذى الرُّمة
يصف بذلك خَشْفًا :

ما يرفع الطرف إلا ما تخوّفهُ داحٍ يناديه باسم الماء مَبْعُومٌ^(١)

يعنى أن هذا الخِشْف لا ينتبه من النعاس إلا إذا تفقدته أمّه للرّضاع ،
فصاحت به : « ما ما » .

وكان أبو عبيدة يذهب فى تأويل هذا اللفظ إلى أن الاسم زائد ، والتقدير :
يناديه بالماء ؛ وأبو على الفارمىّ يحمله على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه ، فالتقدير : يناديه باسم معنى .

والثانى : ما لم يصرّح فيه بذكر معنى الاسم ، إلا أنه موجود من طريق
المعنى ، مثل قولهم : كتبتُ اسمَ زيد ، فليس المراد أنه كتب هذه الأحرف ،
ولأنما يريد أنه كتب اسم المسمًى الواقع تحتها .

وقال قوم : يكون الشئ الواحدُ مسمًى من جهة ، وتسميةً من أخرى ،
فإن قولنا : « اسم » لفظة تحوى الجنس والنوع ؛ لأنه يوقع تحتها الألفاظ التى يعبر
بها عن المعانى ، كجوهر وعرض ، ورجل ، وفرس ، وزيد ، وعمر ، فكل واحد
من هذه الألفاظ يقال له : اسم ، وهو تسمية لما تحته من معناه ، فيكون بإضافته

(١) ديوانه ٦٧ ، وروايته : « لا ينش الطرف » .

إلى الاسم الذى فوقه مسمًى ، ويكون بإضافته إلى المعنى الذى تحته تسمية واسما ،
 مثال ذلك قولنا : زيد ، وإنسان ، وحى ؛ فإنك تجد الإنسان الذى هو الوسطة
 بين زيد والحى مسمًى إذا كان يقال على الحى ، واسما إذا كان يقال على زيد .
 وتجد زيدا والإنسان وإن كان أحدهما مستى والآخر اسما قد تساويا فى أنهما
 مسميان للحى ؛ إذا كان الحى يقال على كل واحد منهما ، ونجد الحى الذى
 هو اسم الإنسان والإنسان الذى هو مستى قد تساويا فى أنهما اسمان لزيد .
 وقد طال هذا الفصل عن الغرض فى هذا الكتاب ، وإنما ذكرته لتعلق
 بمضه ببعض ، بعد حذف حشو كثير .

* * *

٧١ - وَصَرَفَ وَقَسَّمَ ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ .

لم أتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين ، فسألت عنهما بعض علماء الإسلام ،
 فقال : الصَّرف نوع من المعاوضة ، وهو ما كان العوضان فيه من النّقدين -
 أعنى الذهب والفضة .

وقوله : « وقسم » كأنه يريد به تقسيم الأموال المشتركة ، ووجه مناسبة
 الصَّرف أن المال المشترك إذا كان ذهباً قليلاً فقد يتعذر قسمه بالدنانير ،
 فيصرف بالدرهم ، ثم يقسم .

وقوله : « وعدل وقوم » يريد به تعديل الأقسام وتقويمها ، فإن المال المشترك
 إذا كانت أجزاؤه مختلفة فى الصورة والقيمة كاللّؤلؤ والبساتين ، فإذا أريد
 قسمتها ولا بدّ فتعدل بالتقويم ثم تقسم ، مثلاً إذا كان البستان بين ثلاثة
 بالسوية يُقوم البستان فى الأوّل ، ثم تعدل الأجزاء باعتبار ذلك ، فتجعل
 الثلاثة أجزاء متساوية ؛ ثم تقسم بالإقراع أو بتعيين الحاكم ، كلّ هذا داخل
 فى أبواب الفقه .

وقد قيل : إن مالكا أول من صنف فيه ، وقد تقدم ذكره .

* * *

٧٢ - وَصَفَ الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ .

الأسماء والأفعال هنا : ما اصطاح عليه النحويون في أقوالهم ، وقسموه في كتبهم للموجودة ، والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ، ويعرف بدخول الجر عليه ، ويصالح فيه « نفعي » ، و « ضرئي » ، ويدخل عليه أيضا الألف واللام ، وهو أصل والفعل فرغ عليه .

وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما ، وهي : مُعَرَّب ومَبْنِي ، وظاهر ومَكْنِي ، ومعروفة ونسكرة ، ومُعَيَّن ومبهم ، وعَرَبِيٌّ وأعجميٌّ ، وذَكَرَ وأُنْثَى ، ومَقْصُور وممدود ، وعامل وغير عامل ، ومَشْتَق وغير مشتق ، ومضارع وغير مضارع ، ومعتل وصحيح ، وزائد وناقص ، ومنصرف وغير منصرف ، ومفرد ومضاف ، ومدغم ومظهر ؛ وشرح ذلك موجود في كتبهم .
والفعل ما تصرف بلزمن كقولك : ضرب ويضرب .

وقال السيرافي : وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والألف ، وهو الحال .

قال التوحيدى : وسمعت أبا حفص الأشعرى ، يقول : لامعنى للحال ، إنما هو الماضى والمستقبل ، وتحصيل الحال محالٌ وتوهم باطل ؛ لأنك لا تفرغ من الماضى إلّا إلى المستقبل ، ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيهما وإهما ، فليل له : إن الذى يوضح الحال أنك إذا أتيت بالسين فى « سيصى » ، لم يكن المعنى إلّا فى الاستقبال ، فلولاً أن الغرض قد كان كامناً فى قولنا « يصى » لم توضحه

السين ، فكان الشبهة^(١) أن «يصلى» دالٌّ على الحال متضمن معنى الاستقبال ؛ حتى يقتن باللفظ ما ينصب دليلاً على الغرض الواضح ؛ فكان يكابر عند هذا البيان ويقول : لو صح هذا لصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيتين « أى ما يكون مشتركاً بين شيئين كأنه مركب من بدئهما ، ففيل له أيضا : هذا كما قاله من خالفته ، وأنت في ذلك أجهل من هرة ، فإنها تمشى على حافة الجدار غير متمكنة من سمته^(٢) ، وترى مع ذلك مكاناً آخر للفضل الذى يلوح لها ، وهى^(٣) لا تمسك نفسها ولا ترسلها ، فما ظنك يا أبا حفص بشبهة تكشفها هرة ! والأفعال تنقسم أيضا إلى أقسام كثيرة : كالماضى والمضارع والأمر ، والمتعدى إلى واحدٍ واثنين وثلاثة ، وغير المتعدى ، والتام والناقص ، وما سمي فاعله وما لم يسم فاعله ، وأفعال القلوب وغيرها ، وأفعال المقاربة ، وأفعال التعجب وغيرها ، وأفعال المدح والذم وغيرها .

* * *

[أبو الأسود الدؤلى]

وأول من وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلى^(٤) ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ؛ وكان من فقهاء البصرة وعلماهم ونصحايم ، وشيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وولاه البصرة .

وسبب وضعه لذلك ؛ أنه دخل على ابنته بالبصرة ، فقالت له : يا أبت ، ما أشد الحر ! فقال : شهر آزار ، فقالت : يا أبت ، إنما أخبرتك ولم أسألك ، وكان مرادها التعجب ، فأتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ،

(٢) ت ، م : « على سمته » .

(٤) م : « الدلى » .

(١) ت : « الشبه » .

(٣) ساقطة من ت .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب لما خالطت الأعاجم ، ويوشك أن تضمحل ، وأخبره ^(١) خبر ابنه . فأمره فاشترى صُحفاً ، فأملأ عليه : الكلام كله لا يخرج عن اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ، ثم قال له : انح هذا النحو ؛ فسمى النحو ، [ثم رسم رسوم النحو كلها] ^(٢) .

وقيل : ^(٣) كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل إلى زياد يطلب ابنه ، فأدخل عليه فسمعه يلحن ^(٤) ، فأرسل إلى أبيه يلومه ، فأرسل زياد إلى أبي الأسود أن يضع في النحو شيئاً - وكان أبو الأسود من أفصح الناس ، ويقول : إني لأجد اللحن غمراً كغمّر اللحم - فأبى أبو الأسود ، وكره إجابة زياد ، فوجه زياد رجلاً وقال له : أقعد في طريق أبي الأسود ، فإذا مر بك فاقرا شيئاً من القرآن وتعمد اللحن ، ففعد ، فلما مر به أبو الأسود قرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٥) بالجر ، فاستعظم أبو الأسود ذلك ، وعاد إلى زياد فقال : قد أجبتك . ثم وضع مختصره في أصول النحو . وأول ما وضع باب التعجب ، ثم وضع بعده غنبة ، ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما ، إلى أن وصل إلى سيبويه ، فأخذ الغاية على من قبله وبعده .

وكانت وفاة أبي الأسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف ^(٥) ، وهو ابن خمس وثمانين سنة .

وكان علماً شاعراً ذا رأي ، إلا أنه كان شديد البخل والتشيع ، فمن أخباره ما حدث أبو عمرو ، وقال : كان أبو الأسود نازلاً في بني قُشَيْر ، وكانوا يخالفونه في للذهب ، لأن أبا الأسود كان شيعياً ، فكانوا يذمونه بالليل ، فإذا

(١) ط : • وأخبر • . (٢) تكملة من ط ، م .

(٣-٣) ت : • ثم إن معاوية أرسل إلى زياد يطلب ابنه ، فأدخل عليه فسمعه يلحن • .

(٤) سورة التوبة • . (٥) الطاعون الجارف وقع بالبصرة سنة ٦٩

في خلافة ابن الزبير ، قال اللدائني : حدثني من أدرك الطاعون الجارف قال : كان ثلاثة أيام ، هات فيها نحو من سبعين ألفاً . تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٣٧٣ .

أصبح شكاً ذلك : فشكاهم مرة ، فقالوا : نحن مانزيميك ، ولكن الله يرميك ؛ فقال : كذبتُمْ ، لو كان الله يرميني ما أخطأني !

وقال لهم يوماً : يا بني قشير ، ما أحب إلى طول بقاء منكم ، قالوا : ولم ذاك ؟ قال : لأنكم إذا ركبتم امرأة علمت أنه غي فاجتنبته ، وإذا اجتنبت امرأة علمت أنه رُشد فاتبعت .

وقال له رجل : أنت والله ظرف عليم وحليم ؛ غير أنك بخيل ، فقال : وما خير ظرف لا يمسك ما فيه !

وسأله رجل فتنعه ، فقال : يا أبا الأسود ، أما أصبحت حاتماً ! فقال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم يقول :

أماويِّ إِمَّا مانعٌ فمَيِّئٌ وإِما عطاءٌ لا ينهيه الزَّجرُ !^(١)

وحكى أن أغرابياً مرَّ به وهو يأكل رطباً على باب داره ، فقال : السلام عليكم ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أَدْخِلْ ؟ قال : ورائك أوسع لك . قال : أنا ابن الحمامة ، قال : انصرف ، وكن ابن أوى طائر شئت ! قال : سألتك بالله إلا أطمعني مما تأكل ! فأنقني إليه ثلاث رطببات ، فوَقَعْتُ إحداهن في التراب ، فأخذها فمسحها بثوبه ، فقال : دَعَهَا ، فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به ، فقال : إنما كرهت أن أدعها للشيطان ، فقال : لا ، والله ولا لجربيل وميكائيل تدعها !

وجلس يوماً إلى معاوية يتحدثان في خلوةٍ ، ثم تحرَّك فصرط ، فقال لمعاوية : استرها علي ، قال : نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم ، فلما غدا إليه أبو الأسود قال له عمرو : ما فعلت صرطتك

يا أبا الأسود ؟ قال : ذهبت مع الرّيح كما تذهب من شيخ ألان الدهر أعضاءه
عن إمساك مثلها ؛ وكلّ أجوف ضروط ، وإنّ امرأ ضعفت أمانته عن كتمان
ضربةٍ لحقيق ألا يؤتمن على المسلمين !

وأسرّ يوماً إلى معاوية بشيء - وكان أبخر - فأصغى إليه معاوية ماسكاً
أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله ، لا تسود حتى تصبر على
سِرارِ البخر !

ومن شعره يقول :

وكنّت متى لم ترع سِرّك منشراً نوازعه^(١) من محطىء ومصيب^(٢)
فما كلّ ذى لبٍ بمؤتيك نصحه ولا كلّ مؤتٍ نصحه بليب

وكتب إلى معاوية - وقد وعده فأبطأ عليه - يقول :

لا يَكُنْ بَرَقُكُ بَرَقًا خُلِبًا إِنَّ خَيْرَ الْبَرَقِ مَا الْفَيْثُ مَعَهُ^(٣)
لا تَهْتَبِ بعد أن أكرمّتي فشدّيدٌ عادةٌ منتزعة

وقال يخاطب ولدًا له كان لا يطلب الرزق :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنَّى وَلَكِنْ أَلْتِ دُلُوكَ فِي الدَّلَاءِ^(٤)
تَجِيءُ بِمِثْلِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَجِيءُ بِحِمَاةٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ
وقال أيضاً :

يقولُ الأَرْدَلُونُ بَنُو قُشَيْرٍ : طَوَالَ الدَّهْرُ لَا تَنْسَى عَلِيًّا !^(٥)
بنو عمّ النّبيّ وأقربوه أحبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيَّا
أحبّهمُ كحبّ الله حتّى أجىء إذا بُعِثْتُ عَلَى هَوَايَا
فإنّ يَكُ حُبِّهِمْ رُشْدًا أَصْبَهُ ولسْتُ بمخطيء إن كان غيّا

(١) ت : « بواده » م ، بوارقه . (٢) ديوانه ٢٥ .

(٣) ديوانه ١٤ . (٤) ديوانه ٤٣ .

(٥) قالها في رثاء علي بن أبي طالب ، ديوانه ٣٢ .

فَرَوَى أَن بَنِي قُشَيْرٍ قَالُوا لَهُ : قَدْ شَكَّكَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ! فَقَالَ : كَلَّا ،
مَا شَكَّكَ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أَفَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَكَّ !

وقوله : « هَوِيَّا » بلفظة هُذَيْل ، قَالَ أَبُو ذُوؤَيْبٍ :
سَبَقُوا هَوِيًّا وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَحَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ ^(١)

* * *

٧٣ - وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ.

الظَّرْفُ فِي النَّحْوِ يُقَالُ لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَإِذَا جُمِعَ مَحَلًّا لِأُمُورٍ تَقَعُ
فِيهِ ^(٢) ، كَقَوْلِكَ : أَعْجَبَنِي الْخُرُوجُ الْيَوْمَ ، هَذَا «الْيَوْمُ» مَحَلٌّ لِلْخُرُوجِ الَّذِي أُسْنَدَتْ
إِلَيْهِ الْحَدِيثُ ، فَإِذَا قُلْتَ : أَعْجَبَنِي الْيَوْمُ ، لَمْ يَسْمَ ظَرْفًا ؛ لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَحَدَّثُ عَنْهُ
لَا عَنْ شَيْءٍ وَقَعَ فِيهِ ، فَمِنْ خَاصَّةِ الظَّرْفِ أَلَّا يَكُونَ مُحَدَّثًا عَنْهُ ، وَأَنْ يَصْلَحَ فِيهِ
تَقْدِيرٌ « فِي » .

وَكَانَ الْخَلِيلُ يَقُولُ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ الْأَوْعِيَةَ ظَرْفًا لِمَا يَحِلُّ فِيهَا .

وَالْحَالُ مَا يَعْرِفُ مِنْ هَيْئَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ فِي حَالِ وَقُوعِ الْفِعْلِ ، كَقَوْلِهِمْ :
جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبَتِ اللَّصَّ قَائِمًا ؛ فَالرَّكُوبُ هَيْئَةُ زَيْدٍ فِي وَقْتِ مَجِيئِهِ ،
وَالْقِيَامُ هَيْئَةُ اللَّصِّ فِي وَقْتِ ضَرْبِهِ . وَالْحَالُ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ نَكْرَةً ، أَوْ فِي حَكْمِهَا ،
وَبَعْدَ كَلَامٍ تَامَ أَوْ حَكْمِهِ ، أَوْ بَعْدَ ^(٣) اسْمٍ مَعْرِفَةٍ أَوْ حَكْمِهَا ، وَلَهَا أَقْسَامٌ مِثْلُ :
الْمُسْتَضْحَبَةِ ، وَالسَّادَةِ ، وَالْحَكْمِيَّةِ ، وَالْمَوْطِئَةِ ، وَالْمُؤَكَّدَةِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

* * *

(٢) ت ، م « فِيهَا » .

(١) ديوان المهذلين ١ : ٢ .

(٣) ط : « وَبَعْدَ » .

٧٤ - وَبَنَى وَأَعْرَبَ ، وَنَفَى وَتَعَجَّبَ .

المبنى ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه .
والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة^(١) أو حرف ، ولا يُعْرَبُ
من الكلام إلا الاسم المتمكن ، والفعل المضارع .

وأشار بالنفي والتعجب إلى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفي ، وقد يرادُ
بها التعجب ؛ فمن لا يدرى النحو لا يميز بين محلّيهما كما في قولهم : ما أحسن
زيدٌ ، وما أحسن زيدا ! فإنها في الأول للنفي ، ولهذا ارتفع « زيد » لأنها نفت
المسند إلى « زيد » ، وفي الثاني للتعجب ؛ ولهذا انتصب « زيدا » ؛ لأنّ فاعل
« أحسن » هو ضمير مستكنّ فيه يعود على « ما » ، فإن معناها في الأصل :
« شيء أحسن زيدا » ، وبسبب هذه المسألة وُضِعَ علم النحو ، كما تقدّم في ذكر
أبي الأسود [الدؤالي]^(٢) مع ابنته .

* * *

٧٥ - وَوَصَلَ وَقَطَعَ ، وَثَنَى وَجَمَعَ .

أشار إلى معرفة مواقع همزة الوصل من^(٣) مواقع همزة القطع ، وقد أنشد
البيت المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو :
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيَجِلَّهُ^(٤) فذو العرش محمود وهذا محمد

(١) حاشية ت : « كان على الفارح أن يزيد هنا : « حقيقة أو تقديرا » ؛ لئلا
يدخل المعرب تقديرا في حد المبنى ؛ وإن لم يكن هذا موضع ذلك ؛ لكن قد أورده بصفة
الحد ؛ فكان الأحسن أن يكون جامعا مانعا .

(٢) من ط .

(٣) ت : « مع » .

(٤) ط : « فشق له » .

فقيل : « شقّ له مِنْ إسمه » باثبات الهمزة ، وسلامة النظم من الرَّحَاف .
وقيل : « وشقّ له من اسمه » باستعمال الوصل ، ويكون ذلك مع دخول القبط
في الجزء الثاني من الطويل ، وهو «مفاعيلن» بحذف الياء ، فيصير «مفاعِلن» ،
وهو زحاف مستعمل في هذا البحر ، تقع المعاقبة بينه وبين الكفّ ، وهو أخفّ
منه وأكثر استعمالاً .

والتثنية زيادة ألف أو ياء مفتوح ما قبلها في آخر الكلمة مع نونٍ مكسورة ،
كقولهم : الرّجُلان والرّجُلَيْن .

والجمع ضربان : أحدهما جمع التصحيح ، وهو ما سلم فيه بناء مفردة ، وهو
قسمان : جمعُ المذكّر ، ويكون بزيادة واو أو ياء مكسورة ما قبلها في آخر الكلمة ،
ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون ، وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء
في آخر الاسم كثمرات ومسلمات في جمع ثمرة ، ومسلمة .

والضرب الثاني جمع التكسير ، وهو ما لم يسلم فيه بناء مفردة ، كرجال
وأصحاب ، في جمع رجل وصاحب .

* * *

٧٦ — وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ .

الإضمار أن يؤتى في الكلمة بلفظٍ مضمرٍ ، وهو ما وضع لتكلم أو مخاطب
أو غائب ، كأننا وأنت ، وهو مأخوذ من الضمّ ، وهو الخفاء .

والإظهار أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر ، مأخوذ من ظهّر
الشيء ، إذا كان على ظاهر الأرض وانحجاً .

والاستفهام : طلب الإخبار بشيء ، واللفظ الدالّ عليه بالوضع ؛ إمّا اسم

كقولنا : ما الإنسان ؟ ومن زيد ؟ وكيف أنت ؟ ومتى تقوم ؟ وإما حرف وهو الهمزة في نحو قولك : أقام زيد ؟ وهل في : هل قام زيد ؟ والإخبار : الإتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب ، كقولك : قام زيد ، [وما أشبه ذلك] ^(١) .

* * *

٧٧ — وَأَهْمَلٌ وَقَيَّدَ ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ ، وَبَحَثَ وَنَظَرَ .

إما أن يكون أراد الحروف المهملة التي هي غير المقتيدة بالنقط والشكل ، وعلى ذلك وضع الخليل كتاب « النقط والشكل » . وإما أن يكون أراد بالمهمل المطلق ، وعدل عنه إليه لموازنة قوله في السجعة الثانية : « أَرْسَلَ وَأَسْنَدَ » . والمطلق ما لم يقيّد ، والمقيّد ما ضمّن وصفاً ، كقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٢) ، فأطلق . وقال في الترتيب : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ ^(٣) ، فقيّد .

والمرسل والمسند ما اصطلاح عليه في علم الحديث ؛ فالمرسل عند المحدثين قول التابعي الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، وفعل كذا ؛ فهذا مرسلٌ عندهم باتفاق .

وأما قول التابعي الصغير كالزهري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قومٌ : يسمّى مُرْسَلًا ، وقال قومٌ : بل يسمّى منقطعاً ؛ لأن أكثر روايتهم عن التابعي .

وأما المسند ؛ فهو ما اتصل سنده من روايه إلى منتهاه ، وفيه أقوال .
فويُقسم إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف .

فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله ، وسلم من شذوذ
وعلة ؛ والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفاً لما رواه الناس ، والمعتل ما فيه
سبب قادح على نص ظاهره السلامة .

وأما الحسن فهو ما عرف مخرجه ، واشتهر رجاله . وقال بعضهم : هو الذي
فيه ضعف يحتمل ، ويصلح العمل به .

والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن
المتقدم ذكرها .

والبحت الكشف عن الشيء والطلب ، يقال : بحثتُ عن الأمر ،
وبحثت كذا .

والنظر قلب البصيرة لتأمل الأمر ، مأخوذ من قلب البصر لإدراك
الشيء .

* * *

٧٨ - وَتَصَفَّحَ الْأَذْيَانَ .

صَفَّحَ الشيء : عرضه ، كصفحة^(١) الكتاب والوجه ، وتصفَّحته استعرضته
وتأملت وجهه .

والأذيان : جمع دين ؛ وهو الشريعة والملة ، والأصل في الدين الطاعة ،
واستعير للشريعة للاقتياد إليها والطاعة ، والمراد النظر في مذاهب أهل الأديان
وشرائعهم ، واختلاف فرقهم كالمسلمين . والإسلام على ضربين : أحدهما دُون

(١) ط : « كصفحة » ؛ وأثبت ما في باقي الأصول .

الإيمان ، وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ^(١) .

والثاني فوق الإيمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاداً بالقلب ، ووفاء بالفعل ، والاستسلام لله تعالى في كل ما قضى وقدر ، كقوله تعالى في قصة إبراهيم : ﴿ أَشْهَدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

والنصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة ، والأشعرية ، والإمامية وغير ذلك ، وكاليهود وفرقهم من العناتية ، والموشكانية ^(٣) ، والعبرانية ، والقرآئين ، والسامرة ، وما أشبه ذلك ^(٤) .

واسم اليهود مأخوذ من هَادَ الرجل ، إذا رجع وتاب ، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّا هُذَنَّا إِلَيْكَ ﴾ ^(٥) . أى رجعنا وتضرعنا ، وكان في الأول اسم مدح ، ثم صار بعد نسخ شرائعهم لازماً لهم ^(٦) ، والنصارى وفرقهم من الملكانية ، واليعقوبية ، [والنسطورية ، والأرمن ، والروم ، والمارونية وغيرهم ، واسم النصارى مأخوذ] ^(٧) من قول عيسى عليه السلام : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ ^(٨) ، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم أيضاً . وقيل : مأخوذ من نسبتهم إلى قرية يقال لها : نَصْرَان .

والمجوس وفرقهم من الكيومرثية ، والزرذشتية ، وما أشبه ذلك ^(٩) .

(١) سورة الحجرات ١٤ . (٢) سورة البقرة ١٣١ .

(٣) ت : « الوسكانية » م :

(٤-٤) كذا في ط ، وفي ت : « والسامرة وما أشبه ذلك » .

(٥) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٦) ط : « ضالم » .

(٨) سورة آل عمران ٥٢ .

(٧) من ط .

(٩) ت : « وما أشبه ذلك » .

وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الأصول والفروع ، في كتاب الملل والنحل ^(١) .

* * *

٧٩ - وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغَيْلَانَ .

[ماني النّوّي]

هو ماني بن فاتك ^(٢) النّوّي ، الذي تنسب إليه المانويّة ، كان راهباً . بنجران قائلاً بينوّة المسيح ، معظماً في أساقفة النّصارى ، محمود السّيرة فيهم ، فزنى فسقطت مرتبته ، وكان له حسّدة من بطارقة زمانه ، فوجدوا السّبيل إلى ما أرادوا منه ، فلما رُئي حاله أخذ في الردّ على أصحابه ، وقال : لم أزن ، ولكنهم حسدوني وأنكروا مخالفتي لهم في أصل دينهم ، إذ كانوا يقولون بالمسيح اللاهوتيّ ، رسول الشيطان .

وكان ماني في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم ، فأحدث ديناً ودعاً إليه ، وظهر في أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلقٌ عظيم من المجوس ، وأدّعوا له النّبوة ^(٣) ، ونسبوه لها ، إلى أن قتل في زمان بهرام بن سابور كما سيأتي ذكره . حدث النوبختي وغيره ، قال : زعم ماني وأصحابه أن صانع العالم اثنان : فاعل الخير نور ، وفاعل الشرّ ظلمة ، وهما قديمان ، لم يزالا ولن يزالا حسّاسين سميعين بصيرين ، وهما مختلفان في النّفس والصورة ، متضادّان في الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير ، ونفسه خيرة حليلة نفاعه ؛ منها الخير والسرور والصّلاح ، وليس منها من الشرّ شيء ، وجوهر الظلمة على ضدّ ذلك جميعه ؛ والنور مرتفع في ناحية الشّمال ، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب ، وزعموا أن

(١) الملل والنحل لابن حزم ١ : ٣٤ وما بعدها .

(٢) ت : « ماني » . (٣) ت ، م : « نبوته » .

لكل واحدٍ منهما أجناساً خمسة ، أربعة منها أبدانٌ ، وخامس هو الرُّوح . فأبدان النور الأربعة : النّار ، والنور ، والرّيح ، والماء ، وروحها الشّبح المتحرّك في [هذه الأبدان] ^(١) ، وأبدان ^(٢) الظلمة أربعة : الحريق ، والظلام ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان ، وسموا أبدان النور ملائكة ، وأبدان الظلمة . [وبعضهم يقول : أبدان النور تتولّد ملائكة وأبدان الظلمة تتولّد شياطين] ^(٣) ، وأنّ النور لا يقدر على الشرّ ، ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدّر على الخير ، ولا تجوز منه .

قال بعض المتكلّمين : والذي حلّمهم على هذا أنّهم رأوا في العالم شراً ^(٤) واختلافاً ، فقالوا : لا يكون من أصل واحد شيان متضادّان ، كما لا يكون في عنصر النّار السّخن ^(٥) والبرد .

وقد ردّ عليهم بعض العلماء في قولهم : [إنّ] ^(١) الصّانع اثنان ، فقال ^(٥) : لو كانا اثنين لم يخلُ من أن يكونا قادرين أو عاجزين ، أو أحدهما قادراً والآخر عاجزاً ، [لا جائز أن يكونا عاجزين] ^(١) ، لأنّ العجز يمنع ثبوت الإلهيّة ، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزاً ، فبقى أن يقال : هما قادران ، فيتصوّر أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيها ، ومن الحال وجود ما يريدانه ، فإنّ تمّ مراد أحدهما ثبت عجز الآخر .

وردّ عليهم آخر في قولهم : إنّ النور يفعل الخير ، والظلمة تفعل الشرّ ، بأنّه لوهرب مظلوم فاستترّ بالظلمة ، فهذا خيرٌ وقع من شرٍّ ، ومن هاهنا أخذه المتنبيّ فقال :

(١) تكملة من ط . (٢) ت : « وفي أبدان » .

(٣) ت : « نشرأ » . (٤) م : « التسخين » .

(٥) ت « فقالوا » .

(٦) كذا في ت ، م ، وفي ط : « في » .

وكم لظلام اللَّيْلِ عِنْدِكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(١)
 وقال الجاحظ : المانوية تزعم أنَّ العالم بما فيه مركَّب من عشرة أجزاء ،
 يعني أجناساً خمسة منها خير ونور ، وخمسة منها شرّ وظلمة ، والإنسان مركَّب
 من جميعها ، فمن^(٢) نَظَرَ نظرة رحمة فتلك النَّظرة من الخير والنور ، ومن^(٣) نظر
 نظرة قسوة ، فتلك النَّظرة من الشرّ والظلمة ، وكذلك جميع الحواس .

وكان للمؤمن يسأل المانوية عن مسألة قريبة المأخذ قاطعة ، فناظر أحدهم
 فقال : أسألك عن خرفين فقط : هل ندم مسمى على إساءته ؟ قال : بلى ، قد ندم
 كثير . قال : تخبرني عن الندم على الإساءة : إساءة أم هو إحسان ؟ قال : إحسان ،
 قال : فالذي ندم هو الذي أساء ؟ قال : نعم ، قال : فأرى صاحب الخير هو
 صاحب الشرّ ، وقد بطل قولكم : إنَّ الذي ينظر نظر الوعيد غير الذي ينظر
 نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعم^(٤) ، أن الذي أساء غير الذي ندم ، قال : فندم
 على شيء كان من غيره ، أو على شيء كان منه ؟ فقطعه [بهذه الحجّة]^(٥) .

ولماني وأصحابه في امتزاج النور والظلمة ، وحُدوث الشمس والقمر ، والنجوم
 لاستصفاء النور من الظلمة إلى ألاّ يبقى شيء منه في هذا العالم ، وتنطبق السماء
 على الأرض ، ويرجع كلّ شكلٍ إلى شكله أقوال عجيبة ؛ إلى غير ذلك من أنّه
 لا يرى الثنايح^(٥) يستعجل فناء العالم ، ويسرع بجمع الأشكال .

ولم تزل أتباعه تكثر ، وشوكته تعظم ، إلى أن أحضره بهرام بن يزدجرد -
 وقيل : سابور - وأراد قتله باتفاق الموابذة ، فأمر أدرياد موبذ موبذان ، بأن

(١) ديوانه ١ : ١٧٨ .

(٢) كذا في ت ، م ، وفي ط : « فني » .

(٣) كذا في ت ، م ، وفي ط : « فإن الذي زعم » .

(٤) من ط .

(٥) كذا في ت ، م ، وفي ط ، د : « المنايح » .

بأن يناظره فناظره في مسألة قَطْع النسل ، وتعجيل فراغ العالم . فقال مؤبذان :
أنتَ الذي تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ، ويرجع كل
شكل إلى شكله ، وأن ذلك حق واجب !

فقال ماني : واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه
من الامتزاج .

فقال له أدريار : فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذي تدعو إليه ،
وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم ! فاقطع ماني ، فأمر بهرام بصلبه على
الخشب ، فجعل يصيح ويقول : أيها المعبود النوراني ، بلغت ما أمرتني به ،
وهذه عادتهم في [وفي أمثالي]^(١) ، وأنت الحكيم ، وها أنا الآن ماراً إليك ،
وما آذيت صامتاً ولا ناطقاً ، فتباركت أنت وعالمك النوراني الأزلي^(٢) ،
فكان آخر قوله ، ثم حشى^(٣) جلده تبناً !

وكان بهرام في الأول قد أظهر متابعتة حتى أحاط علماً بمن تبعه ، فلما قتله
أمر بقتل أصحابه ، ثم ظهر ممن يسلك مسلكهم في الإسلام بشرٌ عظيم يُسمون
الزنادقة ، قتلهم المهدي وأبادهم .

* * *

[غَيْلان القَدْرِيّ]

وأما غيلان فهو ابن يونس القَدْرِيّ الدمشقي ، كان أبوه مولى لعثمان بن
عفان ؛ وغَيْلان أول من تكلم في القَدَر ، وخلق القرآن في الإسلام .

(١) من ط .

(٢) ت : « التورانيون : الأزليون » .

(٣) كذا في ت ، وفي ط . « ثم ملئ » .

وقيل : أولُ من تكلم في القدر رجلٌ من أهل العراق ، كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر ، وأخذ عنه مَعْبِد الجهنى ، و غَيْلان الدمشقى .

وروى أن مكحولاً^(١) قال لَغَيْلان : ويلك يا غيلان ! ألم أجِدك تَراعى النساء بالسفاح في شهر رمضان ، ثم صرت حارثياً تخدم امرأة الحارث الكذاب ، وتزعم أنها أم المؤمنين ، ثم تحولت بعد ذلك قدراً وزنديقا !

وروى أن غَيْلان وقف يوماً على ربيعة^(٢) ، فقال له : أنت الذى تزعم أن الله يحب أن يعصى ! فقال له ربيعة : أنت الذى تزعم أن الله يُعصى قسراً !

وقيل لَغَيْلان : مَنْ كان أشدُّ عليك ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، كأننا كان يلقن من السماء .

وحكى ابن مهاجر ، قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن غَيْلان وفلاناً نطقا في القدر ، فأرسل إليهما وقال : ما الأمر الذى تنطقان به ؟ فقالا : هو ما قال الله يا أمير المؤمنين ، قال : وما قال الله ؟ قال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ، ثم سكتا ؛ فقال عمر : اقرأ ، فقرأ حتى بلغا : ﴿ إِن هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ . . . ﴾^(٣) . إلى آخر السورة ، قال : كيف تريان يا بنى الأتانة ! تخذان الفروع وتدعان الأصول !

قال ابن مهاجر : ثم بلغ عمر بن عبد العزيز أنها أسرفا ، فأرسل إليهما

(١) هو مكحول الشامى الفقيه ، تابعى ، إلا أنه كان يرى القدر . توفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو ربيعة الرأى ، كان أبو العباس السفاح قد أقدمه للقضاء ، توفى سنة ١٣٦ . صفه الصفوة ٢ : ٨٣ .

(٣) سورة الدهر ١ - ٣١ .

وهو مغضب ، فقام عمر ، وكنت خلفه قائماً حتى دخلا عليه ، وأنا مستقبلهما ، فقال لهما : ألم يكن في سابق علم الله حين أمر الله إبليس بالسجود ألا يسجد ؟ قال : فأومأت إليهما برأسي أن قولاً : نعم ، [وإلا فهو الذبح] ^(١) ، فقالا : نعم ، فقال : أو لم يكن في سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها ، فالتهمهما أن يأكلا منها ؟ فأومأت إليهما برأسي ، فقالا : نعم ، فأمر بإخراجهما ، وأمر بالكتاب إلى سائر الأعمال بخلاف ما يقولان ، وأمسكا ^(٢) عن الكلام ، فلم يلبثا إلا يسيراً ^(٣) حتى مرض عمر ومات ، ولم يفد الكتاب ، وسال بعد ذلك منهما السيل ^(٤) .

وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر : اللهم إن كان كاذباً فلا تمته حتى تذيقه حد ^(٥) السيف ؛ فقطعت يده ورجلاه ، ووصلب في أيام هشام [بن عبد الملك] ^(٦) .

حدث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : أرسل هشام بن عبد الملك إلى غيلان ، فقال له : يا غيلان ، ما هذه المقالة التي بلغتني ^(٧) عنك في القدر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو ما بلغك ، فأحضر من أحببت يحاجني ، فإن غلبني ضربت رقبتي ؛ فأحضر الأوزاعي ، فقال له الأوزاعي : يا غيلان ، إن شئت ألقيت عليك سبعا ، وإن شئت خمسا ، وإن شئت ثلاثا ! فقال : ألق ثلاثا ، فقال له : أما قضى ^(٨) الله على عبد ما نهى عنه ! قال : ما أدري ما تقول ! قال : فأمر

(١) من ط .

(٢) ت : « وسكنا » .

(٣) ت : « فلم يلبثا إلا قدراً » .

(٤) ت : « السيل » .

(٥) ط : « حر » .

(٦) من ت .

(٧) ت : « تباعى » .

(٨) كذا في ت ، وفي ط : « أفضى الله » .

الله بأمرٍ حال دونه ؟ قال : هذه أشد من الأولى ، قال : ألخزم الله حراماً ثم أحله ! قال : ما أدري ما تقول ! قال : فأمر به هشام ففقطعت يده ورجلاه ، فمات ، وقيل ^(١) صلب حيّاً على باب كينسان بدمشق .

ثم قال هشام للأوزاعي : يا أبا عمر ، فسّر لنا ما قلت ، قال : قضى الله على عبدٍ ما نهى عنه ؛ نهى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه ، فأكل منها ، وأمر إبليس أن يسجد لآدم ، وحال بين إبليس والسجود . وقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ ﴾ ^(٢) ، فأحلّها بعد ما حرّمها .

* * *

ومن كان يميل إلى هذا المذهب أيضاً غيلان [بن عقبة] ^(٣) ، وهو ذو الرمة الشاعر ، قال : اختصم ذو الرمة ورؤبة الرازي عند بلال بن أبي بردة ، فقال رؤبة : والله ما خص طائر أخوصا ، ولا تفرص سمع قرموصا ^(٤) إلا بقضاء من الله وقدر ، فقال ذو الرمة : والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك ! فقال رؤبة : أفقدته أكلها ! هذا كذب على الذئب . فقال ذو الرمة : للكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين .

قوله : « عيايل » جمع عيل ، وهو ذو العيال . وضرائك : جمع ضريك ، وهو المقهر .

(١) كذا في ط ، وفي ت : « فمات وصاب حيا » .

(٢) سورة المائدة ٣ .

(٣) من ت .

(٤) الأخوص : نجم الطائر . والقرموس : حفرة للاضطياد ، وانظر اللسان ٨ : ٣٤٠ .

وعن إسحاق بن سعد، قال: أنشدني ذو الرّمة قوله:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَأَنَّنَا فَعُولَانِ بِالْأَبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ^(١)

فقلت له: «فعولين» خبر الكون، فقال لي: لو سبحت ربحت، إنما قلت: «فعولان». وإنما تحرّز ذو الرّمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

٨٠ - وَأَشَارَ بِذَنْجِ الْجُعْدِ.

[الجعد بن درهم]

أما الجعد فهو ابن درهم، مولى بني الحكم، كان يسكن دمشق، ويعلم مَرْوَانُ بن مُحَمَّدٍ آخر خلفاء بني أمية، فنسب إليه، فقيل^(٢): مَرْوَانُ الجُعْدِيُّ.

ويروى أن أم مروان كانت أمة، وكان الجعد أخاها؛ وهو أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد بدمشق، ثم طلب قهرّب، ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب إليه الجهميّة.

وقيل: إن الجعد أخذ ذلك من أبان بن سميان، وأخذ أبان من طالوت بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول بخلق القرآن، وكان طالوت زنديقاً، وهو أول من صنّف لهم في ذلك، ثم أظهره الجعد بن درهم، فقتله خالد بن عبد الله القسريّ.

(١) ديوانه ٢١٣

(٢) ط: «وقيل».

[ودخل عليه يوماً مُبْهَلُولٌ ، فقال : أحسن الله عزاءك في ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فإنها ماتت ! قال : وكيف تموت ؟ قال : لأنك تقول : إنها مخلوقة ، وكل مخلوق يموت ^(١) .

ولم يزل الجعْد على مذهبه إلى أن قتله خالد بن عبد الله القسريّ ^(٢) يوم الأضْحَى بالكوفة ، وكان والياً عليها ، أتى به في الوثاق فصلّى وخطب ^(٣) ، ثم قال في آخر خطبته : انصرفوا وضخّوا بضحاياكم ، تقبل الله منا ومنكم ؛ فإنّي أريد اليوم أن أضْحَى بالجعْد بن درهم ؛ فإنه يقول : ما كلم الله موسى تكليماً ، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول علوّاً كبيراً ! ثم نزل وحز رأسه بالسكّين بيده ، وطفئت نار فتنته إلى أن نشأت في أيام ابن أبي دُوَاد .

* * *

[خالد بن عبد الله القسريّ]

وأما خالد ، فهو ابنُ عبد الله بن يزيد بن أسد القسريّ ^(٤) البجليّ ، كان من أمراء الدولة الأموية ، وليّ اليمن ومكة من قبل الوليد بن عبد الملك ، وولاه هشام العرافين بعد عُمر بن هبيرة ، [ثم عزله لما بلغه من كثرة أمواله وبلاده وأنصاره] ^(٥) .

وله [مع ابن هبيرة] ^(٦) مكائدات وأخبار ، فمن أعجبها ما حكى [أن] ^(٧) ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ، ووفد على هشام وأمنه ، أرسل خالد مائة

(١) من ت .

(٢) ت : « وحين صلى وخطب » .

(٣) ط : « القسري » ، تحريف .

(٤) من ت .

(٥) من ط .

من خيل المضار^(١) قد انتخبها ، وأمر السّوّاس أن يعارضوا بها هشاماً إذا ركب ؛
 وكان هشام معجباً بالخيّل لا يشتهي أن يكون عند غيره من جيدها شيء ، فلما
 ركب هشام رأى خيلاً راقته ، فسأل القوم عنها : لمن هي ؟ فقالوا : لابن هبيرة ،
 فاستشاط غيظاً^(٢) ، وقال : واعجبني ! اختان ما اختان ؛^(٣) ثم قدم على قومه وقال
 لهم : مارضيت عنه بعد ؟^(٤) وهو يرأىني^(٥) في الخيل ! علىّ بعمر ، فدعا به وهو
 يسير في عَرَض الموكب ، فجاء مسرعاً ، فقال له هشام : ماهذه الخيل ! فكأنه
 فطن لما صنع خالد ، فقال : يا أمير المؤمنين^(٥) ، اخترتها وطلبتها من مظانّها حتى
 جمعتها^(٦) لك ، فمن يقبضها^(٧) ، فأعجبه ذلك ، وسكت خالد عن أمرها ، وفسدت
 مكيدته . ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل إلى أن عزل ، وأقام بالشام برهة ،
 ثم عذّب إلى أن مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد .

وكان جواداً فصيحاً ، عظيم الهمة ، إلّا أنه كان مارقاً من الدين^(٨) .

فأما جوده ، فإن ابن بيض^(٩) الشّاعر دخل عليه يوماً ، فقال : إنّي مدحتك
 ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم ، فأحضرها حتى أنشدتها ، فأحضر الدراهم ،
 ثم أنشده ابن بيض^(٩) يقول :

قَدْ كَانَ آدَمَ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِهِ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْخُوبَاءِ
 بَبْنِيهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعِيَتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَمِلَةَ الْأَبْنَاءِ

(١) كذا في ت ، وفي ط : « من الخيل في المضار » .

(٢) ط : « غضبا » ؛ وأثبت ما في ت .

(٣-٣) كذا في ت ، وفي ط : « ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد » .

(٤) حاشية ت : « يرأىني ، أى يوافقني » .

(٥) كذا في ت ، وفي ط : « خيل أمير المؤمنين » .

(٦) ط : « حتى جعلتها » .

(٧) ط : « فن يقبضها » .

(٨) كذا في ت ، وفي ط : « في الدين » .

(٩) ط : « حيس ييس » ؛ تصحيف .

فدفع إليه خالد الدّراهم ، وأمر أن يُضرب أسواطاً ، وينادى عليه : هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره . ثم قال له : إن قيمتهما مائة ألف .

وروى أنه دخل على خالد شيخ كبير ، فثَلَّ بين يديه ، فقال : شيخ جذبه إليك سنة أبدت العظام ، فإن رأيت أن تجبره بفضل ، وتُنْعشه بسجّل ! قال خالد : على أن أقارعك ^(١) ، فإن قرعتك لم أعطك شيئاً ، وإن قرعني أعطيتك ! فقارعه خالد فقرعه ، فقال : أقلني ، فأقاله ، ثم قارعه أخرى فقرعه ^(٢) أيضاً ، فقال : أقلني ، فأقاله ثانية ، ثم قارعه ، فقرع خالداً ، فقال : أقلني ، فقال ^(٣) : لا أقالني الله إذاً ، فقال : أعطوه بذرة يدخلها في حر أمه ، فقال : وأخرى أيها الأمير أدخلها في أستها ! فضحك ، وأمر له ببدرتين . وكان يقول : أيها الناس ، لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوّهاً تنفر منه القلوب .

وقال له بعض أصحابه : والله إنا لنسألك أموراً لا حاجة إلينا بها ، فقال : ولِمَ ؟ قال : لعلنا بمحبّتك فيمن سألك حاجة .

وأما فصاحته ، فمنها أنه قام على المنبر بواسطة ، فحمد الله وصلى على نبيّه ، ثم قال : أيها الناس ، تنافسوا في المكارم ، وسارعوا إلى المقام ^(٤) ، ومهما يكن لأحدكم ^(٥) عند أحدٍ نعمة فلم يبلغ شكرها ، فالله أحسن له جزاء ، وأجزلُ عليه عطاء . واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمٌ من الله عليكم ، فلا تملّوها فتحوّل نِقماً ؛ وأفضلُ المال ما أ كسب أجراً ، وأورث ذِكْراً ، وأجود

(١) ت : « هل لك أن أقارعك ؟ » .

(٢) ت : « ثم قارعه فقرعه خالد » .

(٣) ط : « فقال لخالد » .

(٤) ت : « العالم » .

(٥) ت : « لأحد » .

النَّاسَ مِنْ أَعْطَى مِنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَمَنْ لَمْ يَطْبَحْ حَرْثُهُ لَمْ يَزْكُ ^(١) نَبْتُهُ ،
وَالْأَصُولُ عَنْ مِفَارِسِهَا تَنْحُو ، وَبِأَصُولِهَا تَسْمُو . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
لِي وَلَكُمْ .

ومنها أَنَّهُ صَعِدَ يَوْمًا الْمَنْبَرُ ، فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ الْكَلَامَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسَ ، إِنَّ
«الْكَلَامَ يَحْيِي» أَحْيَانًا ، وَيَعُزِّبُ أَحْيَانًا ؛ وَرَبَّمَا طُلِبَ فَأَبَى ، وَكُوِبَ فَعَصَى ،
وَالثَّانِي ^(٢) لِحَيِّهِ ، أَيْسَرَ مِنَ التَّعَاطَى لِأَيِّهِ ، وَقَدْ يُخْتَلَجُ مِنَ ^(٣) الْجَرَى جَنَانُهُ ،
وَيَتَعَاصَى ^(٤) عَلَى الذَّرْبِ لِسَانُهُ ، ثُمَّ لَا يَكْبُرُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ ، وَلَا يَرُدُّ إِذَا
اتَّسَعَ ، وَأَوَّلَى النَّاسِ مَنْ عَذَرَ عَلَى النَّبُوءَةِ ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ ^(٥) عَلَى الْكِبُوءَةِ . مَنْ عُرِفَ
مِيدَانُهُ ، اشْتَهَرَ إِحْسَانُهُ ، وَسَاعُودَ وَأَقُولُ . ثُمَّ نَزَلَ .

وَأَمَّا مُرُوقُهُ مِنَ الدِّينِ وَاسْتَهْتَارُهُ ^(٦) ، فَحُكِيَ أَنَّهُ حَفَرَ بئرًا بِمَكَّةَ عَذْبَةً
الْمَاءِ ، ثُمَّ نَصَبَ طَسْتًا إِلَى جَانِبِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : قَدْ جِئْتُكُمْ بِمَاءِ
الْعَازِبَةِ ، لَا تَشْبِهْهُ مَاءُ أُمَّ الْخُنَافَسِ - يَعْنِي زَمْزَمَ - ثُمَّ قَالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ
اسْتَسْقَى رَبَّهُ فَسَقَاهُ مِلْجًا أَجَاجًا ، وَسَقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَذْبًا زَلَالًا قُرَاتًا -
يَعْنِي هَذِهِ الْبئرَ .

وَحُكِيَ [أَن] ^(٧) سَفِيَّانَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ ^(٨) عَلَى

(١) ت : « يَزَل » تحريف .

(٢) ط : « الثَّانِي » .

(٣) ط : « فِ » .

(٤) ت : « وَيَتَنَاط » .

(٥) ت : « يُؤَاخِذ » .

(٦) ت : « وَاسْتَهَارَهُ » .

(٧) من ط .

(٨) ط : « الْقَشِيرِي » تحريف .

المنبر - وكانت بنو أمية تأمر بلعن علي بن أبي طالب على المنابر يقول : اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، زوج فاطمة ، وأبي الحسن والحسين كَيْت وكَيْت ، [هل أَكَيْتُ !]^(١) .

وكان مع ذلك يبرّ قومًا من بني هاشم ، فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان أناه يستميحه^(٢) ، فلم يرَ منه ما يحب ، فقال ! أما المنافع فللهاشميين ، وأما نحن فما حَبَوْتُنَا منه إلا شتمه عليًا على منبره ؛ فبلغ خالدًا ذلك ، فقال : إن أحبّ تفاولنا له عثمان بشيء !

* * *

٨١ - وَقَتْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ .

[بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ]

هو بشار بن بُرْد بن يرجوخ^(٣) الشاعر المقدم ، من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، كان جدّه من طخارستان من سبى المهلب بن أبي صفرة ، ويدعى أنه مولى بني عقيل ؛ وحدث عن نفسه قال : لما دخلتُ على المهديّ قال لي : فيمن تُعدّ يا بشار ؟ فأجبتُه^(٤) وقلت : أما اللسان فعمري ، وأما الأصل فعجمي ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين :

وَنُبِئْتُ قَوْمًا بِهِمْ جِنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمَ^(٥)
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِلًا لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ

(١) من ت . ط : « يستمنحه » وما سواه .

(٢) كذا ضبط في الأغاني ٣ : ١٣٦ (طبعة دار الكتب) .

(٤) ت : « فقلت » .

(٥) الأغاني ٣ : ١٣٩ .

نَمَتْ فِي السَّكْرَامِ بَنِي عَامِرٍ فُرُوعِي وَأَصْلِي قُرَيْشِ الْعَجَمِ
 وَكَانَ يَتَلَوْنَ فِي وَلَائِهِ ، فَتَارَةً يَفْتَخِرُ بِقَيْسٍ ، وَتَارَةً بِغَيْرِهِمْ ، وَتَارَةً يَقُولُ ^(١) :
 أَصْبَحْتُ مَوْلَى ذِي الْجَلَالِ وَبَعْضُهُمْ مَوْلَى الْعَرِيبِ نَحْدُ بِفَضْلِكَ وَاطْمَنْ
 وَارْجِعْ إِلَى مَوْلَاكِ غَيْرِ مَدَافِعِ سُبْحَانَ مَوْلَايَ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ !
 وَكَانَ يَلْقَبُ بِالْمُرْعَثِ ، لِرِيعَاتِ [كَانَ] ^(٢) فِي أُذُنِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَالرُّعَاثُ :
 الْقُرْطُ ، وَقِيلَ : لَبِيتَ ذَكَرَ فِيهِ الرُّعَاثُ .
 وَوُلِدَ أَعْمَى ، فَكَانَ يَقُولُ : أَشَدُّ مَا هُجِيتَ بِهِ قَوْلُ الْبَاهِلِيِّ ^(٣) :

وَعَبْدِي فَقَا عَيْنِيكَ فِي الرَّحِمِ أَيْرُهُ نَجُمْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ لِعَيْنِيكَ فَاقْتِنَا
 وَكَانَ يَشَبَّهُ الْأَشْيَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبُصْرَاءُ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : عَدَمُ
 النَّظَرِ يَقْوَى ذِكَاةَ الْقَلْبِ ، وَيَقْطَعُ عَنْهُ الشُّغْلُ بِمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ
 فَيَتَوَفَّرُ حِسُّهُ ^(٤) .

(١) ط : « ينشد ويقول » .

(٢) من ط .

(٣) بعدها في ط : « حيث يقول » .

(٤) حاشية ت : « وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرة ،
 وهم بشار بن برد ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية . ويقال : إن بشاراً ولد على الرق أيضاً ،
 وأعتقه امرأة عقيلية ؟ فيقال : العقيلي ، وهذه النسبة إلى عقيل بن كعب ؟ وهي قبيلة كبيرة ؟
 وكان بشار أكمه ؟ ولد أعمى ، جاحظ الحدين ، قد تغشاه لحم أحمر ؟ وكان ضخماً عظيم الحلق
 والوجه مجدراً طويلاً ، هو في أول مرتبة المحدثين ، ومن الشعراء المحيدين فيه ؟ فمن شعره
 في المشورة :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِزْ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
 وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشِ الْخَوَافِي قُوَّةَ الْقَوَادِمِ
 وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْفَلَاحُ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
 وَلَهُ الْبَيْتُ السَّائِرُ الْمَشْهُورُ ؟ وَهُوَ :
 هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَرْزَلَةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي =

وسئل أبو عبيدة : مَنْ أَشْعَرُ عِنْدَكَ ؟ بَشَارُ أُمِّ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ؟ فَقَالَ :
 إِنَّ بَشَارًا حَكَمَ لِنَفْسِهِ بِأُمُورٍ لَمْ يُعْطَهَا غَيْرُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : لِي اثْنَا عَشَرَ
 أَلْفَ بَيْتٍ جَيِّدٍ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : لِي اثْنَتَا عَشْرَةَ قَصِيدَةً ، إِنْ لَمْ
 يَكُنْ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ بَيْتٌ جَيِّدٌ فَلَعَنَهَا اللَّهُ ، وَلَعَنَ قَائِلُهَا !

وَكَانَ يُتَمِّمُ بِالزُّنْدَقَةِ ، وَرَوَى الْجَاهِظُ قَوْلَهُ :

الْأَرْضُ مُظْلَمَةٌ ، وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَدَّ كَانَتِ النَّارُ (١)

وَقَالَ : بِهَذَا الْبَيْتِ وَجَدَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ السَّبِيلَ إِلَى تَكْفِيرِ بَشَارٍ ، وَخُطِبَ
 فِيهِ خُطْبَتُهُ الْمَحْذُوفَةُ الرَّاءُ .

وَحَكَى سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ ، قَالَ : كَانَ بِالْبَصْرَةِ سِتَّةُ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ : عَمْرُو
 بْنُ عُبَيْدٍ ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ ، وَبَشَارُ الْأَعْمَى ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ ،
 وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَعْنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ - فَكَانُوا
 يَجْتَمِعُونَ فِي مَنْزِلِ الْأَزْدِيِّ وَيَخْتَصِمُونَ عِنْدَهُ ؛ فَأَمَّا عَمْرُو وَوَاصِلُ فَصَارَا إِلَى
 الْإِعْتِرَالِ ؛ وَأَمَّا عَبْدُ الْكَرِيمِ وَصَالِحُ فَصَارَا إِلَى الثَّنَوِيَّةِ (٢) ؛ وَأَمَّا الْأَزْدِيُّ ، فَحَالَ
 إِلَى السَّمْنِيَّةِ - وَهُوَ مَذْهَبُ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْهِنْدِ - وَأَمَّا بَشَارُ فَبَقِيَ مَتَحِيرًا ،

= أَى أَبْعَدَنِي عَنْكَ . وَمِنْ شِعْرِهِ ؛ وَهُوَ أَغْزَلَ بَيْتَ قَالَهُ الْمَوَلَدُونَ :

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهَى سِحْرَ عَيْنَيْكَ وَأَخْشَى مِصْرَاعَ الْعُشَاقِ
 وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
 قَالُوا بَيْنَ لَاتَرَى تَهْذَى ! فَقُلْتُ لَهُمُ الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تَوْفَى الْقَلْبَ مَا كَانَ

مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خُلَّكَانَ .

(١) الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ١٦ .

(٢) الثَّنَوِيَّةُ : أَصْحَابُ الْإِثْنَيْنِ : النَّارُ وَالظُّلْمَةُ .

فقيل : إنه قال بعدُ بمذهب الثنوية وعدم الرجعة^(١) .

وقال أحمد بن خالد^(٢) : كنت أكلّم بشاراً ، وأردُّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد ؛ فكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينت أو عاينه مُعَاين ، وكاد يطول الكلام بيننا ؛ فقال لي : ما أظن الأمر يا أبا نخلد إلا كما يقال : إنه خِذلان ، ولذلك أقول :

طُيِّعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مَخِيرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْذَبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَغُيِّبَ عَنِّي أَنْ أَنَالَ الْمَغْيِبَا
وَأَصْرَفَ عَنِ عَلِيٍّ وَعِلَى مَبْصَرٍ فَأَمْسَى وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

وروى اللزني ، قال : قال رجل لبشار : أتأكل اللحم وهو مبينٌ لمذهبك ؟ فقال : إنما أدفع به شرَّ هذه الظُّلْمة .

وبمثل هذه الحكايات المنسوبة إليه ، دبرَّ عليه [يعقوب]^(٣) وزير المهدي حتى قُتِل .

حكى ابن نصر ، قال : قدِم بشار من البصرة إلى بغداد ، وقد مدح المهدي بقصيدته الزائية^(٤) ، ثم أنشده إياها فلم يحْظَ منه بشيء ، فقيل : إنه لم يستجِدْ شعرك ، فقال : والله لقد مدحته بشعرٍ لومدح به الدهر لم يحسن صرفه على أحدٍ ، ولكننا نَكْذِبُ في القول ، فنكذب في الأمل . ثم مدح يعقوب بن داود وزيره ، فلم يحفل به ، ولم يعطه شيئاً ، وأقام ينتظر جائزته برهة ، فرى يعقوب يوماً يبشار فصاح بشار :

(١) ط : « وبعد ترندق » .

(٢) ت : « خلاد » .

(٣) من ط .

(٤) هي القصيدة التي مطلعها :

تَجَالَّتْ عَنْ فَهْرٍ وَعَنْ جَارَتِي فَهْرٍ وَودَّعْتُ نَعْمَى بِالسَّلامِ وَبِالْهَجْرِ

* طَالَ النَّوَاهُ عَلَى رَسُولِ الْمَنْزِلِ *

فَقَالَ يَعْقُوبُ :

* فَإِذَا تَشَاءُ أَبَا مُعَاذٍ فَارْحَلِ *

فَغَضِبَ بَشَّارٌ ، وَقَالَ يَهْجُوهُ :

بَنَى أُمِّيَّةً هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَأْقُومُ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّأْيِ وَالْعُودِ

ثُمَّ رَحَلَ وَحَضَرَ حَلَقَةُ يُونُسَ النَّحْوِيُّ ، فَقَالَ : هَاهُنَا مَنْ نَحْتَشِمُهُ ! فَقَالَ :
لَا ، فَأَنْشُدْ هَجَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ ، وَهَجَاءَ فِي يَعْقُوبَ ، فَسَعَى بِهِ إِلَى يَعْقُوبَ .

وَكَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ الْبَصْرَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ ، وَقَالَ لِلْمَهْدِيِّ :
إِنَّ بَشَّارًا زَنْدِيقٌ ، وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ ، وَقَدْ هَجَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَ
ابْنَ نُهَيْكٍ - وَهُوَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ - بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ أَرْفَ خُرُوجَهُمْ ، فَأَخْرَجَهُ
ابْنَ نُهَيْكٍ مَعَهُ فِي زَوْرُقٍ ، فَلَمَّا كَانُوا بِالْبُطَيْحَةِ ذَكَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ نُهَيْكٍ
بِأَمْرِهِ ^(١) بِضَرْبِ بَشَّارٍ بِالسَّيَاطِ ضَرْبَ التَّلْفِ ، وَيَلْقِيهِ بِالْبُطَيْحَةِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأَقِيمَ
فِي صَدْرِ السَّفِينَةِ ، وَأَمَرَ الْجَلَّادِينَ أَنْ يَضْرِبُوهُ ضَرْبًا مُتَلَفًا ، فَجَعَلَ يَقُولُ كَمَا وَقَعَ
عَلَيْهِ السُّوْطُ : « حَسَّ » ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ الْأَلَمِ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : انْظُرُوا
إِلَى زَنْدِيقَتِهِ ، مَا نَرَاهُ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَقَالَ بَشَّارٌ : وَيْلَكَ ! أَتُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهُ
عَلَيْهِ ! فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعِينَ سُوْطًا أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، فَأُلْقِيَ فِي صَدْرِ السَّفِينَةِ ، فَقَالَ :
لَيْتَ عَيْنَ أَبِي الشَّمْعَقِ تَرَانِي حِينَ يَقُولُ :

إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بَرْدٍ تَيْسَ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ ^(٢)

(١) ط : « أَنْ يَضْرِبَهُ بِالسَّيَاطِ » .

(٢) وَفِي حَاشِيَةِ ت : « قَوْلُهُ :

ثم مات من ساعته ، فألقى في خزانة البُطيحة ، فحمله الماء إلى البصرة ، فأخذه أهله ودفنوه [بها] ، وذلك في سنة سبع . وقيل : ثمان وستين ومائة ، وقد تيف على تسعين سنة ، والله أعلم ^(١) .

وحكى ابن خلاد قال : لما ضرب بشار بعث المهدي إلى منزله من يفتشه على كتب الرندقة ، فوجدوا طوماراً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . إني أردت ^(٢) هجاء آل سليمان بن علي ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتركهم إجلالاً له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب خيراً ! فإنه لما هجاء لفق عليه شهوداً على أنه زنديق ، فقتله ، وندمت حين لا ينفع الندم ^(٣) .
ومن مستظرف أخبار بشار ، قال له هلال بن عطية يوماً يمازحه ،

= ويروى بالباء الموحدة تحت والتاء المثناة من فوق ، وعندى أن روايته بالياء الموحدة أولى؛ لأن في روايته بالثناة حذف التنوين ؛ وهو لمن مميوب جداً فتأمل . أو يكون بتنوينه ؛ ولكن همزة « أعمى » تكون للوصل ، وفيه نظر ، ويستقيم البيت بالثناة فاعرف .
(١) من ت .

(٢) ط : « أريد » .

(٣) ت « الندامة » . وفي حاشية ت : « وروى الطبري في تاريخه : كان سبب قتل المهدي لبشار ، أن المهدي ولي صالح بن داود أخا يعقوب بن داود وزير المهدي ولايته ، فجهاه بشار بقوله ليعقوب :

لقد حملوا فوق المنابر صالحاً أخاك فضجت من أخيك المنابر

فلج يعقوب هجأوه ، فدخل على المهدي وقال : إن بشاراً هجأك ، فقال : وذلك ! ما قال ؟ فقال : يعقبي أمير المؤمنين من إنشاد ذلك ، فقال : لا بد ، فأنشده :

خليفة يُرَنِّي بعماته يلعب بالذبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

فطالبه المهدي ، يخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من ألقاه و البطيحة » .

وكان صديقاً له : إنَّ الله تعالى لم يذهب بصر^(١) أحدٍ ، إلا عَوَّضَهُ مِنْهُ شَيْئاً ،
فما عَوَّضَكَ ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : أنى لا أراك
ولا أمثالك من الثُّقلاء ، ثم قال : يا هلالُ ، أطيعنى فى نصيحة أنصحك بها ؟
قال : نعم ، قال : إنَّك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تبت ، وصرت رافضياً ،
فعدْ إلى سرقة الحمير ، فهى والله خير لك من الرِّفْض !

ومرَّت به نسوة حسان ، فقلن له : أيسرك أنَّا بناتك يا أبا معاذ ؟ فقال :
إى والله ، والدِّين كسروى ، ويقال : إنه كفر بهذا اللفظ ، فإنه أراد يسرِّنى
أيضاً أن الدِّين كسروى .

ودخل يوماً الحمام وفيه بعض ولد قتيبة ، فقال : يا بشار ، وددتُ أنك
تبصر فترانى فى الحمام ، وتعلم كذبتك فى قولك حيث قلت :

عَلَى أَسْتَاهِ سَادَتِهِمْ كِتَابٌ مَوَالِى عَامِرٍ وَسَمٌّ بَنَارٍ

فقال بشار : يا بن أخى ، ذهب عنك الصواب ، إنما قلت : « سادتهم »
ولست منهم .

وكان يوماً فى مجلس المهديّ ينشده قصيدةً فى مدحه ، فدخل خال المهديّ ،
وكان فيه غفلة ، فقال للبشار : ما صناعتك ؟ فقال : أنقب اللؤلؤ ! فضحك
المهديّ وكلّ مَنْ حضر .

وجلس إليه رجل فاستقله ، فضرط ، فظنَّ الرجل أنها انفلتت^(٢) منه
[غَضَباً]^(٣) ، ثم ضرطَ أخرى ، ثم أخرى ، فقال له الرجل : ما هذا الفعل ؟
فقال : مَهْ : أَرَأَيْتَ أَمْ سَمِعْتَ ؟ فقال : بل سمعت صوتاً قبيحاً ، قال : فلا
تصدّق حتى ترى ! فقام الرجل من ساعته وتركه .

(١) ط : « لم يذهب ببصر أحد » ، وأثبت ما فى ت .

(٢) د : « انفلتت » . (٣) من ط .

ووقف عليه بعضُ المُجَّان وهو يُنشد شعراً له ، فقال : يا بشار ، أسترُ شعركَ
كما تسترُ عورتك ؛ فغضب بشار وصدق بيديه ، وتفلَّ عن يمينه ويساره - وكان
يفعل ذلك إذا غضب - وأراد أن يقول هجاء ، ثم قال : ويلك ! من أنت ؟
فقال : أنا [أعزك الله] ^(١) من باهلة ^(٢) ، وأخوالى من سُلُول ، وأصهارى من
عَكَ ، ومنزلى نهرِ بلال . فضحك بشار ، وقال : اذهب فأنت عتيقُ لؤمك !

وحكى أبو عبيدة ، قال : كان حمادُ عَجْرَد يُتَّهم بالزندقة ، وكان يعيِّر
بشاراً بقبح خلقته ، فلما قال فيه :

وَاللَّهِ مَا الْخَنَزِيرُ فِي نَنِّهِ بَرُّعُهُ فِي النَّتْنِ أَوْ خُسِّهِ
بَلْ وَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَنَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ

فقال بشار : ويلى على الزنديق ! لقد نفث بما فى صدره ، قيل : وكيف ؟
قال : ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ﴾ ^(٣) ؛ فأخرج الجحود بها مخرج الهجاء . وهذا خبثٌ شديد من بشار
وتغلغل .

وقد وقع بشار أيضاً فى مثل هذه الواقعة ، حدّث السرى بن الصباح ،
قال : دخلتُ على بشار بالبصرة ، فقال : أما إني قد أوجعت صاحبكم ، وبلغت
منه - يعنى حماد عجرد - قلت : بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال : بقولى هذا ، وأنشد يقول :

يَا بَنَ نَهْيَا رَأْسِي عَلَى ثَقِيلٍ وَاحْتِمَالِ الرَّأْسَيْنِ خُطْبُ جَلِيلٍ
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي نِ فَايُّ بَوَاحِدٍ مَشْغُولٍ

فقلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ؛ ولكنه يرويه على خلاف هذا ، قال :
فما يقول ؟ قلت له : يقول :

(١) من ت . (٢) بعدما فى ط : « وإخوانى من باهلة » ،

(٣) سورة التين ٤

فادَّعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي نِ فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْغُولٌ
فَلَمَّا سَمِعَهُ أَطْرَقَ ، وَقَالَ : أَحْسَنُ وَاللَّهِ ابْنُ الْفَاعِلَةِ ! ثُمَّ كَانَ يَقُولُ إِذَا سَثَلَ
عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : لَيْسَ مَهْلِي .

وَمِنْ كَلَامِ بَشَّارٍ - وَكَانَ الْجَاهِظُ يَعْذَرُهُ مِنْ الْخُطْبَاءِ لِلذَّكُورِينَ -
قَوْلُهُ : لَقَدْ عَشْتُ فِي زَمَانٍ ، فَأَدْرَكْتُ أَقْوَامًا لَوْ أَخْلَقْتَ الدُّنْيَا مَا تَجَمَّلَتْ إِلَّا بِهِمْ ،
وَمَآئِي لِي فِي زَمَانٍ مَا أَرَى فِيهِ عَاقِلًا حَصِيْفًا ، وَلَا جَوَادًا شَرِيفًا ، وَلَا جَلِيسًا ظَرِيفًا ،
وَلَا مِنْ يَسَاوِي عَلَى الْخَيْرَةِ رَغِيفًا .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : إِنَّ النَّاسَ يَعْجَبُونَ مِنْ أَيْبَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ ،
وَيَعْنِي بِذَلِكَ قَوْلَهُ :

وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلَّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ^(١)
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ لِلْمَشُورَةِ فَاسْتَعِنَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدَ ، إِنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ صَوَابٍ يَفُوزُ بِشِمْرَتِهِ ؛ أَوْ خَطَأٍ يَشَارِكُ
فِي مَكْرُوهِهِ .

وَمَاتَ لِبَشَّارٍ وَلَدٌ ، فَقِيلَ لَهُ : أَجْرٌ قَدَّمَتَهُ ، وَذَخْرٌ أَحْرَزْتَهُ ، فَقَالَ : بَلَى ،
وَلَدٌ دَفَنْتُهُ ، وَثَكْلٌ تَعَجَّلْتَهُ ، وَغَيْبٌ وَعِدَّتُهُ فَانْتَظَرْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ أَجْزَعْ لِلنَّقْصِ
لَمْ أَفْرَحْ بِالزَّيْدِ^(٢) .

وَمِنْ مَحَاسِنِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ تَرَى كَابْنَ سَلَمٍ عَقِبَةَ الْخَيْرِ مُطْعِمَ الْفُقَرَاءِ^(٣)
مَا لِكَيْ تَنْشَقَّ عَنْ وَجْهِهِ الْحَرُّ بٌ كَمَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ عَنْ ذُكَاةٍ

(١) المختار ٢٥٥ ؛ وهذا البيت لم يرد في ط .

(٢) كذا في ت و ق ط : « بالزيد » . (٣) ديوانه ١٥٧ - ١١٣ ، مدح عقيب بن سلم .

ليس يُعْطِيكَ الرَّجَاءُ وَلَا الْخَوْفُ
 لَا وَلَا أَبْ يُقَالُ شَيْئُهُ الْجَوُّ
 وقوله من قصيدة في المهدي :
 تسلى عن الأحباب وصَالُ خَلَّةٍ
 وركاض أفراس الصبابة والهوى
 إلى ملكٍ من هاشمٍ في نبوةٍ
 من المسترین الحمد تَنْدَى مِنَ النَّدَى
 فالزمت حَبْلِي حَبْلٍ مِنْ لَا يَفِيهِ
 وقوله في البائية المشهورة :
 إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
 فَعَسَى وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
 ويقول فيها أيضا :
 وَلِمَا تَوَلَّى الْحَزَّ وَاعْتَصَرَ الثَّرَى
 غَدَتْ عَانُهُ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى
 ومنها قوله :
 إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ
 كَانَ مُمَارِ التَّقَعِّقِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
 وقوله من قصيدة لخالد البرمكي - يقال : لما خالدا كتب هذه الآيات
 في صدر مجلسه - وهي :

فَ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ
 دُ ؛ وَلَكِنْ طَبِيعَ الْأَبَاءِ
 وَصَرَامُ أُخْرَى مَا يَقِيمُ عَلَى أَمْرِ (١)
 جَرَتْ حَبِيبًا نَمِ اسْتَقَرَّتْ فَمَا تَجْرِي
 وَمِنْ حَيْرٍ فِي الْمَلِكِ وَالْعَدَدِ الدَّائِرِ
 يَدَاهُ وَيَنْدَى عَارِضَاهُ مِنَ الْعِطْرِ
 عَفَا النَّدَى مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي
 صَدِّقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَانِيهِ (٢)
 مُقَارِفُ ذَنْبٍ عَمَارَةٌ وَمُجَانِبُهُ
 حَلُمْتُ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشْلُوبُهُ !
 لَدَى الْقَبِيضِ مِنْ نَجْمٍ تَرْتَدُّ لَأَهْبَهُ
 إِلَى الْجَبَابِ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَخَاطِيهِ (٣)
 مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ مُعَارِبُهُ
 وَأَشْيَافُنَا تَلِيلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 (١) ديوانه : ٣ : ٢٧٤ .
 (٢) العانة : جامع بحر الوحش ، والجانب عليها .
 (٣) ديوانه : ١ : ٣٠٩ .

أَخْلَدُ إِنَّ الْحَدَّ يَبْقَى لِأَهْلِهِ تَجَالَا وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْكَذِّ (١)
فَأَطْعِمْ وَكُلْ مِنْ عِلَّةٍ مُسَرَّدَةٍ وَلَا تُنْفِهَا إِنَّ الْعَوَارِي لِلرَّدِّ
وقوله :

دَعْنِي حِينَ شَبْتُ إِلَى الْعَاصِي مُحَاسِنُ زَائِرٍ كَالرَّيْمِ غَضِّ
كَانَ كَلَامَهُ يَوْمَ التَّقِينَا رُفِّي يَا خُذَنَ فِي طَوْلِي وَعَرْضِي
وقوله :

رُبَّمَا ثَقَلَ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا نَ خَفِيفًا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ (٢)
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَقَدْتُ فِي الْأَوْ ضٍ : ثَقِيلُ أَرْبَى عَلَى كَيْوَانِ
كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضُ تَحَلَّتْ فَوْقَهَا أَبَا مَرْوَانَ ١
وقوله :

رَأَيْتُ الشُّهَيْلَيْنِ اسْتَوَى الْجُودُ فِيهِمَا عَلَى بُعْدِنَا مِنْ ذَاكَ فِي حَكْمِ حَاكِمِ (٣)
سُهَيْلُ بْنُ عُمَانَ يَجُودُ بِمِلَّةِ كَا جَادَ بِالْوَجْعَا سَهِيلُ بْنُ سَالِمِ (٤)
وقوله :

أَرْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكَتَ نَسِيَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قِوَارِيرِ (٥)

وأما يعقوب الذي أشار بقتل بشر ، فهو ابن داود بن طهمان السلمي ،
كان في الأصل هو وإخوته كُتَلَبَا لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، التغلبي في أيام
النصور ، فلما قُتِلَ استخفوا ، فَمَنَّ عليهم المهدي وأطلقهم ، وكانوا أدباء ألباء
فصحاء ، وكان المهدي يتطلب الحسن بن إبراهيم بن عبد الله ، فضمن له يعقوب
إحضاره ، وتوسط إلى أن أحضره الحسن من مكة بأمان المهدي ، ودخل

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٧ .

(١) الأغانى ٣ : ١٢٦ .

(٣) الأغانى ٣ : ١٥٣ .

(٤) الرجاء : الدبر .

(٥) الأغانى ٣ : ١٩٠ .

في الطاعة ، وتمسك بنعوب وولي وزارة المهدي ، وغلب على أمره وميـره ،
ودانت له الدنيا إلى أن طلبه المهدي يوما .

قال [يعقوب] ^(١) : فدخلت عليه وهو في مجلس مقروش في غاية الحسن ،
وبستان عظيم ، وعنده جارية ما رأيت أحسن منها ، فقال : كيف ترى ؟
فقلت : متع ^(٢) الله أمير المؤمنين ، لم أراك اليوم ! فقال : هـ لك بمغفـه ، والجارية ؛
ليتم سرورك ، فدعوت له ، ثم قال لي : ألك حاجة ؟ فقلت : الأمر لك ، فقال :
ضع يدك على رأسي واحلف ، ففعلت ، فقال : هذا فلان من ولـه فاطمة أحب
أن تريحنى منه ؛ فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب ، وعلم أنه [إن] ^(٣)
كانت لهم دولة لم يمش فيها ، وأن المهدي لا ينظر إلى ذلك لكثرة السعاية ^(٤) فيه
إليه والحسـه له ^(٥) ، فال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل الهاشمي - وكان معظما
في دولة المهدي ، وهو الذي أخرجه من سجن النصور - فترأى إليه يعقوب ،
وأقبل يرض له الأمور ، فسعوا فيه إلى المهدي ، وقالوا : إن البلاد في يـه
وأصحابه ، وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميماد ، فيأخذوا
الدنيا لإسحاق بن الفضل ؛ فاثموا مسامع المهدي ، فأمله قليلا ، ثم تجنى عليه
جنايات ، ووضع في السجن ^(٥) إلى أن عمى ، وأخرج في أيام الرشيد ، فلما حضر
بين يديه ، قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي ! قال : لست به ، قال :
المادى ! قال لست به ، قال : الرشيد ! قال : نعم ، فسلم ، ثم لحق بمكة
[المشرفة] ^(٦) ، ومات في دولته .

* * *

(٢) ت : « جلم » .

(١) من ت .

(٣) من ت .

(٤ - ٤) ط : « السعاة به إليه والحسـه له » .

(٥) ت : « الحيس » .

(٦) من ط .

٨٢ - وَأَنَّكَ لَوِ شِئْتَ خَرَقْتَ الْعَادَاتِ ، وَخَالَفْتَ الْمَعْمُودَاتِ .

الخرق : قطع الشيء وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر ، وهو ضد الخلق ، فإن الخلق فعل الشيء بتقدير ، والخرق بغير تقدير ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَآ ﴾^(١) ؛ أى حكموا بذلك على سبيل الخرق . وقولهم : وجل أخرق ، وامرأة خرقاء ؛ لا تقبل الأمر بإحكام ولا تدبير . والعادة تكرير الفصل ، مأخوذ من أعاد الحديث ، إذا كثره ؛ فخرق العادات تغيير ما تكرّر أفعاله من الخلوقات ، واستقر على مرور الأيام والليالي ، وكذلك الأمر في قوله : « وخالفت للمعمودات » .

٨٣ - فَاحْلَلْتَ الْبَحَارَ عَذْبَةً ، وَأَعَدْتَ السَّلَامَ رَطْبَةً .

البحر : كل مكان واسع جامع للماء الكثير^(٢) ، ويقال في الأصل الماء المالح دون العذب ، وإنما قيل : البحران ، للملح والعذب للتغليب ، كما يقال : العمران .

واختلف في عدد البحار ، فقيل : إنها سبعة أبحر ، ستة ظاهرة وواحد محيط بالثانيا مظلم ، ومنه تستمد . وقيل : خمسة ، وقيل : أربعة ، والأول أصح لقوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾^(٣) .

قال بعض العلماء : ولأن السموات سبع ، والأرضين سبع ، والنجوم السيارة

(١) سورة الأنعام ١٠٠

(٢) ط : « الكثير » ؛ وها بمعنى .

(٣) سورة لقمان ٢٧ .

سَمِعَ ، وَالْأَبَامَ سَمِعَ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَمِعٍ - يَعْنِي قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . . ﴾ الْآيَةُ ^(١) ، وَرُزِقَ مِنْ سَمِعٍ ، لقَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . . ﴾ الْآيَاتِ .

وَذَكَرَ فِي جُغْرَافِيَا ^(٢) أَنَّ الْبَحَارَ مُخْتَلِفَةَ الْمَقَادِيرَ ، فَهِيَ مَا هُوَ عَلَى هَيْئَةِ
الطَّيْلَسَانِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى هَيْئَةِ الشُّبُورِ ^(٣) ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى صُورَةِ
التَّدْوِيرِ ، وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهَا ، وَأَشَدُّهَا الْبَحْرَ الشَّرْقِيَّ ، وَهُوَ لِفَارِسَ وَالغَرْبِيَّ
وَهُوَ لِلرُّومِ ، يَأْخُذَانِ مِنَ الْبَحْرِ الْحَيْطِ ، وَيُقَالُ لَهُ : قَنْطُسُ ^(٤) ، وَالْبَحَارُ تَسْتَمِدُّ
مِنْهُ ، وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْخُلُجَانِ ، وَلَا يَتَأَتَّى فِيهِ رُكُوبٌ ، وَلَا يَعِيشُ حَيَوَانٌ .
وَيُقَالُ : إِنْ أَطْرَافَ السَّمَاءِ عَلَيْهِ كَالْحَيْمَةِ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا وَرَاءَهُ .

فَأَمَّا الْبَحْرَ الشَّرْقِيَّ فَيَأْخُذُ مِنْ أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، وَيَنْتَهِي إِلَى أَقْصَى الْهِنْدِ
وَالصَّيْنِ ، وَمِنْهُ خُلُجَانٌ عَظِيمَةٌ تَتَّصِلُ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ ، وَمِنْهُ بَحْرُ فَارِسَ أَوَّلُهُ مِنْ
الْأَبْلَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَآخِرُهُ بَحْرُ الْهِنْدِ عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ رَأْسُ الْجُحْمَةِ ، وَمِنْهُ
مَفَاصُ اللَّوْلُؤِ مِنْ جَزِيرَةِ كَيْشٍ ^(٥) .

وَأَمَّا الْبَحْرَ الْغَرْبِيَّ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْحَيْطِ مِنَ الْمَغْرِبِ فِي الْخَلِيجِ الَّذِي
بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَيُسَمَّى رُقَاقَ سَبْتَةٍ ؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ،
وَقَدْرُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرَ ، وَمِنْ الْقَلْزَمِ الَّذِي هُوَ لِسَانُ بَحْرِ فَارِسَ ، وَمِنْ
بَحْرِ الرُّومِ عَلَى سَمْتِ الْفَرَمَا أَرْبَعُ مَرَاكِلَ .

وَزَعِمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ بَيْنَهُمَا

(٢) سورة عبس ٢٤-٣١ .

(١) سورة المؤمن ١٢ .

(٣) هو كتاب بطليموس ، مِنْهُ نَسْخَةٌ مَصُورَةٌ فِي دَارِ الْكِتَابِ رَقْمُ ٧٠١ - جُغْرَافِيَا .

(٤) الشُّبُورُ : الْبُوقُ . (٥) ت : « قَنْطُس » .

(٦) ط : « كَش » ، ت : « لَيْس » ، قَالَ يَاقُوتُ : « كَيْش » ، تَجْمِيمٌ « قَيْس » ،

جَزِيرَةٌ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ تَعُدُّ مِنْ أَعْمَالِ فَارِسَ ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا فَرَسٌ .

يَرْزَخْ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١﴾ : إِنَّهُ هَذَا الْمَوْضِعُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ بَحْرَ الرُّومِ ^(٢) مَتَّصِلٌ
بِالشَّرْقِ ، وَأَنَّهُ وَجِدَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ النَّارِ جَيْلٍ الَّذِي يَكُونُ فِي الْبَحْرِ الشَّرْقِ ،
وهذا بعيد ؛ لِبُعْدِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَفَاوِزِ وَالْجِبَالِ .

وَاخْتَلَفَ فِي مَبَادِيءِ الْبَحَارِ عَلَى أَقْوَالٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّهَا مِنَ الْأَسْتَقْصَاتِ الْأَرْبَعَةِ ، خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ .

وَالثَّانِي : أَنَّهَا بَقِيَّةُ طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَالثَّلَاثُ : أَنَّهَا مِنْ عِرْقِ الْأَرْضِ لَمَّا يَنَالُهَا مِنْ خَرِّ الشَّمْسِ .

وَالرَّابِعُ : أَنَّهَا مِنْ مِيَاهِ الْأَرْضِ ، فَالْمِلْحُ يَنْحَدِرُ إِلَى الْأَمَاكِنِ الْمُنْخَفِضَةِ ،
وَالْكُلُّ مِلْحٌ ، وَإِنَّمَا يَتَصَعَّدُ مِنْهَا لِلْجَوِّ فَيَلْطَفُهُ وَيَحْلِيهِ ^(٣) ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ
فَنَهْ الْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ .

وَمِرَادُ ابْنِ زَيْدُونَ أَنَّكَ لَوْ شِئْتَ فَعَلْتَ مَا لَا يُمْكِنُ ، وَهُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ :
« خَرَقْتَ الْعَادَاتِ » ، وَمِثْلُهُ « وَأَعَدَّتِ السَّلَامَ رَطْبَةً » . وَالْعَوْدُ : الرَّجُوعُ إِلَى
الشَّيْءِ بَعْدَ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُ .

وَالسَّلَامُ : الْحَجَارَةُ الصُّلْبَةُ ، وَإِنَّمَا عَنَى بِإِعَادَتِهَا إِلَى الرُّطْبَةِ ، مَا زَعَمَ قَوْمٌ
أَنَّ الْحَجَارَةَ كَانَتْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ لَيْتَةً ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ
حَيْثُ يَقُولُ : ^(٤)

(١) سورة الرحمن ١٨ ، ١٩

(٢) ت : « الْبَحْرُ الرُّومِيُّ » .

(٣) ت : « وَيَحْلِيهِ » .

(٤) لَرُؤْيَا - الْحَيَوَانُ ٤ : ٨ ، ٢٣ ، ثَمَارُ الْقُلُوبِ ٣٢٢ .

إِنَّكَ لَوْ عُمِّرْتَ عُمَرُ الْحِمْلِ^(١) أَوْ عَمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحِلِ^(٢)
وَالصَّخْرَ مَبْتَلٌ كَطَيْنِ الْوَحْلِ كُنْتَ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

* * *

٨٤ - وَتَقَلَّتْ غَدَاً فَصَارَ أُمْسًا ، وَزِدْتَ فِي الْعُنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا .

أصل الغد « غَدُو » ، فحذفوا الواو بلا عِوَض ، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدَّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حَلَّوْهَا وَغَدَوْا بِلَا قِيعٍ^(٣)
وأُمس : اسم حُرُك آخره لالتقاء الساكنين ، واختلف فيه ، فأكثرهم يبينه على الكسر ، ومنهم من يُعْرِبُه إذا دخل عليه الألف واللام ، يقول : مضى الأُمسُ ، وقال سيبويه : جاء في ضرورة الشعر كقوله :

لَقَدْ رَأَيْتَ عَجَبًا مُدَّ أُمْسًا عَجَازًا مِثْلَ السَّعَالِي خَمْسًا^(٤)
ولا يصغر « أُمس » كما لا يصغر « غد » ؛ والمعنى أنك لو شئت قلبت الأشياء ، إما قدرة ، وإما تسمية يقتدى الناس بك فيها .

والعناصر أصول الخلق ، وهي أربعة [لا غير]^(٥) : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب ، ثنتان تذهبان صُّعْدًا ، وهما : النار ، وطبيعتها حارة يابسة ، والهواء ، وطبيعته حارة رَطْبَةٌ ، وثنتان تذهبان سَفَلًا ، وهما : الماء وطبيعته باردة

(١) الحِمْل : ولد الضب ؛ وزعموا أنه لا تسقط له سن .

(٢) زمن الفطحل : زمن نوح ، قيل : سئل رؤية عن قوله : « زمن الفطحل » ، فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا .

(٣) للبيد ، ديوانه ١٦٩ .

(٤) سيبويه ٢ : ٤٤ ، قطر الندى ١٧ .

(٥) من ط .

رطبة ، والتراب وطبيعته باردة يابسة . وقيل في قول فيثاغورس : والذي وهب لنا
الينبوع ^(١) الأربع ، أراد العناصر .

* * *

٨٥ - وَأَنْتَ الْمَقُولُ فِيهِ : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

هذا مثال قديم ، يُضرب في وصف الشيء المزني على غيره ، وأصله
أن قوماً خرجوا للصَّيد فصاد أحدهم ظبياً ، وآخر أرنباً ، وآخر فرأى - وهو الحمار
الوحشي - فقال لأصحابه : كلُّ الصَّيد في جوف الفراء ، يعني أن جميع صيدهم ^(٢)
يسير في جنب ما وجدته ^(٣) .

وزعم بعضهم أن الفراء اسم وادٍ كثير الصيد ، وهو قول مردود ، وأما قول
الشاعر :

• وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطْمَتُهُ * ^(٤)

فليس من هذا ، وإنما أراد الوادي المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم رجل
قديم كان في وادي خصيب ، فظلم عشيرته ^(٥) ، فأرسل الله تعالى عليه نارا
فأحرقت ^(٦) ، وأحرقت الوادي ، فخلا وسكنته الجن ، فقيل : « أَخْلَى مِنْ جَوْفِ
الحمار » .

(١) حاشية ت « صوابه الينابيع » ؛ لا إذا كان الأربع ليس على معناه التبادل .

(٢) ت : « ما صدقوه » . (٣) البدايات ٢ : ٥٥ .

(٤) ينسب لامرئ القيس ، وبقيته :

* بِهِ الدُّبُّ يَمْوَى كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ *

ديوانه ٣٧٢

(٦) ت : « أحرقت » .

(٥) ت « غيره » .

وَحَجِبَ يَوْمَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَدْتُ تَأْذِنُ لِي حَتَّى تَأْذِنَ لِحِجَارَةِ الْجَلْهَمَتَيْنِ ^(١) !
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا سَفْيَانَ ، كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » .
 ثُمَّ اشْتَهَرَ ذَلِكَ الْمَثَلُ فَقِيلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَاوٍ لِفَيْدِهِ ، جَامِعٌ لَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
 يَقُولُونَ كَأَفَاتُ الشِّتَاءِ كَثِيرَةٌ وَمَا هِيَ إِلَّا وَاحِدٌ غَيْرُ مُفْتَرَى ^(٢)
 إِذَا صَحَّ كَافُ الْكَيْسِ فَالْكُلُّ حَاصِلٌ
 لَدَيْكَ وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٣)

* * *

٨٦ - وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

هذا البيت لأبي نُوَاسٍ ، من جملة أبيات يقولها في الفضل بن يحيى يخاطب بها الرشيد ، وهي :

قَوْلًا لِهَارُونَ إِمَامٍ الْهَدَى عِنْدَ اخْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ ^(١)
 أَنْتَ عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاحِدِ
 وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

* * *

[أَبُو نُوَاسٍ]

وأبو نُوَاسٍ هو الحسن بن هانئ بن الجراح الحَكَمِيُّ البَصْرِيُّ ، وكنى نفسه بأبي نُوَاسٍ ؛ لأنه ينتسب إلى قَحْطَانَ ، وكانت تعجبه كُنَى ملوكها مثل ذِي رُعَيْنٍ ؛ وذِي نُوَاسٍ ، فاكتنى بأبي نُوَاسٍ .

(١) الجلهمتان : جانبا الوادي ، وفي ط : « الجلهتين » ، وما بمعنى واحد .

(٢) ديوانه ٨٧ .

(٣) من ت .

وكان مولده بالأهواز سنة مائة وخمس وأربعين ، ثم نشأ بالبصرة ،
وتأدب بها على أبي زيد وخلف الأحمر ، ونظر في كتاب سيبويه ، وقال الشعر
البارع ، ومدح الخلفاء والأمراء ؛ وكان يقال : هو في الحديثين مثل امرئ القيس
في المتقدمين .

وكان العتابي يقول : لو أدرك الخبيث الجاهليّة لم يُفَضَّل عليه أحد .
وسئل المربزاني : أيهما أشعر : أبو نواس أم الرقاشي ؟ فقال : ضراط
أبي نواس في جهنم ، أشعر من تسبيح الرقاشي في الجنة .

ثم مدح الأمين واختص به ، وصار من ندمائه بذلك ، وبذلك كان أخوه
المأمون يشنع عليه ويقول : كيف يصلح للخلافة وجليسه أبو نواس ، القاتل
في مجلسه كذا وكذا ! من الأشعار المحتوية على الفسق والكفر !

وكان أبو نواس قد انفرد في زمانه بإتقان الشعر ، وأفرط المجون والتّهتك؛
قال أبو العتاهية : عاتبته مرة على المجون فأنشد يقول (١) :

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي !

أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي !

فلما ألححت عليه قال :

لَا تَرْجِعْ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

فوددت أن هذا البيت لي بجميع ما قلته ، وعلمت أنه لا يصنع إلى عدل ،
ولم يزل على حاله إلى أن توفّي ببغداد سنة مائتين هو ومعروف الكرخي
في يوم واحد ، فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ، ولم يخرج مع جنازة

أبي نُوَاسٍ غير رجلٍ واحد ، فلما دفن معروف قال قائل : أليس جمعنا وأبا نُوَاسٍ الإسلام ! ودعا الناس فصلُّوا عليه ، فرئى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بصلَّاة الذين صلَّوا على معروف وعلى . وأوصى أن يكتب على قبره هذا :

وعظمتك أجدتْ صُمْتُ ونعمتك أزمته خُفْتُ^(١)
يا ذا المني يا ذا المني عِشْ مَا بَدَا لَكَ مُمِّمْتُ^(٢)

وأخبار أبي نواس وأشعاره مجموعة ، ومنها الزائدة والناقصة .

فمن مستظرف أخباره ، قيل : تحاكم في سؤالٍ رافضٍ ووَسَّيٍّ ، فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأتيا أبا نواس فسألاه ، فقال : أفضلهم بعده يزيد بن الفضل ، فقالا : ومن يزيد بن الفضل ؟ فقال : رجلٌ يعطيني كل سنة ثلاثة آلاف درهم .

وسئل عن الخمر ، فقال : خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة ، وقد جعلها تعالى لذةً للشاربين ، فقيل : كيف هي أجود ؟ قال : لأنها أمودج ، والأمودج خيارُ الشيء .

وكان يوماً جالسا وفي يده كأس خمر ، وعن يمينه عنقود عنب ، وعن يساره زبيب ، فقيل : ما هذا ؟ فقال : الأبُّ والأبْنُ والروحُ القدس .

وقيل له : أنت شرب الخمر ؟ قال : نعم ، إذا اشترى بثمان خنزير سُرِقَ ؛ حتى يكون حراما ثلاث مرَّات .

وحكى عن نفسه ، قال : دخلت إلى دمشق وخلوت بأمرد ، ودفعت له ديناراً فلما رأى متاعى استعظمه ، فقلت له : إتما أن تردَّ الدينار وإما أن تحتمله ،

(١) ديوانه ١٩٩ .

(٢) الديوان :

وَأَرَتَكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ رَوَّاتٌ حَتَّى لَمْ تَمُتْ

وإما أن تشتم معاوية ، فأذعن ، فرضى بالوسط ، فلما دفعته فيه سمعته يقول :
هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد .

وقال له أمرد : متى تعطيني درهما ؟ قال : إذا جرى الماء في العود .
وكان أبو عبيدة يجلس إلى أسطوانة في جامع البصرة ، فكتب أبو نواس
في أعلاها :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى لَوْطٍ وَشِيعَتِهِ أَبَا عبيدة ، قل بالله : آمينا
فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ، ولم يعرف مَنْ كتبه ، فأمر بعض تلامذته
بحكّه من السارية فلم يَصِلْ ، فتطامن له أبو عبيدة ، وصعد على ظهره إلى أن حكّه ،
فلما طال عليه الأمر ، قال له : أفرغت ؟ قال : نعم ، حككت الكلّ إلا حرفا ،
قال : وما هو ؟ قال : كلمة « لوط » ، قال : لقد بقي الكلّ .

ومن شعره ، قيل : إن سليمان بن المنصور دخل على الأمين فرفع إليه
لأنه هجاء ، وأنه زنديق ، وأشار عليه بقتله ، فقال : يا عمّ ، كيف أقتله
وهو القاتل :

صَدَّقَ الثَّنَاءَ عَلَى الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ وَمِنَ الثَّنَاءِ تَسْكَدُبٌ وَتَحْرُصٌ (١)
وَإِذَا بَنُو الْمَنْصُورِ عُدَّ حَصَاهُمْ (٢) فَجَمَدٌ يَاقُوتُهَا الْمُسْتَخْلَصُ
فَانْقَطَعَ سُلَيْمَانُ عَنِ التَّرْكُوبِ ، فَأَمَرَ الْأَمِينَ بِجَبْسِ أَبِي نَوَاسٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
مِنَ السِّجْنِ يَقُولُ :

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ وَالْعَهْدَ يَذْكُرُ مَقَامِي وَإِنْ شَادَيْكَ وَالنَّاسُ حُضُرٌ (٣)
وَنَثَرِي عَلَيْكَ الدَّرَّ يَادِرْ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرّاً عَلَى الدَّرِّ يُنْثَرُ !
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْمِي بِسَهْمِكَ فِي الْعُلَا وَعَبْدٌ مُنَافٍ وَالِدَاكَ وَحَمِيرُ

(١) ديوانه ١١٣ ، والتخرص : الافتراء .

(٢) الديوان : « وإذا بنو المنصور » .

(٣) ديوانه ١٠٦ .

فإن كنتُ لم أذنب فقيم عقوبتي ! وإن كان لي ذنب فمفوك أكبر
فلما قرأ الأبيات قال : أخرجه ، ولو غضب ولد المنصور كلهم .

ومن شعره قوله من قصيدة :

يا كثيرَ النوحِ في الدُّمَنِ لاَ عَلَيْنَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْمُشَاقِّ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَنْ
ضَنَّ بِي مَنْ قَدْ كَلَفْتَ بِهِ فَهُوَ يَخْفَوْنِي عَلَى الضَّنِّ

ومنها :

تضحكُ الدنيا على ملكٍ قام بالآثارِ والشَّنِّ
سَنَ للناسِ الندى فعدا فكَانَ الْبَخْلَ لم يَكُنْ

وقوله أيضاً يمدح الأمين :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْيَدَى بِحُجْرَتِهِ إِذَا الزَّمَانُ عَلَى أَبْنَائِهِ كَلَحَا^(١)
وَكَلْتَ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّ مَاجِرَحَا

وقوله أيضاً :

عَلَقْتُ بِبَحْلٍ مِنْ حِمَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْخَدَنَانِ^(٢)
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظُلٍّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسْأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي !

وقوله أيضاً :

أَلَمْ تَرَ أَنَّي أَفْنَيْتُ عُمرِي بِمَطْلِبِهَا وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا إِلَيْهَا يَقْرَبُنِي وَأَعَيْتَنِي الْأُمُورُ

(١) ديوانه ٤٢٦ . والحجزة : مقدمه الإزار . وكلعج : كسر في عيوس .

(٢) ديوانه ٣٧٧

(٢) ديوانه ٩٢ .

حَجَجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّ جَنَانٌ فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ
وقوله أيضا :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ فِي الْخَمْرِ مَتَى كُنْتَ سَفِيهَا (١)
لَوْ تَرَكْنَاهَا لَعَتَبَ لِأَطْعَمَا اللَّهُ فِيهَا
وقوله :

دَعِ عَنْكَ لَوْحِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ
صَفَرَاهُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا
مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرْفِي ذِي ذَكْرِ
ومنها :

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ
ومنها يعني إبراهيم النظام :
قُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فَلِسْفَةً
لَا تَحْطَرُ الْعَفْوَانُ كُنْتُ امْرَأَ فِطْنًا
وقوله أيضا :

قَالُوا ظَفِرَتْ بَيْنَ تَهْوَى قُلْتُ لَهُمْ
لَا عَذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ تَهْوَى جَوَارِحَهُ
وقوله أيضا :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْبَلُوهَا
مَسَاحِبُ مَنْ جَرَّ الرَّقَاقِي عَلَى النَّزَى
حَبَسْتُ بِهَا صَخْبِي لِحَدَثِ عَهْدِهِمْ
ومنها :

بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسٌ (٢)
وَأَضْفَاثُ رِيحَانٍ : جَنَى وَيَابِسُ
وَأَنَا عَلَى أَمْشَالِ تِلْكَ لِحَايِسُ (٣)

(١) ديوانه ٢٣٥ .

(٢) ديوانه ٣٥١ .

(٣) ديوانه ٢٥٥ ، وروايته : « أَكْثَرُ مَا كَانَتْ صَبَابَاتِي » .

(٤) ديوانه ٢٩٥ .

ولم أدرِ منهم غيرَ ما شهدتُ به بشرقِ ساباطِ الديارِ البساسِ*
 أقمنا بهـايوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومَ الترحلِ خامسُ
 تدور علينا الرّاح في عَسْجديّةٍ حبّتها بأنواعِ التّصاويرِ فارسُ
 قرارها كسرى وفي جنباتها مها تدرّ بها بالقسيّ الفوارسُ
 فللرّاح مازرت عليه جُيوبُنّا^(١) وللماء ما دارت عليه القلائسُ
 كان الجاحظ يقول : وجدنا الشعراء تجاذبوا المعاني لإقول عنترة في وصف
 الذُّباب :

هزِجاً يحكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ قدَحَ المُكَبِّ عَلَى الرِّنَادِ الأُجْدَمِ^(٢)
 وقول أبي نواس يصف الكأس - يعنى في هذه الأبيات السينية - فإن أحداً
 من الشعراء لم يحسر على التعرض لها .
 وقوله :

كيف النُّزُوعُ عن الصُّبَا والكاسِ قَسِ ذَا لَنَا يا عاذِلِ بقياسِ^(٣)
 قالوا كبرتَ فقلت ما كبرتُ بِيَدِي عَنْ أَنْ تَجِيءَ إِلَى فِئِي بالكاسِ
 وقوله :

يَقُولُونَ فِي الشَّيْبِ الوَقَارُ لِأَهْلِهِ وَشَيْبِي بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ وَقَارِ
 إِذَا كُنْتُ لَا أَتُفَكُّ عَنْ أُرْحِيَّةٍ إِلَى رِشَاءٍ يَسْعَى بِكَاسِ عِفَارِ
 وقوله :

ظَلْتُ مُحَيًّا الكَاسِ تَبْسُطُنَا حَتَّى تَهْتَكَ بَيْنَنَا السُّرَّةُ^(٤)
 فِي مَجْلِسٍ ضَحِكَ الشُّرُورُ بِهِ عَنْ نَاحِذِيهِ وَحَلَّتِ الخُمْرُ
 وَلَقَدْ تَجَوَّبُ بِي الفَلَاةُ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ العُفْرُ^(٥)

(٢) من معلقته ١٨٢ بشرح التبرزي .

(١) ديوانه : « جيوبهم » .

(٣) ديوانه ٢٩٥

(٤) ديوانه ١٠١ .

(٥) صام النهار ، أى جاء وقت الظهيرة . والعفر : الظباء التي يعلو بياضها حمرة .

شَدَّيْتُهُ رَعَتِ الْحَيَى فَأَنْتَ^(١) مِثْلَ الْجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ
ومنها :

يَسْمَعُ إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمْلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَقُّ فَاكِلا كَمَا بَحْرُ

ذكر بعض العلماء في قوله : « وَحَلَّتِ الْحَمْرُ » أربعة أوجه :

الأول : أن طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضيا لشرب الخمر ،
وملجئا إلى تناولها ، ورافعا للخرج فيها ، على مذهب الشعراء في المبالغة ، وفائدة
وصفها بأنها « حَلَّت » المبالغة في الوصف بالحسن والجمال .

الثاني : أن يكون آلى عَلَى نفسه ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع
بمحبوبه ، فكان الاجتماع به مخرجا من يمينه على عادة العرب ، وعلى ذلك
قول امرئ القيس :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ^(٢)
الثالث : يريد بـ « حَلَّت » نزلت ، من الحُلُول لا من الحلال ، كأنه وصف بلوغ
آرابه ، وأنها تكاملت بحضور الخمر .

الرابع : أننا استحللنا الخمر بسكرنا وذهولنا ؛ وإلى ذلك أشار في المعنى بقوله :
ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرٌ^(٣)
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رَكَابُنَا فَأَيُّ فِتْنٍ بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ !
ومنها :

فَإِنْ تَوَلَّيْتُ مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَازِرٌ وَشَكُورٌ^(٤)
وقوله أيضا من أبيات رويت منها هذين البيتين :

(١) الشدنية : الناقة الكريمة ، منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن .
(٢) ديوانه ٢٥٨ . (٣) ديوانه ٩٩ . (٤) ديوانه ١٠١ .

لقد اتَّقَيْتَ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَجَهِدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جَهْدِ الْمُتَّقِي (١)
 وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافَكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تَخْلُقِ
 احْتِجَّ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، فَقَالَ : الْإِنْسَانُ إِذَا خَافَ شَيْئًا خَافَهُ
 لِحِمِّهِ وَدَمِهِ ، فَكَأَنَّ الْأَعْدَاءَ خَافَتْهُ ، وَنُطْفَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ دَمٌ ، فَجَرَى الْخَوْفُ
 فِي الدَّمِ ، فَجَرَى الدَّمُ فِي الْأَخْلَاطِ فَجَرَتْ الْأَخْلَاطُ ، وَاسْتَحَالَتْ إِلَى مَنِيِّ بَعْدِ الْإِنْعِقَادِ
 وَالتَّضْجِ التَّامِ ، فَانْعَقَدَ فِي الرَّحِمِ ، فَتَكُونُ مِنْهُ إِنْسَانٌ ؛ نَخَافُهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .
 وَهَذَا أَمْرٌ غَامُضٌ ، وَالْأَمْرُ فِيهِ مُحْتَمَلٌ .

وقال آخر : خَافَتْهُ ذُرِّيَّةُ آدَمَ مِنْذُ أَخَذَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ ، وَهِيَ فِي ظَهْرِ
 آدَمَ حِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قَالُوا بَلَى (٢) ، فَلَبَّتْ فِي ظَهْرِ
 آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

والقول الأول أمكن عند الحكماء ، وأما القول الثاني فهو قريب من باب
 الاحتمال .

وقوله :

مَرَّ بَنَا وَالْعَيُونُ تَرْمُقُهُ تَجْرُحُ مِنْهُ مُوَاضِعَ الْقُبُلِ (٣)
 أَفْرِغَ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ فَمَا يَصْلُحُ إِلَّا لِذَلِكَ الْعَمَلِ
 وقوله أيضا ، وقد هجا بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه ، فقال :

مَا أَنْتَ بِالْحَرِّ فَيُلْحَى وَلَا بِالْعَبْدِ يُرْجَى نَفْعُهُ بِالْعَصَا
 فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى آدَمَ رَحْمَةً مِنْ عَمٍّ وَمِنْ خَصَّصَا
 لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ خَارِجٌ مِثْلُكَ مِنْ إِحْلِيلِهِ لِاخْتِصَا
 وأما قوله في أمر الزهد ، فأنشد يوما هذين البيتين ، يقول :

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ٤٣٢ .

(٣) ديوانه ٣٢ .

أَيَارُبَّ وَجْهِ فِي الثَّرَابِ عَتِيقٍ وَيَارُبَّ حُسْنٍ فِي الثَّرَابِ رَقِيقٍ^(١)
 إِذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 وَقَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ يَرْنَى بِهَا الْأَمِينُ ، وَكَأَنَّهَا مَطْوَلَةٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ :

طَوَى الدَّهْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوَى الْمُنِيَّةُ نَاشِرٌ^(٢)
 وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ

* * *

٨٧ - والمعنى بقول أبي تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ شَرَفِ الطَّبَاعِ
 هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي تَمَامٍ مِنْ قَصِيدَةِ مَطْوَلَةٍ سَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ تَرْجُمَتِهِ .

[أبو تمام]

وهو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، الشاعر الفاضل الكامل ،
 صاحب كتاب « الحماسة » .

أقول بأنه ولد في سنة تسعين ومائة ، ومات في سنة ست وعشرين ومائتين
 من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بقرية يقال لها جاسم ،
 وهي من أعمال حوارين ، من بلاد دمشق ، وكان أبوه نصرانياً ، وكان إذ ذاك
 أبو تمام يعمّر القاهرة في حدائقه ، يسقي الماء بالمسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء
 وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه .

وكان فطناً ذكياً ، محباً للشعراء وأصحاب الفضل ، فلم يزل يعاينه حتى ملكه ، وسار ذكره في العصر ، وبلغ المعتصم إذ ذاك خبره ، فرحل إليه سراً برأى بعض أصدقائه ومحبيه ، فعرض عليه قصائده ، فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه .

حدث علي بن الجهم ، قال : كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ، ينشدون الشعر ، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها ، فيينا أنا في جمعة من تلك الجمع ، ودعبل وابن أبي الشيص^(١) ، وابن أبي قنن ، والناس يجتمعون يسمعون إنشاد بعضهم بعضاً ، أبصرت شاباً في أخريات الناس جالساً في زى الأعراب فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده ، التففت الشاب إلينا ، وقال : قد سمعت إنشادكم منذ اليوم ، فاسمعوا إنشادي ، فقلنا : هات ، فأنشد :

* فَحْوَكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ^(٢) *

ثم مر فيها منشداً حتى أتى إلى قوله :
تغايير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل
فعقد ابن أبي الشيص عند هذا البيت خنصره ، ثم مر فيها الشاب إلى أن أتى على آخرها . ثم أنشد قصيدة أخرى فقلنا له : أيها الشاب ، لمن هذا الشعر ؟ فقال : لمن أنشدكموه ، قلنا له : ناشدناك الله ! من تكون ؟ فضحك ، وقال : أنا أبو تمام الطائي ، فرفعنا مجلسه حينئذ ، وعظمناه تعظيماً كبيراً ، واشتد إعجابنا به لدمائه أخلاقه ، وفصاحة منطقه ، وجودة شعره ؛ ثم إنني ما عرفت عقد خنصر

(١) هو عبد الله ، ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء ٣٦٥ .

(٢) ديوانه ٣ : ٥ . عُدج فيها المعتصم ، وبقيته :

* حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَّى قَوْلُكَ الْخَطْلُ *

ابن أبي الشيص ، هل كان إعجاباً به مما سمع في البيت من البديع المرتقص ، أو أخذاً عليه في إسكان الياء في قوله : « حتى ظننت قوافيه » ، أعنى من لفظة « قوافيه » ، وهي ضرورة جائزة عند الشعراء !

ثم ترقّت جال أبي تمام وتمول بالمال الجزيل حتى عاد إلى بلده ، فضرب خياماً ، وأظهر نعمة وأثاثاً ، فخرجت امرأة من بعض أحياء العرب ومعها أختها يستقيان ، فتأملت زماناً ثم التفتت إلى صاحبها وقالت : أتدرين الرجل ؟ قالت : لا والله ، قالت : بلى والله أنا أعرفه ، قالت : ومن هو ؟ قالت : إنه والله أقيّرعُ جاسم ، فلما سمع ما قالت النسوة ، رحل من وقته وساعته ، وعاد إلى الموصل ، فما زال بها إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه .

وحكى البحتري ، قال : دخلتُ على سعيد بن سلم الطائي ، فأنشدته قصيدتي في مدحه التي أولها :

* أَأَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقًا *^(١)

وإلى جانبه شخص لا أعرفه ، فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص ، وقال : أما تستحي أن تنتحل شعري ، وتنشده بحضوري ! ثم مرّ في القصيدة فأنشدها من حفظه ، فتفّبروجه سعيد ، والتفت إلى وقال : يا بن أخي ، قد كان في الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر ، فخرجت كاسف البال ، وسألتُ عن الرجل ، فقيل : إنه أبو تمام الطائي ، فلما بعدت لحقني الحاجبُ وأمرني بالعود ، وإذا أبو تمام يضحك ، فاستدناي ، وقال : يا سيدي ، الشعر لك ، وإنما هذه عادي في حفظ القصيدة من مرّة واحدة . ولقد نعتت إلى نفسي

(١) ديوانه ١ : ١٤٥ وبقية :

أم خان عهداً أم أطلع شقيقاً

وفيه : : يمدح محمد بن يوسف

فإنه ما نبغ من قبيلة مجيد أو شريف إلا مات من كان قبله ، أو ما سمعت قوله
الشاعر :

إِذَا مُقَرَّمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدًّا نَابِهِ تَحْمَطُ مِنَّا نَابٌ آخِرٌ مُقَرَّمٌ^(١)

فقلت : بلى يجعلني الله فداك ! ثم لزمته ، وكان محسنا إلى أن مات .

وحكى أبو حيان ، قال : كان لأبي تمام صديق يسكر من قَدَحَيْنِ ، فكتب
إليه يستدعيه إلى الشراب : إن رأيت أن تنام عندنا الليلة ؛ فافعل .

ومن محاسن شعره قوله :

إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بَفَضِلِهِ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَفَّتَهُمْ فَضَائِلُهُ^(٢)
تَعُودَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَانَتْهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ
لَجَادَ بِهَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وقوله أيضا :

وَمَرْحَبٍ بِالزَّائِرِينَ وَبِشْرِهِ
يُعْطَى عَطَاءُ الْمُنْعَمِ الْخَضِيلِ النَّدَى
وقوله أيضا :

قَوْمٌ إِذَا وَعَدُوا أَوْ أَوْعِدُوا غَمَرُوا
يَسْتَمْدِبُونَ مَنَائِمَهُمْ كَأَنَّهُمْ
وقوله أيضا :

لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى
وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا
فَالسَّيْلُ حَرَبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٣)
يُحْيِي الْقَرِيضَ إِلَى مِمْتِ الْمَالِ^(٤)

(١) لأوس بن حجر ، ديوانه ١٢٢ .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٥ .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٦ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٧ .

(٥) ديوانه ٣ : ٧٧ .

وقوله أيضا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
لولا اشتعال النار فيما جاورت

وقوله أيضا :

ليس الحجاب بمقص منك لي أملاً
وقوله أيضا :

توفيت الآمال بعد محمد
فتى مات بين الضرب والطن مية
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة
كان بني نبهان عند وفاته
لئن أبعد الدهر الخوون بفقده
وأصبح في شغل عن السفر السفر^(١)
تقوم مقام النصر إن فاته النصر
غداة نوى إلا اشتت أنها قبر
نجوم سماء غاب من بينها البدر
لهدى به تمن يحب له الدهر

وقوله أيضا :

إذا فقد المفقود من آل مالك
ألم تر بالأيام كيف لجعنا
رواكد تقصى الكف من متناول
بني مالك قد نهت حامل الثرى
تقطع قلبي رحمة للمكارم^(٢)
به ثم قد شاركننا في المآثم
وفيها عللاً لا يره تقى بالسلايم
قبور لكم مستشرفات المعالم
وقوله أيضا :

ورأت شحوباً رابها في جسمه
عتقت به الأيام حتى أنها
ماذا يربك من جواد مضمّر
لتكاد تفجؤه بما لم يقدر
وأكثر شعر أبي تمام مختار ، وهو في الشهرة كأبي الطيب ، فيكفي من

(١) ديوانه ١ : ٤٠٢ .

(٢) مختارات البارودي ٣ : ٣٠٣ ، في رثاء محمد بن حميد الطوسي مع اختلاف في الرواية .

(٣) مختارات البارودي ٣ : ٣٠٧ في رثاء هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي مع اختلاف في الرواية .

شعره هذا القدر ، وما أذكر في هذا الشرح من بعض هذه التراجم - التي من باب لزوم مالا يلزم - إلا لما يتضمن من فائدة تحسنه ، وترغب فيه .

وأما القصيدة التي منها البيت المذكور أبو تمام بسببه ، فهي هذه :

خَذِي عِبْرَاتِ بَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُونِي مَا أَزَلْتِ مِنَ الْقِنَاعِ ^(١)
 أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقِي أَجَدَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ !
 وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرْحِ الْوَدَاعِ
 تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي ضَيْلًا كَانَ الْجَدُّ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ
 فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا قَطَفَنْ بِهِ إِلَى خُلُقٍ وَسَاعِ
 أَبْنَاءَ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءِ حَتَّى نَحَلْتَهُ السَّبَاعِ مِنَ السَّبَاعِ
 قَلْبُ الْحَزْمِ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا بَأْنُ تَسْطِيعَ غَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ

قال المرزوقي في شرح هذا البيت : يقول : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْدَمَ ^(٢) عَلَى مَالٍ يُقَدَّرُ عَلَيْهِ ، فَأَجِبْ حَزْمَكَ وَعَزْمَكَ ، وَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ ^(٣) وَلَا تُخَالِفْهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ يُوَدِّعُكَ إِلَى النُّجُوحِ ؛ وَهَذَا عَلَى رَأْيِ مَنْ رَوَى : « قَلْبُ الْحَزْمِ » ، مِنَ التَّلْبِيَةِ . وَنَسَبَ بِمَضْمَنِهِ هَذَا الْبَيْتَ إِلَى الْمُحَالِ ، فَقَالَ : الْحَزْمُ فِي تَرْكِ طِلَابِ مَالٍ يَطَاقُ فَكَيْفَ يَعِزُّمُ ^(٤) عَلَى إِدْرَاكَهِ حَتَّى يَجِيهَ بِالتَّلْبِيَةِ !

قال المرزوقي : وَهَذَا مِنْ قَائِلِهِ بَعِيدٌ ^(٥) ، إِذْ مَعْنَى الْبَيْتِ : أَجِبِ الْحَزْمَ وَعَالِيكَ بِهِ فِيمَا تَطْلُبُ مِنَ الْمَهْمَاتِ ، فَإِنَّ الْحَزْمَ يُعِينُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَلَى مَا لَا يُتَأَنَّى وَلَا يَنْسَهَلُ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : كُلُّ مَا لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ خُلِقَ فَاسْتَعِنَ فِيهِ

(١) ديوانه ٢ : ٣٣٦ وما بعدها .

(٢) شرح الديوان : « تقدر » .

(٣) شرح كذا في الديوان .

(٤) شرح الديوان : « يعين » .

(٥) شرح الديوان : « تعد » .

بكذا وكذا^(١)، يريد أنه مبارك السعي، ويُراد بذلك المبالغة في تأنيبه^(٢).
وقال آخر: أراد إن حاولت يوماً ما لا يدخل تحت قدرتك فأجب الحزم
فإنه يدعوك إلى ترك طلبه^(٣).

وروى أيضاً: « فَلَبَّ الْعَزَمَ » .

ومن القصيدة أيضاً في المدح :

أَطَالَ يَدِي عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى وَفَيْتُ صُرُوفَهَا صَاعًا بِصَاعٍ
جَعَلْتَ الْجُودَ لَأَلَاءِ الْمَسَاعِي وَهَلْ تَمَسُّ تَكُونُ بِلا شُعَاعٍ !
وَرَأَيْكَ مِثْلُ رَأْيِ السَّيْفِ صَحَّتْ مَشُورَةٌ حَدَّهُ عِنْدَ الْمِصَاعِ^(٤)
وَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

* * *

٨٨ - والمراد بقول أبي الطيب :

ذَكَرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْنَاتِهَا

* * *

هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، وقد تقدّم ذكره، وإنما أذكر هاهنا محاسن
القصيدة التي منها هذا البيت، وهي قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران؛
التي يقول في أولها^(٥) :

(١) شرح الديوان : « يزيد » .

(٢) شرح الديوان : « في شأنه » .

(٣) نقله التبريزي في شرح الديوان ٢ : ٣٣٧ ، ٣٣٧ .

(٤) المصاع : المضاربة والمجالة

(٥) ديوانه ١ : ٢٢٥ - ٢٣٦ ، وفيه : « يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران » .

* سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا ^(١) *
[يقول فيها] ^(٢) .

ومطالبٍ فيها الهلاكُ أُنِيتُها بُنِتَ الجنانُ كأنني لم آتِها
ومقانبٍ بمقانبٍ غَادَرْتُها أَقْوَاتَ وَخْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِها
يعنى كم جيشٍ لِقِيَتُهُ بجيشٍ حتى اقتتلوا ، وصاروا قوتاً للوحش بعد ما كان
الوحش قوتاً لهم فى الصيد ، وفى هذا المعنى خَلَلٌ ؛ لأنَّ الوحش الذى يقتات
القتلى لا يقتاتة الفرسان فى الصيد .

أَقْبَلْتُها غُرَّرَ الجيادُ كَأَمَّا أَيْدِى بنى عِمْرانِ فى جَبَهاها
يعنى وجَّهَت الخيل قبل وجوه هذه المقانب ، وهى غُرَّةٌ ، فكانَ بياضُ أَيْدِى
بنى عمران المدوحين فى جَبَهاها . وإن كان أراد ببياض أَيْدِيهِم اللون ، فليس
فيه كبير معنى ، وإن كان أراد بالأيدى النعم فهو مدح ، وإن كان من باب
تشبيه العرض بالجواهر .

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالزَّاكِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِها
كان ينبغى أن يقول : « وَالزَّاكِب جُدُودَهُمْ أُمَاتِها » ، وإِثْمًا حملته الضرورة
على وجه ضعيف فى قولهم : « أَكَلُونِى الْبَرَاغِيثَ » .

قال الواحدى : وَالَّذِى ذَكَرَهُ النَّاسُ فى معنى هذا البيت ، أَنَّ هَذِهِ الْخَيْلَ
تَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَهَا ؛ لِأَنَّهَا مِنْ تَنَائِجِهِمْ تَفَاسَلَتْ عَنْهُمْ ، فَجُدُودُ الْمَدُوحِينَ كَانَتْ
أُمَمَاتِ هَذِهِ الْخَيْلِ ، وَسِياقُ الْآيَاتِ قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَصِفُ خَيْلَ نَفْسِهِ لِاخْتِلِافِ
الْمَدُوحِينَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

(١) بقيته :

دَانِ الصَّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِها

(٢) من ت .

«أقبلتها غرر الجياد» وإذا كان كذلك لم يستقم المعنى ، إلا أن يدعى مدّعي أنه قاتل على خيل المدوحين ، وأنهم يعطون الخيل للشعراء ؛ والذي يزيل الإشكال أن يقال: الجياد اسم جنس ، ففي قوله: «غرر الجياد» أراد خيل نفسه وفيما بعد أراد خيل المدوحين ، والجياد بعم الخيلين جميعاً ، ثم قال :

فكأنها نُبِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وكأنهم وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
إِنَّ الصُّكْرَامَ بِلا كِرَامٍ مِنْهُمْ مثلُ الْقُلُوبِ بِلا سُودَ أَوَاتِهَا
عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعَنَانِ بِأَعْمَلِ مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا
لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سَطُورِ كِتَابِهِ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيَاتِهَا

يعنى أنه لفروسيته وحسن تصرفه في الخيل في الكرّ والفرّ ، لوركض بفرسه في طرس مكتوب ، وأراد أن يحصى بحافر مهرة الميات لفعل ، وخصّ الميات لأنها أشبه بالحوافر ، وأدق من العينات التي هي أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجوداً في الحروف ، وخصّ المهر لأنه أشغّب من غيره .

لَا خَلَقَ أَسْمَحَ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بك راء نفسك لم يقل لك هاتِهَا
رَاءَ مَقْلُوبِ «رَأَى» ، ومثله ناء ونأى .

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نَلَّتِهِ لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا
ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتُ الْيَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْلِهَا

* * *

٨٩ - فَكَدَمَتْ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،

وَنَفَخَتْ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ .

الكدم : العض ، والمكدم : موضع العض ، بضرب مثلاً لمن يطلب شيئاً لا يتمكن منه . وفي بعض النسخ «كومت» بالراء ، وهو خطأ . والورم : الانتفاخ يقال ، ورم يرم .

والسمن ضدّ الهزال ، مأخوذ من قول المتنبي :
أعيذُها نظراتٍ مِنْكَ صادقةً أن تحسب الشَّخْمَ فيمن شخمه ورم^(١)
وكذلك قوله : « ونفخت في غير ضرم » ، هو مأخوذ من قول عمرو بن معدى
كرب : بحيث قال :

وَلَوْ نَارٌ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
وسياتي ذكر عمرو فيما بعد [إن شاء الله تعالى]^(٢) ، والمعنى أن هذه المرأة
احتالت ولم تتمّ على شيء من حيلها .

* * *

٩٠ - وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ مَهْزًا ، وَلَا لِسِفْرَةٍ مَحْزًا .

الهز : التحريك الشديد ، كأنه قال : لم تجد لريحٍ كلامها - يعنى المرأة المرسلّة -
ما يهزّ ويُسْتَمَال ، وكذلك لسفرة احتياها ما يحزّ وما يقطع .

* * *

٩١ - بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ .

[امرؤ القيس]

هذا مثلٌ يضرب لمن قنع بسلامة نفسه في مطلبه ، وهو من بيتٍ لامرئ
القيس بن حُجْر بن الحارث ، من بني آكل المرار ، وأمّه فاطمة بنت ربيعة
أخت مهلهل وكليب ابني وائل .
وكان أبوه حُجْر ملكاً من ملوك العرب بتهامة والحيرة ، وله إمارة على

(١) ديوانه ٣ : ٣٦ .

(٢) من ت .

بنى أسدٍ وغطفان ، وكان قد طرد أبنه لقول الشعر أُنْفَةً منه ثم قتل ، ونهض
 امرؤ القيس يطلب ثأره ، في خبر طويل ، وقال : ضيَّعني صغيراً ، وحملني
 عناءه كبيراً . ثم قتل جماعة من بني أسد ، وتفرَّق عنه قومه ، فلحق بقيص
 فاستنجد به ومات مسموماً في طريقه ، في قصة معروفة ، وسَمِيَ الْمَلِك الضَّليل ؛
 لأنَّه أضلَّ مُلْك أبيه ، وذا القُروح لأن قيصر أرسل إليه حُلَّةً مسمومة تقرَّح منها
 بدنه ، ومات .

فأما شعره فهو الذي لا يَنَازَع في تقديمه ، وهو إمام المتقدمين حقيقة ،
 ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة^(١) .

وقوله من قصيدة :

مَمَّا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا^(٢)
 كِنَاءٌ بَنَتْ فِي الصَّدْرِ وَدُّهَا مجاورة غُصَّانٍ وَالْحَيَّ يِعْمُرَا
 [وَمِنْهَا]^(٣) :

أَشِيمُ مُصَابِ الزَّيْنِ أَيْنَ مُصَابُهُ وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا ابْنَةَ عَفْرَا
 مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوَدَّبَ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتَابِ مِنْهَا لَأَثَرَا
 يعني لودب الصغير من الذرِّ على ثوبها لآثر في جسدها ، ولم يرد بالحوَّل
 ما بلغ الحوَّل ، وإنما أراد ما هو لصغره بمنزلة الحوَّل في الإبل .

فَدَعَهَا وَسَلَّ الِهْمَّ عَنْكَ بِمَحْسَرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا
 كَانَ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ رَجُلُهَا حَذْفُ أَعْسَرَا
 خصَّ الأعسر لا ختلاف رَمِيَّاته .

ومنها :

كَلَى لَا حَبَّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَزَّ جَرَا

(١) ديوانه ٨ - ٢٦ .

(٢) ديوانه ٥٦ .

(٣) من ت .

يصف قَمَرًا لا أعلام فيه . وقوله : « لا يَهْتَدَى بِمَنَارِهِ » ، يعني ليس فيه منار يَهْتَدَى به ، لا أن فيه مناراً إلا أنه لا يَهْدَى . والعمود : الجبل البالغ تمام سنّه ، وسافه ، إذا شَمّه ، وَجَرَجِر ، إذا حنّ . وعادة الإبل أن تَشَمّ الأرض التي لا تعرفها ، فتحنّ لعلها يبعد المسافة .

ومنها قوله :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَاذِفِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا
ولا مثل يومٍ في قَذَارَانِ ظَلَمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا
اختلف المفسرون في هذا البيت ، فقال بعضهم : وصفَ اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنّه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قَرْنٍ ظلي . وقال بعضهم : بل وصفَ أما كن كان فيها مسرورا منتما ؛ لأنه قال قبل البيت : « أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ » ، والمعنى أنّه كان على مكان مشرفٍ عالٍ ، فشبّهه لارتفاعه بقرن الظبي ، وإنما خَصَّ قرن الظبي لأنه أعلى ما في جسده . وقصيدته اللامية^(١) التي أولها :

* أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ البَالِي *^(٢)

وأما القصيدة التي منها نصف البيت المذكور من أجله ، فإنه يقول فيها هذه الأبيات :

قَبَّعُضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَائِي^(٣)
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
يعني أن مصيره إلى التراب . وقيل : عِرْقُ الثرى آدم ، وسيموت كما مات آباؤه وأجداده إلى آدم ، ثم قال :

(٢) بقيته :

(١) ديوانه ٢٧-٣٩

* وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي *

(٣) ديوانه ٩٧ - ١٠٠

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِحِثْمٍ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذِي الْقِبَابِ
وَبَعْدَ مُلُوكِ كِنْدَةَ قَدْ تَوَلَّوْا بِأَكْرَمِ شَيْمَةٍ وَأَقْلَّ عَابِ
أَرْجَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لَيْنَا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الثَّمِّ الصَّلَابِ
أَلَمْ أَنْضِ الْمَطَى بِكُلِّ خَرْقٍ أَمَقُّ الطُّولِ لِمَنَاعِ السَّرَابِ (١)
وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
فَأَرْجِعُهَا وَقَدْ نَقَبْتُ وَكَلَّمْتُ لَفَرَطِ الْإَيْنِ تَرْكَعُ لِلضَّرَابِ
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشِبُ فِي شِبَا ظَفِيرٍ وَنَابِ
كَمَا لَأَقَى أَبِي حُجْرٍ وَجَدَّيْ وَلَا أُنْسَى قَتِيلًا بِالْكُلَابِ

* * *

٩٢ - وَتَمَنَّتِ الرَّجُوعَ بِخَفَى حُنَيْنٍ .

اختلف في حنين هذا ، فقال قومٌ : كان رجلاً ادعى أنه من بني أسد ابن هاشم بن عبد مناف ، فأتى عبد المطلب وعليه خُفَّان أحمران ، فقال : يا أبا عمرو ، أنا ابن أسد بن هاشم ، فقال عبد المطلب : لا وثياب هاشم ، ما أعرف فيك شمائله ؛ فأرجع ، فرجع ، فصار مثلاً يضرب للراجع بالحنينة .
وقال قومٌ : كان حنين إسكافاً من أهل الحيرة ، ساومه أعرابيٌّ بـخَفَيْنٍ ، ولم يشتر منه شيئاً ، فغاضه ذلك ، فخرج وعلق أحد الخَفَيْنِ عَلَى شَجَرَةٍ فِي طَرِيقِهِ ، وتقدم قليلاً وطرح الآخر كَمَنْ - فجاء الأعرابي فرأى أحد الخَفَيْنِ فوق الشجرة فقال : ما أشبه هذا بخنفت حنين ! لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ! ثم تقدم قليلاً فرأى الخنفت الآخر مطروحاً ، فنزل وعقل بعيره ، وأخذه ورجع ليأخذ

(١) ألم أنض الطي ؛ أي ألم أهرلها بطول السفر ! والأفق : الطويل .

الأول ، فخرج حُنين من المكن ، وأخذ بعيره وذهب ، ورجع الأعرابي إلى حيّه بخُنْفٍ حُنين .

وقيل : كان حُنين يهودياً نحسَ بامرأة مسلة حماراً ، فقمص ، فصرعها ، فتكشفت ، فكتب بخبره إلى عمر ، فكتب : ليس على هذا صالحناهم ، وقد خلع ربة الذمة من رقبته ، فاضلّبوه حياً ، فلما نُصِب على خشبته أتت امرأته وعليه خُفان فقالت : الآن تموت ، فما تصنع بالخفين ! فأخذتهما من رجله ، فقال الناس : اغلبت بخُنْفٍ حُنين ^(١) .

* * *

٩٣ - لَأَنِّي قُلْتُ :

* لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ *

هذا نصف بيت لرجل من العرب يسمّى غاوى ^(٢) بن ظالم السلمي ، وكان سبب قوله أنه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية ، وكان غاوى سادته ، فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبل ثعلبان يشتدان ، فشعر ^(٣) كل واحدٍ منهما رجله ، وبال على الصنم ، فقال : يا بني سليم ، والله ما يضر ولا ينفع ، لا يعطى ولا يمنع ، ثم أنشد :

أَرْبُ يَبُولُ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ثم كسر الصنم وفر ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال له : كيف اسمك ؟ فقال : غاوى بن ظالم ، فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه ^(٤) .

(١) انظر الميداني ١ : ١٩٩ ، ٢٠٠ . (٢) معجم الشعراء ونقله صاحب الإصابة : « غوى »

(٣) شعر الثعلب : رفع لإحدى رجله ليبول (٤) الإصابة ١ : ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

(٢٢ - سرح العيون)

وروى في هذا البيت « الثعلبان » ، بكسر النون على التثنية ، وروى أيضاً
جضم النون والثاء على أنه ثعلب واحد ، وضرب به المثل فيمن يدعى العز ويراد
به الذل .

* * *

٩٤ - وأنشدت :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

هذا البيت لأبي تمام المقدم ذكره ، في أبيات يرثى بها غالب بن السعدى ،
وهى هذه :

هُوَ الدَّهْرُ لَا يُشْوِي وَهَنَ الْمَصَائِبُ	وَأَكْثَرُ آمَالِ الرِّجَالِ كَوَازِبُ ^(١)
فِيَا غَالِبًا لَا غَالِبًا لِرِزْيَةٍ	بَلِ الْمَوْتُ لَا شَكَّ الَّذِي هُوَ غَالِبُ
وَقُلْتُ أَخِي ، قَالُوا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ	فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُولَ أَقَارِبُ
عَجِبْتُ لَصَبْرِي بَعْدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ	وَكُنْتُ امْرَأً بِكِيٍّ دَمًا وَهُوَ غَائِبُ
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا	عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

* * *

٩٥ - وَنَحَرْتُ وَبَسَرْتُ ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ .

النَّخِيرُ : صوتٌ من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب ، ويسمى خرق
الأنف الذى يخرج منه النَّخِيرُ مُنْجَرًا ، وفى المثل : « ما فى الدار نخير »
ومنه نَحَرْتُ الشَّجَرَةَ ، أى بليت ، فهبَّ صوت الريح منها .

والبشر : الاستعجال بالشئ قبل أوانه ، ويقال للجن قبل النضج : بشر ،
ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بشر ، وفي قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَبَسَ ﴾ ^(١) ، أى
أظهر العُبوس قبل أوانه .

والتعيبس : قطوب الوجه من ضيق الصدر ، ومنه قيل : يومٌ عبوس .
والكُفر في اللغة : ستر الشئ ، ووصف الليل بالكافر استره الأشخاص ،
واستعمل في جاهد النعمة لستره إيّاها ، ولما كان يقتضى جحود النعمة صار يستعمل
في الجحود مطلقاً ؛ فيقال : الكافر لمن جحد الوجدانية وما أشبهه ، ولما جعل
كل فعل محمود من الإيمان ، جعل كل فعل مذموم من الكفر ، وقد يشتد غضب
الإنسان فيفعل ما ينم عليه فيسمى كُفراً ، وقد يُعتبر أيضاً بالكفر عن التبرؤ من
الشئ ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ بَعْضٌ ﴾ ^(٢) ،
فيكون المعنى في قول ابن زيدون : إئتني غضبت إلى أن فعلت ما فعلت ، وإئتني
تبرأت منك .

* * *

٩٦ - وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ وَأَرَعَدْتُ .

يعنى كررت ما يسئلك ذكره ، وأصل البرق لمعان السحاب ، والرعد
صوته ، ويكنى بهما عن التهديد . يقال : أَرَعَدَ فلان وأَبْرَقَ ، إذا هَدَدَ . وكان
الأصمعي بنكر قولهم في ضرب المثل ، يعنى : « أَبْرَقَ وَأَرَعَدَ » . قال مهملل :
أَبْرَقُوا سَاعَةَ الْهَيَاجِ وَأَرَعَدُوا كَمَا تَرَعَدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا ^(٣)

(١) سورة المذثر ٢٢ . (٢) سورة العنكبوت ٢٥ .

(٣) من كلمة له في العقد ٥ : ٢٨٧ ، وروايته هناك :

اتصنوا متجنس القبيى وأبرقنا كما ترعد الفحول الفحولاً

٩٧ - وَهَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ ، وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي .

يعني همتُ بقتل هذه المرأة ؛ وهذا من باب الحذف والإيجاز ، للدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوَكُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ، تقديره : لكان هذا القرآن ؛ وهو كثير في كلام العرب ؛ وقد استعملوه حتى في الحروف « وقالوا : دَرَسَ لنا يلهجون به ، بمعنى « للنازل » ، وقالوا : وَرَّقَ الحما ، بمعنى الحمام .

وهذا لفظ شعر لضيبي بن الحارث بن أرطاة البُرْجِيّ ، كان رجلاً بذياً كثير الشرور ؛ وكان صاحب صيد ، أوطأ دابته صبيّاً فقَتَلَهُ ، فَرَفَعَ إلى عثمان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته ، فاعتذر بضعف بصره فحسبه ثم خلص ، وكان قد استمار كلباً للصيد من بني نهشل ، فلم يرده ، فطلبوه منه ، وألحوا عليه ، فقال : يهجوم ويتهم أمهم بالكلب :

فَأَمَّكُمْ لَا تَتْرَكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنْ عَقَوْكَ الْأَمَّهَاتُ كَبِيرٌ ^(١)
 إِذَا كَتَفْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ شَخْصَهُ يَظَلُّ لَهُ فَوْقَ الْفَرَّاشِ هَرِيرٌ
 فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ عُثْمَانُ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرِي امْرَأَةً بِكَلْبٍ غَيْرِكَ ! وَاللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ لَوَكُفْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ قُرْآنًا ، ثُمَّ حَبَسَهُ - وَعَرَضَ يَوْمًا أَهْلَ السِّجْنِ فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ حَديدَةً لِيَقْتُلَ بِهَا عُثْمَانُ ، فَأَخَذَتْ مِنْهُ وَضُرِبَ ، وَتُرِكَ مَهْمَلًا فِي السِّجْنِ ، قَالَ :
 لَا يَسْطِينُ بَعْدِي أَمْرٌ هُمِ حَطُّهُ فِرَارًا بِقِيَةِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتِ نَائِلُهُ ^(٢)
 هَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبِيحِي حَلَالُهُ

(١) سورة الرعد ١٣ .

(٢) رَجَاءُ الْأَمَلِ ٩٠ : ٤ (٣) السَّكَنُ ١ : ٣٨٧ .

وقائلة لا يُبعد الله ضابطاً إذا القرن لم يوجد له من ينزله
ثم لم يزل في السجن حتى مات ، فلما قتل عثمان ، وثب عمير بن صابیء
على ضلع من أضلاعه فكسرها . فقتله الحجاج بالكوفة .

٩٨ - وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِذِ مَةً ، وَلِلضَّيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ
فِي قَذَالِ الدُّمُسْتَقِ .

يعنى لولا أنه صار لهذه المرأة حُرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلتُ بها فعل
سَيِّفِ الدَّوْلَةِ بالدُّمُسْتَقِ .

وهذا حل بيت المتنبي في المعنى ، وذلك أن ملك الروم أرسل جيشاً إلى بلاد
سَيِّفِ الدَّوْلَةِ ، وقدم عليه بطريقاً يقال له : الدُّمُسْتَقِ - وقيل : الدُّمُسْتَقِ لقب
عندهم لكل مقدم على جيش - فهزمه سيفُ الدَّوْلَةِ ، وخرج مُولِياً ، وعاد إلى ملك
الروم مهزوماً مرعوباً . ثم إن ملك الروم أرسل رسلاً وكتاباً إلى سَيِّفِ الدَّوْلَةِ
يطلب الصُّلْحَ والمُهدنة ، فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدةً يشير فيها إلى هزيمة
الدُّمُسْتَقِ ، فقال :

وَكَأَنَّكَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتَقِ
وهذه قصيدة تطوى على أبياتٍ حسنة ، ويتعلق بها خبر ظريف . قيل :
دخل السريّ الزَّهَّاءُ الشاعر على سَيِّفِ الدَّوْلَةِ يوماً ، فقال : يامولانا ، كم تفضل
علينا هذا الكندي - يعنى المتنبي - ولو أمرتني أن أنظم على وزن أى قصيدة
شئت من قصائده لنظمت ما هو أجود منها ، فقال سيف الدولة : أنظم على وزن
قصيدته التي أولها :

* لَعْنَتِكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ ^(١) *

تخرج السرى من عنده على ذلك ، وفكر في القصيدة فلم يجدها من
طنانات التنبي ، فلم أن سيف الدولة أراد له بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح ،
فنظر في أبياتها ، فإذا هو يقول فيها مادحا لسيف الدولة ، ومفتخرا بنفسه :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلُحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ أَلْحَقِ
فلم أن سيف الدولة أراد بهذا المعنى ، فكفت عن النظم .

وفي هذه القصيدة يقول للتنبي :

وَمَا كُنْتُ مَن يَدْخُلُ الْعَشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبَصِّرُ جَفَوْنَكَ يَعْشَقِ
سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَايِلِ الْمُعْتَقِ
إِذَا مَا لَبَسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ تَحَرَّقَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ
هذا المعنى جيد ، ولكن استعمال التخریق للأجساد بشع .

ومن جملة هذه القصيدة أيضا :

نُودِعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبٍ قَلِيلِ
هَوَادٍ لِأَمْلَاقِ الْجِيُوشِ كَأَنهَا تَحْيَرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَلْتَقِ
يُغِيرُهَا بَيْنَ الْقَانِ وَوَاسِطِ وَيَرْكُزُهَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَجَلْقِ
وَيُرْجِمُهَا مُهْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يُبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمَتَدَقِّ
فَلَا تَبْلُغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى تُذَكِّرُ لَهُ الْحَرْبَ يَشْتَقِ

قوله : « فلا تبلغاه » ، هذه من السجاجات المودودة ؛ لأنه ينشد القصيدة هو

سماط ، عفا الله تعالى عنه !

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ - ٣١٦ ، وبقية :

* وَلِلْحَبِّ مَا لَمْ يَنْبَقْ مِنِّي وَمَا بَقِيَ *

كسائله مَنْ يسأل الغيث قطرةً كماذله مَنْ قال للفلكِ أرفقِ
لقد جُذِبَ حتَّى جُذِبَ في كلِّ ملة وحتى أتاك الحمدُ في كلِّ منطقِ
رأى ملك الزُّوم ارتياحك للندى فقام مقام المجتدى المتملِّقِ
وكنْتَ إذا كاتبته قبل هذه كتبتَ إليه في قذال الدُّمُسُوقِ
وما كَمَدُ الحساد شيئاً قصده ولكنَّه مَنْ يَرْحَمَ البحرَ يَفْرِقِ

* * *

٩٩ - والنَّعْلُ حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ
أَصَرَ الْمَذْنِبُ .

السَّجَّةُ الأولى حلَّ بيت للفضل اللَّهْيِّ ، من جملة أبيات ، وهو مثله
يهدد به مَنْ عوقب .

[الفضل اللَّهْيِّ]

وهذا هو الفضل بن العباس بن عُتْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ ، كان من شعراء
الهاشميين وفصحائهم ؛ توفى في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وكان طويلاً
آدم اللون .

حكى أن الفرزدق مرَّ به يوماً وهو ينشد مفتخراً :

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ^(١)
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جَدًّا يَمْلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
يعنى بأخضرة آدم اللون^(٢) ، والعربُ تفتخر بأنها سُمِرَ وسود ، وقيل : عني

(١) اللسان ٥ : ٣٢٧ ، نسب قريش ٩٠ .

(٢) اللسان ١٣ : ٣٤٦ .

بالأخضر البحر ، وأنه في نفسه وكرمه كالبحر ، وعنى بالمساجلة المفاخرة ،
وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بثر ، فأيهما ملأ أكثر كان
الغالب ، واستعمل في المفاخرة . وأصل المساجلة كما ذكر ، فلما سمع الفرزدق
قوله تشمر ، وقال : أنا أساجلك ، فقال :

بِرَسُولِ اللَّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَبِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فرجع الفرزدق ، وقال : ما يساجلك إلا من عَضَّ ببطر أمه .

وحكى أبو عبيدة ، أن عمر بن أبي ربيعة قال : بينما أنا جالس في المسجد
الحرام في جماعة من قريش ، إذ دخل علينا الفضل بن العباس اللّهي ، فوافقني
وأنا أنشد :

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقَشَّعًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامٌ^(١)

فقال : يا أخا بني مخزوم ، إن بلدة تبجج^(٢) بها عبد المطلب ، وبُعِثَ منها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة ألا تقشعر^(٣)
لهشام ، وأن أشعر من هذا البيت [وأصدقه]^(٤) قول الآخر :

إِنَّمَا عَبْدُ مَنْفٍ جَوْهَرٌ زَيْنُ الْجَوْهَرِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ^(٥)

[فأقبلت عليه ، وقلت ؛ يا أخا مخزوم ، إن أشعر من صاحبك من يقول :

ابْنُ مَخْزُومٍ الْحَرِيقُ إِذَا حَرَّكَتُهُ تَارَةٌ تَرَى ضَرَمًا
يَسْطَعُ مِنْهُ الشَّرَارُ فِي لَهَبٍ مِنْ حَادٍ عَنْ حَرِّهِ فَقَدْ سَلِمًا]^(٥)

فوالله ما عثم أن أقبل على وقال : يا أخا بني مخزوم ، أنا أشعر من
صاحبك الذي يقول هذين البيتين .

(١) - ٢ - كامل ٢ : ١٤٦ ، وينسب للحارث بن أمية ، وانظر الفاضل ٤٩ .

(٢) تبجج : أقام .

(٣) من ت .

(٤) نسب قريش ٩٠ .

(٥) من ت .

هاشمُ بجرٍّ إذا سَمَا وطَمَا أَخَذَ حَرَّ الحَرِيقِ وَاصْطَلَمَا^(١)
فَاعْلَمْ وَخَيْرُ الْمَقَالِ أَصْدَقُهُ بَأَنَّ مَنْ رَامَ هَاشِمًا هُشِمَا
فَاسْوَدَّتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي ، وَلَمْ أَحِرْ جَوَابًا . وَقَدْ أَطَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَكَايَةَ
إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ التَّوَلِيدُ .

وَمَنْ جَيِّدُ شَعْرِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَوْلُهُ :
يَأْمِي إِنْ تَفَقِدِي قَوْمًا وَلَدَتِهِمْ أَوْ تُخْلَسِيهِمْ فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلَّاسٌ^(٢)
عَمَرُوا وَعَبْدٌ مُنَافٍ وَالَّذِي عَهْدَتْ بِطَاحُ مَكَّةَ أَبِي الضَّمِيمِ عَبَّاسُ
لَيْثٌ هَزَبَتْ مُدِلًّا عِنْدَ خَيْسَتِهِ بِالرَّقَمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
يَسْتَشْهَدُ النَّحَاةُ بِقَوْلِهِ : « أَجْرٌ » عَلَى جَمْعِ جِرْوٍ ، وَالْأَصْلُ « أَجْرُو » ،
فَحَذَفَتْ الْوَاوُ لَوْقَوْعِهَا طَرَفًا مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا .

وَحَكَى عَنْهُ الْجَاهِظُ حَكَايَةَ ظَرِيفَةٍ ، قَالَ : شَرِبَ لَيْلَةً مَعَ بَعْضِ وَلَدِ جَعْفَرٍ
عَلَى سَطْحٍ ، فَلَمَّا سَكَّرَ الْجَعْفَرِيُّ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى أَسْفَلٍ ، وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الطَّيَّارِ
فِي الْجَنَّةِ ، فَتَكَسَّرَ وَتَهَشَّمَ ، فَتَشَبَّثَ الْفَضْلُ بِالْحَائِطِ وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْمُقْصُوصِ
فِي النَّارِ .

* * *

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي ذَكَرَ بِسَبَبِهِ ، فَحَكَى أَنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ تَاجِرٌ مِنْ تَجَارِهَا
يَسْمَى الْعُقْرَبُ ، وَكَانَ أَمُطِلُ النَّاسِ ، فَعَامَلَهُ الْفَضْلُ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَقَاضِيًا ،
فَلَمَّا حَلَّ الْمَالُ قَعْدَ الْفَضْلِ عَلَى بَابِ الْعُقْرَبِ يَقْرَأُ : وَعُقْرَبُ عَلَى سَجِيَّتِهِ فِي الْمَطْلِ .
فَلَمَّا أَعْيَاهُ ذَلِكَ قَالَ يَهْجُوهُ :

(١) اصطلاحه : استأصله .

(٢) الصحيح أن هذا الشعر للمالك بن خالد الحناعي الهذلي . ديوان الهذليين ١ : ٣ .

فَدَّ تَجَرَّتْ عَقْرَبُ فِي سَوْفِنَا لَا مَرْجَبًا بِالْعَقْرِ التَّاجِرَةِ^(١)
 كُلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِنِهِ فَعِيرٌ نَحْشِيٍّ وَلَا ضَائِرُهُ
 إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتْ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرُهُ
 فصار هذا اللفظ مثلاً .

وقول ابن زيدون : « إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ » الإصرار : المُعَدِّي فِي الذَّنْبِ ،
 وأصله من صَرَ الشَّيْءُ .

* * *

١٠٠ - وَهَبَهَا لَمْ تُلَاحِظْكَ بِعَيْنٍ كَلِيلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيبُهَا ،
 حَسَنٌ فِيهَا مَنْ تَوَدَّ .

يعنى : هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة السائرة للميوب فيما
 وصفتك به من الفضائل ، أليس منظرُك كما نرى من القُبْحِ والسَّجَاةِ ! كما سيأتى .
 ذكره .

وفي هذا اللفظ حلُّ ثلاثة أبياتٍ لثلاثةٍ من الشعراء ، ولكلٍّ منهم أخبار
 وأشعار تستعمل على محاسن .

[الهاشمي]

فالأول قول الهاشمي :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ الشَّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(٢)

(١) الأغاني ١٠ : ٧ . (سامي) .

(٢) الأغاني ١٢ : ٢١٤ (طبعة دار الكتب) ، وبعده :

وَأَنْتِ أَخِي مَا لَمْ تَكُنِي لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضَتْ أَبَيْتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا

وهو عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتیان بنی هاشم وأجوادهم وفصحائهم ، على أنه كان يُتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عُرفوا بذلك ، وأشهرهم رجل يقال له : البقلی ، ولَمَّا سُمِّيَ بذلك لأنه كان يقول : الإنسان كالْبَقْلَة ، إذا مات لم يرجع .

وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة ، واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية .

حكى المدائني أن عبد الله بن معاوية قدم زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمِناً^(١) له ، فنزَّج بالكوفة بنت الشرق بن شُبَّ بن رَبِيعٍ ، فلما وقعت العصبية أخرجَه أهل الكوفة على بني أمية [وقالوا له : اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك] ، واجتمعت له جماعة ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه [^(٢) . وقيل : لَمَّا خرج في أيام يزيد بن الوليد ، ودعا الناس إلى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : لَمَّا دعا إلى نفسه ، ولبس الصوف ، وأظهر سيما الخير ، فاجتمع عليه ناسٌ من الكوفة فبايعوه ، ولم يجتمع عليه جميع أهل الضر ، وقالوا له : ما بقي فينا بقيّة ؛ فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بالخروج إلى فارس ونواحي الشرق ، ففعل ذلك وجمع جموعاً من النواحي ، فخرج ، فغلب على مياه البصرة والكوفة ، وهذان والزبي ، وقُم ، وأصفهان ، وأقام بأصفهان ، وكان الذي أخذ له البيعة محارب ابن موسى اليشكري^(٣) ، فدخل دار الإمارة بنعلٍ ورداء ، وجعل الناس يجتمعون عليه ، فأخذهم بالبيعة ، فقالوا : على ماذا ؟ فقال : على ما أحببتكم وكرهتم ، [فبايعوا على ذلك] ^(٤) وكتب إلى الأمصار يدعُو إلى نفسه [لا إلى الرضا] ^(٥)

(١) استباحه : سأله العطاء .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : مولى بني يشكر .

(٤) من الأغاني ، والمجرب هناك في ١٢ : ٢٢٨-٢٢٩ .

(٥) من الأغاني .

واستعمل إخوته على كَرَمَانَ وشِيرَازَ وغيرهما .

وقصدته بنو هاشم : السَّاقِحَ والمنصور ، وعيسى بن عليّ ، ووجوه قریش
من أُمّية وغيرهم ، فَمَنْ أَرَادَ عَمَلًا وَلَاَهُ ، وَمَنْ أَرَادَ صِلَةً وَصَلَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ،
وكانَ تَمَنِّحَ الكَفِّ كَرِيمَ الأخلاق^(١) .

حكى ابن هرمة^(٢) قال : قصدته فوجدتُ النَّاسَ بعضهم على بعض بِيَابِهِ ،
فَرَأَيْتُ بعضُ خَدَمِهِ ، فَعَرَفْنِي أَنَّ عَامَتَهُمُ غُرْمَاءُ لَهُ ، أَرَبَابُ دِيُونٍ ، فَقُلْتُ :
هَذَا شَرٌّ لِي ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : لَمْ أَعْلَمْ وَاللَّهِ بِهِؤُلَاءِ الْغُرْمَاءُ ، فَقَالَ :
لَا عَلَيْكَ ، أَنْشَدْنِي ، فَاسْتَحْيَيْتُ ؛ فَأَبَى إِلَّا أَنْ أَنْشُدَهُ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ أَيْيَاتًا
حَسَنَةً مِنْهَا^(٣) :

تَرَى الْخُلَيْرَ يَجْرِي فِي أَمِيرَةٍ وَجْهِهِ كَمَا لِلْأَلَّتْ فِي السَّيْفِ بِهِجَةٌ رَوْنَقِ
فَأَمَرَ لِي بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ لِبَعْضِ الْغُرْمَاءِ ، وَوَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ غَيْرُهُ^(٤) .
ثم لم يزل عبد الله مقيمًا بنواحي فارس التي غلب عليها ، حتى ولّى مروان
ابن محمد الجمديّ ، فوجه إليه عامر بن ضباعة في جيش كثيف ، فسار إليه حتى
إذا قرب من أصبهان ، ندب عبد الله أصحابه للخروج ، فتناقلوا عليه ، ولم يفعلوا ،
فخرج على دهشٍ هو وإخوته قاصدين خراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ، وطمع
في نصرته ، فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده ، وجعل عليه عينًا ، فرفع عنه أنه يقول

(١) الأغاني ١٢ : ٢٣١ .

(٢) في الأصول : « هرم » ، صوابه من الأغاني .

(٣) الأغاني : « فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها :

حَلَلْتُ مَحَلَّ الْقَلْبِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَمَشُكٌ مَاوَى بِيضَهَا الْمُنْفَلَقِ
إلى أن قال :

فَمَنْ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ مِثْلُ جَعْفَرٍ وَمِثْلُ أَبِيكَ الْأَرْحَمِيِّ الْمَرْهَقِ

(٤) الأغاني ١٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

ليس في الأرض أحقُّ منكم يا أهلَ خراسان في طاعتكم لهذا الرَّجل ، قبل أن تراجعوه في شيء وتسالوه عنه ، والله ما رَضِيتِ الملائكةُ بهذا عند الله عزَّ وجلَّ حتى راجعتهُ في أمرِ آدم عليه السلام ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ حتى قال تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

فشَدَّد عليه أبو مسلم ، ثم كتب إليه عبد الله رسالته التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بغير [ذنبٍ إليه ، ولا] ^(٢) خلافٍ عليه . أما بعد فإنك مستودع ودائع ، ومُؤَلِّي صنائع ، وإنَّ الودائع مرعِيَّة ، والصنائع عارية ، فأطلب الخلاص ، وإلا أذكر القصاص ^(٣) ، فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلفت ، وفقك الله لما ينجيك ، وألهمك شكر ما خولك » ^(٤) .

فلما قرأ كتابي ^(٥) به رَمَى به ، ثم قال : أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس ، في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا . ثم أمضى تدبيره في قتله ، فهدس إليه سُمًّا فمات ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فحملة إلى مروان ^(٦) .

ومن شعره وما يتعلق به ، حكاية حكاها إبراهيم الموصلي ، قال : بينا أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمر الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين ، إذ قال صاحبُ السَّتارة لابن جامع : تفنَّ من شعر عبد الله بن معاوية - ولم يكن ابن جامع يغني في شيء من شعره ولا يعرفه ، وكنت قد تقدَّمت فيه - فأرتج على ابن جامع ، فلما رأيت ما حلَّ به اندفعتُ ففנית لعبد الله :

(١) سورة البقرة ٣٠

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « واذكر القصاص » .

(٤) الأغاني : « وأنال شكر ما يليك » ، والإبلاء هنا : الإنعام والإحسان -

(٥) ط : « كتابه » .

(٦) الأغاني ١٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ .

يَهَيِّمُ بِجُمْلٍ وَمَا إِنْ يَرَى لَهُ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى مُجْلِهِ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ عَاشِقٌ قَبْلَهُ وَقَدْ عَشِقَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ الْحُبُّ أَوْدَى بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَشْفَى عَلَى قَتْلِهِ

فإذا يَدَّرَفَتِ الستارة ، ونظر إلى ، وقال : أحسنت والله ! أعدته ،
فأعدته ، فجاء قَرَّاشٌ بِبَدْرَةٍ ، فوضعها تحت نخذي ، ثم قال : اجعلها ^(١) لك ،
ثم انقضى المجلس ، فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ؛
تغنٍّ من شعر ابن جعفر - يعني عبد الله بن معاوية - فوقع في مثل الذي وقع فيه
بالأمس ، فغنَّيت من شعر عبد الله :

يا قوم كيف سِوَاغُ عَيْشٍ لَيْسَ تُؤْمِنُ قَاجَعَاتُهُ
لَيْسَتْ تَزَالُ مُطَلَّةً تَقْدُو عَلَيْكَ مَنَفَّصَاتُهُ
الموتُ هَوْلٌ دَاخِلٌ يَوْمًا عَلَى كُرْهِ أَنْاتِهِ
لَا بَدَّ لِلْحَزَنِ النَّفْوَ رٍ مِنْ أَنْ تَقْنَصَهُ رُمْتُهُ
قَدْ أَمْنَحُ الْوَدَّ الْخَلِيلَ صَغِيرَ مَاشِي رَرَائِهِ
وَلَهُ أَقِيمُ قَنَاطَةً وَدَّى مَا أَسْتَقَامَتْ لِي قَنَاتُهُ

قال : فأومأ إلى صاحب الستارة أن أمسك ، ووضع يده على عينه كأنه
يومي إلى أنه يبكي . قال : فَأَمْسَكْتُ ، ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ماصب
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ ؟ قلت : صَبَّهَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِبْدَرَةَ الدَّانِيَةِ الَّتِي أَخَذَتْهَا .
قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفي :
اللهم أنسه ذِكْرُ ابْنِ جَعْفَرٍ . قال : فقلت : اللهم لا تستجب ؛ فقال صاحب
الستارة : يا ابن جامع ، تغنٍّ في شعر عبد الله بن معاوية ، فقال ابن جامع : لو كان
عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه ، ولم يُقْبَلْ عَلَى الشَّعْرِ . قال

(١) الأغاني : « اجعلها تكأنتك » .

إبراهيم : فسمعنا ضحكك من وراء الستارة . قال إبراهيم : [فاندفعت أغنى في شعره] ^(١) :

سَلَا رَبَّةَ الْخِذْرِ مَاشَانُهَا وَمِنْ أَيْمًا شَانُنَا تَعَجُّبُ !
فَلَسْتُ بِأَوَّلَ مَنْ فَاتَهُ عَلَى إِرْبِهِ بَعْضُ مَا يُطْلَبُ
[وَكَأَنَّ تَعَرَّضَ مِنْ خَاطِبٍ فُزُوجَ غَيْرِ الَّتِي يُخْطَبُ
وَأُنْكِحَهَا بَعْدَهُ غَيْرُهُ وَكَانَتْ لَهُ قَبْلَهُ تُحَجَّبُ
وَكُنَّا حَدِيثًا صَفِيَيْنِ لَا نَخَافُ الْوُشَاةَ وَمَا سَبَبُوا
فَإِنْ شَطَّتِ الدَّارَ عَنَّا بِهَا فَبَانَتْ فِي النَّاسِ مُسْتَعْتَبُ] ^(١)

وَأَصْبَحَ صَدْعُ الَّذِي بَيْنَنَا كَصَدْعِ الزَّجَاجَةِ لَا يُشْعَبُ
[وَكَالَّذِي لَيْسَتْ لَهُ رَجْعَةٌ إِلَى الضَّرْعِ مِنْ بَعْدِ مَا يُحْلَبُ] ^(١)
فَأَوْمَى صَاحِبَ السَّتَارَةِ أَنْ أَمْسِكْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَنَّهُ يَبْكِي ، فَأَمْسَكَ ،
ثُمَّ قَالَ : تَعَنَّ لَا بِنَ جَعْفَرُ - وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ شَدِيدَ الْحَسَدِ فَقَالَ - : لَوْ كَانَ فِي
ابْنِ جَعْفَرٍ خَيْرٌ لَطَارَ مَعَ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى قَوْلِ الشَّعْرِ ، فَسَمِعْنَا ضَحِكَ الرَّشِيدِ ،
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَدْرَةَ ، وَإِلَى ابْنِ جَامِعٍ مِثْلَهَا ^(١) .

وَأَمَّا الشَّعْرُ الَّذِي ذَكَرَ بِسَبَبِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ
ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا أَمْرٌ ، فَتَهَاجَرَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

إِنَّ حُسَيْنًا كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا فَمَخَّضُهُ التَّكْشِيفُ حَتَّى بَدَّالِيَا
وَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضْتَ أَقْبَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا
وَعَيْنُ الرِّضَاعِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السَّخَطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا ^(٢)

* * *

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَهُوَ قَوْلُ الْمَجْنُونِ :

أَهَاؤُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَى وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

* * *

[مجنون ليلي]

هو قيس بن الملوّح بن مُزاحم ، من بني عامر بن صعصعة ، شاعر غزل .
سكن البادية عُمره ، وتوفي في آخر دولة بني أمية .

وهو المعروف بمجنون ليلي ، ويقال : إنه لم يكن مجنوناً ، وإنما الزّوادة
وضعت ذلك عليه .

وحكى ابن دأب ، قال : قلتُ لرجلٍ من بني عامرٍ : أتَروى من شعر المجنون
شيئاً ؟ فقال : أو فرغنا من العقلاء حتى نروى للمجانين ! إنهم لكثير ، فقلت :
إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر ، الذي قتله العشق ، فقال : هيها ! بنو عامر
أغلظُ أكباده من ذلك ! إنما يكون هذا في البمانية الضّعافِ عُقولها ، الصّلة ^(١)
رءوسها ، فأما نزار فلا ^(٢) .

وقال الأصمعيّ : الصحيح أن الأشعار والوجد لقيس ، ولكنه لم يكن
مجنوناً ، وإنما كانت فيه لؤنة أحدثها العشق ، وكان قد عشق جارية من قومه
تسمّى ليلي بنت سعد ، وعَلِقَ كل منهما بصاحبه ، وهما حينئذ صبيّان يرعيان
مواشي أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا ، وحُجِبَتْ ^(٣) عنه ، وفي ذلك يقول :
تَعَشَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ ذُوَايَةِ ^(٤) ولم يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ تَذْيِهَا حَجَمٌ ^(٥)

(١) الصّلة رءوسها ؛ أي الصغيرة ، وفي ط : « النّفلة » ، وفي ت : « النّفلة » ،
والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٢) الأغاني ٢ : ٣ (طبعة دار الكتب) .

(٣) الأغاني : « حُجِبَتْ » .

(٤) الذّوابة : شعر الناصية .

(٥) الأغاني ٢ : ١١ ، وديوانه ٢٣٨ .

صَغِيرَيْنِ نَزَعَنِ الْبَهْمُ يَا لَيْتَ أَتْنَا إِلَى الْآنَ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ نَكْبِرِ الْبَهْمُ^(١)

حكى ابن عماره المرتضى ، قال : حضرت إلى أرض بنى عامر لألقى المجنون ، فدللت على مجلسه ؛ فلقيت أباه شيخاً كبيراً وحوله إخوة المجنون ، فسألته [عنه]^(٢) ، فقال : إنه كان والله عندى أبرّ من هؤلاء جميعاً ؛ وإنه عشق امرأة من قومه ما كان يطعم مثلها فى مثله^(٣) ، فلما فشا أمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرها ، فزوجها من غيره . وأول ما ظهر من حبه لها أنه طرّقنا أضياف ذات ليلة ، ولم يكن عندنا أدم ، فبعثته إلى أبي ليلى ، فوقف على خبائه وصاح به ، فقال : ما تشاء ؟ فقال : طرّقنا أضياف ولا أدم لنا ، فأرسلنى أبى إليك ، فقال : يا ليلى ، أخرجى ذلك النجى فاملئى له إناءه من السمن . فأخرجته ومعه قعب ، فجعلت تصبّ السمن فى الإناء وهما يتحدّثان ، فألهاها الحديث وهى تصبّ السمن ، وقد امتلأ القعب [ولا يعلمان]^(٤) ، وقد سال^(٥) ، واستنقعت أرجلهما فى^(٥) السّمن ولا يشعران به ، فرآها أبوها على تلك الحال ، فأمره بالانصراف وحجبها عنه ، [وزوجها]^(٦) . فلما زوجها زاد هيامه . وكانا فى بعض الأوقات يتحدّثان ، ففطن بها زوجها ، فتدلّه وجنّ جنونه ، وهام مع الوحش ، يأكل معها من البقل ، ويردّ المياه ، ولا يجهد من يطلبه إلا قليلا . فميجبت من أمره ، ويئست من لقائه وانصرفت^(٦) .

وحكى بعض بنى عامر ، قال : مرّرتُ بالمجنون ، وهو على تلّ رملى ، قد خطّ بأصابعه خطوطاً ، فدنوت منه ، فنفر كما ينفر الوحش ، فجلست معرضاً عنه ،

(١) الأغاني والديوان : « إلى اليوم » . (٢) من ت والأغاني .

(٣) كذا فى ط ، وفى الأغاني : « ما كانت تطعم فى مثله » ، وفى ت : « ما كان يطعم مثله فى مثله » .

(٤) ت : « وهو بسيل » . (٥) كذا فى ت ، وفى ط : « من » .

(٦) الأغاني ٢ : ٨٨ ، ٨٩ .

فلما طال جلوسى سكن ، وأقبل يَحُطُّ بأصابه ، فقلت : أحسنَ والله القائل ^(١) :
وَأَيُّ لَمْفَنِ دَمَعٍ عَيْنِيَّ بِالْبُكَاءِ حِذَارَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ^(٢)
فلما سمعنى بكى ^(٣) حتى ابتلَّ الرمل الذى بين يديه ^(٤) . ثم قال : أنا والله أشعر
منه حيث أقول :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي ^(٥) بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلَ الْإِبَاطِحِ ^(٥)
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَالِي حِيلَةً وَخَلَقْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
ثم سنحت له ظبية فقام يعدو معها ^(٦) وعدت أطلبه أيما إلى أن وجدته
في وادٍ كثيرِ الحجارة خشن ، وهو بين تلك الحجارة مَيِّت . فأتيت أهله ، فأعلمتهم
فاحتملوه ودفنوه ، ولم تَبْقَ فتاة من بنات الحى من بنى جعدة وبنى الحريش
إلا خرجت حاسرةً ، ولم يَرِ باكياً أحدٌ مثل ذلك اليوم ^(٧) .

ومن محاسن ما روى من شعره :
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمُرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمُرُو ^(٨)
تَكَادُ يَدَى تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْتَبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضَرُ
وقوله :

(١) في الأغاني : « أحسن الله قيس بن ذريح حيث يقول » :

(٢) الأغاني : « حذاراً لما قد كان أو هو كائن » ، وبعده :

وَقَالُوا غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلُهُ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِنٌ
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيتك إلا أن ما حان حائِنُ
(٣-٣) الأغاني : « حتى ظننت أن نفسه قد فاضت ، وقد رأيت دموعه قد بات

الرمل الذى بين يديه » .

(٤) الأغاني : « سَبَّيْتَنِي » .

(٥) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى في ذراعيه يياص .

(٦) الأغاني : « ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها » .

(٧) الأغاني ٢ : ٨٩ - ٩١ مع اختلاف في الرواية .

(٨) ديوانه ١٣٠ .

أَفْقَطْعُ حَبْلِ الْوَصْلِ، فَاَلَمُوتُ دُونَهُ
 قَوْلُ اللَّهِ مَا أَذْرِي عَلَامَ ضَرْمَتِي
 وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا^(١)
 لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتَ رِمَّةً
 وَقَوْلُهُ :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا
 وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كَبَلِيَّتِي
 وَمَا فِي إِلَّا الْعَظْمُ وَالْجِلْدُ عَارِيَا
 وَقَوْلُهُ :

أَرَدَّدُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
 مَخَافَةٌ أَنْ يَسْعَى الْوُشَاةُ بِيْظَنَةٍ
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَا فَلَقَ الْحَصَا
 وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّمَا
 وَلَوْ أَنَّ أَنْفَاسِي أَصَابَتْ بِحَرْهَا
 كَتَمْتُ الْهَوَى فِي الصَّدْرِ حَتَّى أَعْلَنِي
 وَقَوْلُهُ :

وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا
 نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتَ حَبِيبَةُ
 سَوَى أَنْ يَقُولُوا إِنِّي لَكَ عَاشِقُ^(٦)
 إِلَيَّ، وَإِنْ لَمْ تَصَفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ

(١) ديوانه ٤٥ .

(٢) الديوان : « وَلَوْ تَلْتَقَى أَرْوَاحُنَا » .

(٣) ديوانه ٩٧ .

(٤) ديوانه ٥٩ .

(٥) هذا البيت وناله مما لم يرد في ط، وأنتبهما من ت .

(٦) ديوانه ٢٠٣ .

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا الْخَمَرَ شَجَّهَا بماءٍ سحابٍ آخَرَ اللَّيْلَ غَابِقُ^(١)
 وَمَا دُقَّتْهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
 وَأَمَّا الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ مِنْ أَجْلِهَا فَهِيَ قَوْلُهُ - عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَسَامَحَهُ :
 دَعَا الْحَرْمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ بِمَكِّهِ يَوْمًا أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُهَا^(٢)
 وَنَادَيْتُ يَا رَبَّاهُ أَوَّلُ سُؤْلَتِي أَنْفَسَى لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسْبُهَا
 فَإِنْ أُعْطِيَ لَيْلَى فِي حَيَاتِي لَمْ يَنْبُ إِلَى اللَّهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لَا أُتَوِّبُهَا
 أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
 وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَى أَنَّهَا قَلَّتْكَ، وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

* * *

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّلَاثُ فَهُوَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ :

فَتَصَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ

* * *

[عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ]

وهو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزرجي القرشي ، ويكنى أبا الخطاب .
 شاعر مجيد ، صاحب ثروة ومجون ، وجميع شعره في الغزل ، ولا يمتدح أحداً ،
 ولذلك قال له سليمان بن عبد الملك : لم لا تمدحنا ؟ فقال : إنما أمدح النساء لا الرجال .
 وكان يقال : إنَّ العرب كانت تُقرُّ لقریش بالتقدم عليها إلا في الشعر ،
 حتى كان ابنُ أبي ربيعة ، فأقرت لها في الشعر أيضاً ، ولم تنازعها شيئاً .
 ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان يقال : أيُّ حق رُفِعَ ،

(١) شجَّ الحمر : مزجها بالماء . والتابع : الذي يسقى الشراب بالعشى .

(٢) ديوانه ٦٧ .

وأى وباطل وضع ! يعنون كثرة معاشرته للنساء وتفزله بهن .
ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين ، وقيل : إنه فتك أربعين ، ونسك
أربعين .

ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه ، فقال له عمر : أحسبك تجزع
لما تظنه بي ! والله ما أعلم أنى ارتكبت فاحشة ، فقال : ما كنت أشفق عليك
إلا من ذلك .

وحكى الحرمى ^(١) أن عمر بن أبى ربيعة كان مشتهراً ^(٢) بحب الثريا بنت
عبد الله بن أمية الأصغر ، وكانت حريةً بذلك ، جمالاً وتاماً ، وكانت تصيفُ
بالباطف ^(٣) ، وكان عمر يغدو [عليها] ^(٤) كل غداة من مكة ، يسأل الزكبان
الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم ، فلقي يوماً بعضهم ، فسأله
عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ^(٥) ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً
عالياً على امرأة من قريش ، اسمها [اسم] ^(٦) نجم في السماء قد ذهب عنى اسمه ^(٧) ،
فقال عمر : الثريا ؟ فقال : نعم - وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليله - فوجه
فرسه [على وجهه] ^(٨) إلى نحو الطائف يركضه ملء فروجه ^(٩) ، ويسلك طريق
كداء ^(١٠) وهى أحسن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا - وقد توقعته وهى
تنشوف له وتنشوق - فوجدها سليمة ومعهما أختها ^(١١) ، فأخبرها الخبر ،

(١) فى الأصول : الجرمى ، ؛ بالجيم ، صوابه من الأغاني ، وهو الحرمى بن العلاء .

(٢) الأغاني : « مسهباً » ، والمسهب : من أسقمه الحب وأذهب عقله .

(٣) نصيف ؛ أى تقيم فى الصيف .

(٤) من الأغاني .

(٥) ما استطرفنا خبراً ، أى ليس عندنا شئ طريف حادث .

(٦) من ت .

(٧) فى الأغاني : « سقط على اسمه » .

(٨) من ت والأغاني .

(٩) يركضه ملء فروجه ، أى لجله على أشد العدو .

(١٠) كداء ، كسحاب : جبل بأعلى مكة عند المحصب .

(١١) فى الأغاني : « ومعهما أختها ضيا وأم عثمان » .

فضحكت ، وقالت : أنا والله أمرتهم لأخبر^(١) ما عندك ، فلذلك يقول قصيدته :
 تَشْكِي الكُمَيْتَ الْجُرَى لَمَّا جَهَدْتُهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)
 وحكى أنها واعدته يوما ، فجاءت في الوقت الذي ذكرته ،^(٣) فصادفت أخاه
 الحارث قد نام مكان عمر ، فلم يشعر الحارث إلا والثريا قد أَلقت نفسها عليه^(٤) ،
 فانتبه ، وجعل يقول : اعزبي فلست بالفاسق ، أخزأكما الله ! فلما علمت
 بالقصة^(٥) انصرفت ، ورجع عمر فأخبر الحارث ، فاعْتَمَ لما فاتته ، وقال له : أما والله
 لا أتمسك النار أبداً وقد أَلقت نفسها عليك ! فقال الحارث : عليك وعليها
 لعنة الله !^(٦)

وقال عمر : ما أحججني إلا ليلي بنت [الحارث بن] عمرو ، لقيتها وهي
 تسير على بظلة لها - وكنت أشبب بها - فقلت لها : جعلت فداك ! قني واسمعي
 بعض ما قلت فيك ، فقالت : أوفعلت ! فقلت : نعم ، فوقفت فأنشدتها :
 أَلَا يَا لَيْلَى إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ لَوْ عَلِمْتَ فَنَوَلِينَا^(٧)
 وَقَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ وَحَانَ مِنَّا فِرَاقُكَ فَانْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا !
 فقالت : آمرك بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، وترك ما أنت عليه .
 ثم انصرفت^(٨) .

وحكى أنه كان يوما يسير غُرُوة بن الزبير ، فقال عمر : وأين زين

(١) الأغاني : « لأخبر » .

(٢) ديوانه ٤٦٢ ، الأغاني ١ : ٢١١ - ٢١٣ .

(٣ - ٤) الأغاني : « فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده ، ووجه به في حاجة له ، ونام مكانه ، وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلا بالثريا قد أَلقت نفسها عليه قبله » .

(٤) كذا في ت والأغاني ، وفي ط : « بالفضية » .

(٥) الأغاني ١ : ٢٣٢ . (٦) من الأغاني .

(٧) الأغاني : « إن بجلت فنولينَا » .

(٨) الأغاني ١ : ١٥٦ ، وفيه : « ثم صاحبت يغلها ومضت » .

المواكب ؟ يعنى [ابنه] ^(١) محمد بن عُرْوَة - وكان يسمّى بذلك لجماله - فقال
عُرْوَة : هو أُمَامُكَ ، فركض يطلبه ، فقال له عُرْوَة : يَا أَبَا الْخَطَابِ ، أَوْ لَسْنَا
أَكْفَاءَ لِمَحَادِثِكَ وَمُؤَانِسَتِكَ ! فقال : بَلَى ، وَلَكِنِّي مُغَرِّى بِهَذَا الْجَمَالِ أَتَبِعُهُ حَيْثُ
كَانَ ، ثُمَّ أَنشَدَ يَقُولُ :

إِنِّي أَمْرٌ مُغَرَّمٌ بِالْحُسْنِ أَتَّبَعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
ثُمَّ مَضَى حَتَّى لَحِقَهُ ، وَجَعَلَ عُرْوَة يَضْحَكُ مِنْهُ ^(٢) .

وروى أَنَّهُ شَبَّ بِزَيْنَبِ بِنْتِ مُوسَى الْجَحْشِيِّ - وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ذَكَرَهَا
لَهُ ، فَاطْنَبَ فِي وَصْفِهَا - فَصَنَعَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يَا خَلِيلِيَّ مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَأَلِمَّا الْفِدَاةَ بِالْأَطْعَانِ
وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَلَامَهُ فِي ذِكْرِهَا ، فَقَالَ :

لَا تَلْمِزْنِي عَتِيقُ حَسْبِيَ الَّذِي بِي إِنَّ عِنْدِي عَتِيقٌ مَا قَدْ كَفَانِي
* لَا تَلْمِزْنِي فَأَنْتَ زَيْدَتَهَا لِي *

فبدره ابن أبي عتيق ، فقال :

* أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ *

فقال عمر : هَكَذَا وَاللَّهِ قُلْتُهُ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَكَ
رَبِّمَا أَلَمَّ بِي ، فَيَجِدُ عِنْدِي مِنْ عَصِيَانِهِ كَمَا يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ طَاعَتِهِ ^(٣) !

ومثل هذا ما حكى أَنَّهُ أَنشَدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَصِيدَتَهُ
الدَّالِيَّةَ ، فَلَمَّا قَالَ :

* تَشْطُ غَدَا دَارُ جِيرَانِنَا *

(٢) الأغاني ١ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١) من الأغاني .

(٣) الأغاني ١ : ٩٨ .

فبدره ابن عباس ، فقال :

* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ *

قال : هكذا والله قلت ، فقال ابن عباس : إنه لا يكون إلا هكذا^(١) .

وروى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمِيلٍ وَكَثِيرَ عَزَّةٍ ، وَقَالَ :
لِنَشُدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بَيْتًا فِي الْغَزَلِ ، فَأَيْكُمْ كَانَ أَغْزَلَ فَلَهُ هَذِهِ النَّاقَةُ وَمَا
عَلَيْهَا - وَكَانَ قَدْ أَحْضَرَ نَاقَةً مَوْقُورَةً دِرَاهِمَ - فَابْتَدَرَ جَمِيلٌ فِي الْأَوَّلِ وَقَالَ :

وَلَوْ أَنَّ رَافِي الْمَوْتِ يَرَى فِي جَنَازَتِي
بِمَنْطِقِهَا فِي النَّاطِقِينَ حَيْثُ^(٢)

وقال كثير :

وَسَعَى إِلَى بَعِيبِ عَزَّةٍ نِسْوَةٌ
وَقَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

فَلَيْتَ الثَّرِيًّا فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي
لَدَى الْجَنَّةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ فِي جَهَنَّمَ
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : خَذَهَا يَا صَاحِبَ جَهَنَّمَ .

ومن محاسن شعر عمر قوله في قصيدته الرائية^(٣) :

تَهَيَّمُ إِلَى نُفْعٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ
وَلَا الْكَبْلُ مُوَصُولٌ وَلَا أَنْتَ مُقْصِرٌ^(٤)
أَشَارَتْ بِمَذَارِهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا^(٥) :
أَهَذَا الْمَغِيثُ الَّذِي كَانَ يُدْكَرُ !
لَئِنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا
عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فِيضَحِيَّ وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصَرُ^(٦)
أَخَا سَفَرٍ جَوَابُ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ
بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

(١) الأغاني ١ : ٧٣ .

(٣) ديوانه ٩٢ - ١٠٠ .

(٢) ديوانه ٣٨ .

(٥) رواية الديوان :

(٤) الديوان : « أهي » .

* قفي فانظري أسماء هل تعرفينه *

(٦) يضحى : يظهر للشمس ولا يستتر . ويخصر : يبرد .

وليلة ذى دُوران جَسَمَتِنِي السَّرى
وبتَ رَقِيبًا لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا
فَلَمَّا فَقَدْتَ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفِئْتَ
وَحُفْضَ عَنِ الصَّوْتِ أَقْبَلْتُ مِشْيَةً أَلَا
فَحَيِّتُ إِذْ فَاجَأَتْهُمَا فَتَوَلَّيْتُ
وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ : فَضَحَّتَنِي
أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أُمٌّ تَخَفُ
فَلَمَّا تَقَضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
أَشَارَتْ لِأَخْتِهَا : أَعَيْنَا عَلَى فَتَى
خَافِلَتَا ، فَارْتَاعَتَا ، ثُمَّ قَالَتَا :
يَقُومُ فِيمَشِي دُونَنَا مُتَنَكِّرًا
فَكَانَ لِحَيِّ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّبِعِي
هَنِيئًا لِبَعْلِ الْعَامِرِيَةِ نَشْرَهَا أَلَا
أُطَلْتُ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ لِمَا رَأَيْتُ فِيهَا مِنَ الْلفظِ الْمَطْبُوعِ ، وَالانْسِجَامِ
الَّذِي لَا يَتَهَيَّأُ لغيرِهِ مِنَ الشِّعْرَاءِ .

وَمِنْ مُحَاسِنِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَحَقًّا لَنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ
أَفَقِي قَدْ أَفَاقَ الْوَاجِدُونَ وَفَارَقُوا أَلَا
أُمِيتَ حُبَّهَا ، وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالَهَا
أَوَانَبْتَ حَبْلَ الْوَصْلِ قَلْبُكَ طَائِرًا^(١)
هُوى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرُّجَالِ الْمَرَائِرُ^(٢)
وَعِشْرَتُهَا كَبَعْضٍ مِنْ لَا تَعَاشَرُ^(٣)

(١) المعسر : الجارية أول ما أدركت .

(٢) ديوانه ١٠٩ .

(٣) المرائر : جمع مريرة ؛ وهى العزبة .

وهَبَهَا كَشْيءٌ لَمْ يَكُنْ ، أَوْ كِنَازِحَ بِهِ الدَّارُ ، أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
هذا البيت من أحسن ما ذكره أرباب البديع ، وفيه نوع من أنواع التقسيم -
وقوله أيضاً :

بَيْنَمَا يَنْعَمْتَنِي أَبْصُرَنِي مثل قَيْدِ الْمِيلِ يَغْدُو بِي الْأَغْرُ^(١)
قالت الكبرى: ترى مَنْ ذا الفتى؟ قالت الوسطى لها: هذا عُمَرُ
قالت الصغرى وقد تَيَمَّمْتُهَا : قد عرفناه ، وهل يخفى الْقَمَرُ!^(٢)
يقال : إنه رتب كلامهن على قدر عقولهن ، فالكبرى تجاهلت عن
معرفة ، والوسطى أظهرت معرفته ، والصغرى أظهرت معرفته ووصفه
وقوله معارضاً لقصيدة جميل^(٣) :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا قَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي^(٤)
فلما توافقنا عرفتُ الَّذِي بَهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
وَسَلَّمْتُ فَاِسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوِّي مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فَعَلِي
فَقَالَتْ وَأَرْبَحْتَ جَانِبَ السَّيْرِ : إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَهْمٌ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ بِمَحْمَلُهُ مَثَلِي
يقال : إن هذا البيت أحسن ما قيل في وصف السر .
وقوله أيضاً :

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمَجْدُ ابْتِكَارًا قد قضى من تِهَامَةِ الْأَوْطَارِ^(٥)

(١) ديوانه ١٥١ والأغر ، أراد به فرسه .

(٢) رواية الديوان :

قُلْنِ : تعرفن الفتى ؟ قلن : نعم قد عرفناه ، وهل يخفى القمر !

(٣) في قصيدته التي مطلعها :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صرمت حَبْلِي بشينة أو أبدت لنا جانبَ الْبُخْلِ

(٤) ديوانه ٣٣٤ . ويوم الحساب ، أراد به يوم رمى الجمار .

(٥) ديوانه ٤٩٣ .

مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ الْغَدَاةَ سَلِيمًا ففَوَادَى بِالْخَيْفِ أَضْحَى مَعَارَا
لَيْتَ ذَا الدَّهْرِ كَانَ حَتَمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ حَجَّةً وَاعْتِمَارَا

يروى أن سعيد بن المسيّب رضى الله تعالى عنه ، لما سمع هذا البيت قال :
لقد كلف المسلمين شططاً عظيماً ! وإن الله لأرحمُ بهم من أن يبلغه أمنيته .

وأما الشعر الذى ذكر من أجله، فقوله فى هند بنت الحارث بن عوف المريّة :
لَيْتَ هِنْدٌ أَنْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَحْدُ^(١)
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَعِيدُ
وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبْتَرِدُ
أَكَا يَنْعَتْنِي تُبْصِرُنِي عَمَرَ كُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ !
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قَلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَدًا مُجْلَنُهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

* * *

١٠١ - وَكَأَنْتَ إِنَّمَا حَلَلْتِكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمْتِكَ بِسِيمَاكَ ، وَلَمْ تَعِرْكَ
شَهَادَةً ، وَلَا تَكَلَّفْتَ لَكَ زِيَادَةً .

قوله : « وَكَأَنْتَ » عطف على « وَهَبَهَا » .

والْحَلَى : الأوصاف التى يُوصَفُ بها الشَّخص ؛ كأنها مأخوذة من الْحَلَى ،
وهو الزينة .

وَالسِّيَا : العلامة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .
وَالشَّهَادَةُ : العلم بالشئ . والإقرار به .

* * *

١٠٢ - بَلْ صَدَقْتَ سِنَّ بَكْرَهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ .

هذا مثلٌ يُضْرَبُ في الصدق ، وأصله أن رجلاً ساءم رجلاً في بيعٍ ، فقال :
 ما سنُّه ؟ فأخبره أنه ^(١) بَكْرٌ ، ففرّ عنه - أي رأى سنّه ، واحد الأسنان - فقال :
 صدقتني سنُّ بَكْرِهِ ، يروى «سنُّ بَكْرِهِ» بفتح النون على أنه مفعول ، و«سنُّ»
 بضمها على أنه فاعل ، وكلاهما صحيح المعنى . ^(٢)

* * *

١٠٣ - وَوَضَعْتَ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ بِمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَيْتَ بِهِ عَلَيْنَا .

هذا مثلٌ يُضْرَبُ لمن يضع الأمور في محلّها ، وأصله أن الهانيء - وهو
 واضع القطران على البعير الأجرب - يتتبع النَّقَبَ التي في جسد البعير ، وهي
 مبادئ الجرب ؛ وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدُرَيْدٍ ، يقوله في الخنساء .

* * *

[دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ]

وهو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بْنِ الْحَارِثِ الْجُشَمِيُّ ، من هَوَازِنَ ، فارس معروف من
 فُرسَانَ الجاهليّة وشُعْرَائِهَا ، مشهور بالرّأى والظفر ، وأمّه رِيحَانَةُ بنت معد يكرب
 أخت عمرو ، وقتل في غَزَاةِ هَوَازِنَ مشركاً حين غزاهم رسولُ الله صلى الله
 عليه وسلم ، وكان قد أسنَّ وعَجَزَ عن الحرب ، وإِثْمًا حَمِلَ مع القوم لرأيه
 وتدييره ، وهي الواقعة التي أشار فيها برأى ولم يسمع منه ، فقال :

(١) كذا في ت ، وفي ط : «بأنه» .

(٢) انظر الميداني ١ : ٢٦٥ .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ^(١)

وهُزِمَتْ هِوَاظِن ، وَقَتْلُ أَكْثَرِهِمْ . وَقَتْلُهُ رِبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ السُّلَمِيّ ، فِي خَبَرٍ
يَطُولُ ؛ وَقَالَ : لَمَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِهِ وَقَعَ مَتَكْشِفًا ، فَإِذَا عِجَانُهُ وَقَدْ خَذَاهُ مِثْلُ
الْقَرَاطِيسِ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ .

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ أُمَّهُ رِيحَانَةَ قَالَتْ لَهُ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّعْمَةِ :
يَا بُنَيَّ ، إِنْ كُنْتَ عَجَزْتَ عَنْ ثَارِ أَخِيكَ ، فَاسْتَعِنْ بِحَالِكَ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ زُبَيْدٍ ،
فَارْقَ^(٢) لَذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ لَحْمًا ، وَلَا يَشْرِبُ خَمْرًا حَتَّى يَدْرِكَ ثَارَهُ ،
ثُمَّ وَجَدَ غَرَّةً مِنْ غَطَفَانَ فَفَزَاهُمْ ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ قَوْمًا ، ثُمَّ أَسْرَ ذُوَابَ بْنِ أَسْمَاءَ ،
وَأَتَى بِهِ إِلَى فِئَاءٍ [أَبِيهِ]^(٣) قَتَلَهُ ، فَأَخَذَتْ [أُمُّهُ]^(٤) السَّيْفَ وَجَعَلَتْ تَلْحَسُ
الدَّمَ بِلِسَانِهَا إِلَى أَنْ انْقَطَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهِيَ لَا تَعْلَمُ مِنَ الْفَرْحِ ، ثُمَّ قَالَ فِي ذَلِكَ :
جَزَيْنَا بَنِي عَبَّاسٍ جَزَاءً مُؤَفَّرًا بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الدَّنَائِبِ
قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ : لَوْلَا الْقَافِيَةُ لَنَسَبُهُ إِلَى آدَمَ .

وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمَّى أَرْبَابَ الْبَدِيعِ الْأَطْرَادِ لِتَوَالِي الْأَسْمَاءِ مَنْظُومَةً .

وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَالَ : هَجَا ذُرَيْدُ بْنُ الصَّعْمَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ ، فَلَقِيَهُ
عَبْدُ اللَّهِ بِمُكَاطَفٍ وَحَيَّاهُ وَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُنِي يَا ذُرَيْدُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَلَمْ هُجَوْتَنِي ؟
قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ ، قَالَ : أَنَا ابْنُ جُدْعَانَ ، قَالَ : هُجَوْتُكَ لِأَنَّكَ
كُنْتَ امْرَأً كَرِيمًا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ شَعْرِي مَوْضِعَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لَنْ

(١) الْأَغْنَى ١٠ : ٣١ (طبعة دار الكتب) ، وبعده هناك :

أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاءُ صَدَعِ

(٢) الْأَغْنَى : « فَأَقِفْ مِنْ ذَلِكَ »

(٣) مِنْ ت . (٤) الْأَغْنَى ١٠ : ١٣ .

كنت هجوت لقد مدحت ؛ وكساه وحمله على ناقة ، فقال يمدحه :

إليك ابن جُدعان أعملتها مُسومةً للشرى والنَّصَب^(١)
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تَلَاقِي امْرَأً جوادَ الرِّضَا حلِيمَ الغَضَبِ
سَبَرْتُ الْأَنَامَ فَمَا إِنْ أَرَى شبيهه ابن جُدعان وَسَطَ الْعَرَبِ^(٢)
ومن شعر دريد يرى أخاه :

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا فقلت : أَعْبَدَ اللَّهُ ذَلِكُمُ الرِّدَى^(٣)
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
صَبُورٌ عَلَى وَقَعِ النَّوَائِبِ حَافِظُ من اليومِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
أَغَاذِلِي كُلِّ امْرئٍ وَابْنِ أُمِّهِ متاعٌ كَزَادِ الرَّاكِبِ الْمُتَزَوِّدِ
وقوله :

أَيَا ذُفَافَةَ مَنْ لِلْخَيْلِ إِنْ طُرِدَتْ واضطرها الطَّغْنُ فِي وَغْثٍ وَإِجَافٍ^(٤)
يَا فَارِسَ الْخَيْلِ فِي الْهَيْجَا إِذَا اشْتَغَلَتْ كلتا اليدين كرويًا غيرَ وَقَافٍ
قوله : « اشْتَغَلَتْ كِلَتَا الْيَدَيْنِ » ، يعني يمسك العنان بيدٍ ويضرب بالأخرى .
ثم قال :

عَبْرَ الْفَوَارِسِ مَعْرُوفٌ بِشِكَّتِهِ كافٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ كُرْبِيَّةٍ كَافٍ
- يعني أن الفوارس ترى منه ما يُبَيِّنُ أَعْيُنُهُمْ وَيَسْتَمِعُهَا .
وقوله فِي يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ حِينَ سَأَلَهُ رَدَّ مَالٍ جَارِهِ :
أَمْرَتُكُمْ تَرُدُّوهُ مَالٍ جَارِي وَأُسْرَى فِي كُتُبِهِمُ الثَّقَالِ^(٥)

(١) الأغاني ١٠ : ٢١ ، وروايته : « مخففة للشرى » .

(٢) الأغاني : « رحلت البلاد » . (٣) الأغاني ١٠ : ٨ ، ٩ .

(٤) الأغاني ١٠ : ١٠ . الوعث : الطريق الحسن .

(٥) الأغاني : ١٠ : ٣٦ ، وروايته :

* بنى الديان ردّوا مالي جاري *

فَأْتَمُّ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضْلٍ وَأَيْدٍ فِي مَوَاهِبِكُمْ طَوَالٍ
مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ حَبَائِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السُّؤَالِ
وقوله أيضاً :

أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرِهِ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
يُفَارِ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيَسْتَقْفِي بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نَغِيرَ عَلَى وَتَرٍ
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ يَبْنَانَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ
وَأَمَّا الشَّعْرُ الَّذِي ذَكَرَ بِسَبَبِهِ ، فَإِنَّهُ مَرَّ بِالْخُنْسَاءِ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ،
- وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا - وَهِيَ تَهْنَأُ بَعِيداً لَهَا ، وَقَدْ تَبَدَّلَتْ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْهُ ،
ثُمَّ نَضَتْ عَنْهَا ثِيَابَهَا وَاغْتَسَلَتْ - وَدُرِيدُ يَرَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِهِ - فَأَعْجَبَتْهُ ،
وَانْصَرَفَ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وَارْبَعُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَإِنَّ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي ^(١)
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ هَانِيٍّ أَيْتَقِي جُرْبَ
مُتَبَدِّلاً تَبَدُّو مُحَاسِنَهُ يَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ
وَتُمَاضِرُ اسْمُ الْخُنْسَاءِ - ثُمَّ خَطَبَهَا ، فَرَدَّتْهُ لِكِبَرِ سِنِّهِ ، فَهَجَّاهَا ، فَقِيلَ لَهَا :
أَلَا تَجِيبِيْنَهُ ؟ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَجْمَعَ عَلَيْهِ أَنْ أُرَدَّهُ وَأَهْجُوهُ !

* * *

١٠٤ - فَأَلْمَعَيْدِي تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

هذا مثلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَكُونُ خُبْرُهُ خَيْراً مِنْ مَنْظَرِهِ ؛ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ النَّمَانُ
لشَقَّةِ بْنِ ضَمْرَةَ ^(٢) ، فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ ^(٣) . مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى مَالِ النَّمْعَانِ ، وَيُطَلِّبُ

(١) الأغانى ١٠ : ٢٢ .

(٢) في الملاحية من نسخة : « لسعيد بن ضمرة » .

(٣) انظر الميداني ١ : ٧٦ .

فلا يقدّر عليه ؛ إلى أن أَمِنَهُ النعمان ، وكان يعجبه ما يسمع عنه ، فلما رآه
استزرى منظره ؛ فقال : « لأنّ تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه » ، فقال :
أَيُّتَ اللعن ! إن الرجال ليسوا^(١) بجزر ، وإنّما يعيش المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .
ومُعَيِد اسم قبيلة ، وفيها يقول الشاعر :

* سَتَعْلَمَ مَا تَغْنَى مُعَيِّدٌ وَمَعْرِضٌ *

* * *

[النعمان بن المنذر]

والنعمان هذا هو ابن المنذر بن النعمان بن عمرو ، آخر ملوك العرب بالحيرة
من قبل كسرى .

وله أخبار وأقوال ؛ ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى في فضل
العرب ؛ وذلك أنه وفد على كسرى ، وعنده وفود الرّوم والهند وغيرهم ، فذكروا
ملوكهم وفضلهم ، وأفاض النعمان في ذكر العرب وفضلهم على الأمم ، لا يستثنى
فارس ولا غيرها ؛ فتمعر وجه كسرى^(٢) ، وذكر كلاماً ينتقص فيه العرب ،
ويفضل عليهم الأمم ، فقال النعمان : أصلح الله الملك ! أما أمتك فليست تنازع
في الفضل لموضعها الذي هي به ؛ من عقلها وحلمها ، وبسط حكمها ، وما أكرمها الله
تعالى به من ولاية آبائك ، وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فأتى أمة تقرنها
بالعرب إلا فضلتها . فقال كسرى : بماذا ! قال : بعزتها ومنعتها ، وبأسها
وسخائها ، وحسن وجوها ، وحكمة ألسنتها ، ووفائها ، وأحسابها وأنسابها .

فأما عزتها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورةً للملوك الذين دوخوا البلاد ،
وقادوا الجنود ، لم يطمع فيهم طامع ؛ حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض

(١) ت : « ليست » .

(٢) تمعر وجهه : تغير في غضب .

وَجَنَّتْهُمُ السَّيْفُ^(١) ، وَعَدَّتْهُمُ الصَّيْرُ ، إِذْ غَيْرَهُمُ مِنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا عَزَّهَا الْحَجَارَةُ
وَالطِّينُ ، وَجَزَأُهَا الْبَجَارُ .

وَأَمَّا سَخَلُوهَا ؛ فَإِنْ أَذَتْهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَكُونُ عِنْدَهُ الْبَسْكَرَةُ أَوِ النَّابُ ، عَلَيْهَا
بِلَاغُهُ مِنْ حُكُولَتِهَا ، وَشَبَعُهُ وَرِيَّةُ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفَلْدَةِ ،
وَيَحْتَزِي بِالشَّرْبَةِ ، غَيَقَرَهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ لَهُ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ
حَسَنَ الْأَحْدُوثة ، وَطِيبَ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حَسَنُ وَجُوهِهَا وَأَلْوَانِهَا ؛ فَقَدْ يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ
الْهِنْدِ لِلتَّحْرِقَةِ ، وَالرُّومِ لِلْقَشْرَةِ ، وَالتَّرْكِ لِلْمَشْوَةِ .

وَأَمَّا أَلْسِنَتُهَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَرَوْنِي كَلَامِهِمْ وَحَسَنَهُ وَوزَنَهُ ،
وَضَرَبَهُمُ الْأَمْثَالَ ، وَمَعْرِفَتَهُمُ بِالْإِشَارَةِ ، وَإِبْلَاغَهُمْ فِي الصِّفَاتِ مَا لَيْسَ فِي أَلْسِنَةِ
الْأَجْناسِ .

وَأَمَّا وَقَاؤُهَا ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَبْلُغُهُ أَنْ أَحَدَ الرِّجَالِ اسْتَجَارَ بِهِ ، وَعَسَى
أَنْ يَكُونَ نَائِيًا عَنْ دَارِهِ ، فَيَصَابُ فَلَا يَرْضَى حَتَّى يَفْنِيَ تِلْكَ الْقَبِيلَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ ،
أَوْ يَصَابُ قَبْلَهُ ؛ لِمَا أَخْفَرَ مِنْ جَوَارِهِ . وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَرْفَعُ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ
رَهْنًا لَا يَفْلُقُ وَلَا تَخْفَرُ ذِمَّتُهُ .

وَكَذَلِكَ تَمَشُّكُهَا بِشَرِيعَتِهَا ، وَهُوَ أَنْ لَهَا أَشْهَرًا حُرْمًا ، وَبَيْنًا مَحْجُوجًا ،
يَنْسَكُونَ مِنْهُ مَنَاسِكَهُمْ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِ
ثَارِهِ فَيَمْنَعُهُ دِينُهُ ، وَيَحْجِزُهُ كَرَمُهُ [عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى] .^(٢)

وَأَمَّا أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا ؛ فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ جَهَلَتْ أَصُولَهَا ،
وَكَثِيرًا مِنْ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ يُسْأَلُ عَمَّا وَرَاءَ أَبِيهِ فَلَا يَنْسِبُهُ
وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا يُسَمَّى أَبَاهُ أَبَا فُأْبَا ؛ حَاطُوا بِذَلِكَ

(١) ت : « السيف » .

(٢) من ت .

أحسابهم ، فلا يدخلُ رجلٌ في غير قومه ، ولا يدعى لغير أبيه .
وأما قول الملك : إنهم يثدّون أبناءهم ؛ فإنما يفعله منهم مَنْ يفعله بالإناث ؛
أنفةً من العار ، وغيره من الأزواج .

وأما قوله : إن أفضل طعامهم لحومُ الإبل ، فأتروا مادونها إلا احتقاراً ؛
فعمدوا إلى أجلبها قدرًا ، وأغلاها ثمنًا ؛ فكانت مراكبهم وطعامهم ؛ مع أنها
أكثر البهائم لحومًا وشحومًا .

وأما تحاربهم وترك ائقيادهم لرجل يسوسهم ، فإنما يفعل ذلك مَنْ يفعله
من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفًا ، وتخوّفت نهوض عدوها ، وإنه إنما يكون
في بيت الملك واحد يعرفون فضله ^(١) ، فيلقون أمورهم إليه ؛ فأما العرب فإن ذلك
كثير منهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين ، مع أنقتهم من أداء
الخراج والعشر وما أشبه ^(٢) ذلك .

فمجب كسرى من منطقهِ ، وكساه من كِسوته ، وردّه إلى الخيرة .

* * *

ومن ظريف أخبار النعمان ، أنه كان قد حمى ظهرَ الكوفة وشقائقها -
ومن هناك يقال : شقائق النعمان - فانفردَ يوما عن عسكره ، فإذا هو بشيخ
يُخَصِّف نعلًا ، فقال : ما أنزلك هاهنا ؟ قال : طردَ النعمان الرّعاء ، فأخذوا يمينًا
وشمالًا ، فاتّهيتُ إلى هذه الوَهْدَةِ ، فَنَتِجَتِ الإبل ، وولدت الغنم - والنعمان معتمٌ
لا يعرف - فقال : أو ماتخاف من النعمان ! قال : وما أخاف منه ، ولربما سرتُ
يدي هذه بين عانة أمّه وسرّتها ! فلما سمع النعمان قوله ، سَقَر عن وجهه ،
فإذا خرزاتُ الملك تلمع ، فلما رآه الشيخ ، قال : أبيت اللعن ! لا ترى أنك

(٢) ت : « ونحو ذلك » .

(١) ت : « يعرفون فضله » .

نظفرت بشيء ، فقد علمت العرب أنه ليس بين لابتيمها^(١) شيخ أكذب مني !
ففضحك النعمان ، وحلم عنه ، مع تجبره وعظمته .

ومات النُّعْمان بساباط المدائن ، طرحه كسرى تحت أرجل القيلة فخبطته
حتى مات ، وذلك بتحليل عدى بن زيد كاتبه ؛ وذلك أن كسرى أرسل يخطب
إبنة النعمان لنفسه ، فقال النعمان للرسول : أما كان في عين السواد ما يكفي
الملك ! فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه ، فسأل عنه عدياً ، فقال : إنه أف من
مصاهرة الملك ، وقال : يكفيه بقر العراق ؛ فغضب واستدعى النعمان وقتله^(٢) .

* * *

١٠٥ - هَجِينُ الْقَذَالِ ، أَرْعَنُ السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ ،
مُفْرَطُ الْحَقِّ وَالْغَبَاوَةِ .

الهجين من الناس : مَنْ في نسبه هُجْنَةٌ ، أى قُبْحٌ ، وكذلك المقرِفُ ، وهو أن
يكون أحدُ أبويه قد دخل في العبودية . ويقال : إن المقرِفَ من قبل الأب ،
والهجين من قبل الأم . وتقول العرب : فلان هَجِينُ الْقَذَالِ ، أى يَتَبَيَّنُ لَوْمُ
نَسَبِهِ فِي قَذَالِهِ .

وَالْقَذَالُ : جَمَاعٌ^(٣) مؤخر الرأس ، وخصَّ القَذَالُ لأنَّ الذى يُعْرِفُ لَوْمَ نَسَبِهِ ،
إِذَا وَلَّى طَأْطَأَ رَأْسَهُ حَيَاءً وَذَلَالاً ، فَكَانَ اللَّوْمُ يَتَبَيَّنُ مِنْ قَذَالِهِ . وقيل : لكثرة
انهزامه في الحروب .

وَالْأَرْعَنُ^(٤) : الْأَحْقُ ، مأخوذٌ إمَّا من الرَّعْنِ ، وهو الاسترخاء ، وإمَّا من
الرَّعْنِ بالتسكين ، وهو أنف الجبل المائل ، فَكَانَ الْأَحْقُ مَائِلٌ عَنِ الصَّوَابِ .

(١) كذا في ت ، وفي ط : « بينها » . (٢) ت : « فقتله » .

(٣) ت : « جميع » . (٤) بعدها في ت : « والرَّاعَن » .

وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾^(١) هذا المعنى ، فإنهم كانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم ، يقصدون به رميته بالرعونة ، ويوهمون أنهم يقولون : « راعنا » من المراجعة ، أى احفظنا .

والسَّبَال : جمع سَبَلَة ، وهى شعر الشفة العليا ، شُبِّهَتْ بِسَبَلِ المطر لما فيها من التحدر ، وخصت الرعونة بالسبال لأنها علامة الرُّجُل ؛ وللعنى أن هذه المرأة تُسمِعنا عنك الأوصاف الجميلة ، فإذا نُظِرَتْ واختُبِرَتْ فانت على هذه الأوصاف الذميمة .

والعِلاوة : الرأس ما دام على العُنُق ، يقال : ضربت عِلاوته ؛ ويقال فى الفِرَاسة : إنَّ طول العنق والرأس من دلائل الحُمق .

* * *

١٠٦ - جَانِي الطَّبَعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ؛ بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ،
سَخِيفُ الدَّهَابِ وَالْجِيئَةِ ؛ ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُنْتِنُ
الْأَنْفَاسِ ؛ كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ .

الجفاء : التَّبَوُّ والتَّبَاعِد ، والأصل ، من جَفَا السَّرْجُ عن الفرس إذا نبا ..
وَالطَّبَعُ : السَّجِيَّة ، وهو نقش النَّفْسِ بصورةٍ مَا ، وذلك إما من جهة الْخِلْقَةِ ،
أو من حيث الْعَادَةِ ، مأخوذٌ من طَبَعَ الدَّرْهَمُ ، أى تصوّره بصورة مَا .
وسَيِّئُ الْجَابَةِ^(٢) : يعنى يسمع الشئ على غير حقيقته ، ويُجِيبُ كذلك .
إِذَا مِنَ الْبَلَّةِ ، أو الطَّرَشِ ، وهو مثل للعرب ، يقولون : «سَاءَ سَمْعًا - أو أَسَاءَ سَمْعًا -

فَأَسَاءَ^(١) جَابَةً ، قَالَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَنْسُ بْنُ سُهَيْلٍ ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مَعَهُ ، فَوَجَدَهُ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : ابْنِي ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا فَتَى ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أُمِّي فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ أَبُوهُ : « أَسَاءَ سَمِعَا فَأَسَاءَ جَابَةً » .

وَلِسُهَيْلٍ هَذَا حِكَايَةٌ فِي الْكَرَمِ عَجَبِيَّةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَسَكَنَ لِلْبَادِيَةِ إِلَى أَنْ حَضَرَ الْيَزِيدُوكَ وَاسْتَشْهَدَ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا صَرَعَ مَرَّةً بِهِ رَجُلٌ وَهُوَ بَاخِرُ رَمَقٍ^(٢) ، فَقَالَ : اسْقِنِي ، فَأَتَاهُ بَشْرَبَةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَنَظَرَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَهُوَ صَرِيْعٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَيْهِ بِالشَّرْبَةِ ، فَلَمَّا تَنَاوَلَهَا رَأَى عِكْرِمَةَ فِي حَالِهِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَيْهِ بِالشَّرْبَةِ ، فَذَهَبَ بِالشَّرْبَةِ إِلَى عِكْرِمَةَ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ ، فَرَجَعَ بِهَا إِلَى الْحَارِثِ فَوَجَدَهُ مَيِّتًا ، فَرَجَعَ بِهَا إِلَى سُهَيْلٍ فَوَجَدَهُ مَيِّتًا ، وَمَاتَ الثَّلَاثَةَ قَبْلَ أَنْ يَذُوقَهَا .

وَالْهَيْئَةُ : الْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الشَّيْءُ ، مُحْسُوسَةٌ كَانَتْ أَوْ مَعْقُولَةٌ ، وَهِيَ فِي الْحُسُوسَةِ أَكْثَرُ .

وَالسُّخْفُ : رِقَّةُ الْعَقْلِ ، وَقَدْ سَخُفَ سَخَافَةً ، فَهُوَ سَخِيفٌ ، وَالْوَسْوَاسُ : الْخَطَرَاتُ الرَّدِيئَةُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ، مَأْخُوذٌ مِنْ وَسْوَاسِ الْحَلِيِّ ، وَهُوَ صَوْتُهُ الْخَفِيُّ . وَدَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عَلَى الْمَأْمُونِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ عِنْدَهُ ، فَأَقْرَحَ الْحَسَنُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَقْنِيَهُ فَقَنَّى :
« تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ » .

يَعْرِضُ بَوْسْوَاسٍ كَانَ فِي الْحَسَنِ .

وَالْمَثَالِبُ : النِّقَاصُ ، مَأْخُوذٌ مِنْ ثُلْبِ الرَّمْحِ إِذَا تَنَلَّمَ .

(١) ت : فأساء ، ج : فأساء ، (٢) ت : فأساء ، ج : فأساء ، فأساء

١٠٧ - كَلَامُكَ تَمَتَّةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَمَمَةٌ ، وَيَا أَنْكَ قَهْقَهَةٌ ، وَضَحِكُكَ قَهْقَهَةٌ .

التَّمَتَّةُ والغَمَمَةُ : مِنْ مَتَابِ النُّطْقِ الْمَعْدُودَةِ ، قَالَ الْجَاهِظُ : التَّمَتَّةُ التَّرَدُّدُ فِي التَّاءِ ، وَالْفَافَةِ التَّرَدُّدُ فِي الْفَاءِ ، وَالْعُقْلَةُ التَّوَاءُ اللِّسَانِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْكَلَامِ ، وَالْخُبْسَةُ تَعَذُّرُ الْكَلَامِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ ، وَاللَّفْظُ إِدْخَالُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ ، وَالزَّرْتَةُ تَمْنَعُ الْكَلَامَ ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ اتَّصَلَ ، وَقِيلَ : الْعَجْمَةُ فِيهِ ، وَاللُّغَةُ أَنْ يَعْدَلَ مِنْ حَرْفٍ إِلَى حَرْفٍ ، وَالْعُنَّةُ أَنْ يُشْرَبَ الْحَرْفُ صَوْتُ الْخَيْشُومِ ، وَالْخَفَّةُ أَشَدُّ مِنْهَا ، وَاللُّكْنَةُ أَنْ يَعْتَرِضَ الْكَلَامَ حَرْفٌ أَعْجَمِيٌّ ، وَالطَّمْطَمَةُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ شَبِيهَاً بِالْعَجَمِيِّ . وَالْغَمَمَةُ أَنْ يُسْمَعَ الصَّوْتُ وَلَا يَبِينُ تَقْطِيعُ الْحُرُوفِ .

قال أبو عبيدة : كان رجلٌ من المشركين يحدّ حربته عند فتح مكة ، فقالت له امرأته : ما تصنع ؟ قال : أخذتُ الحزبة لقتل محمد وأصحابه ؛ فلما هزمَ المشركون قال [منشداً هذه الأبيات] ^(١) :

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَقْوَانُ وَفَزَّ عِكرِمَةُ
وَإِذْ عَلَيْنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ ضَرْبًا فَمَا نَسْتَعِ إِلَّا غَمَمَةً

وقال معاوية يوماً : مَنْ أَفْصَحُ النَّاسِ ؟ فقال : رجلٌ من السَّمَاطِ : قَوْمٌ تَبَاعَدُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تَمِيمٍ ، وَتَنَافَرُوا عَنْ كَسْكَسَةِ بَكْرٍ ، لَيْسَ فِيهِمْ غَمَمَةٌ قَضَاعَةٌ ، وَلَا طَمْطَمَةٌ حِمِيرٌ . فقال معاوية : مَنْ أَوْلَتْكَ ؟ قال : قَوْمِي ، قال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَنَا رَجُلٌ مِنْ جَرَمٍ .

قوله : « كَشْكَشَةُ تَمِيمٍ » ، فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، إِذَا ذَكَرَتْ كَافَ لِلْمَوْنَةِ

(١) مِنْ ت ؛ وَالرَّجُزُ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ١ : ٣٥٦ ، وَنَسَبَهُ إِلَى حِمَارِ بْنِ قَيْسٍ -
مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ .

فوقفت عليها ، أبدلت منها شيئاً . قال بعضهم : هل لك أن تنفعيني وانفَعشِ ،
وتُدخلين اللّذمعي في اللّذمعش ؟ بعني وأنفعك ، واللّذمعك .
وكسكسة بكر أنهم يثبتون حركة كاف المؤنث ، ويزيدون عليها شيئاً ،
يقولون : تنفعكس ، واعطيتكس .

والغمضة لقضاة ، وقد ذكرت . والمفهمة : عى في المنطق . والقمهية :
صفة الضحك الشديد ، كأن الضاحك يقول : قه قه ، وهي (١) ، خضلة مذمومة
في الإنسان ، دالة على قلة العقل (٢) .

* * *

١٠٨ — وَمَشِيكَ هَرَوَلَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ؛ وَدَيْنُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ
مَحْرَقَةٌ .

الهرولة : ضرب من العدو ؛ وهو بين المشي والعدو ، وعدّها هنامن المايب ؛
لاقتنائها بذكر المسألة ، يعني أنه سائل نهم (٣) سريع المشي ، للطلب والكُدية .
والزّنادقة في الأصل : الثنوية ، وذلك أن زرادشت المجوسى لما ظهر ببلاد
الشرق ، ودعا إلى عبادة النيران لما رأى في تلك الأماكن من البرد والثلج ،
ورغبة أهلها في النار (٤) اتبعوه . وكان صاحب حيل وسحر ، ويقال : إنه كان
صحب شعيبا عليه السلام ، وكان يخبره بوقائع تقع ، ثم كفر ، ووضع كتابا زعم
أنه أنزل عليه مكتوباً بآباء الدّهب ، فصعبت عليهم قراءته ، فوضع له شرحاً سماه
الرّزند ، ثم لما ظهر مَزْدَك زاد في شرحه ، وفي اسم الكتاب ، فقال : « زندين »
فلما جاءت العرب قالت : « زنديق » ، ويسمى من مال إلى هذا المذهب

(١ - ٢) ت : « وهو مذموم من الإنسان » .

(٣) ت : « واتبعوه » .

(٤) ت : « لهم » .

أوماقاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا ؛ وأكثرهم في الإسلام نوع من الجهمية ، أصل اعتقادهم أنه ليس ينبغي لأحد أن يثبت لنفسه رباً ؛ لأنه لا يمكنه الإثبات إلا بالعين أو الإدراك بالحواس ، وقالوا : مالا يدرك ليس ^(١) بالله لأنه مجهول ، وما يدرك فلا ينبغي أن يثبت ، وسلكوا على هذه ^(٢) الطريقة ، وأباحوا إتيان المحرمات ، وترك العبادات ، لإنكارهم البعث ، وجحودهم الشريعة ، وسيلهم مذهب مزدك في إباحة النساء ، وأن الناس كلهم سواء فيهن ، ولذلك قيل للمنهمك في لذاته واللعب والبطالة : يا زنديق . وقيل له : أظرف من زنديق .

وسئل بعضهم عن الأضحى ، فقال : وباء يقع في البقورة والأغنام .

وقتل منهم المهدي خلقاً كثيراً ؛ وذلك أنه رأى في المنام كأن الكعبة قد مالت فدعها هو وشخص حتى قامت ، فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذي رآه في المنام ، فأتى بزنديق يقال له : حمدون على الصفة ، فاستتابه فتاب فأمره ^(٣) بتتبع الزنادقة ، فإنه كان يعرف عامتهم ، فدله على خلق كثير فقتلهم .

وكان جيد الفراسة فيهم حتى إنه مر بمؤذن مظهر للصالح ، فسمعه يقول في أذانه : أشهد أن محمداً رسول الله ، بفتح اللام ، فوقع في ظنه أنه زنديق ؛ لأنه لم يضم اللام ؛ فقبض عليه ، وقرره ، فوجده زنديقا . وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ، ويبرز لأكثرهم خرقه مصوراً ^(٤) فيها صورة ماني ، وهي صورة سمجة غليظة المشافر ، فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ، ويختار القتل دون ذلك فيقتل ، وكان أكثرهم ثنوية .

والمخرقة : نوع من التوصل [إلى] ^(٥) حيل بإظهار الخرق الذي هو ضد الزفق

(١) ت : « فليس » .

(٢) ت : « بهذه » .

(٣) ت : « أمره » .

(٤) ت : « حيلة » .

(٥) من ت .

والتقدير^(١)، ومنه يقال : الحراق ، وهو شيء يلعب به ، كأنه يخرج لإظهار الشيء بخلافه .

* * *

١٠٩ - مَسَاوِ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي لَمَّا أُمِهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

هذا البيت لأبي تمام الطائي ، من أبيات يهجو بها [خالدا]^(٢) الأعمش ، وهي :
 دَعِ ابْنَ الْأَعْمَشِ الْمُسْكِينَ يَبْكِي لَدَاءَ ظَلٍّ مِنْهُ فِي وَثَاقٍ^(٣)
 لِبُسِّ الدَّاءِ وَالذَّاءِ اسْتَكْفَا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاجَةِ وَالْخِلَاقِ
 كَلَّمْتُ بِقَبِيحِ صَوْرَتِهِ فَأُضْحَى لَهَا إِنْسَانُ عَيْنِي فِي السَّيَاقِ
 مَسَاوِ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي لَمَّا أُمِهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
 يعنى أن صفاته لو تقسّمت على الغواني - وهن النساء اللواتي غنّين بأزواجهن -
 لم يعطهن الأزواجُ مهرًا غير الطلاق ، بنضا فيهنّ ، وراحة منهنّ ، لما اكتسبن
 من المساوئ والقبايح :

* * *

١١٠ - حَتَّىٰ إِنَّا بِأَقْلًا مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ .

[باقل]

يعنى باقل بن عمرو بن كغلبة الإيادي ، الذي يُضْرَبُ به المثل في العي فيقال :
 « أعيّا من باقل » .

قال أبو عبيدة : بلغ من عيّه أنه اشترى ظيياً بأحد عشر درهما ، فلقبّه

(١) ت : « والتقدير » .

(٢) من ت ، وفي مختارات البارودي : « يهجو الأعمش » .

(٣) مختارات البارودي ٤ : ٤٠٧ .

شخص وهو مَعَهُ ، فقال : بكم اشتريتَهُ ؟ ففتح كَفَّيْهِ ، وفرَّقَ أصابعه ، وأخرج لسانه - يشير بذلك إلى أحد عشر - فهرب الظبي مِن كَفِّهِ .

وضربوا به المثل في العِي ، قال حميد الأرقط يهجو ضيفاً له :

أَتَانَا وَمَادَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٌ بَيَانَا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ^(١)
فَمَازَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقْلُ
سَحْبَانُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَلَاغَةِ . وَاللَّقْمُ - بِالْفَتْحِ
ثَمَّ السَّكُونِ : سَدُّ الْفَمِ بِاللَّقَمِ .

وقال أبو العلاء المعري في لاميته :

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرٌ وَعَبَّرَ قُسًا بِالْفَهَاهَةِ بِاقْلُ^(٢)
وَقَالَ الشُّبَّاءُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ خَفِيَّةٌ وَقَالَ الدُّجَى لِلضُّبْحِ لَوْ نُكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاحَرَتِ الشُّبَّاءُ الْخَصَا وَالْجُنَادِلُ
فِيَا مَوْتَ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ دَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلُ

الطائي : هو حاتم المشهور بالكرم . ومادر : اسم رجل من بني هلال بن عامر .
ابن صمصمة ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبُخْلِ ؛ لِأَنَّهُ سَقَى إِبْلَهُ مِنْ حَوْضٍ فَبَقِيَ فِي أَسْفَلِهِ
قَلِيلُ مَاءٍ ، فَسَلَحَ فِيهِ ، وَمَدْرَبَهُ - أَيْ لَطَخَهُ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ - بِخَلٍّ أَنْ يَسْقَى
غَيْرَهُ ، فَصَارَ مَثَلًا يَضْرَبُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

لَقَدْ جَلَّتْ خِزْيًا هَلَالُ بْنُ عَامِرٍ بَنِي عَامِرٍ طُرًّا بِسَلَحَةٍ مَادِرٍ^(٣)
وَقَسَّ بِنِ سَاعِدَةِ الْأَيْدِي ، أَسْقَفَ نَجْرَانَ ، وَكَانَ أَحَدَ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ
وخطبائهم ، يَضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَصَاحَةِ . وَالْفَهَاهَةُ : الْعِي ، يَقَالُ : رَجُلٌ فَهٌ ،
وَامْرَأَةٌ قَهَةٌ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَمْ تُلْفِنِي قَهًا وَلَمْ تُكَلِّمْ حُجَّتِي مَلْجَلَجَةً أَبْنَى لَهَا مَنْ يَقِيمُهَا

والشَّهَاءُ : كوكب خفي في بنات نقش الكبرى ، والنَّاسُ يمتحنون به
 أبصارهم ، وفي المثل : « أريها الشَّهَاءُ وتريني القمر »^(١) .
 وقد ضمن هذا المثل الشيخُ شمس الدين النَّواجِي ، صاحبُ « حَلَبَةِ الكَمِيت »
 حيث قال :

مرضتُ فعادتُ وأبدتُ سَنَا محيَا يَرَوُّ لعيني النظرُ
 وبثُّ ولى جسدٌ ناحِلٌ أريها الشَّهَاءُ وتريني القمرُ
 وضمنتُ أنا عجز بيت المعرى قفلت :

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره وعير قسًا بالقَمْهَاءِ باقلُ
 والبلاغة بلوغ الدرجة العالية في النطق ، والمعنى في قوله : إنَّ باقلًا بالنسبة
 إليك يكون بليغا .

١١١ - وَهَبَّئَقَ مُسْتَوْجِبٌ لاسمِ الْعَقْلِ إِذَا أَضِيفَ إِلَيْكَ .

[هَبَّئَقَ]

يعنى يزيد بن قزوان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب هَبَّئَقَ ، والمكنى
 بأبي الودَّعات ، لأنَّه نظم ودَّعًا لنفسه في سِلَكٍ وجعله في عنقه علامةً لنفسه .
 لثلاً يضيع ؛ قيل : إنَّ أخاه راقبه إلى أن نام ، فأخذ العِقْدَ من عنقه ، وجعله
 في عُنُقِ نَفْسِهِ ، فلما انتبه هَبَّئَقَ ورأى أخاه قال له : أنت أنا ، فأنا ترى من
 هو أنا ! ولهذا يضرب به المثل في الخُلق . وهو جاهلي .

ومن أخباره أنه كان إذا رعى غنماً أو إبلاً جعل يختار المراعى للسمان .

وَنَحَى الْمَازِيلَ ، وَقَالَ : لَا أَصْلَحَ مَا أَفْسَدَ اللَّهُ !
ومنها أنه اختصم إليه بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدعونه ، فقال
هبنقة : ارموه في البحر ، فإن رسب فهو من بني راسب ، وإن طفا فهو من
بني طفاوة .

ومنها أنه رأى مع الناس جراداً قد أقبل ، فقال : لا يهولكنكم ما ترون ،
فإن أكثرها موتى .

واشترى أخوه بقرةً بأربعة أعنز ، فركبها ، فأعجبه عدوها ، فالتفت إلى أخيه
سوقال : زدهم عنزاً أخرى ، فضرب به المثل للمعطى بعد إمضاء البيع ، ثم سار بها
فراى أرنباً تحت شجرة ، ففزع منها ، وركض البقرة ، وقال :
اللَّهُ نَجَانِي وَنَجِّي الْبَقَرَةَ مَنْ جَاظِ الْعَيْنِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

وروى أن مالك بن مسمع قال للأحنف بن قيس مازحاً ، وهو يفتخر
بإلتربعية على المضرية : لأحق بكر بن وائل أشهر من سيد بني تميم - يعني
بالأحق هبنقة القيسي ، فقال الأحنف : لتيس بني تميم أشهر من سيد بكر
ابن وائل ، يعني تيس بني حمان الذي قتال فيه : أعلم من تيس بني حمان ،
يزعمون أنه نزا على عنزٍ بعد أن فرت أوداجه .

* * *

١١٣ - وَطُوَيْسًا مَأْمُورًا عَنْهُ يَمْنُ الطَّائِرُ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ .

[طويس]

هو عيسى بن عبد الله ، مولى بني مخزوم ، وكنيته أبو عبد التَّعِيمِ ، كان مخنثاً
ملاجناً ظريفاً ، يسكن المدينة ، وهو أول مَنْ غَنَى بها على الدَّفِّ بالعربية ،
ويُضْرَبُ به المثل في الشُّومِ ، وذلك أنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وفُطِمَ يوم مات أبو بكر، وخُتِنَ يوم قُتِلَ عُمَرُ، وتَزَوَّجَ يوم قُتِلَ عُمَانُ؛^(١) وكانت أمّه تمشي بالنميمة بين نساء الأنصار.

وله أخبار تدلّ على مكره وفطنته، قال: كان عبد الله بن جعفر - ومعه أخدان له - في عشية من عَشَايَا الرَّبِيعِ، فراحَت عليهم السَّمَاءُ بِمَطَرٍ جَوْدٍ^(٢) أَسَالَ كُلَّ شَيْءٍ، فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟ وهو منزّه أهل المدينة في الربيع والمطر - فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه، وهو يرمى بالزبد [مثل مدّ الفرات]^(٣) فَأَنَّهُمْ لِيَنْظُرُونَ إِذْ جَادَتْ^(٤) السماء، فقال عبد الله لأصحابه: ليس معنا جنة نستجئ بها، وهذه سماء خليقة أن تبلّ ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس، فإنه قريب منا، فنسكن فيه، ويحدّثنا ويضحكننا! قال: وطويس في النّظّارة يسمّع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يروه - فقال [له]^(٥) عبد الرحمن بن حسان: جُعِلَتْ فداك! وما تريد من منزل طويس، عليه غضب الله! مَخَنَّثُ شَائِنٍ لِمَنْ عَرَفَهُ، فقال عبد الله: لا تَقُلْ ذَاكَ، فإنه [مليح]^(٥) خفيف لنا، فيه أنس، فلما استوفى طويس الكلامَ تعجّل إلى منزله فقال لامراته: وَيَنْحَاكِ! قد جاءك^(٦) سيّد الناس! عبد الله بن جعفر، فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق^(٧)، وكانت [عندها عتيقة] قد ربّتها للبن، واختبز رقاقا فبادر فذبحها، وعجنت هي، وخرج وتلقاه مقبلا إليه، فقال له طويس: بأبي أنت وأمي، هذا المطر! هل لك في المنزل فتسكن به إلى أن تكفّ السماء؟ قال: إياك أريد. قال: فامض ياسيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا.

(١) الأغاني ٣ : ٢٧ ، وبعده : « وولد له يوم قتل على رضوان الله عليه » .

(٢) ط : « جودي » ؛ وأثبت ما في ت والأغاني .

(٣) من الأغاني . (٤) الأغاني : « حاجت » .

(٥) من الأغاني . (٦) الأغاني : « جاءنا » .

(٧) العناق : الأنثى من ولد المعز .

فَتَحَدَّثُوا إِلَى أَنْ أَدْرَكَ الطَّعَامُ^(١) ، فَاسْتَأْذَنَهُ عَلَيْهِ^(٢) ، وَأَتَى بِعَنَاقٍ سَمِينَةٍ وَرُقَاقٍ ،
فَأَكَلَ وَأَكَلَ الْقَوْمُ [حَتَّى تَمَلُّوا]^(٣) ، وَأَعْجِبَهُ طَعَامُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي^(٤)
أَمَّا أَغْنِيكَ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَخَذَ الدُّفَّ وَغَنَى^(٥) :

يَا خَلِيلِي نَا بَنِي سُهَيْدِي لَمْ تَتَمَّ عَيْنِي وَلَمْ تَكْدِ
كَيْفَ تَلْعُونِي عَلَى رَجْلِي^(٦) آ نَسِ تَلْتَذُّهُ كَيْدِي !^(٧)
[مِثْلُ ضَوْءِ الْبَدْرِ طَلَعَتْهُ لَيْسَ بِالزَّمِيلَةِ النَّكْدِ]^(٨)

فَطَرَبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : وَاللَّهِ أَحْسَنَتْ يَا طُوَيْسَ [، فَقَالَ : يَا سَيْدِي ، أَتَدْرِي
لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ : لَا [وَاللَّهِ مَا أَدْرِي لِمَنْ هُوَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ شِعْرًا حَسَنًا]
قَالَ : هَذَا لِفَارَعَةَ بِنْتِ حَسَّانَ ، وَهِيَ تَعْشُقُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَوِجِيَّ ،
وَتَقُولُ فِيهِ [هَذَا الشَّعْرُ]^(٩) . فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، وَضَرَبَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِرَأْسِهِ^(١٠) ،
فَلَوْ نَقَبْتُ لَهُ الْأَرْضَ لَذَهَبَ فِيهَا ، وَعَلِمَ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّهُ اقْتَصَرَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١١) .
وَلَطُوَيْسَ شِعْرَ رَكِيكَ لَافَائِدَةٌ فِي ذِكْرِهِ .

وَالْيُمْنُ : الْبَرَكَةُ ، وَأَيَّامُنُ الطَّيْرِ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَتَفَاعَلُ بِهِ لِلْمَسَافِرِ إِذَا أَوَّلَاهُ
الطَّيْرَ يُمْنَةً ، وَهُوَ خِلَافُ الْأَشَائِمِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ » .

(١ - ١) فِي الْأَغَانِي : « فَقَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، تَكْرِمُنِي إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلَ بَأَنٍ

تَعْمَشُ عِنْدِي ، فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ .

(٢) الْأَغَانِي : « جَاءَنَا » .

(٣ - ٣) الْأَغَانِي : « أَعْمَشِي مَعَكَ وَأَغْنِيكَ ، قَالَ : أَفْعَلُ يَا طُوَيْسَ ، فَأَخَذَ مِلْحَفَةً

فَأَثَرَهَا ، وَأَرَخَى لَهَا ذَنَبَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ الْمِرْبَعَ فَنَمَشَى وَأَنْشَأَ بَنِي »

(٤) تَلْعُونِي : تَلْعُمُنِي .

(٥) مِنْ تِ وَالْأَغَانِي ، وَالزَّمِيلَةُ : الرِّذْلُ الْجَبَانُ الضَّعِيفُ .

(٦) مِنْ الْأَغَانِي .

(٧) الْأَغَانِي : « فَتَكَسَّ الْقَوْمُ رُءُوسَهُمْ » .

(٨) ضَرَبَ بِرَأْسِهِ عَلَى صَدْرِهِ : أَطْرَنَ اسْتَحْيَاءً وَخَجَلًا .

(٩) الْأَغَانِي ٣ : ٣٢ ، ٣٤ .

١١٣ - فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَيْبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ سَقَرٌ .

قوله : « وُجُودُكَ عَدَمٌ » ^(١) ، هو مأخوذ من قول المتنبي :

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُمْ عَدَمٌ ^(١)
والغَيْبَةُ: حسنُ الحال ، وفي الحديث «اللهم غَبِّطَا لَاهِبَطًا» ^(٢) أى نسألك
«الغَبطة ، ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا . والاعتباط تمنى حال المغبوط من غير
أن يريد زوالها .

والخَيْبَةُ : قَوْتُ المطلوب . والظفر : الفوز به ، مأخوذ من ظفر ، أى نشب
ظفره فيه .

والْجَنَّةُ: كلُّ بستان ستر الأرض بشجره ، مأخوذ من جَنَّ الشيء إذا ستره ،
قال الراغب : ^(٣) وسميت الْجَنَّةُ جَنَّةً إما تشبيها بما يرى في الأرض ، وإن كان
بينهما بونٌ ، وإما لستر النعم المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ^(٤) .

وسَقَرٌ : اسم علم للجحيم ، وهو من سقرته الشمس ، وصقرته ؛ إذا لوَّحتهُ ،
ولما كان السَّقر يقتضى التلويح ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾ ^(٥) ، أى
أن ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سَقَر الشمس المعلوم بينكم .

* * *

(٢) نهاية ابن الأثير ٣ : ١٤٨٠ .

(٤) سورة السجدة ١٧

(١) ديوانه ٣ : ٣٧٠

(٣) المفردات ٩٨ .

(٥) سورة اللذثر ٢٧ . .

١١٤ - كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْثَمَكَ لِكَرَمِي كِفَاءً ، وَضَعْتَكَ
لِشَرِّفِي وَفَاءً !

اللؤم : الدَّناءة في الأصل والأخلاق ، والكرمُ ضده .
والأكفاء : الأنظار ، ويستعمل في المناكحة والمحاربة .
والضعة : مقابلة الرفعة ؛ وهو مأخوذ من وضعتُ الشيء ، إذا حَطَطْتَهُ .
والشرف : علوُّ المقدار ؛ وهو مأخوذ من شرف المكان ؛ وهو أعلاه ؛
والمعنى : كيف تكون كُفئاً إلى علَا شَرِّفِي وَضَعْتَكَ !

* * *

١١٥ - وَأَنَّى جِهَلَتْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا
وَالطَّيْرِ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَاءِ !

يعنى كيفَ جِهَلَتْ أَنِّي إِنَّمَا أَمِيلُ إِلَى شَكْلِي وَإِنِّي ، وَلَسْتُ مِنْ أَشْكَالِي
وَالْأَفَى ، والكلمة الأولى منظومة في قول المتنبي ، والكلمة الثانية منظومة
في قول بعض العرب ؛

* وَعَلَى الْأَفْهَاءِ الطَّيْرُ تَقَعُ *

قال الأصمعي : كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غُرْبَانًا تَقَعُ الْبُقْعُ
منها مع البُقْع ، والشُّود مع السود ، إلى أن رأيتُ غُرْبَابًا أَعْرَجٌ قد سقط ، فجاءه
آخر مهبط الجناح ، فسقط عنده ، فعلتُ أن المثل ما ضاع .

* * *

١١٦ - وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ،
وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتَ :
الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ !

شعرت ، أى علمت علماً دقيقاً ، مأخوذة من دقة الشعر ، ويُلمح من السجعة الأولى قول عليّ كرم الله وجهه : الدنيا والآخرة ، كالمشرق والمغرب ، كلما ازدادت من أحدهما قرباً ، ازدادت من الآخر بعداً . ومن السجعة الثانية قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن أطيب من عمله ، والكافر أخبث من عمله » ، ويدلّ على ذلك لفظ القرآن العظيم في السجعة الثالثة^(١) فتأمله .

* * *

١١٧ - وتمثلت :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّاسُهِيلَا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ !

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، يقوله في الثريّا بنت عبد الله ، وقد تقدّم ذكرها ، وسبب قوله أنّ سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدّم من الشام إلى الطائف ، فتزوجها ورحل بها إلى الشام ، فقال عمر :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّاسُهِيلَا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ !^(٢)
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ
واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين . وقوله : « عمرك الله »

(١) وهو قوله تعالى في سورة المائدة ١٠٠ : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ .

(٢) ملحق ديوانه ٥٠٣ .

يعنى سألت الله عَمْرُكَ ، أى يعمرُكَ ؛ والعمر والعمر واحد ، وإنما خُصَّ العمر بالقسم ، وأصل العمر من العِمارة ، وهو عمارة البدن بالحياة .

* * *

١١٨ - وَذَكَرْتَ أَنِّي عَلِقْتُ لَا يُبَاعُ مِمَّنْ زَادَ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ .

ذكرت ، عطف على قوله : « وهلا علمت » . والعلق : الشئ النفيس الذى يتعلّق به صاحبه ، فلا يبرح عنه ، واللفظ مأخوذ من شعر حُرَيْث بن قحطان التميمى ، وكانت له فرس يسميها سَكَاب ، فأراد بعض ملوك اليمن أخذها منه ، فهرب بها وقال :

أَيَّتَ اللَّعْنِ إِنَّ سَكَابَ عِلْقٌ نفيس لا يعار ولا يباع^(١)
مَفْدَاةٌ مَكْرَمَةٌ عَلَيْنَا تُجَاعُ لها العيال ولا تجاعُ
سَلِيلَةٌ سَابِقِينَ تَنَاجِلُهَا إِذَا انْتَسَبَا يَضُمُّهُمَا الْكَرَاعُ
فَلَا تَطْمَعُ أَيَّتَ اللَّعْنِ فِيهَا فَدُونِ مِنْهَا أَمْدٌ شَنَاعُ

والفرض : الهدف المقصود بالرّمى ، ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الإنسان إدراكها .

* * *

١١٩ - مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ لِلتَّرْفِيَةِ .

يعنى طمعت بحصول الفُصْد ، فانتظرت الهناء به .
والتَّهْنِيح : الاستعدادُ للشئ ، مأخوذ من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .
والترفية والرّفاهية : التّنعم والتوسّع فى العيش .

(١) الأبيات فى ديوان الحماسة ١ : ٢٠٨ بشرح التبريزى .

١٢٠ - لَوْلَا أَنَّ جُرْحَ الْعَجَمَاءِ جُبَّارٌ ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى يَسَارٌ .

جُرْحُ الْعَجَمَاءِ جُبَّارٌ ، لَفْظُ الْحَدِيثِ ^(١) ؛ وَالْعَجَمَاءُ : الْبَهِيمَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا بِالْعَبَّارَةِ ، وَالْجُبَّارُ : الدَّمُ الْهَدَرُ ؛ وَاللَّغْنَى عَدَمُ الْقِصَاصِ فِي جِرْحِ الْبَهِيمَةِ ، وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ لِمَنْ يُسْتَهَانُ بِهِ .

وَالْكَوَاعِبُ : جَمْعُ كَاعِبٍ ، وَهِيَ الْجَارِيَةُ الَّتِي تَكْعَبُ ثَدْيَهَا ، تَشْبِيهَا بِالْكَعْبِ وَيَسَارِ اسْمِ عَبْدِ .

وَهَذَا مَثَلٌ مَعْرُوفٌ ، وَسَبَبُهُ أَنَّ يَسَارًا هَذَا كَانَ عَبْدًا دَمِيًّا ، يُقَالُ لَهُ : يَسَارُ الْكَوَاعِبُ : لِأَنَّ النِّسَاءَ إِذَا رَأَيْنَهُ ضَحِكْنَ مِنْهُ لِقَبْحِهِ ، فَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُنَّ يَضْحَكْنَ مِنْ عَجَبٍ بِهِ ، حَتَّى نَظَرَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَوْلَاهُ فَضَحِكَتْ ، فَظَنَّ أَنَّهَا خَضَعَتْ لَهُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ لَهُ أَسْوَدُ كَانَ يَكُونُ مَعَهُ فِي الْإِبِلِ : قَدْ وَاللَّهِ عَشَقْتَنِي مَوْلَاتِي ، فَلَا زَوْرَئَهَا اللَّيْلَةَ - وَلَمْ يَكُنْ يَفَارِقُ الْإِبِلَ - فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : يَا يَسَارُ ، اشْرَبْ لِبْنِ الْعِشَارِ ^(٢) ، وَكُلْ لَحْمَ الْحَوَارِ ^(٣) ، وَإِيَّاكَ وَبَنَاتِ الْأَحْرَارِ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا صَاحِبُ ، أَنَا يَسَارُ الْكَوَاعِبِ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَنِي حُرَّةً إِلَّا عَشَقْتَنِي . فَلَمَّا أَمْسَى قَالَ لِصَاحِبِهِ : أَحْفَظْ عَلَيَّ الْإِبِلَ حَتَّى أَنْصَرِفَ . وَأَعُودَ إِلَيْكَ ، فَفَهَاهُ فَلَمْ يَنْتَهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ مَوْلَاهُ يُرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : مَكَانَكَ ، فَإِنَّ لِلْحَرَائِرِ طَبِيبًا أَشْمَكَ إِيَّاهُ ، فَقَالَ : هَاتِيهِ ، فَأَتَتْهُ بِطَبِيبٍ وَمُوسَى حَذْمَةَ - أَيْ قَاطِعَةً - فَأَشْمَمَتْهُ الطَّبِيبُ ، ثُمَّ أَنْحَتِ بِالْمُوسَى عَلَى أَنْفِهِ فَقَطَعَتْهُ . وَقِيلَ : وَضَعَتْ تَحْتَهُ بِخَوْرًا ، وَقَطَعَتْ مَذَاكِيرَهُ ، فَصَاحَ ، فَقَالَتْ : صَبْرًا

(١) النِّهَايَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ١٤٢ .

(٢) الْعِشَارُ : اسْمٌ يَقَعُ عَلَى النَّوَقِ .

(٣) الْحَوَارُ ، بَمَتَّحِ الْحَاءِ وَكُسْرِهَا : وَلَدُ النَّاقَةِ مِنْ حِينَ يُوَضَعُ إِلَى أَنْ يَفْطَمَ .

على مجامر الكرام ! ثم خرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، فُضرب به المثل .

وأيضاً مما قيل : إن اسم المرأة مَنْشِم ، وأنها التي ضرب بها المثل بقولهم : « عطر منشِم » ، وهذا على أحد الأقوال في ذلك مما رويناه .

* * *

١٢١ - قَا هَمَّ إِلَّا يَبْعُضُ مَا بِهِ هَمَمْتَ ، وَلَا تَعْرِضَ إِلَّا لَأَيْسَرِ مَالِهِ تَعَرَّضْتَ .

يعنى ما طلب يسار من مولاته ، وتعرض له ، إلا دون ما تعرضت إليه منى ؛ لأننى أشرف من تلك ، وأنت أقل من ذاك .
وهمت بالشىء ؛ إذا جعت طلبه هم نفسك . وتعرضت للشىء ؛ إذا وقفت عرضاً فى طريقه .

* * *

١٢٢ - أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ! أَمَا نَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَنُكْحُ فِي أَكْفَائِهِمُ الْحَبِطَاتُ

ناب إليك ، أى رجع إلى ذهنك ، وهذا البيت للفرزدق ^(١) ؛ يقوله لرجل من بنى الحارث بن عمرو ، خطب إلى بنى دارم .

(١) ديوانه ١٢٦ ، وروايته : « بنو مسمع أكفاؤهم بنو دارم » .

وَدَارِمٌ هُوَ مَالِكُ بْنُ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيُّ ، وَهُوَ أَبُو مَجَاشَعٍ ، وَبِذِيهِ أَكْبَرُ بَيُوتِ
بَنِي تَمِيمٍ .

وَأَلْ مِسْمَعٍ بَيْتُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .
وَالْحَبِطَاتُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، يَجْمَعُهُمُ الْبَيْتُ مَعَ بَنِي دَارِمٍ ،
وَلَمَّا نَقَصَ قَدْرُ الْحَبِطَاتِ عَنْهُمْ لِقَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهِمْ :

وَجَدْنَا النَّيْبَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ
فَلَزِمَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ ، وَقِيلَ : إِنَّمَا سَمِيَ الْحَارِثُ حَبَطًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي سَفَرٍ ،
فَأَكَلَ كُلًّا فَاتَنَفَخَ بَطْنُهُ فَاتَ ، فَسَمِيَ حَبَطًا ، وَعُيِّرُوا بِذَلِكَ ، وَالْحَبِطُ : أَنْ
تَأْكُلَ الْمَاشِيَةُ فَتَكْثُرَ حَتَّى تَنْتَفَخَ بِطُونُهَا ، وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا فِيهَا ، وَذَلِكَ مَعْنَى
قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا ،
أَوَّلًا » ^(١) .

وَمَعْنَى قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ ، أَنَّ بَنِي دَارِمٍ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْطُبَ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِمَوْسِمِمْ ؛
لأنهم أَكْفَأُوهُمْ فِي الشَّرَفِ ، فَأَمَّا الْحَبِطَاتُ فَلَا . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الرَّجُلَ
الْمُخَاطَبَ أَجَابَ الْفَرَزْدَقَ ، فَقَالَ :

أَمَا كَانَ عَتَابٌ كَكَيْفِيًّا لِدَارِمٍ بَلَى وَلَأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتُ ^(٢)
عَتَابُ أَحَدِ آبَاءِ بَنِي الْحَارِثِ ، وَقَوْلُهُ : « أَبْيَاتُ بِهَا الْحُجُرَاتُ » ، يَعْنِي
بِعَنِي هَاشِمٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ... ﴾ ^(٣) .

[الْفَرَزْدَقُ]

وَالْفَرَزْدَقُ هَذَا ، هُوَ هَامُ بْنُ غَالِبٍ بْنِ صَعْمَةَ التَّمِيمِيِّ الدَّارِمِيِّ ، الشَّاعِرُ

(١) نَهَايَةُ ابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ١٢٦ ، قَالَ فِي شَرْحِهِ : « وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ يَنْبِتُ أَحْرَارَ
الشَّعْبِ فَتَكْثُرُ مِنْهُ الْمَاشِيَةُ » .

(٢) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ ٤ .

(٣) الْكَامِلُ ١ : ٦٤

المشهور ، صاحب جرير ، ولَقَّبَ الفرزدقَ لجهامة وجهه ، لأنَّ الفرزدقَ ، القطعة
الضخمة من العَجِين ، وكنيته أبو فراس .

وذكره الشريف المرتضى فقال : كان الفرزدق مع تقدّمه في الشعر ،
وبلوغه فيه إلى الذروة العُلْيَا ، شريفَ الآباء ، كريمَ البَيْتِ ، [له ولآبائه مآثر
لاتدفع ، ومفاخر لاتُجحد] ^(١) . وكان شيعيًا مائلًا لبني هاشم ، ونَزَعَ في آخر
عمره عما كان عليه من الفسق والقَذْف ، وراجعَ طريقة الدِّين ، على أنه لم يكن
في خلال ذلك منسلخًا [من الدين جملة ، ولا مهملًا أمره] ^(٢) .

حدّث ابن عمران ، قال : جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسَعَتها ،
فكان أوثقنا بالله تعالى ، فقال رجل : ألك هذا الرّجاء وهذا المذهب ، وأنت
تفعل مات فعل ! فقال : أتروني لو أذنبتُ إلى والدي ، أكانا يقذفاني في تنّور ،
وتطيب أنفسهما بذلك ! قلنا : لا ؛ بل كانا يرحمانك ، فقال : أنا والله برحمة الله
أوثق مني برحتهما .

وقيل : إنه كان يخرج من منزله فيرى بني تميم ، وفي حُجورهم المصاحف ،
فيفرح بذلك ويقول : إِيه ، فِدَاكم أبي وأُمّي ! هكذا والله كان آبَاؤكم ^(٣) .

واستدلَّ الشريف على تشييعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك ، وذلك أن
هشامًا حجَّ في خلافة أبيه ، فأراد أن يستلِمَ الحجر ، فلم يتمكن لازدحام الناس ،
فجلس ينتظر خلوةً ، فأقبل على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ، وعليه إزار
ورداء ، وهو من أحسن الناس وجهًا ، وبين عينيه سِجادة ؛ فجعل يطوف
بالبيت ، فإذا بلغ الحِجْرَ تنحَّى الناس له هيبةً وإجلالًا ؛ ففاظَّ ذلك هشامًا ،
فقال رجلٌ من أهل الشَّام : من هذا الذي قد هابه الناس ! فقال هشام : لا أعرفه .

(٢) آمالي المرتضى ١ : ٦٢ وما بعده .

(١) من الأمالي .

لثلاثاً يرغب فيه أهل الشام ، فقال الفرزدق - وكان حاضراً - : لكني : أنا أعرفه ، فقل له : من هو ؟ فأنشد يقول :

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ ^(١)
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمُ ^(٢)
يَكَادُ يَمْسُكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ ^(٣)
فَفَضَبَ هِشَامَ ، وَأَمْرٌ بِجَبَسِ الْفَرَزْدَقِ بِعَسْفَانَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

أَيْجَسْنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيهِهَا ^(٤)
بُقَلْبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءٌ بَادٍ عُيُوبُهَا
وبعض الرواة يروى الأبيات الميمية لأبي الطمحان القيني . والذي يرويه
للفرزدق يستدلُّ لها بحجسه ، وقوله هذه الأبيات .
ومات الفرزدق بالبادية سنة مائة وعشر .

ومن أخباره المستطرفة : دخل يوماً على بلال بن أبي بُرْدَةَ ، وهو أميرٌ
على البصرة ، وعنده أصحابه ، فنقصوا بنى تميم ، ورفعوا اليمَن ، فقال الفرزدق :
لَوْلَمْ يَكُنْ لِلْيَمَنِ إِلَّا أَبُو مُوسَى وَمَا تَوَلَّاهُ مِنْ خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَكَفَاهُمْ ، فقال بلال : إن فضائله كثيرة ، فما أردتَ منها ؟ فقال : حِجَامَتُهُ إِيَّاهُ ،
فقال : صدقت ، قد فعل ذلك ؛ وما فعله بأحد قبله ولا بعده ، فقال الفرزدق :
الشَّيْخُ كَانَ أَتَقَى اللَّهَ مِنْ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى نَبِيِّهِ بَغَيْرِ حِذْقٍ ، فَيَجْرِبَ عَلَيْهِ ! فَأَمْسَكَ

(١) ديوانه ٨٤٨ .

(٢) البطحاء : أرض مكة المنباعدة . والحل ، بالكسر : خارج المواقيت من البلاد ،
والحرم : ما بين المواقيت المرووفة ؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم .

(٣) الحطيم : الجدار الذي عليه ميزاب الكعبة ، ونصب « عرفان » على أن مفعول له ،
أي يكاد يمسكه ركن الحطيم لأنه عرف راحته ، ويستلم بمعنى يلمس الحجر الأسود . وقد ذكر
أبو تمام في (الحماسة - بمرح التبريزي ٤ : ١٦٧ - ١٦٩ ؛ الأبيات منسوبة إلى الحزین
الليثي . وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في الأغاني (١٤ : ٧٤ - ٧٧) .

(٤) ديوانه ٥١ .

يلال ، وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض
ونظر يوما إلى ابن هُبيرة وعليه ثياب تتقمقع ، فقال : إن ثيابه لتسبح «
أراد بذلك قول الشاعر :

إِذَا لَبِستَ قَيْسَ ثِيَابًا لَزِينَةَ تَسْبِحُ مِنْ لَوْمِ الْجُلُودِ ثِيَابُهَا
وكان قد هجا الأزد ، فلما قدم يزيد بن المهلب البصرة قال لأبي الجعد -
وكان صديقا للفرزدق : ابعث إلى الفرزدق ، فقال له يوما : ماذا يعوقك عن
يزيد ! أعظم الناس عفواً ، وأسخام كفاً . فقال : صدقت ، ولكنني أخشى أن
آتيه فأجد العُمانيّة ببابه ، فيقوم إلى رجل منهم ، فيقول : هذا الذي هجانا ،
فيضرب عنقي ، فيبعث إليه يزيد فيضرب عنقه ، ويبعث إلى أهل بيتي بديتي ،
فإذا يزيد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك ؛ لا والله
لا أفعل ، فقال يزيد : أما إذ فطن لها فدعه إلى لعنة الله . وقيل : إن هذا
كان مراده .

وسمع الفرزدق رجلا يقرأ : «السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا
كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ، فقال الفرزدق : « فاقطعوا
أيديهما... والله غفور رحيم » ! لا ينبغي أن يكون هكذا . قيل : إنما قال :
« وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »^(١) ، فقال : هكذا ينبغي أن يكون ! ثم أخذ نفسه
بحفظ القرآن بعد ذلك .

وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت :
وَجَلَّا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهُا زُبُرٌ تُجِئُ مَتُونَهَا أَفْلا مَهَا^(٢)
فسجد ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : موضع سجدة في الشعر ، أعرفه كما تعرفون
مواضع السجود في القرآن !

(١) سورة المائدة ٣٨

(٢) ديوانه ٢٩٩

وسمع راوية جرير يشد قصيدته البائية^(١)، فلما قال :

* بِهَا بَرَصٌ بِأَسْفَلِ إِسْكَتِيهَا *

وضع يده على عنقه ، وأنشد :

* كَعَنْقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا *

فقال : علمت أنه يقول هكذا ، فإن شيطاننا في الشعر واحد .

ومر يوماً بقومٍ فدعوه للنزول ، فقال : لماذا ؟ قالوا : لنبيذ ، وجدى حنيد ، وغناء لنبيذ ؛ فقال : وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة ! يعنى جريراً ، ثم نزل .

واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنًا ، فأمر غلامه أن يجعل في القعب خمرًا ، ويحلب عليه ابنًا ويسقيه ، فلما كرع ، جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب ، وقال : بأبى أنت ! إنك ممن تخفي الصدقات وتؤتيها الفقراء .

وقال : ما أحمى أحدٌ إلا نبطى من أهل تيرى ، قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتني تموت زوجتي عيشونة ؟ قلت : لا ، قال : فتموت حمارتي ؟ قلت : لا ، قال : فمن رجلى إلى عنقي فى رحم أمك ! قلت : ويلك ! فلم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر ما تصنع !

وكان الفرزدق يقول : لقد استراح النبطى من حيث تعب الكرام .

ومن محاسن شعره قوله :

تَصَرَّمْ مَنِيَّ وَدُّ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ وَمَا خِلْتُ بَاقِيَّ وَدَّهَا يَتَصَرَّمُ^(٢)
قَوَارِصُ تَأْتِيْنِي وَيَحْتَقِرُوْنَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَفْعَمُ

(١) يهجو فيها الراعى النميرى ، مطلعها :

أَقْلَى اللَّوْمِ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

ديوانه ٦٤ - ٨٠ .

(٢) ديوانه ٧٥٦ .

وقوله :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتَ زُرَّارَةٍ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ
أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامَى دَارِمًا
أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أُرِدْتَ بِنَاءَنَا
إِنِّي أَرْتَفَعْتُ عَلَيْكَ كُلَّ ثَنِيَّةٍ
بَيْتًا دَعَامُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(١)
وَمَجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
أَمَّنْ إِلَى سَلَفِي طُهْيَةَ تَجْعَلُ
وَتَخَالِنَا حِينًا إِذَا مَا نَجْهَلُ
نَهْلَانِ ذَا الْمُهْزَبَاتِ، هَلْ يَتَحَلَّلُ!
وَسَمَوْتُ فَوْقَ بَنِي كَلِيبٍ مِنْ عَلُ

وقوله :

وَمُسْتَنِيحٍ طَاوِي الْمَصِيرِ كَأَنَّمَا
دَعَوْتُ بِمَجْمَرَاءِ الْفُرُوعِ كَأَنَّمَا
وَإِنِّي سَفِيهُ النَّارِ لِلْمَبْتَغَى الْقَرَى
إِذَا مِتَّ فَابْكِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَكَمْ قَائِلٍ مَاتَ الْفَرَزْدَقُ وَالنَّدَى
يُسَاوِرُهُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ أَوْلُقُ
ذُرًّا رَايَةً فِي جَانِبِ الْجَوِّ تَخْفُقُ
وَإِنِّي حَلِيمُ الْكَلْبِ لِلضَّيْفِ يَطْرُقُ
فَكُلُّ جَمِيلٍ قَلْتِ فِي يَصْدَقُ
وَقَائِلَةٌ مَاتَ النَّدَى وَالْفَرَزْدَقُ

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان ، لقوله : «سفيه النار» ، و« حلیم الكلب » .

وقوله يرثي ابنه :

يُذْكَرُنِي ابْنِي السَّامَا كَانَ مَوْهِنًا
وَقَدْ رَزَى الْأَقْوَامُ قَبْلِي بَيْنَهُمْ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمَنْذَرَانِ كِلَاهُمَا
وَمَا ابْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاعْلَمْ
إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَائِمِ
وَأَخَوْتَهُمْ فَاقْنِي حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ شِهَابِ الْأَرَاقِمِ
فَلَمْ يَرْجِعِ الْمَوْتَى حِينَ الْمَآتِمِ

وقوله في الفاتية التي أولها :

عَرَفْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ وَأُنْكُرْتُ مِنْ حَذَرٍ أَمَا كُنْتُ تَعْرِفُ^(١)
 إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُشِفَتْ بِيُونًا وَرَاءَ الْحَيِّ نَكْبَاهُ حَرَجُفُ^(٢)
 وَأَصْبَحَ مَبِيعُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى سَرَوَاتِ النَّيْبِ قُطْنٌ مُنْدَفُ^(٣)
 - هذا البيت يروى : « بالنَّيْبِ » ، و « البيت » ، و « النبت » ، وأفصح

ذلك كله « النيب » -

تَرَى جَارَنَا فِينَا يُجِيرُ وَإِنْ جَنَى فَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطِفُ الْجَارَ يُنْطَفُ^(٤)
 وَكُنَّا إِذَا قَامَتْ كَلِيبٌ عَنِ الْقَرَى إِلَى الضَّيْفِ نَمَشَى بِالْعَبِيطِ وَنَلْحَفُ^(٥)
 ومنها أيضا ؛ وهو أحسن ما قيل في الفخر ، ويقال : إنه غصبه من جميل :
 تَسَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا^(٦)
 وَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لَتَدْرِكَ شَاوَنَا لَأَنْتَ الْمَعْنَى يَا جَرِيرَ الْمَكْلَفِ

وقوله :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ لَا تُرْجَى نَوَافِلُهُ فَاسْتَمَطَرُوا مِنْ قَرِيشٍ كُلَّ مَنْخَدِعٍ^(٧)
 تَخَالُ فِيهِ إِذَا خَادَعْتَهُ بَلْهًا عَنْ مَالِهِ وَهُوَ فِي الْعَقْلِ وَالْوَرَعِ
 وقوله يرثي جارية له حاملا :
 وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رَزِئْتُ فَلَمْ أَنْخُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا^(٨)

(١) ديوان ٥٥١ وما بعدها .

(٢) المرحف : الريح الشديدة المهبوب .

(٣) الديوان : « موضوع الصقيع » . سرورات النيب : مسان الإبل ، وسروراتها : أسنمتها .

(٤) بقول : جَارَنَا يُجِيرُ لَمَزْنَا وهو سليم من أن يصيبه شر . والنطف : الدبرة تدخل جوفه .

(٥) هو قوله :

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

(٦) ديوانه ٥٢٨ .

(٧) ديوانه ٨٩٤ ، وروايته : « وغمد سلاح » .

وفي بطنه من دارم ذو حفيظة^(١) لو أن الناي أنساه لَيَا لِيَا^(٢)
 أرباب البديع يستحسنون قوله : « وجفن سلاح » للكناية عن الولد ،
 ويقولون : إنها إن كانت سوداء فإنه أبدع في التشبيه .
 وقوله :

وَتَقُولُ كَيْفَ تَمِيلُ مَيْلَكَ فِي الصَّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ وَقَارُ^(٣)
 وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ صُبْحُ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ
 وقوله : « يصيح » يعني يظهر ، يقال : صاح الشجر بنفسه ، إذا طال ، كأنه
 ينادى على نفسه بالظهور .

* * *

١٢٣ - وَهَلَّا عَشَيْتَ وَلَمْ تَغْتَرَّ! وَمَا شُكَّ أَنَّكَ تَكُونُ وَافِدَ
 التَّوَّاجِمِ .

في النسخة « عسيت » بالسين المهملة ، وهو خطأ ، ولا يصح به المعنى ،
 يقال : عسيت أن أفعل ، فلا يصح أن يقول : قاربت أن تغتر ، والكلام
 يقتضى أنه قد اغتر ، وإنما هي « عشيت » ، أى رفقت ، وعشيت الإبل وعشيتها
 إذا أطعمتها عشياً ، وفي المثل : « عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ »^(٤) .

* * *

(٢) بعده :

ولكن رأيت الدهر يعثر بالفتى ولا يستطيع رد ما كان جائياً
 وكَمَ مثله في مثلها قد وضعته وقد كنت وثاباً أجزر الدواهي
 ولكن وقاني ذو الجلال بقدرة شُرُورِ زواني الناس إذ كنت زانياً

(٣) ديوانه ٤٦٧ .

(٤) الميداني ٣١١ : ١ ، قال : « أصل المثل فيما يقال إن رجلاً أراد أن يسير بإبله ، وانكل

على عشب يجده هناك ، فقبل له : عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ بما لست منه على يقين » .

[قصة وافد البراجم]

وأما وافد البراجم فهو رجلٌ من تميم ، والبراجم خمسة من أولاد حَنْظَلَة ،
والعرب تضرب المثل بوافد البراجم ، وذلك أن الملك عمرو بن هند أحرق
تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم ؛ لثأرٍ له عندهم ، وقد كان آلى أن يحرق منهم
مائة ، فبينما هو يلتبس بقية المائة إذ مرَّ رجل من البراجم ، يسمى عَمَّاراً ، قادم
من سفر ، فاشتَمَّ رائحة القَتَّار ، فظنَّ أن الملك اتَّخذ طعاماً ، فعدل إليه ،
ف قيل له : بمن أنت ؟ قال : من البراجم ، فألقى في النار ، وقيل : « إنَّ الشقيَّ
وافد البراجم » ^(١) ، ومن هناك عُبِّرَتْ بنو تميم بحبِّ الطعام ، وستأتي قصة
عمرو بن هند في أصل تسميته محرّقا ، وما السَّبَب في ذلك .

* * *

١٢٤ - أَوْ تَرْجِعْ بِصَحِيفَةِ الْمُتَمَلِّسِ .

صحيفة المتملِّس مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع .

[المتملِّس]

والمتملِّس ، هو جرير بن عبد المسيح ، أحد بني ضُبَيْعَة . شاعرٌ مجيد من
شعراء الجاهلية ، وفد هو وابن أخته طَرْفَة بن العبد على عمرو بن هند ، أحد
ملوك الحيرة ، فزلا منه في خاصته حتى نادماه ، فبينما طَرْفَة يوما يشربُ معه ،
وفي يده جامٌ من ذهب ، فيه شراب ، أشرفتْ أخت عمرو ، فرآها طَرْفَة ، وقيل :
إنما رآها في الإناء ، فقال : ألا بأبي الظُّبْي الذي تبرق شفاه ، ولولا الملك القاعد
ألثني فاه ! فسمعها عمرو ، فاضْطَغَنَهَا عليه ، وأمسكها في نفسه ، ثم خرج عمرو ،

يَصِيدُ وَمَعَهُ عَبْدُ عَمْرٍو بْنُ بَشْرٍ - وَكَانَ طَرْفَةُ هِجَاهٍ - فَرَمَى عَمْرٍو حِمَارًا ، وَقَالَ لِعَبْدِ عَمْرٍو : انْزِلْ فَادْبَحْهُ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ فَعَالَجَهُ ، فَأَعْيَاهُ ، فَقَالَ عَمْرٍو : قَدْ عَرَفْتُكَ طَرْفَةُ حَيْثُ يَقُولُ فَيْك :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنًى وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْصَمًا^(١)

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ عَمْرٍو : وَمَا هَاجَكَ بِهِ أَشَدُّ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغَوْنَا حَوْلَ قَبْتِنَا تَخَوَّرَ

فَهَمَّ بِقَتْلِ طَرْفَةَ ، وَخَافَ مِنْ هِجَاهِ الْمُتَلَمِّسِ لَهُ ، وَأَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ مَتَى قَتَلَهُمَا ظَاهِرًا ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : أَظْنَكُمَا قَدْ اشْتَقَمْنَا إِلَى الْأَهْلِ ! قَالَا : نَعَمْ ، فَكَتَبَ لَهَا كِتَابَيْنِ إِلَى عَامِلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَقَالَ : إِنِّي كَتَبْتُ لِكُلِّ بَصَلَةٍ فَاقْبِضَاهَا مِنْ عَامِلِ الْبَحْرَيْنِ ، فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ وَالْكِتَابَانِ فِي أَيْدِيهِمَا ، فَمَرَا بِشَيْخٍ جَالِسٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، مِنْكَشَفَا يَقْضِي حَاجَتَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَا كُلَّ وَبِتَفَلَّى ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : هَلْ رَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ ! فَسَمِعَ الشَّيْخُ مَقَالَهُ ، فَقَالَ : مَا تَرَى مِنْ عَجَبِي ! أَخْرِجْ خَيْثًا ، وَأَدْخِلْ طَيِّبًا ، وَأَقْتُلْ عَدُوًّا ! وَإِنَّ أَعْجَبَ مِنِّي مَنْ يَحْمِلُ حَتْفَهُ بِيَدِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي ! فَأَوْجَسَ الْمُتَلَمِّسُ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ، وَارْتَابَ بِكِتَابِهِ ، فَلَقِيَهِ غَلَامٌ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَقْرَأُ يَا غَلَامُ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَقَضَى كِتَابَهُ ، فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ : إِذَا أَنَاكَ الْمُتَلَمِّسُ فَاقْطَعْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَاصْلُبْهُ حَيًّا . فَأَقْبَلَ عَلَى طَرْفَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ بِمَثَلِ هَذَا ، فَادْفَعْ كِتَابَكَ إِلَى الْغَلَامِ يَقْرُؤُهُ ، فَقَالَ : كَلَّا ، مَا كَانَ لِيَجْتَرِي عَلَى قَوْمِي بِمَثَلِ هَذَا ، وَأَنَا أَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَأَكُونُ أَعَزَّ مِنْهُ . فَأَلْقَى الْمُتَلَمِّسُ صَحِيفَتَهُ فِي نَهْرِ الْحِيرَةِ^(٢) ، وَقَالَ :

(١) ديوانه ١٤١ .

(٢) ديوانه ٩٢ .

رَمَيْتُ بِهَا لَمَّا رَأَيْتُ مَدَادَهَا يَجُولُ بِهِ التِّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ^(١)
ثُمَّ قَالَ يَخَاطِبُ طَرَفَةَ :

أَطْرِيفَةُ بْنُ الْعَبْدِ إِنَّكَ حَائِنٌ أَبْسَاحَةَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ تَمْرَسُ^(٢)
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَالُكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحِبَاءِ النَّقْرِسُ
ثُمَّ مَضَى طَرَفَةُ بَكْتَابَهُ إِلَى صَاحِبِ الْبَحْرَيْنِ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُتَلَمِّسُ
مَا جَرَى عَلَيْهِ ، قَالَ :

عَصَانِي فَمَا لَاقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنُ مِنْ أَمْرِ الْغَوَى عَوَاقِبُهُ^(٣)
فَأَصْبَحَ تَحْمُولًا عَلَى آلَةِ الرَّدَى تَمَجُّ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يَمَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ !
ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ وَهَجَا عَمْرًا .

وَبَلَّغَهُ أَنْ عَمْرًا يَقُولُ : حَرَامٌ عَلَيْهِ حَبُّ الْعِرَاقِ أَنْ يُطْعَمَ مِنْهُ حَبَّةٌ ،
وَلَوْ أَنَّ وَجَدْتَهُ لَأَقْتَلَنْتُهُ ، فَقَالَ :

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرُ أَطْعَمَهُ وَالْحُبُّ يَا كُلَّهُ فِي الْقَرَايَةِ الشُّوسُ^(٤)
أَغْنَيْتُ شَاتِي فَأَغْنُوا الْيَوْمَ تَيْسَكُمْ وَاسْتَحْمِقُوا فِي مَرَاسِ الْحَرْبِ أَوْ كَيْسُوا
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَرَأْتُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَتَصَحَّفْتُ عَلَى ،
فَقُلْتُ :

* أَغْنَيْتُ شَاتِي فَأَغْنُوا الْيَوْمَ شَاتَكُمْ *

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْ : « فَأَغْنُوا الْيَوْمَ تَيْسَكُمْ » .
وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِ الْمُتَلَمِّسِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

(١) الشعر والشعراء ١٣١ .

(٢) شعراء النصرانية ٣٣١ ، الشعر والشعراء ١٣٢ .

(٣) شعراء النصرانية ٣٣١ .

(٤) الشعر والشعراء ١٣٥ ، شعراء النصرانية ٣٣٣ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنٌ مَنِئِيَّةٌ صَرِيحٌ لِمَا فِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يَرْمَسُ^(١)
 فَلَا تَقْبَلُنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ وَمَوْتُنْ بِهَا حَرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ
 وقوله يصف البخل ويُدحه :

لَحِظْتُ أَمَالًا خَيْرَ مَنْ بُغَاهُ وَضَرَبْتُ فِي الْبِلَادِ بَغِيرَ زَادٍ^(٢)
 وَإِصْلَاحَ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
 وقوله :

إِلَى كُلِّ قَوْمٍ سُلَّمٌ يَرْتَقِي بِهِ وَلَيْسَ إِلَيْنَا فِي السَّلَاحِ مَطْلَعُ^(٣)
 وَيَهْرَبُ مِمَّا كُلُّ وَحْشٍ وَيَنْتَمِي إِلَى وَحْشِنَا وَحْشُ الْفَلَاةِ فَيَرْتَعُ
 وقوله وهو أحسن ما ورد في المستنجات :

وَمُسْتَنْبَحٌ تَسْتَكْشِفُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ لَيْسُقَطَ عَنْهُ وَهُوَ بِاللَّتُوبِ مُقْصِمُ^(٤)
 عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَوْقَظَ نَوْمُ
 فُجَاءُوا بِهِ مَتَمِّعَ الصَّوْتِ لِلنَّدَى لَهُ عِنْدَ إِيْتَانِ الْمُهَبِّينَ مَطْعَمُ
 يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

١٢٥ — أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عُقَيْلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا ،
 فَدَهَنَ اسْتِئْتَهُ بِزَيْتٍ ، وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّهْلِ .

* * *

[عُقَيْلُ بْنُ عُلْفَةَ]

هو عُقَيْلُ بْنُ عُلْفَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْيَرْبُوعِيِّ ، يَكْنَى أَبَا الْعَمَلَسِ ، وَأُمُّهُ

(١) شعراء النصرانية ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) الشعر والشعراء ١٣٦ (٣) ديوانه ١١ .

(٤) شعراء النصرانية ٣٤٨ ، وفيه : « تستكشط » .

عمرة^(١)، بنت الحارث بن عوف المُرِّي، وأُمها بنت بدر بن حصن بن حذيفة^(٢)، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وكان أهوج جافيا، شديد الغيرة والعجرفة والبَذَخ^(٣) بنسبه. وهو من بيت شرف في قومه من كَلَّا طرفيه، وكان لا يرى أن له كفتًا، وكانت قُرَيْش ترغب في مصاهرته وتزوج إليه من خلفائها^(٤)، وأشرافها^(٥).

وخطب إليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده، فأطرق ساعة ثم قال: إن كان ولا بد فنجني هُجَنَاءك. فضحك عبد الملك، وعجب من كبر نفسه على ضائقته، وشدة عيشه بالبادية. وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته^(٦). ودخل على عثمان بن حَيَّان وهو أمير المدينة، فقال له عثمان: زوجني بعض بناتك^(٧)، فقال: أبكرة من إبلي تعني! فقال له عثمان: [وَيْلَكَ!] ^(٨)، أمجنون أنت! قال: أي شيء قلت لي؟ قال: قلت لك: زوجني ابنتك، فقال: إن كنت تريد بكرة من^(٩) إبلي فنعم، فأمر به فوُجِئَتْ عُنقه، فخرج وهو يقول: لَحَى الله دهرًا ذَعَعَ المَالُ كُلَّهُ وسَوَّدَ أبناءَ الإمام العوارك^(١٠) وكان له جارٌ جهني^(١١)، فخطب إليه ابنته، فغضب عظيمًا، وأخذ الجهني

(١) في الأغاني ١٢ : ٢٥٤ : « وأم عقيل بن علفة العوراء » .

(٢) في الأغاني : « وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة » .

(٣) البَذَخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه » .

(٤) الأغاني : « تزوج إليه خلفاؤها » .

(٥) بعدها في الأغاني : « منهم يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجزياء » . وكانت قبله

عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطعة بن الحارث بن معاوية ، وولدت ليزيد بنينا درج » .

(٦) الأغاني ١٢ : ٢٥٤ .

(٧) الأغاني « زوجني بنتك » . (٨) من الأغاني .

(٩) الأغاني : « أفعل إن كنت عنيت بكرة من إبلي » .

(١٠) الأغاني ١٢ : ٢٥٥ : ذعع المَال : فرقه وبذده . وسوده : جملة سيده .

الموارك : الحيص ، وقبله في الأغاني .

كنا بني غيظ الرجال فأصبحتُ بنو مالك غيظًا وصرنا كمالك

(١١) الأغاني : « من بني سلامان بن سعد » .

فَكَتَفَهُ^(١)، وَدَهَنَ اسْتَهَ بِشَحْمٍ أَوْ بَزَيْتٍ، وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَّةٍ^(٢) النَّمْلِ، فَأَكَلَ خُصْيَتَيْهِ^(٣) حَتَّى وَرِمَ جَسَدُهُ، ثُمَّ حَلَّهَ وَقَالَ: أَيْحُطَبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَرَدَهُ، وَتَجْتَرَى أَنْتَ عَلَيَّ أَنْ تَحُطَبَ إِلَيَّ!^(٤)

وَمِمَّا حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَابْنَاهُ: جَثَامَةُ وَعَمَلَسُ^(٥)، وَأَخْتُهُمَا الْمَسْمَاةُ بِالْحَوْرَاءِ حَتَّى أَتَوْا ابْنَةَ لَهُ نَاكِحًا^(٦) فِي بَنِي مَرْوَانَ بِالشَّامِ [فَأَمَتْ]^(٧)، ثُمَّ قَفَلُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ، قَالَ عَقِيلُ:

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَطَالَمَا
[إِذَا هِطَّتْ أَرْضًا يَمُوتُ غُرَابُهَا بِهَا عَطْشًا أَعْطَيْنَهُمْ بِالْخَزَائِمِ]^(٨)

ثُمَّ قَالَ، أَجْزَ يَا جَثَامَةُ^(٩) فَقَالَ:

وَأُصْبَحْنَا بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فِتْنِيَّةً
نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِثْلَ الْعَمَائِمِ^(١٠)

ثُمَّ قَالَ: أَجْزَ يَا عَمَلَسُ، فَقَالَ:

إِذَا عَـلِمَ غَادِرَتَهُ بِنُفُوقَةٍ
تَذَارَعْنَ بِالْأَيْدِي لِآخِرِ طَائِسِمِ^(١١)

ثُمَّ قَالَ: يَا حَوْرَاءَ^(١٢)، أَجِيزِي، فَقَالَتْ:

(١) كَتَفَهُ: شَدَّ يَدَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ بِالْكَتَافِ، وَهُوَ مَا شَدَّ بِهِ.

(٢) قَرِيَّةُ النَّمْلِ: بِمَجْتَمَعِ تَرَابِهَا.

(٣) فِي الْأَغَانِي: «خُصْيَتُهُ»، وَفِي اللِّسَانِ: «الْخُصْيَتَانِ: الْبَيْضَتَانِ. وَالْخُصْيَانِ: الْجُلْدَتَانِ اللَّتَانِ فِيهِمَا الْبَيْضَتَانِ».

(٤) الْأَغَانِي ١٢: ٢٥٥. (٥) الْأَغَانِي: «وَعَلَقَةُ».

(٦) نَاكِحًا: ذَاتَ زَوْجٍ. وَأَمَتْ: فَقَدَتْ زَوْجَهَا. (٧) مِنَ الْأَغَانِي

(٨) مِنْتِ وَالْأَغَانِي، وَالْخَزَائِمُ: جَمْعُ خَزَامَةٍ؛ وَهِيَ حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْعَلُ فِي أَحَدِ جَانِبِي

مِنْخَرِي الْبَعِيرِ لِيَنْقَادَ بِهَا، يُرِيدُ أَنْ الْإِبِلَ مَنَاقِدَةً.

(٩) فِي الْأَغَانِي: «أَنْقَذَ يَا عَلَقَةَ»، فَقَالَ عَلَقَةُ.

(١٠) الْمَوْمَاةُ: الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ. نَشَاوَى: سَكَارَى. الْإِدْلَاجُ: السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ.

(١١) الْعِلْمُ: شَيْءٌ يَنْصَبُ فِي الْفُلُوتِ تَهْتَدِي بِهِ الضَّالَّةُ. التَّنُفُوقَةُ: الْمَفَازَةُ: تَذَارَعْنَ:

سَرَنَ؛ وَأَسْلَهُ أَنْ يَنْزِعَ الْبَعِيرَ بِيَدَيْهِ فِي سَبِيلِهِ ذَرْعًا، إِذَا سَارَ عَلَى قَدَرِ خَطْوِهِ. رَسَمَ طَائِسِمَ:

حَارَسَ. (١٢) الْأَغَانِي: «ثُمَّ قَالَ: أَنْقَذِي يَا حَرَبَاءَ، قَالَتْ: وَأَنَا أَمْنَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ».

كَانَ الْبَكْرَى سَقَامُ صَرْخِدِيَّةَ تَدَبَّ دَيْبًا فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ^(١)
 فَقَالَ عَقِيلُ : شَرِبْتُهَا وَرَبَّ السَّكْبَةِ^(٢) ! ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهَا بِالسَّيْفِ لِيَقْتُلَهَا ، فَقَالَ
 أَخُوهَا : مَا ذَنْبُهَا ؟ إِنَّمَا أَجَازَتْ شِعْرًا ، فَشَدَّ عَلَيْهِ ، فَخَدَّشَهُ أَحَدَهُمْ بِسَهْمٍ فَوْقَ
 يَتَمَعَكَ فِي دَمِهِ ، وَيَقُولُ :

إِن بَنَى صَرْجُونِي بِالْدَّمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ
 * شِنْشِنَةً أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ *

الشِنْشِنَةُ : السَّجِيَّةُ ، وَأَخْزَمُ : فُخْلٌ مَنْجَبٌ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ . وَقِيلَ : أَخْزَمُ
 جَدُّ حَاتِمِ الطَّائِي .

ثُمَّ تَوَجَّهَ وَلَدُهُ إِلَى الطَّرِيقِ^(٣) ، فَلَمَّا مَرُّوا بِبَنِي الْقَيْنِ ، [نَدِمَ عَقِيلُ عَلَى فِعْلِهِ
 بِجَنَامَةِ] ،^(٤) فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي جَزُورٍ انْكَسَرَتْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَالْزَمُوا
 أَثَرَهُنَّ الْمَرْوَاهِلَ^(٥) ، حَتَّى تَجِدُوا الْجَزُورَ : فَفَرَجَ الْقَوْمُ حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى عَقِيلِ
 فَاحْتَمَلُوهُ ، وَعَاجَلُوهُ إِلَى أَنْ بَرَى ، وَلَحِقَ بِهِمْ^(٥) .

وَقَدْ رُوِيَتِ الْحِكَايَةُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَنَّ الْمَخْدُوشَ بَعْضُ وَلَدِهِ ؛ وَالَّذِي
 عَلَيْهِ أَكْثَرُ الرِّوَاةِ هَذِهِ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَاتَبَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، أُمُّهُ
 أَخْتُ عَقِيلِ بْنِ عُقْلَةَ ، فَقَالَ لَهُ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ! لَقَدْ أَشْبَهْتَ خَالِكَ فِي الْجَفَاءِ ،

(١) الصَّرْخِدِيَّةُ : نِسْبَةٌ إِلَى صَرْخَدٍ ، بَلَدٌ مِلَاسُوقٌ لِبِلَادِ حُورَانَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ .

الْعَفَارُ : الْحَرُّ . الْمَطَا : الظَّهَرُ .

(٢-٢) العبارة في خبر الأغاني : « لَوْلَا الْأَمَانُ لَضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ تَحْتَ قِرْطُكَ » ، أَمَا وَجَدْتَ

مِنْ السَّكْبَةِ غَيْرَ هَذَا ؟ فَقَالَ جَنَامَةُ : وَهَلْ أَسَاءْتُ ! إِنَّمَا أَجَازْتُ ، وَلَيْسَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ،
 فَرَمَاهُ عَقِيلُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ سَاقَهُ ، وَأَتَمَّ السَّهْمَ سَاقَهُ وَالرَّحْلَ ، ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْجَرْبَاءِ فَمَقَّرَ نَاقَتَهَا ،
 ثُمَّ حَمَلَهَا عَلَى نَاقَةِ جَنَامَةَ ، وَتَرَكَهَا عَقِيرًا مَعَ نَاقَةِ الْجَرْبَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْ تَسْبِقُنِي بِنُورَةٍ مَا ذُقْتُ
 الْحَيَاةَ ، ثُمَّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ .

(٣) مِنَ الْأَغَانِي .

(٤) الْأَغَانِي : « الرَّاحِلَةُ » .

(٥) الْأَغَانِي ١٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

فبلغت عَقِيلًا ، ^(١) فرحل من البادية حتى دخل على عمر ^(٢) ، فقال له : أما وجدت لابن عمك شيئاً تغيره به إلا خولتي ! [فقال له صُخَيْر بن أبي الجهم العدوي - وأمه قرشية - : آمين يا أمير المؤمنين] ^(٣) ، قبح الله شرّاً خالاً [وأنا معك] ^(٤) ، فقال له عمر : إنك لأعرابيٌّ [جِلْف] ^(٥) جافٍ ، أما لو كنت تقدّمت إليك لأدبتك ، والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إني لأقرأ ثم قرأ : « إِنَّا بَعَثْنَا نوحاً » ، فقال له عمر : ألم أقل : إنك لم تقرأ ! فقال : ألم أقرأ ! فقال : إن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ، فقال عَقِيل : خَذَا بَطْنٌ هَرَشَى أَوْ قَفَاها فَإِنَّهُ كَلَّا جَابِيٌّ هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقٌ فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيته ويعجبون منه ^(٦) .

وقدم عَقِيل المدينة فدخل المسجد وعليه خُفَّانٌ غليظان ، فجعل يضرب برجليه ، فضحكوا منه ، فقال : ما يضحكم ؟ فقال له يحيى بن الحكم : وكانت ابنة عَقِيل عنده ، وكان أميراً على المدينة : إنهم يضحكون من خُفِّيك ، وضربك برجليك ، وجفائِك ، فقال : لا ، ولكنهم يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجب من خُفِّي ، [فجعل يحيى يضحك] ^(٧) .

وحكى أن يحيى بن الحكم حين خطب ابنة عَقِيل بعث إليها جارية من عنده ؛ لتنظر إليها ، فغمرت الجارية عَضْدها ^(٨) ، فرفعت يدها فدقت أنف الجارية ، فرجعت إلى يحيى ، وقالت : بعثتني إلى أعرابية مجنونة فصنعت بي ما ترى ! فلما اتصلت بيحيى قال لها : مالك مع الخادم ؟ فقالت : أردت أن يكون نظرك إلى قبل كل ناظر ، فإن كان حسناً كنت أوّل من تراه ، وإن كان قبيحاً كنت

(١-١) الأغاني : « نجاء حتى دخل على عمر ، فقال له » .

(٢) من الأغاني . (٣) الأغاني ١٢ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٤) الأغاني ١٢ : ٢٦٢ .

(٥) الأغاني : « نجعات تغمر عضدها » .

أولى من واره^(١) .

وبهاتين السجنتين يُستشهد في التجنيس بقولها : « أول » و « أولى » ،
« و » « رآه » و « واره » .

ومن جيد شعر عقيل يرثى ولده علفة ، يقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ أَخْبَرَتْ بِأَمْرِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى ثَقِيلِ^(٢)
تَحُلُّ الْمَنَآيَا حَيْثُ شَامَتْ فَإِنَّهَا مُحَلَّةٌ بَعْدَ الْفَقَى ابْنَ عَقِيلِ
فَقَى كَانَ مَوْلَاهُ يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ^(٣) فَلَئِنْ الْمَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلِ
كَأَنَّ الْمَنَآيَا تَنْتَقِي مِنْ خِيَارِنَا لَهَا تِرَةٌ أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيلِ

وقوله أيضاً يحرّض قومه ، وذلك بسبب جارٍ لهم :

فَإِنَّمَا هَلَكْتُ فَلَمْ آتِكُمْ فَأَبْلَغُ أُمَائِلَ سَهْمٍ رُسُولاً^(٤)
أَذَلَّ الْحَيَاةِ وَذَلَّ الْمَاتِ^(٥) ! وَكَلَّا أَرَاهُ وَخِمًا وَيِيلاً
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلاً
وَلَا تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مَنَّةٌ كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غُولاً

وقوله وقد خطب إليه رجل كثير المال يُغمزُ في نسبه ، فامتنع :

لَعَمْرِي لَئِنْ زَوَّجْتُ مِنْ أَجْلِ مَالِهِ هَجِينًا لَقَدْ حَبِثَ إِلَيَّ الدَّرَاهِمُ^(٦)
أَبَى لِي أَنْ أَرْضَى الدَّنِيَّةَ أَنَّنِي أُمِدَّ عِنَانًا لَمْ تَخُنْهُ الشَّكَاكُمُ^(٧)

(٢) الأغاني ١٢ : ٢٦٨ .

(١) الأغاني ١٢ ، ٢٦٣ .

(٤) الأغاني ١٢ : ٢٦٦ .

(٣) الأغاني : « بربوة » .

(٦) الأغاني ١٢ : ٢٦٥ ، وبعده :

(٥) الأغاني : « هوان الحياة » .

أَأُنْكِحُ عَبْدًا بَعْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ أَوْلَئِكَ أَكْفَانِي الرِّجَالِ الْأَكْرَامُ

(٧) الشكيمة في اللحام : الحديدة المعترضة في فم الفرس .

١٢٦ - وَمَتَى كَثُرَ تَلَاقِينَا ، وَأَتَّصَلَ تَرَايُنَا ، فَيَدْعُونِي
إِلَيْكَ مَادَعًا ابْنَةَ الْخُسِّ إِلَى عَبْدِهَا ، مِنْ طُولِ السَّوَادِ ،
وَقُرْبِ الْوِسَادِ !

[ابنة الخُسِّ]

ابنة الخُسِّ هذه هي هند بنت الخُسِّ ، والخُسِّ ، الإيادي .
حكى ذلك الشريف المرتضى ^(١) . قديمة في الجاهلية ، أدركت القلمس ^(٢) أحد
حكام العرب الذي يقال : إنه أول من وصل الوصيلة ، وسبب السائبة ^(٣) ،
وتحاکمت هي وأختها جمعة إليه في كلامٍ لهما ، ومدحتهُ بأبيات حسنة ، منها :
إِذَا اللَّهُ جَازَى مُحْسِنًا بِوَفَائِهِ فَجَازَاكَ عَنِّي يَا قَلَمْسَ بِالْكَرَمِ
وبعض الرواة يزعم أنها أقامت في زمن النعمان عند هند ابنته ، ويستشهد
على ذلك بقول الفرزدق :

وَقِيَّتَ بَعْدَ كَانَ مِنْكَ تَكْرُمًا كَمَا لَابَنَةُ الْخُسِّ الْإِيَادِي وَفَتَ هِنْدُ ^(٤)

(١) أمالي المرتضى ١ : ٢٢٠ ، وفي ط : « الرضى » تحريف .

(٢) ذكره صاحب بلوغ الأرب ١ : ٣٣٥ ، وقال : « القلمس الكنانى ، كان أحد
حكام العرب في الجاهلية ، وكان أيضا من نساء المشهور ؛ كان يقف عند جرة العقبة ويقول :
« اللهم إني ناسئء المشهور وواضعها مواضعها ، ولا أعاب ولا أجاب ؛ اللهم إني قد أحللت
أحد الصفرين ، وحرمت صفر المؤخر ؛ وكذلك في الرجيين - يعني رجبا وشعبان » .

(٣) قال صاحب الكشف ١ : ٥٣٤ ، عند تفسير قوله تعالى : « ما جعل الله من
بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » : كان أهل الجاهلية إذا تجت الناقة خمسة أبطن آخرها
ذكر بحروا أذنبا - أى شقوها - وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقياها
المعي لم يركبها واسمها البحيرة ، وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى
فناقني سائبة ، وجعلها كالبحيرة في تحريم الاتفاع بها . . . وإذا ولدت الشاة أثني فهي لهم ،
وإن ولدت ذكرا فهو لأهلهم ؛ فإن ولدت ذكرا وأثني قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا
الذكر لأهلهم ؛ وإذا تجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حى ظهره فلا يركب
ولا يحمل عليه ولا يمنع من رعى ولا ماء » .

(٤) ديوانه .

وليس الأمر كذلك ، وإنما مُراد الفرزدق أن هندا هي التي وَفَتْ لأختها
جمعة ابنة الخُسّ ، لا أنها هند ابنة النعمان .

وكانت ابنة الخُسّ قد زَنَتْ بعبدٍ لها فليَمَتْ ، وقيل لها : ما حَمَلَكَ على
الزنا ؟ فقالت : قرب الوِساد ، وطول السَّواد . والسَّواد : السَّرَّار . يقال : ساودته
إذا سارَرْتَه ، وفي الحديث : « السَّواد من السحر » ، وألحق بعض الرواة في قولها :
« وحِبّ السَّفَاد » ؛ لأنَّ أباهَا كان قد منعها من الزواج .

ولها أسجاع كثيرة ، وشِعْرٌ قليل ، وكانت تحاجي^(١) الرِّجال إلى أن مرَّ بها
رجلٌ ، فسألته الحاجة ، فقال لها : « كاد .. » فقالت : « كاد العروس يكون
أميراً » فقال : « كاد .. » ، فقالت : « كاد المتعلّ يكون راكباً » ، فقال :
« كاد .. » فقالت : « كاد البخيل يكون كلباً » وانصرف . فقالت له :
أحاجيك ؟ فقال : قولي ؛ فقالت : « عجبت ... » ، فقال : « عجبت للسبخة
لا يحفّ ثراها ، ولا ينبت مرعاها » ، فقالت : « عجبت ... » ، فقال : « عجبت
للحجارة لا يكبر صغيرها ، ولا يهرم كبيرها » فقالت : « عجبت ... » فقال : « عجبت
لحفرة بين خذيك ، لا يملأ حفرها ، ولا يدرك قعرها » فحجبت وتركت الحاجة^(٢) .
ومن أسجاعها ، ما قيل : أيّ الخليل أحبُّ إليك ؟ قالت : ذو الميعة الصنيع^(٣)
السليط التليع^(٤) ، الآيد الضليع ، الملهب السّريع^(٥) ، فقيل لها : أيّ الغيوث
أحبُّ إليك ؟ قالت : ذو الهيدب المنبعق^(٦) ، الأصخم المؤتلق ، الصخب المنبثق^(٧)

(١) يقال : حاجيته حاجة : فاطنته فقلبتة .

(٢) أورد هذه القصة الحريري في درة القواس ه ه ونسبها إلى امرأة من الجن .

(٣) ماع الفرس : جرى على الأرض منبسطة في هينة .

(٤) السليط : الشديد . والتليع : الرافع رأسه .

(٥) الآيد : القوى . والضليع : التام الخلق . والملهب : الذي يجتهد في عدوه .

(٦) النبعق : السحاب التنصب بشدة .

(٧) المؤتلق ، من ائتلق البرق ؛ إذا أضاء ، والمنبثق : المنفجر .

فَقِيلَ لَهَا : أَيْ الأَيُّورُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَتْ : أَلَّذِي إِذَا حَفَرَ حَفَرَ ، وَإِذَا أَخْطَأَ قَشَرَ ، وَإِذَا خَرَجَ عَقَرَ .

وَقِيلَ لَهَا : مَا مِائَةٌ مِنَ الْمَعَزِ ؟ قَالَتْ : مُوَيْلٌ يَشْفُ الْفَقْرَ مِنْ وَرَائِهِ ؛ مَالُ الضَّعِيفِ ، وَحِرْفَةُ الْعَاجِزِ . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الضَّأْنِ ؟ قَالَتْ : قَرِيَّةٌ لَأَحَى لَهَا . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَتْ : بَيْعٌ ! جَمَالٌ وَمَالٌ ، وَمُنَى الرِّجَالِ . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْخَلِيلِ ؟ قَالَتْ : طَفَى مَنْ ^(١) كَانَتْ لَهُ ، وَلَا تَوْجِدُ . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : عَازِبَةُ اللَّيْلِ ، وَخَزَى الْمَجْلِسِ ، لَا لَبَنٌ فَتَحْلُبُ ، وَلَا صَوْفٌ فَيَجْزُ ، إِنْ رُبِطَ عَيْرُهَا أَدْلَى ^(٢) ، وَإِنْ تَرَكَ وَلَى .

وَقِيلَ لَهَا : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ فِي عَيْنِكَ ؟ قَالَتْ : مَنْ كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ ^(٣) .
وَمِنْ شَعْرُهَا :

أَشْمُ كَنْصَلِ السَّيْفِ جَعْدٌ مَرَجَلٌ شُفِيتَ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مُدَانِيًا
وَأَقْسَمُ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ لِقَائِهِ وَبَيْنَ أَبِي لَاخْتَرْتُ أَلَّا أَبَالِيَا

* * *

١٢٧ - وَهَلْ قَدَّمْتُ الْأَرَاقِمَ فَأَنْكِحَ فِي جَنْبِ !

الأَرَاقِمُ : حَيٍّ مِنْ تَغْلِبَ . وَجَنْبٌ : حَيٍّ مِنْ الْيَمَنِ .
وهذا اللفظ من جملة شعر المهلهل التغلبي ، وقد تقدم ذكره ^(٤) ، كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس ، فنزل في طريقه على حَيٍّ مِنْ الْيَمَنِ ، فخطبوا إليه ابنته ، فأبى ، فساقوا المهر ، وهو جلود من آدم وغصبوه على الزواج ، فقال :

(١) أمالي المرتضى : « طفى عند من كانت عنه »

(٢) الأمالي : « دلى » بتشديد اللام .

(٣) أمالي المرتضى ١ : ٢٢٠ ، المزهر ٢ : ٥٤٥ ، وانظر بلوغ الأرب ١ : ٣٣٦-٣٤١

(٤) ص ٩٦ - ١٠٢ .

أَعَزُّ عَلَى تَغْلِبِ بِمَا لَقِيتُ أَخْتُ بَنِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ (١)
 أَنْسَكَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَامِ مِنْ جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمٍ (٢)
 لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ خَاطِبُهَا رُمْلٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ (٣)

* * *

١٢٨ - أَوْ عَضَلَنِي هَمَامٌ بِنُ مَرَّةٍ فَأَقُولُ : زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ،
 خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ .

عَضَلَ الْوَلِيُّ الْمَرْأَةَ ، إِذَا مَنَعَهَا مِنَ النَّكَاحِ ، وَالْعَضَلُ : الْمَنَعُ الشَّدِيدُ ؛
 مَاخُذٌ مِنَ عَضَلِ اللَّحْمِ .

وَزَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ ؛ قَوْلُ إِحْدَى بَنَاتِ هَمَامَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ
 ثَعْلَبَةَ ، كَانَ لَهُ أَرْبَعُ بَنَاتٍ ، وَكَانَ يُخْطَبْنَ إِلَيْهِ ، فَيَعْرُضُ ذَلِكَ عَلَيْهِنَّ فَيَسْتَحْيِينَ
 فَلَا يَزَوِّجُهُنَّ ، وَكَانَتْ أُمُّهُنَّ تَقُولُ لَهُ : زَوِّجْنِي ، فَلَا يَفْعَلُ ، فَنُفِرَجُ لَيْلَةً إِلَى
 مَتَحَدِّثٍ لَهُنَّ ، فَاسْتَمَعَ عَلَيْهِنَّ وَهْنٌ لَا يَعْلَمُنَّ ، فَقُلْنَ : تَعَالَيْنِ نَتَمَتَّنِي وَلِنَصْذُقْ ،
 فَقَالَتِ الْكُبْرَى :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ ذَوِي غَنَى حَدِيثُ شَبَابٍ طَيْبُ الرِّيحِ وَالْعِطْرِ
 طَيْبٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَبِيتُ عَلَى وَتَرٍ
 فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَحْبِبِينَ رَجُلًا لَيْسَ مِنْ قَوْمِكَ . ثُمَّ قَالَتِ الثَّانِيَةُ ، وَهِيَ
 الْوُسْطَى :

(١) الْبَيْتَانِ : الثَّانِي وَالثَّلَاثُ فِي الْكَامِلِ ٣ : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) الْحَبَاءُ فِي الْأَصْلِ : الْعَطَاءُ ؛ أَرَادَ بِهِ الْمَهْرَ ؛ يَقُولُ : لَاهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَابَ نَعَم
 فَيَهْرُوهَا الْإِبِلَ ؛ وَجَعَلَهُمْ دَبَاغِينَ لِلْأَدَمِ وَهُوَ الْجِلْدُ .

(٣) أَبَانٌ : جَبَلٌ ، وَهِيَ أَبَانَانُ ؛ أَبَانُ الْأَسْوَدِ وَأَبَانُ الْأَبْيَضِ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ الْمُبَرِّدُ ؛
 وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ . وَرَمْلٌ : لَطْنٌ ، وَمَا زَائِدَةٌ .

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَشْمُ كَنَضْلِ السَّيْفِ غَيْرِ مُهَنْدٍ^(١)
لَصَوْقُ بَأْ كِبَادِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتَدِي

فَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجِفَانَ بَدِيهَةً^(٢) لَهُ جَفْنَةٌ يَشْقَى بِهَا النَّيْبُ وَالْجُزُرُ^(٣)
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ^(٤) تَشِينُ فَلَا الْفَانِي وَلَا الضَّرْعُ الْغَمَرُ^(٥)
قُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَجْبِينُ رَجُلًا شَرِيفًا .

قال : وقلن للرابعة ، وهى الصغرى : تَمْنَى ، فقالت : «زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ ، خَيْرٌ

مِنْ قَعُودٍ» .

فلما سمع أبوهنَّ ذلكَ زَوْجِهِنَّ ، فَكَثُنَ بَرَهَةٌ ثُمَّ اجْتَمَعْنَ عِنْدَهُ .

فَقَالَتِ الْكُبْرَى : يَا أَبَتِ ، سَلْ عَنَّا ، قَالَ : يَا بَنِيَّةُ ، مَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ :
الْإِبِلُ ، قَالَ : كَيْفَ تَجِدُونَهَا ؟ قَالَتْ : خَيْرٌ مَالٍ ، نَأْكُلُ لَحْمَانَهَا مُزْعًا^(٦) ،
وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا جُرْعًا ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعِيفُنَا مَعًا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَجِدِينَ زَوْجَكَ ؟
قَالَتْ : خَيْرُ زَوْجٍ ، يَكْرُمُ الْحَلِيلَةَ ، وَيُعْطِي الْوَسِيلَةَ^(٧) . قَالَ : مَالُ عَمِّمٍ ،
وَزَوْجُ كَرِيمٍ .

ثُمَّ قَالَ لِلثَّانِيَةِ : مَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْبَقَرُ ، قَالَ : كَيْفَ تَجِدُونَهَا ؟ قَالَتْ :
خَيْرٌ مَالٍ ، تَأْلَفُ الْفَنَاءَ ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ ، وَتَوَدُّكَ^(٨) السَّقَاءُ ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ .

(١) كَذَا فِي الْمِيدَانِي ؛ وَفِي الْأَغَانِي : « غَيْرِ مُبْلَدٍ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالْكَامِلِ ، وَفِي الْأَغَانِي : « يَمْلَأُ الْجِفَانَ لُضِيفَهُ » .

(٣) النَّيْبُ : جَمْعُ نَابٍ ؛ وَهُوَ النَّاقَةُ الْمُسْنَنَةُ . وَالْجُزُرُ ، بَظْمِ الزَّاي - وَسَكُنِ لِلضَّرُورَةِ :

جَمْعُ جُزُورٍ ؛ وَهُوَ النَّاقَةُ الْمُجْزُورَةُ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالْكَامِلِ ؛ وَالْحَكَمَاتُ : جَمْعُ حَكْمَةٍ ؛ وَأَصْلُهَا الْحَدِيدَةُ فِي اللَّجَامِ

تَمْنَعُ الْفَرَسَ مِنْ مَخَالَفَةِ رَاكِبِهِ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا التَّجَارِبُ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ ..

(٥) الضَّرْعُ : الضَّعِيفُ . وَالْغَمَرُ : مَنْ لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

(٦) الْمَزْعُ : جَمْعُ مَزْعَةٍ ؛ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

(٧) الْوَسِيلَةُ : مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ ؛ وَفِي الْكَامِلِ : « وَيَقْرُبُ الْوَسِيلَةَ » .

(٨) تَوَدُّكَ السَّقَاءُ : تَجْعَلُ فِيهِ الْوَدَّ ، وَهُوَ الدَّسَمُ .

قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ، وينسى فضله .
قال : حظيت ورضيت .

ثم قال للثالثة : ما مالكم ؟ قالت : المزعز ، قال : فكيف تجدونها ؟ قالت :
لأبأسَ بها ، نولدها فطماً^(١) ، ونساخها أدماً^(٢) ، لم تنبغ بها نَعَمًا ، فقال : جذو^(٣)
مُغْنِيَةً^(٤) . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا سَمَجٌ بَذَر ، ولا بَخِيل
حَكِر^(٥) .

ثم قال للرابعة : يا بَنِيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : الضَّان ، قال : فكيف
تجدونها ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ لا يشبعن ، وهيمٌ لا يقنعن^(٦) ، وصمٌ
لا يسمعن^(٧) ، وأمر مغويتهن يتبعن^(٨) ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت :
شرّ زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عُرْسَه ، قال : « أشبه امرؤ بعض بزّه » .^(٩)
وبعض الرواة يُعزى هذه الحكاية إلى ذى الإصبع العدواني وبناته^(١٠) .

* * *

- (١) فطم : جمع فطيم ؛ وهو ما يفصل عن الرضاع .
(٢) الأدم : اسم لجمع الأديم ؛ وهو الجلد ، أو الأخر منه ، أو مدبوغه .
(٣) كذا في الكامل ، الجذو : جمع جذوة ؛ وهي القطعة ؛ وأصل ذلك في الحشب ، ما كان
منه فيه نار ، وفي الأغاني : « جذوى مغنية » .
(٤) الحكر : المستبد بالشيء .
(٥) الجوف : عظام الأجواف . والهيم : العطاش ؛ واحده أهِيم وهيماء . ولا يقنع :
لا يروى .
(٦) قولها : « وصم لا يسمعن » ؛ قال المبرد : « يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل
بصره : أعمى ، ويقال للسميع الذى لا يقبل : أصم » ؛ فالسلام على التشبيه ، وتقول العرب :
« أبلد ما يرفع الضأن » .
(٧) قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » ؛ قال المبرد : قال علي بن عبد الله : قلت لابن عائشة :
ما قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » ؟ قال : أها تراهن يعمرون فنسقط الواحدة منهن فى ماء
أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه !
(٨) مثل يضرب للمشابهين أخلاقاً .
(٩) القصة فى الأغاني ٣ : ٩٤ - ٦ ، (طبع دار الكتب) والكامل ٢ : ١٤٩ -

١٢٩ - وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، لَأَرْتَفَعْتَ عَنْ هَذِهِ
الْخُطَّةِ ، وَلَا رَضِيتَ بِهِذِهِ الْخُطَّةِ .

الخط : إنزال الشيء من العلو ، والخطّة : الحذرة من الأرض ، وهو المكان
المنخفض . والخطّة : الأمر والمقصد ، قال تَابِطُ شَرًّا :
هُمَا خُطْنَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ^(١)
أراد « خُطَّتَانِ » فحذف النون استخفافاً ، والمعنى أنه لو عَصَلْنِي هَمَامٌ ،
ووقّدتُ الأراقم ، وكنت كابنة الحسن لما رَضِيتُ لنفسِي بك ، ولرفعتُ قَدْرِي
عنك ، ولستُ أعْبَأُ بكلامِكَ ، ولا أستمع لخطابِكَ .

* * *

١٣٠ - فَالنَّارُ وَلَا الْعَارُ ، وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدِّيَّةُ ، وَالْحَرَّةُ تَجُوعُ
وَلَا تَأْكُلُ بِشَدَائِيهَا .

هذه أمثال تُضْرَبُ لمن يَحْتَارُ التَّلَفَ على قُبْحِ الأُحْدُوثة ، وجاء قولهم :
« النَّارُ وَلَا الْعَارُ » ، و « الْمَنِيَّةُ وَلَا الدِّيَّةُ » ، بالنصب - أى أختار النَّارَ وَالْمَنِيَّةَ ،
وبالرَّفْعِ أى النَّارَ وَالْمَنِيَّةَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

وقال العسكريّ في قولهم : « الْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدَائِيهَا » ، يعنون :
لَا تَكُونُ الْحَرَّةُ ظَنَرُ الْقَوْمِ على جُعْلٍ تَأْخُذُهُ مِنْهُمْ ، فيلحقها عيبٌ ، وكان أهل
مِيتِ زُرَّارَةَ حَضَّانَ الْمَلُوكِ ، وفي ذلك يقول حاجب :

* حَضَّنَا ابْنُ مَاءِ الْمَرْزَنِ وَابْنِي مُحَرِّقٍ *^(٢)

فعابه النَّاسُ بِذَلِكَ ، وقالوا : مَا رَأَيْنَا مَنْ يَفْتَخِرُ بِالْمَعَايِبِ غَيْرَهُ ، وَذَلِكَ

(١) اللسان (خطط) .

(٢) هو حاجب بن زُرَّارَةَ ، وبقية :

* إِلَى أَنْ بَرَى فِيهِمْ لَحْيَ وَشَوَارِبَ *

أن الظئر خادم ، والخدمة تَضَع ولا ترفع .

والمثل للحارث بن سليل الأزدي ، أتى علقمة بن خصفة الطائي يخطب ابنه الزبَاء ، فقال لأُمها : أينني عَمَن في نفسها ، فقالت لها : يا بنية ، أيَّ الرجال أَحَبُّ إليك الكهل الجحجاح المتياح . أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى ، قالت : إن الشيخ يَمِيرُكَ ، والفتى يُعِيرُكَ ، قالت : يا أُمّاه ، أخشى من الشيخ أن يُبَلِّي شبابي ويُسَمِّتَ أترابي ؛ فلم تزل أُمها بها حتى زوّجتها من الحارث ، فرحل بها إلى قومه ، فبينما هو جالسٌ بفدائه ، وهي إلى جانبه ؛ إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجُونَ ، فتنفّست الصُعْداء ، فقال لها مَالَكِ ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفرّوخ ! فقال : شككتك أُمك ! تجوع الحرّة ولا تأكل بئديها ! أمّا وأبيك لربّ غارةٍ شهدتها ، وسَيِّدَةٍ أَرَدْتُهَا ، الحَقِي بأهلك ؛ فلا حاجة لي فيك .

قال العسكري : وليس هذا الحديث موافقا للمثل ^(١) .

قال أبو عبيد : أصله ولا تأكل بئديها ، أي من الحسرة ، وليس هذا بموافق أيضا ، ولكنه حكى على ما قيل ، والله تعالى أعلم .

* * *

١٣١ - فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحٌ

وفتيان هِزَّانَ الطَّوَالِ الْغَرَانِقَةِ

يعني كيف أرضى بهذا ، وفي قومي كثير من أكَفائي .

وهِزَّان : اسم قبيلة . والغرانقة : الشَّبَاب ، وهذا البيت للأعشى الأكبر .

[الأعشى]

وهو أعشى بنى قيس بن جندل ، من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين .

(١) جهرة الأمثال ٢ : ١٨٣ (على هامش الميداني) .

وكان يقال : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزُهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب .

وكان بعض الأدباء يقول : الأعشى أشعر الأربعة ، فقيل له : فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس بيده لواء الشعراء ؟ فقال : بهذا الخبر صيغ للأعشى التقدم ، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير ، فامرؤ القيس حامل اللواء ، والأعشى الأمير .

وكان الأصمعي يقول : ممدح الأعشى أحداً إلا رفعه ، ولا هجاء إلا وضعه ؛ فمن ذلك أنه مرّ باليمامة على الحلق بن جشم الكلبي ، وكان خامل الذكر ، وله بنات لا يُحطّين رغبة عنه ، فزّل عنه ؛ فنحر له نافذة لم يكن عنده غيرها ، وسقاه خمرًا ، فلما أصبح قال له الأعشى : ألك حاجة ؟ قال : تشيد بذكري ؛ فلعلّي أشهر فتخطب بناتي ، فنهض الأعشى إلى عكاظ وأنشد قصيدته القافية ، التي يمدح بها الحلق ويقول فيها :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْفِصَاحِ تَحْرَقُ^(١)
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْحَلَقُ
فَمَا أَتَتْ عَلَى الْحَلَقِ سَنَةٌ حَتَّى زَوَّجَ الْبَنَاتِ عَلَى مِثْنِ أُلُوفٍ^(٢) .

ومن ذلك أنه امتدح الأسود العنسي ، فأعطاه ذهباً وحُللاً ، فلما مرّ ببلاد عامر ، خافهم على مأمعه ، فأتى علقمة بن علاثة ، فقال : أجزني ، فقال : أجزتك ؛ قال : من الإنس والجنّ والموت ؟ قال : نعم ، قال : كيف تجيرني من الموت ؟ قال : إن ميتاً في جوارى بعثتُ إلى أهلِكَ بالدِّية ، قال : الآن علمت أنك أجزتني . من الموت^(٣) ثم مدح عامراً وهجاً علقمة ، فكان علقمة يبكي إذا ذكر قوله : تَدَيُّتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بَطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي يَبْتَنُ حَمَائِصًا^(٤)

(٢) الأغاني ٩ : ١١٤ .

(٤) ديوانه ٢٤٧ .

(١) ديوانه ١٤٥ .

(٣) من الأغاني .

«ويدعو عليه إن كان كاذباً»^(١) ويقول : أَنَحْنُ نفعل بجارِنا هذا ! وما زال
مُنكسر النفس من هذا البيت .

وحكى ابن خلاد ، قال : كان الأعشى كثيرَ التَّطَوُّافِ ، فأصبح ليلةً
بأبيات علقمة بن عُلائة ، فلما نظر قائده إلى قِبابِ الأَدَمِ ، قال : ياسوء صباحاً !
هذه والله أبياتُ علقمة ، فلما مَثَلَ بين يديه قال له : أَتَدْرِي لِمَ أَظْفَرَنِي اللهُ بِكَ
بغيرِ ديةٍ ولا عَقْلٍ ؟ قال لا : قال : لتَقُولِكَ عَلَى الباطلِ من غيرِ جُرْمٍ . قال
الأعشى : لا ، ولكن لِيَسْلُوَ اللهُ قَدْرَ حِمْلِكَ فِي ! فأطرق علقمة ، فاندفع
الأعشى يقول :

أَعْلَمْتُ قَدْ صَيَّرْتَنِي الْأُمُورُ إِلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي مَنَكَصٌ^(٢)
فَهَبْ لِي نَفْسِي فَذَلِكَ النَّفْسُ وَلَا زِلْتَ تَنْهِي وَلَا تَنْقُصُ
فقال : قد فعلتُ ، والله لو قلتَ في ما قلتَ في ابنِ عَمِّي عامراً لأَغْنِيَتْكَ ،
ولو قلتَ في عامرٍ ما قلتَ في ما أذاقَكَ بَرْدَ الْحَيَاةِ .

وحكى الأصمعيّ ، قال : وفد الأعشى على كِسْرَى فأنشده من شعره ،
فسأله عن معنى قوله :

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُورِقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
فقال : إنه سهر وما به عشق ولا مرض ، فقال كِسْرَى : هذا لصٌّ
فأخرجوه .

ورحل الأعشى آخرَ عمره إلى النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالباً للإسلام ، وقد
مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

(١) في الأغاني ٩ : ١٢١ : « فرقع علقمة وقال : لعنه الله إن كان كاذباً » .

(٢) شعراء النصارية ٣٩٠ .

فَالَيْتُ لَا أُرْنِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدًا^(١)
 مَتَى مَا تَنَاجَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تَرَاهِي وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِ نَدَى
 نَبِيِّ يَرَى مَالًا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا

فبلغ فرسًا خبره ، فقالوا : هذا صَنَاجَة العرب ، ما مدح أحدا إلا ارتفع ،
 فرصدوه على طريقه ، فقالوا له : يا أَبَاصِير ، أين أردت ؟ قال : صاحبكم لأُسَلِّمَ ،
 قالوا : إنه ينهى عن خلال كلها لك موافق ، قال : وما هي ؟ قالوا : الزنا ،
 قال : لقد تركني الزنا وما تركته . قالوا : والقمار ، قال : لعلّي أصيب منه عَوْضًا .
 قالوا : والحمر ، قال : أَوْه ! أَرْجِعْ إِلَى صُبَابَةِ لِي فِي الْمِهْرَاسِ^(٢) ، فَأَشْرِبْهَا ثُمَّ
 أَرْجِع . فعاد إِلَى رَحْلِهِ ، فَلَبِثَ أَيَّامًا ، ثُمَّ رَمَى بِهِ بَعِيرَهُ فَقَتَلَهُ^(٣) .

وزعم بعض الرواة أنّ الذي أمره بالرجوع أبو جهل ؛ وهو غلط ، فإنّ
 الحمر لم تحرم إلا بالمدينة بعد أن مضت بذر ، والصحيح أنّ القاتل عامر بن
 الطفيل ، وأما قوله :

✽ أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا ✽

فقال المعري : حكى الفراء وحده ، «أغار» في معنى «غار» ، إذا أتى الغور ،
 وإذا صحّ هذا البيت عن الأعشى ؛ فلم يُردّ بالإغارة إلا ضدّ الإنجاد .
 وروى الأصمعي روايتين : إحداهما أنّ «أغار» في معنى عَدَا عَدُوًّا شَدِيدًا ،
 والأخرى أنّه كان يقدّم ويؤخّر ، فيقول : لعمرى أغار في البلاد وأنجد ، فيأتي
 به على زحاف القبض .

وكان ابن مسعدة يقول : « غَارَ لَعْمَرَى » فيأتي به على استعمال الخرم .

في النصف الثاني .

(١) ديوانه ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء .

(٣) الأغاني ٣ : ١٢٥ ، ١٢٦ .

ويروى أن الأعشى كان يؤمن بالبعث والحساب ، ولذلك كان يقول :
 فما أُنْبِئُ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ رَجَلٌ فِيهِ وَصَارَا^(١)
 بأعظم منك تُقَى في الحسابِ إذا أَسْمَاتُ نَفَضْنَ الغُبَا .
 وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : كان ليبد رَأَا ، وكان الأعشى عدليا ،
 وأنشد للبيد :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلُ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ^(٢)
 وأنشد للأعشى :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْ مَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا^(٣)

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِرَأْدٍ مِنَ التُّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدِ تَزَوَّدَا^(٤)
 نَدِمْتَ عَلَى الْأَتَاكَ كَمَثَلِهِ فَتُرْصِدُ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
 وقوله يمدح إلياس بن قبيصة :

وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِي رَأْسِ صَخْرَةٍ مَلَمَلَةً تُعْجِي الْأَرْحَ الْخَدَمَا^(٥)
 لَأَعْطَاهُ رَبُّ النَّاسِ مِفْتَاحَ بَابِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاهُ سُلَّمَا

وقوله من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر :

رَبِّ خَزَقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفَرُ وَمِيلٌ يُفِضِي إِلَى أُمِّيَالٍ^(٦)
 وَقَلِيبَ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرَّبِّشِ بِأَرْجَائِهِ سُقُوطَ نَصَالٍ
 لَا تَشْكُنِي إِلَيَّ وَاتَّجَمِ الْأَسْوَدُ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الْفَعَالِ

(١) ديوانه ٤١ . الأبيلى : صاحب أبيل ، وهى عصا الناقوس . صلب : صور فيه الصليب . صار : سكن .

(٢) ديوانه ١٧٤ . (٣) ديوانه ١٥٥ . (٤) ديوانه ١٠٣ .

(٥) ديوانه ٢٠٣ . مللمة : مجمعة . والأرح الخدم : الوعل الأعصم ، والعصاة : يئس .

فى يديه .

(٦) ديوانه ٤

أَرْحَمِي صَلَتْ يَظِلُّ لَه الْقَوْنُ م رَكُوداً قِيَامَهُمَ لِلْهَلَالِ
فَرَعَنْ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ لِغَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمِ الْحَالِ
عِنْدَكَ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّدُ ع وَحَمَلٌ لِمَغْرَمِ الْأَثْقَالِ
وَهَوَانُ النَّفْسِ الْعَزِيزَةِ لِلذِّكْرِ إِذَا مَا التَّقَتْ صُدُورُ الْعَوَالِ
فَإِذَا مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَحْرُومًا وَجَدُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَلِ
وقوله يمدح المخلوق :

إِذَا حَاجَةً وَلَيْسَ لَكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ^(١)
فَذَلِكَ أَذَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمُهَا وَلِلْقَصْدِ أَتَقَى فِي الْأُمُورِ وَأَرْقُ
أَبَا مَالِكٍ سَارَ الَّذِي قَدْ هَتَفْتُمْ وَأُنْجِدْ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرِقُوا
وَأَنْ عِتَاقَ الْعَيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

يعني أَنَّ الخِدَاةَ تَحْدُو الْإِبِلَ بِنَاءَ الْمَدُوحِينَ ، فَكَأَنَّهُ مُعَلَّقٌ عَلَى أَعْجَازِهَا .
ومنها أيضا :

وَكَمْ دُونَ لِي مِنَ عَدُوٍّ وَبَلَدٍ وَسَهْبٍ بِهِ مَسْتُوْضِحُ الْآلِ يَبْرُقُ^(٢)
وَإِنْ أَمْرًا أَمْرِي إِلَيْكَ وَدُونَهُ سُهُوبٌ وَمَوْمَاءٌ وَبَيْدَاهُ سَمَلَقُ^(٣)
لِحَقْوَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانِ مُوَفَّقُ^(٤)

يعني أَنَّ الْمُوَفَّقَ مَعَانٍ ، وَهَذَا مِنَ الْقَلْبِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، مِثْلُ
قَوْلِ الْآخَرِ : « أَوْ بُلَّغْتَ سَوَاتِيهِمْ هَجْرُ »^(٥) .

(١) ديوانه ١٤٨ - ١٥٠

(٢) ١٤٩

(٣) ديوانه : « أبا مسمع » .
(٤) السهب : ما بعد من الأرض واستوى ، وجمعه سهوب . (٥) السملق : القاع للمستوى
الأجرد الذي لا نبات فيه .

(٥) قطعة من بيت للأخطل ، وهو بتمامه :

مِثْلُ الْقَنَاظِ هَذَا جُونٌ قَدْ بُلَّغْتَ نَجْرَانُ أَوْ بُلَّغْتَ سَوَاتِيهِمْ هَجْرُ

وَعَلَى ذَلِكَ فَتَرَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ^(١) ۚ ۚ أَى خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَمِنْهَا :

لِعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عَيْونُ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْيَفَاعِ تَحَرَّقُ ^(٢)
تُسَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيَانِيهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى وَالْمُحَلَّقُ ^(٣)
رَضِيعِي لَبَانِ ندى أُمِّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ
يعنى أن المَلَقَّ والنَّدى حليقان لا يتفرقان ، كأنهما تحالفا على ذلك عند النار
ولذا كانت عادة للعرب أن تَحْلِفَ عند النار ^(٤) .

وفى قوله : « أسحَم داج » سبعة أقوال : قيل : هو الرماد ، كانوا يحلفون به . وقيل : الليل ، وقيل : الدَّم ، فإنَّهم كانوا يعمسون أيديهم فيه ويحلفون ، وقيل حَلَمَةُ النَّدى ، [ويقال بزق الخمر] ^(٥) ، وقيل : دماء الذبائح للأضتام ، وقيل الرَّحِم .

وقوله : « رَضِيعِي لَبَانِ ندى أُمِّ » واحدة ، مبالغة فى الموصف بالكرم . وعَوْضُ : اسم صنم لبكر بن وائل ، وقيل : من أسماء الدهر ، وأصله أن يكون خَرَفًا ، تقول : لا أفعله عَوْضُ العائضين ، ودَهْرُ الدَّاهرين ، ثم كَبُرَتْهُ حَتَّى أَحْلَوْهُ محلَّ ما يقسم به ، ومن جعل « عَوْض » اسم صنم كأنه قال : عوض قسمنا الذى نقسم به .
ومنها :

تَرَى الْجُودَ يَجْرِى ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ كَأَنَّ زَانَ ضَوْءِ الْهِنْدُوَانِي رَوْنَقُ ^(٦)

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٢) اليفاع : المرتفع من الأرض والجبل .

(٣) تشب ، من شب النار : أوقدها . والمقرور : الذى أصابه القر ؛ وهو الرد .

والاصطلاء : الاستدقاء ، والندى : الكرم .

(٤) تكملة من ت . (٥) زيادة من اللسان . (٦) فى ت « من الهندوانى » .

تَقَى الدَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ
 يروى: «كجابية الشيخ العراقي»، يعنى أن العراقي الذى يتعود الحضر
 ويسلك البادية^(١) يكون حريصا على مائه؛ لأنه لا يعرف مواقع المياه فتكون
 جابيته التى هى من أوانى الماء ملائنة أبداً.

ويروى «السَّيِّح» بالسَّين والحاء المهملتين؛ يعنى الماء السائح من العراق.
 ومنها:

كَذَلِكَ فَافْعَلْ مَا حَيَّيتَ إِذَا شَتَوْنَا وَأَقْدِمْ إِذَا مَا أَعَيْنُ النَّاسِ تَبَرُّقُ
 وأما الشعر الذى ذكر بسببه، فيحكى أنه تزوج امرأة من عَنَزَةٍ، فلم يرَ بها
 فطَلَقَهَا، وقال بدية:

أَيَا جَارَتِي يَبْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ^(٢)
 وَبَيْنِي حِصَانُ الْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَمَوْمُوقَةٌ فِينَا كَذَلِكَ وَوَامِقَةٌ
 وَبَيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكَ بَارِقَةٌ
 وَذَوْقِي فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّي ذَائِقَةٌ فَتَاةٌ أَنْاسَ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَةٌ
 وَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِكَ مَنْكَحٌ وَفَتَيَانِ هِزَّانَ الطَّوَالِ الْغَرَائِقُ^(٣)
 وبهذه الأبيات استدلت قومٌ على أن الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثاً؛ لأنه
 كرر قول: «يبنى» فى ثلاثة أبيات.

وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الأخير، واستعمل فيه نوع
 الاهتمام^(٤)، وهو تغيير «قومك» فجعلها «قوى».

* * *

(٢) ديوانه ١٨٣.

(١) د: «البرية».

(٣) الفرونق: الشاب الأبيض.

(٤) الاهتمام؛ جعله ابن رشيق من السرقات الشعرية. واطظر العمدة ٢: ٢٧١ -

١٣٣ - مَا كُنْتُ لَأَتَخَطَى الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَعِي النَّوْرَ
بَعْدَ الْجَوَادِ .

يعنى ما كنت لأدعَ الفتیان من قومی لأرغبَ إليك ، وأنت بالتسبة اليهم
كلّ رماد إلى المسك ؛ ولعلّه أشار بذلك إلى رسالة لأبي عثمان الجاحظ في ذكر
الرماد والمسك .

وأما قوله : « أمتعى النور بعد الجواد » ، فهو قول المتنبي في قصيدة من
قصائده يقول فيها :

وَمَا لَأَقْبَى بَلَدٌ بَعْدَكُمْ وَمَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبٍّ نَعْمَايَ رَبِّ^(١)
وَمَنْ رَكِبَ النَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ دِ أَنْكَرَ أَظْلَافُهُ وَالغَبَبِ^(٢)

* * *

١٣٣ - فَإِنَّمَا يَتِيمٌ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْعَى الْهَشِيمَ مَنْ عَدِمَ
الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَأَذْلُولَ لَهُ .

الهشيم من التّبات : اليايس المتكسر .

والجميم : النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النّهاية .

والصّعب : مالا يطيع ، والأذلول : ضده .

ومثّلت بهذا القول عدمَ حاجتها إليه ، واستغناءها عنه بمن هو خير منه .

* * *

(١) ديوانه ١ : ٩٨ .

(٢) الغبب والغبب للديك والبقر : ما تدلى تحت حنكها .

١٣٤ - وَلَمَّاكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرِيحَانِ الْمَضَرِّ ؛ الَّذِينَ هُمْ
الْكَوَاكِبُ غُلُوْهُمْ ، وَالرِّيَاضُ طَيْبٌ شِيمٌ .

العصر : الدهر . والمضَر : كل بلد ممصور ، أى محدود .
والمراد بالأقمار هنا والريحان وصف قوم بحسن الوجوه والأخلاق ، ومرادها
بهذه الصفات التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تصغبهم ، ونكاية
المكتوب إليه بمدحهم وذمة بهذه الألفاظ ، والتهكم عليه .

* * *

١٣٥ - مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قِيَتْ سَيِّدَهُمْ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارِى
يعنى هؤلاء الموصوفين .

[العرنـدس]

وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب ، يسمى العرنـدس .
ويقال : إنه أحدُ بنى بكر بن كلاب ، يمدح بها بنى بدر الفنويين ، وكان
أبو عبدة إذا أشدوها له يقول : هذا والله محال ، كلابي يمدح غنويًا ! يعنى عداوة
الحيين ، وهى هذه [الأبيات] (١) :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ (٢)
إِنْ يُسَالُوا الْخَيْرَ أَعْطَوْهُ وَإِنْ خَبَرُوا فِى الْجَهْدِ أَدْرِكْ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ

وإن تَوَكَّدْتَهُمْ لَا تَوْنَا وَإِنْ شِهُمُوا (١)
 كَشَفْتَ أَذِمَارَ شَرِّ أَى إِذِمَارٍ (٢)
 فِيهِمْ وَمِنْهُمْ بَعْدُ الْمَجْدُ مُتَلَدًا (٣)
 لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
 وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِأَكْثَارِ
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَا قَيْتُ سَيِّدُهُمْ
 مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

* * *

١٣٦ - فَحَنَّ قِدَحٌ لَيْسَ مِنْهَا . مَا أَنْتَ وَهُمْ ! وَأَتَى تَقَعُ مِنْهُمْ !

قوله : « فَحَنَّ قِدَحٌ » مَثَلٌ يَضْرِبُ لِمَنْ يَنْشَبُهُ بِقَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ ، وَيَتَمَدَّحُ
 بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَيُقَالُ : « حَنَّ قِدَحًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَ« قِدَحٌ » ، عَلَى أَنَّهُ الْفَاعِلُ ،
 وَالْقِدْحُ : أَحَدُ قِدَاحِ الْمَيْسِرِ ، وَهِيَ السَّهَامُ الَّتِي تَوْضَعُ فِي خَرِيطَةٍ وَيُقْتَرَعُ بِهَا ،
 فَإِذَا كَانَ أَحَدُ الْقِدَاحِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ إِخْوَانَهُ ثُمَّ أَجَالَ الْمَقِيضُ خَرَجَ لَهُ صَوْتُ
 يَخَالِفُ أَصْوَاتَهَا ، فَعُرِفَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَمَلَةِ الْقِدَاحِ (٤) .

وَتَمَثَّلُ بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ
 أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَقْتُلْ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ صَبْرًا ! فَقَالَ
 عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَنَّ قِدَحٌ لَيْسَ مِنْهَا ؛ يَعْنِي أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ قُرَيْشٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا عَمْرٍو كَانَ عَبْدًا ، وَكَانَ أُمَيَّةَ قَدِمْيَ ، وَكَانَ يَقُودُهُ ، فَتَبَنَاهُ .

قلت : كَذَا رَوَى .

* * *

(١) شهِمُوا ، مِنْ الشَّهَامَةِ . وَهِيَ الْحَشُونَةُ .

(٢) فِي الْحَاسَةِ : « غَيْرِ أَشْرَارٍ » .

(٣) مُتَلَدٌ ، مَفْتَعَلٌ ؛ مِنَ التَّلِيدِ . وَتَا خَزَى ، أَى تَا سَوْءٌ يَدُلُّ صَاحِبَهُ .

(٤) الْيَدَانِ ١ : ١٢٩ .

١٣٧ - وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוُ عَمِرُوا فِيهِمْ ، وَكَالَوْشِيطَةَ فِي الْعَظَمِ بَيْنَهُمْ !

يعنى أنك مستلحق بهم ، ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه ، وليست منه ، وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس [بقوله] ^(١) في أشجع السَّلمَى :
 أَيُّهَا الْمَدْعَى سَلِمَى سَفَاهَا لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قَلَامَةٌ ظُفِرَ ^(٢)
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سَلِمَى كَوَاوِ أُلْحَقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بَعَمِرُوا
 ورأى انسان في النوم كأنه يكتب على ظفره واوا ، فقص رؤياه على مُعَبَّرٍ ،
 فقال : رأى هذا المنام دَعَى في نسبه ، وأنشد هذا الشعر من قول أبي نواس .
 وكالوشيطه ، وهى قطعة عَظْم تكون زائدة فى العظم الصَّميم ، ومنه يقال :
 فلان وشيطه فى قومه ، أى هو حَشَوِيهِمْ . وتمثل به الحسن بن على صوات الله
 عليهما ، فقال لعمر بن العاص وقد تلقاه بكلام كَرِهَهُ : أليس من وَهَن الدين ،
 وإماتة السُّنَّةِ ، أن يكون معاوية رئيسا ، وهو الطليق ابن الطليق ، ويكون مثلك
 لى خصما ، وأنت شانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وغلت فى قريش ؛
 وإنما أنت منها كالوشيطه فى العظم !

* * *

١٣٨ - وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بَلَغْتَ قَمَرَ تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوتِكَ ؛ وَعَطَّرْتَ أَرْدَانَكَ ، وَجَرَرْتَ هِنْيَانَكَ ؛ وَاخْتَلَتْ فِي مَشْيَتِكَ ، وَحَذَفَتْ فُضُولَ لِحْيَتِكَ .

يعنى لازمت منزلك ، وأظهرت الفنى والقرى بما تستفضله من قوتك ،

(١) من د .

(٢) ديوانه ١٧٩

وعظرت أكرم ثيابك ، وجررت هميانك أو سِرْوالك ، وما أشبه ذلك ،
قال الشاعر :

يَشُدُّ هِمِيَانَهُ عَلَى هِدَمٍ وذاك من إحمقه ومن تبهه
والهميان غير عربي ، واختلت [في المَشْيِ] ^(١) أى أظهرت الخيلاء والكبر ،
وقصص ما استطال من لحيتك معتمداً على الوضأة والنظافة .

* * *

١٣٩ - وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ، وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَقَّتَ خَطَّ
عِذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَقْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءَ الْاِكْتِنَانِ فِيهِمْ ،
وَطَمَعًا فِي الْاِعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا .

المط : المد ، كأنه إذا تخايل مدّها . والإزار : الطيلسان وما أشبهه ؛ والمعنى
أنك إن كنت تصنع هذه الأشياء لتعدّ من هؤلاء القوم ، وتسكت بهم -
والاكتنان : ستر الشيء بثوب أو غيره - فقد خبت وظننت ظناً عاجزاً ؛
وهذا اللفظ منظوم في قول الخنساء حيث تقول :

وَمَنْ ظَنَّ يَمُنَّ يُبْلِقِ الْحُرُوبَ بِالْأُيُوبِ قَدْ ظَنَّ عَجْزًا ^(٢)

* * *

[الخنساء]

واسم الخنساء ثُمّاض بنت عمرو بن الشريد السلميّ ، كانت من شواعر
العرب المعترف لمن بالتقدم ، حكى الأصمعيّ قال : كان النابغة الجعديّ يجلس

في الموسم بكافٍ وتتحاكم إليه الشعراء ، فدخلت الخنساء فأنشدته من قولها
في أخيها :

وإنَّ صَجْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(١)
فقال : أنتِ أشعر من كلِّ ذاتِ نَدَبَيْنِ ، فقالت : ومن كلِّ ذِي خُصَيْتَيْنِ .
وقال : بشار : لم تقل امرأة شعراً قطَّ إِلَّا تَبَيَّنَ الضَّعْفُ فِيهِ ؛ فقيل له :
أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربع خُصَى . وأكثر شعرها في مرأى
أخويها : معاوية ، وصخر . وأدركت الخنساء الإسلام وأسلمت .

حكى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نظر إليها وفي وجهها ندوب
فقال : ما هذا يا خنساء ؟ فقالت : من طول البكاء على أخوى ؛ قال لها : أخواك
في النار ، قالت : ذاك أطولُ لحزني ، إني كنت أبكي لهما من النار ، وأنا اليوم
أبكي لهما من النار .

ورأت عائشة رضي الله عنها على جسد الخنساء صداراً من شعر - وهو ثوب
صغير - فقالت : يا خنساء ، أتلبسين الصِّدَارَ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنه ؟ قالت : لم أعلم بنهيه ، وله سبب ، فقالت : وما هو ؟ قالت : زوجني
أبي رجلاً متلاًفاً للماله ؛ فأسرع فيه حتى نفد ، [ثم في مالي حتى نفد]^(٢) فقال
لي : إلى أين يا خنساء ؟^(٣) فقلت : إلى أخي صخر ، فلقيناه ، فقسّم ماله بيننا
شطرين ، ثم خيّرنا ، فقالت زوجته : أما كفاك أن تقسم مالك حتى تخيّرهم ؟ فقال :
والله لا أمنحها شِرَارَهَا وهي حصانٌ قد كفتني عارَهَا
وَلَوْ أَمُوتُ مَرْقَتْ خِمَارَهَا وَجَعَلْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا
فجعلتُ هذا الصِّدَارَ تصديقاً لظنته ، فلا أنزع حتى أموت .

(١) ديوانها ٧٩ ، وروايته هناك .

أَغْرَأُ بُلْبُجٌ تَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

(٢) من ت . (٣) ط : « إلى أين تدعين » ، وأثبت ما في ت ، م .

وحدثت علقمة بن جرير ، قال : استؤذن جماعة على معاوية ، وكنت فيهم ، فلما دخلنا عليه أجلسنا وأكلنا ، ثم قال : يا علقمة ، هل عندك ظريفةٌ تحدثنا بها ؟ قلت : نعم ، أقبلتُ قبلُ مُخْرِجِي إِيْلِكَ أسوقُ شارقاً^(١) لي أريدُ نحرَها عند الحَيِّ ، فأدركني اللَّيْلُ بين أبياتِ بني الشريد ، فإذا عَمْرَة ابنة مرداس عروُساً ، وأمها الخنساء بنت عمرو ، فقلتُ لهم : انحروا هذه الجزور ، واستعينوا بها ، وجلستُ معهم ، فلما هيئتُ أذنَ لنا ، فدخلنا ، فإذا هي جاريةٌ وضيئةٌ - يعني عَمْرَة - وإذا أمُّها الخنساء جالسةٌ ملتفةٌ بكساءٍ أحمر ، وقد هَرِمَتْ ، وإذا هي تلحظُ الجاريةَ لحظاً شديداً ، فقال القوم : باللهِ يا عَمْرَة ! ألا تحرِشتِ بها فإنها الآن تعرفُ بعضَ ما أنت فيه ، فقامتِ الجاريةُ تريدُ شيئاً ، فوطئت على قدمها وطأةً أوجعتها ، فقالت وهي مغيظةٌ : حَسَنَ ! إِيْلِكَ يا حَقَاء ! واللهِ لكانما تطئنين أمةً وزهاءً ؛ أنا واللهِ كنتُ أكرمُ منك عرساً ، وأطيبُ ورساً ، وذلكَ زمانٌ إذ كنتُ فتاةً أُعجبُ الفتيان ، لا أذِيبُ الشحم ، ولا أُرعى البهَم ، كالمهرة الصَّليع ، لا مُضاعةٌ ولا عند مضيع . فمجب القوم من غيظها من ابتها ، وضحك معاوية حتى استلقى .

وماتت الخنساء في زمنه بالبادية .

ومن محاسن شعرها قولها في رثاء أخيها :

فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ	دَرَاكَ ضَمِيمٍ وَسَلَابٍ بِأَوْتَارٍ ^(٢)
قَدْ كُنْتُ تَحْمِلُ قَلْبًا غَيْرَ مُؤْتَسِبٍ ^(٣)	مُرَكَّبًا فِي نِصَابٍ غَيْرِ خَوَارٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ	وَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلسَّارِي
شُدُّوا الْمَارَرَ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَكُمْ ^(٤)	وَشَمَّرُوا لِمَهْلِكِهَا أَيَّامُ تَشْمَارٍ

(١) الشارف : الناقة المسنة . (٢) ديوانها ١١٠ .

(٣) مؤتسب : ذئب ، وفي الديوان : « غير مهضم » .

(٤) الديوان : « حتى يستنفذ لكم » ؛ أي يتها .

وَابْكُوا فَنِي الْحَيِّ لَا قَتْلُهُ مَنِيَّتُهُ وَكَلَّ حَيًّا إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارٍ
وقولها من قصيدة :

فَأَقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا (١)
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِّ دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

قولها : « دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » ، يحتمل وجهين : أحدهما أن السيد
الشجاع ثقيل على الأرض لسؤدده وسقوطه ، فإذا مات انحلت بموته ثقله عنها .
والثاني أن الأرض دَحَلَتْ بِهِ أَمْوَاتَهَا ، من الحلية ، وسمت الموتى « ثقلا » للأرض
تشبيها بالحمل ، والحمل يسمى ثَقْلًا ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا ﴾ (٢) . قال بعض المفسرين : أى موتها ؛ وقال بعضهم : كنوزها .

وقولها :

لَعَمْرُ أَيْسَكَ لَنَعَمَ الْفَتَى تَحُشُّ بِهِ الْحَرْبُ أَجْذَالَهَا (٣)
وَحَيْلٍ تَكْدِسُ مَشَى الْوَعُو ل نَازَلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا
لَدَى مَا زَقِ بَيْنَهَا ضَيْقُ تَجَرَّ الْمَيِّتَةِ أَذْيَالَهَا
تَهِنُ النَّفُوسُ وَهَوْنُ النَّفْوِ سِ يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَقْبَى لَهَا
وَمُحْصَنَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ كِ قَعَقَعَتْ بِاللَّيْلِ خَلْجَالَهَا
وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السَّنَا نِ تَبَقَّى وَيَهْلِكُ مَنْ قَالَهَا
نَطَقَتْ ابْنُ عَمْرٍو فَأَوْضَحَتْهَا وَلَمْ يَنْطِقِ النَّاسُ أَمْشَالَهَا
فَإِنْ تَكُ مُرَّةً أَوْ دَتًى بِهِ فَقَدْ كَانَ يُكْذَرُ تَقَاتَلَهَا

(١) ديوانها ٢٠١ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات

(٢) سورة الزلزلة ٢

(٣) تحش : توقد . والأجنال : أصول الشجر ، أى توقد الحرب حطبها به .

وقوله أيضاً :

وإنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا
وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُّهُ الْهَيْلَةُ بِهِ
كأنَّه عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
مِثْلِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَدْنِ شَيْبَتُهُ
كأنَّه تَحْتَ طِيِّ الْبُرْدِ إِسْوَارُ^(١)
وقوله أيضاً :

فَمَا بَلَغْتَ كَفِّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلٍ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً
من المجد إلَّا وَالَّذِي نَلْتَ أَطْوَلُ^(٢)
وإنَّ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
أَخَوَالِجُودٍ مَعْرِفَالَهُ الْفَضْلُ وَالْفَدَى
حَلِيفَانِ مَا دَامَتْ تِعَارُ وَيَذْبُلُ^(٣)
وقولها تَمْدَحُ أَخَاهَا وَأَبَاهَا :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَّا
حَتَّى إِذَا بَدَتْ الْقُلُوبُ وَقَدْ
يَتَمَّارَانِ مَلَاءَةُ الْخَضِرِ^(٤)
لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ
وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أَوَّلِي فَأَوَّلِي أَنْ يَسَاوِيَهُ
وَهُمَا كَانَتُهُمَا وَقَدْ بَرَزَا
لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ
وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أَوَّلِي فَأَوَّلِي أَنْ يَسَاوِيَهُ
وَهُمَا كَانَتُهُمَا وَقَدْ بَرَزَا
يعني أنه إنما أفرج له عن السَّبْقِ مع قدرته على المساواة معرفةً بحقه ،
وتسلياً لكبر سنِّه .

وقيل لأبي عبيدة : إن هذه الأبيات ليست في مجموع شعر الخنساء ، فقال :
لعله أَسْقِطَ من أن يجاء عليها بمثل هذا .
ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الأبيات :

(١) ديوانها ٨١ .

(٢) الرديني : الرمح ؟ منسوب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح .

(٣) ديوانها ١٨٤ .

(٤) تمار : جبل بأرض بني سليم . ويذبل : جبل لطفغان .

(٥) ديوانها ١٣٨ . والملاءة : الریطة . والخصر : الجرى .

تَعَرَّفَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَغَمًّا (١)
 وَأَفْنَى رَجَالِي فَبَادُوا مَعًا فَاصْبَحَ قَلْبِي بِهِمْ مَسْتَفْزًا
 كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا حِمِّي يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ فِي ذَاكَ مِنْ عَزٍّ بَرًّا
 وَخَيْلٍ تَكْدُسُ بِالْدَّارِعِينَ وَتَحْتَ الْعِجَاجَةِ يَجْمِزُنْ جُحْزًا (٢)
 بَيْضُ الصَّفَاحِ وَشُمُرُ الرِّمَاحِ فَبِالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالشُّمُرِ وَخَزًّا
 جَزَزْنَا نَوَاصِي فُرْسَانِهَا وَكَانُوا يَطْطُونُ أَلَّا تُجَزَّا
 وَمَنْ ظَنَّ تَمَنُّ يُبْلَغِي الْحُرُوبَ بِأَلَّا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

* * *

١٤٠ - وَأَخْطَأْتُ اسْتِثْنَاكَ الْخُفْرَةَ .

هذا مثل يُضْرَبُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا فَيُخْطِئُهُ وَلَا يَنَالُهُ . حَكَى أَنَّ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي
 عُبَيْدٍ قَالَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ : وَاللَّهِ لَا أُدْخِلُنَ الْبَصْرَةَ ، وَلَا أُرِيَّ دُونَهَا بَكَّتَابَ (٣) ،
 ثُمَّ لَا مَلِكَنَّ الْهَنْدَ وَالسَّنْدَ وَالْبَنْدَ - أَرَادَ بِالْبَنْدِ الْعِلْمَ - أَنَا وَاللَّهُ صَاحِبُ الْخُفْرَةِ
 وَالْبَيْضَاءِ ، وَالْمَسْجِدِ الَّذِي يَنْبَعُ مِنْهُ الْمَاءُ .

فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفٍ قَالَ : أَخْطَأْتُ اسْتَثْنَاكَ ابْنَ أَبِي عُبَيْدٍ الْخُفْرَةَ !
 أَنَا وَاللَّهُ صَاحِبُ ذَاكَ ، كَأَنَّ الْحُجَّاجَ تَمَثَّلَ بِذَلِكَ . (٤)

* * *

(١) ديوانها ١٤٣ .

(٢) التَّكْدُسُ : مَثَى لَيْسَ بِالسَّرِيعِ وَلَا بِالطَّيِّبِ ؛ وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا فِي الْغَبَالِ .

(٣) كِتَابٌ ، كَشْدَادُ : السَّهْمُ لَا يُفْضَلُ لَهُ وَلَا رَيْشٌ .

(٤) الْمِيدَانِيُّ ١ : ١٦٥ . وَفِي ت «ب» .

١٤١ - وَاللَّهُ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْدَيْنِ .

[مُحَرَّقٌ ، وهو عمرو بن هند]

مُحَرَّقٌ ، هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء . وهو عمرو بن هند ، وكان يعرف بأمه هند بنت الحارث بن حُجْرٍ أكل الرار الكندي . وكان يقال لعمرو : مضرط الحجارة ، لشدة بأسه ، وسمي مُحَرَّقًا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الأغاني ، فقال ^(١) : كان قد عقد حبي طيبي على ألا يثازعوا ولا يفاخروا ولا يعزوا ، ثم إنه غزا اليمامة ورجع مغتبطًا ، ومربطًا ، فقال له زُرارة بن عُدُس التميمي - وكان من خواصه : أبيت اللعن ! أصبت من هذا الحبي شيئًا ؟ فقال : وبلك ! إن لم عقدا ، قال : وإن كان لهم ؛ فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادًا ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي ^(٢) :

أراك ابنَ هندٍ لم تَعَقِّكْ أمانةٌ وما المرء إلا عَهْدُهُ ومَوَاهِقُهُ ^(٣)

(١) في ج ١٩ : ١٢٨ (سأني) وما بعدها .

(٢) الأغاني : « قيس بن جروة » .

(٣) رواية الأبيات في الأغاني :

أَلَا حَيٌّ قَبْلَ الْيَوْمِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقٌّ إِلَيْهِ وَشَاقِقُهُ
وَمَنْ لَا تَوَاتِي دَارَهُ غَيْرَ قَيْنَةٍ وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ تَفَارِقُهُ
وَتَعْدُو بِصَحْرَاءِ الثَّوْبَةِ نَاقِيَتِي كَعَدُوِ النَّحُوصِ قَدْ أُنْجَتِ نَوَاقِيَتُهُ
إِلَى الْمَلِكِ الْخَلِيرِ ابْنِ هَنْدٍ تَزُورُهُ وَلَيْسَ مِنَ الْفُوتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ
وَأَنَّ نِسَاءَ هَنْدٍ مَا قَالَ قَائِلٌ غَنِيمَةُ سَوَاءٍ بَيْنَهُنَّ مَهَارِقُهُ
وَلَوْ نِيلٌ فِي عَهْدٍ لَنَا لَحْمِ أَرْبٍ رَدَدْنَا ، وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مُعَالِقُهُ
فَهَبَكَ ابْنُ هَنْدٍ لَمْ تَعَقِّكَ أَمَانَةٌ وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا عَهْدُهُ وَمَوَاهِقُهُ =

فأقسمتُ جهدي بالأباطح من مني وما خبَّ في بطحائهن درادقه^(١)
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته لَا نَحِينُ للعظم ذُو أَنْتَ عَارِقُهُ^(٢)
سمي عارقاً بهذا البيت .

وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرارة بن عدس : أبيت اللعن !
إِنَّهُ يَتَوَعَّدُكَ ! فقال عمرو لرميلة بن شعار الطائي^(٣) : أبهجوني ابن عمك
ويتوعدني ! قال : لا والله ما هجأك ، ولكنه قال :

وَاللهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ مَا إِنْ كَسَاكُمْ ضَيْعَةً وَهَوَانًا^(٤)
وَأَرَادَ رُمَيْلَةً أَنْ يَسْلَ سَخِيمَتَهُ ، فقال : والله لأقتلنه ، فبلغ ذلك عارقاً
فقال منشداً :

أَيُّوعِدُنِي وَالزَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَبَيَّنَ رُويْدًا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ^(٥)

= وَكُنَّا أَنَاسًا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ المَلَأَ وَأَبَارِقُهُ
فَأَقْسَمْتُ لَا أَحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَى رَمْلِهِ وَشَقَاقَتُهُ
وَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالنَّازِلِ مِنْ مَنِي وَمَا خَبَّ فِي بَطْحَائِهِنَّ دَرَادِقُهُ
(١) الدرادق : أولاد الوحش .

(٢) اتجى : قصد . عرق العظم : انتزع منه اللحم .

(٣) الأغاني : لرميلة بن شعاع الطائي ، وهو ابن عم عارق .

(٤) بعده في الأغاني :

وسلاسلًا يبرقن في أعناقكم وإذا لقطع عنكم الأقروا
ولكان عادته على جيرانه ذهباً وربطاً رادعاً وجفانا
(٥) قبله في الأغاني :

مَنْ مَبْلَغٌ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّتْهَا الْعَيْسُ تَنْضَى مِنَ الْبُعْدِ
وبنده :

وَمِنْ أَجْلِ دُونِي رِعَانٌ كَانَهَا قَنَابِلُ خَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ

غدرت بعهدك كنت أنت أخذتنا عليه ، وشر الشيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى جله من دم القصد
فبلغ عمرو بن هند قوله ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من بني عدى بن أخزم
رھط حاتم ، فوفد حاتم عليه ، وسأله في الأسرى فأطلقهم له .

وكان المنذر بن ماء السماء ، أبو عمرو ، قد وضع ابناً له صغيراً يقال له
مالك ، عند زرارة بن عدس ، وإن مالكا خرج يوماً يتصيد ، فأخفق
ولم يجد شيئاً فرجع ، فرى بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم ، يقال له :
سويد - وكان عند سويد ابنة زرارة ، فولدت له سبعة غلمة - فأمر مالك بن
المنذر بناقية سمينة منها فنحروها ثم اشتوى وسويد نائم ، فلما انتبه شد على
مالك بعضاً فضر به فأمة^(١) فمات ، وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة .

وكانت طيئ تطلب عثرات زرارة وبني أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي
الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

مَنْ مَبْلَغٌ عَمْرًا بَأْسَ الْمَرْءِ لَمْ يُخَلِّقْ صُبَارَةً^(٢)
وَحَوَادِثَ الْآيَامِ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَّا الْحِجَارَةُ
إِنْ ابْنَ عَجْزَةِ أُمِّهِ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارَةٍ^(٣)
تَسْفِي الرِّيحَ خِلَالَ كَشْحِهِ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَةً^(٤)
فَاقْتُلْ زُرَّارَةً لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةٍ

(١) في الأصول : « فأما » ؛ والتصويب من الأغاني . أمه : شجوه .

(٢) الصبارة : الحجارة .

(٣) يقال : فلان عجزه أبويه ، أي آخرهم .

(٤) رواية الأغاني :

تسفي الرياح خلالة سخياً وقد سلَبُوا إِزَارَةً

سخياً ، أي قشراً .

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند ، بكى وفاضت عيناه .

و بلغ الخبرُ زُرارةَ فُهرَب ، وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حبلى ، فقال : أذكر في بطنك أم أنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، فبقر بطنها . فقال قومُ زُرارةَ لزُرارة : والله ما قتلتَ أبا الملك ، فأنه فاصدقه الخبر ، فأتاه فأخبره الخبر ، فقال : على يسويد ؛ فقال : إنه لحق بمكة . قال : فعلى بينيه ، فأتى بينيه السبعة وأمرهم بنت زُرارة وهم غلّة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم ، فضرّوا عنقه ، وتعلّق زُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : « يا بعضي أرسل بعضي » ، فذهبت مثلاً وقتلوا ، وآلى عمرو بن هند أليّة ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدن ، وبعث على مقدّمته عمرو بن ثعلبة ، فوجد القوم قد نذروا ، فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بناحية البحرين فحبسهم ، ولحقه ابنُ هند ، فضربت فيه قتيته ، وأمر لهم بأخدود ، ثم أضرم فيه نارا ، فلما احتدمت وتلّظت قذف بهم فيه ، فاحترقوا ، فأقبل راكب من البراجم - وهم بطن من بني حنظلة - لا يدري بشيء مما كان يُصنع بغيره ، فأخذ وألقى في النار . وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : لو تحلّلت بامرأة منهم ، فقد أحرقت تسعةً وتسعين رجلاً ! فدعا بامرأة من بني حنظلة ، فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : الحمراء بنت ضمرة ، فقال : إني لأظنك أعجميّة ، فقالت : ما أنا بأعجميّة ، ولا ولدتنى العجم :

إني لبنتُ ضَمْرَةَ بن جابرٍ سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عن كابرٍ

فقال عمرو : أما والله لولا محافتي أن تلدى مثلك لصرفتُك عن النار . فقالت : أما والذي أسأله أن يضعَ وسادك ، ويخفِضَ عمادك^(١) ، ماتقتل إلا نساءً أعاليها تُدِيّ ، وأسافلها دميّ ، قال : اقدفوها في النار ، فالتفتت وقالت : ألا فتى

(١) بعدما في الأغاني : « ويقرب هلكك » .

يكون مكان عجوز ! فلما أبطنوا عليها قالت : هيهات ! صار الفتيان محمما ،
وسمى من ذلك اليوم محرقا .

* * *

ومن ملوك جفنة أيضا المحرق ، لكنه غير صاحب البردين ؛ فأما امرؤ البردين
فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق ، فأخرج بردين من لباسه يلبس الوفود ،
وقال : ليقم أعز العرب فليأخذها . فقام عامر بن أحيمر فأخذها ، فأنزله بالواحد
وارتدى بالآخر . فقال له : أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز كله في معد ،
والعدد في معد ، ثم في نزار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد
ثم في كعب ، ثم في بهدة ، فمن أنكر هذا فليناقزني . فسكت الناس ، فقال :
هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ قال : أنا
أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ، وها أنا في نفسي ، وشاهد
العز شاهدي ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال : من أزالها من مكانها فله عشرة
من الإبل ؛ فلم يقم إليه أحد ، وخرج بالبردين ؛ فضربت العرب بعزه
المثل وببرديه .

* * *

١٤٣ - وَحَلَّتْكَ مَارِيَّةُ بِالْقُرْطَيْنِ .

[ذكر قرطى مارية]

القرط : نوع مما تحلى به المرأة أذنفا ، ومارية ، هي ابنة ظالم بن وهب السكندى ؛
حروجة الحارث الأكبر الفسائي ، أحد ملوك العرب بالشام ، وهي أم الحارث
الأصغر ، وأما هند الهنود ، امرأة آل كل المرار ، وكان في قرطينا لؤلؤتان

عجبتان ، يتوارثهما الملوك ، وصلتا إلى عبد الملك بن مروان ؛ فوهبهما لابنته فاطمة ، لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فلما وُلِّيَ عمرُ الخلافة قال لها : إن أحببت المقام عندى فضعى القرطين والخلى فى بيت مال المسلمين ، فوضعتهُ . فلما مات وُلِّيَ يزيد بن عبد الملك ، أرسل إليها يقول : خذى القرطين والخلى من بيت مال المسلمين . فقالت : لا والله ؛ ما أواقعه فى حال حياته ، وأخالفه بعد وفاته .

وروى الميدانى أن مارية أهدت قرطبيها إلى الكعبة ، وها دُرَّتَان كيبضتى الحمام ، لم يَرَفِ فى عصرها ولا قبله مثلُهما ، هكذا روى الميدانى ^(١) ، والله أعلم بحقيقتهم .

* * *

١٤٣ - وَقَلَدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةِ .

[عمرو بن معد يكرب]

هو عمرو بن معدى كرب بن عبد الله الزبيدى ، وكنيته أبو ثور ، الفارس المشهور ، صاحب الفارات والوقائع المذكورة فى الجاهلية والإسلام . وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنّة العاشرة من الهجرة ، قال عمرو : قدِمْتُ المدينة فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قافلاً من تبوك ، فأردت أن أدنو إليه ، فمَنَعْنِي مَنْ حَوْلَهُ ، فقال : دَعُوهُ ، فذَنُوتُ مِنْهُ ، فقلت : أنعم صباحاً أبيت اللعن ! فقال : يا عمرو ، أسلم تسلم ، ويؤمّنك الله من الفرع الأكبر ، فأَسَلَمْتُ ^(٢) .

وعاش عمرو إلى أيام عثمان ، وأبلى فى وقائع الاسلام بلاء حسناً ، مثل

(١) بحج الأمثال ١ : ١٥٦ ، ولفظ المثل هناك : « خذه ولو بقرطى مارية » .

(٢) انظر الأغاني ١٥ : ٢١٢ (طبعة دار الكتب) .

وقعة القادسية ؛ وهو الذي ضرب خَطم الفيل بالسيف فانهزم ، وانهزمت
الأعاجم ، وكان سبب الفتح . ومثل وقعة اليرموك وغيرها .

قال الخنمى : ما رأيت رجلاً أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك ، خرج
لله عِلْجُ قتلته ، ثم آخر قتلته ، ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ، ثم انصرف إلى خِباء
له أسود ، فنزل فدعا بالحِلفان ، ودعا من حوله ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمرو
ابن معد يكرب .

وحدث ابنُ أبي حاتم ، قال : مررنا يوم القادسية بعمرو بن معد يكرب
وهو يحضّ الناس بين الصّفين ، ويقول : أيّها الناس ، كونوا أشدّ منا شأناً ،
إنّ هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مزارقاً^(١) فإنما هو تيّس ؛ فبينما هو كذلك
يحرّضنا ، إذ خرج رجل من الأعاجم ، فوقف بين الصّفين فرماه بدشابة ، فما
أخطأت سيّة قوسٍ كان متنكبها ، فالتفت ثم حمل عليه فاعتقه ، ثم أخذ بمنطقته
فاحتمله ، فوضعه بين يديه ، وجاء حتى إذا دنا ممّا كسر عنقه ، ثم أمر الصّمامة
على حلّقه فذبجه ، ونزع سواريه ومنطقته وألقاه ، وقال : هكذا فاصنعوا بهم .
فقلنا : مَنْ يستطيع بأبأ ثور أن يصنع كما تصنع^(٢) !

وحكى أبو عبيدة ، قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالاً عظيمة ،
فغزل سعد بن أبي وقاص الخمس ، ثم قسم البقية ، فأصاب الفارس ستة آلاف ،
وبقي مال دثّر^(٣) ، فكتب إلى عمر بما فعل . فكتب إليه أن ردّ على المسلمين
الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الواقعة ، ففعل ذلك ، ثم كتب إليه
[بذلك ، فكتب إليه]^(٤) : أن أعط ما بقي حَمَلة القرآن ، فاتاه عمرو بن
معد يكرب ، فقال : ما منعك من حفظ القرآن ؟ قال : إني أسلمت ، ثم شُغِلت

(١) المزارق : رمح قصير . (٢) انظر الأغاني ١٥ : ٢١٧ .

(٣) دثّر : كثير . (٤) من ت .

بالغزو عن حفظ القرآن ، [قال : مالك في هذا المال نصيب] ^(١) .
 وقيل : أتاه بشر بن ربيعة ، فقال له : مامعك من حفظ القرآن ؟ قال : معي
 « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ فضحك القوم ، فقال سعد : مالك في هذا المال من
 شيء ولا من نصيب ؛ فقال عمرو منشدا :

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَنْبِئُنِي لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قُرَيْشٌ : أَلَا تَلِكِ الْمَقَادِيرُ
 نَعْطِي السَّوِيَّةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَفَذٌ وَلَا سَوِيَّةَ إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيرُ ^(٢)
 وقال بشر أبياتا ^(٣) ، فكتب سعد إلى عمر بما قالوا ، فكتب إليه : أعطهما
 على بلائهما ، فأعطاهما أربعة آلاف درهم ^(٤) .

وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معد يكرب في سرية أميرها سلمان ^(٥)
 ابن ربيعة ، فعرض الخيل ، فمرو عمرو على فرس له ، فقال سلمان : هذا هجين ،

(١) من الأغاني ، والخبر فيه في ١٥ : ٢٤٢ .

(٢) السوية : العدل .

(٣) ذكرها صاحب الأغاني ، وهي :

أَنْخَتُ بَبَابَ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِي وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصٍ عَلَى أَمِيرٍ
 وَسَعْدُ أَمِيرٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ وَخَيْرُ أَمِيرٍ بِالْمَعْرَاقِ جَرِيرٌ
 وَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَوَافِلٌ وَعِنْدَ الْمُثَنَّى فِضَّةٌ وَحَرِيرٌ
 تَذَكَّرْتُ هَذَاكَ اللَّهَ وَقَعَ سِوْفُنَا بَبَابَ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرٌ
 عَشِيَّةً وَدَ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
 إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ دَلَقْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ نَسِيرُ
 تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجِبِينَ كَأَنَّهُمْ جِبَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهْنٌ زَفِيرُ

(٤) الأغاني ١٥ : ٢٤٣ .

(٥) ت : « سليمان » وأثبت ما في الأغاني ؛ وهو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي ،
 ويعرف بسلمان الخيل ؛ ويقال : إن له محبة . وانظر تهذيب التهذيب .

فقال عمرو : عتيق . قال : فأمر به فمُطَّش ، ثم دعا بقدس^(١) ، فقلب فيه ماء^(٢) ،
فدعا بجحيل عتاق فشربت ، فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب ، وهكذا يصنع
الهجين . فقال له : ألا ترى ؟ فقال عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين . فبلغ
عمر ، فكتب إليه : قد بلغني ماقلت لأميرك ، وبلغني أن لك سيفاً تسميه
الصمصامة ، وعندى سيف مصمم بالله ، لئن وضعته على هامتك لا أقبلع حتى
أبلغ به شراسيفك ، فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد^(٣) .

ويروى أن عمر رضى الله تعالى عنه سأله يوماً فقال : ماتقول في الحرب ؟ قال :
مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق ؛ فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ؛ قال :
فما تقول في الرمح ؟ قال : خليلك ؛ وربما خانك ، قال : فالنبل ؟ قال : منايا
تخطيء وتصيب . قال : فالترس ؟ قال : عليه تدور الدوائر . قال : فالسيف ؟
قال : عبدك ، ثكلتك أمك ! قال عمر : بل أمك ، فقال : «الحمي أضرعتني لك» ،
فأغلظ له عمر في الكلام ، فقال :

أتوعدنى كأنك ذو رُعَيْنِ بأنعم عيشة أو ذو نُؤاسِ
فلا تفخر بمُلكِكَ ، كلُّ مَلَكٍ يصير لذلكِ بَعْدَ الشَّمْسِ

فقل عمر : صدقت ، فاقصص منى قال : لا ، بل أعفوا يا أمير المؤمنين ، لولا أية
سمعتها منك لجللتك السيف ؛ أخذ منك أم ترك ؛ قال : وماهى ؟ قال : سمعتك
تقرأ : ﴿ إِنَّهُ مِنْ بَيَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾^(٤) ؛
والله لو علمت أنى إذا دخلتها مت لفعلت^(٥) .

(١) القدس ، بالحريك : السطل ، وفي الأصول : « برس ، تحريف .

(٢) في الأصوى : « قلبت » .

(٣) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٤٤ مع اختلاف في الرواية .

(٤) سورة طه ٧٤

(٥) الميداني ١ : ١٣٨ .

وحكى أن عينية بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياماً ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد [منذ قدمنا هذا الغائط]^(١) ، ثم ركب فرساً ، وسأل عن بحلة بنى زُبيد ، فأرشد إليها ، وسأل عن عمرو ، فوقف ببابه ، ثم قال : يا أبا ثور ، اخرج إلينا ، فخرج مؤتزرا ، كأنما كسر وجبر ، فقال : أنعم صباحا أبا مالك ! فقال : أوليس قد بدلنا الله تعالى بهذا : « السلام عليكم ! » ؛ فقال : دَعْنَا بما لانعرف ، انزل فإنّ عندى كبشا سمينا ، فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم ألقاه في قدير وطبخه ، وجلس يتحدث إلى أن أدرك ؛ فترد في جفنة عظيمة ، وألقى القدير عليها ، وقعدا فأكلا منها ، ثم قال : أى الشراب أحب إليك : اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ فقال : أوليس قد حرمها الله تعالى في الإسلام ! فقال : أنت أقدم إسلاما ، أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فإنّي قد قرأت ما بين دفتي المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريما إلا أنه قال : ﴿ فهل أتمّ مُنْتَهون ! ﴾^(٥) ، فقلنا : لا . ثم جاءا بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ، ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عينة الانصراف قال عمرو : لئن انصرف أبو مالك بغير حياءٍ إنها لوضمة ، فأمرله بناقاة أرحبية^(٦) وحمله عليها ، ثم أتى بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضعه بين يديه فقال : أما المال فوالله لا آخذه ولا أألمسه ، فانصرف وهو يقول^(٧) :

(١) من الأغاني .

(٢) الأغاني : « ساحا » ، أى بالغاً في السمن .

(٣) الأغاني : « أكبر سنا أم أنا » .

(٤) كذا في ت والأغاني ، وفي ط : « سمعت » .

(٥) سورة المائدة ٩١ .

(٦) أرحبية : نسبة إلى بنى أرحب ، بطن من همدان .

(٧ - ٧) في الأغاني : « فقال : أما المال فوالله لا قبلته ، قال : والله إنه لمن حياء »

عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فلم يقبله عينة وانصرف وهو يقول .

جُرَيْتَ أَبَا ثَوْرٍ جزاء كرامةٍ فنعمَ الفَتَى المزدَارُ والمتضَيِّفُ^(١)
وقيل : إنه لم يكن في عمرو خصلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن
العلاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالمرْبَدِ يتحدث على عادتهم ، فقال : أغرتُ^(٢) في
الجاهلية على بني مالك ، فخرجوا مسترعفين^(٣) بخالد بن الصقعب [يقدمهم]^(٤) ،
فحملت عليه بالصمصامة ، فأخذت رأسه^(٥) - وكان خالد بن الصقعب حاضراً -
فقال بعض الجماعة : مهلاً أبأثور ! قتيلك يسمع كلامك - وأشار إليه - فقال :
اسكت ، إنما أنت محدث فاسمع أو قم ؛ ثم التفت إلى خالد ، وقال : إنما نُرْهِبُ
هذه المعدية بهذه الأخبار ؛^(٦) ومضى في حديثه ، فلم يقطعه ، فقال له رجل : إنك
لشجاع في الحرب والكذب ، فقال : إني كذلك !

وحكى أبو عمرو بن العلاء ، قال : جاء رجل إلى عمرو ، وهو واقف بالمرْبَدِ
على فرس له وقد أسنَّ ، فقال : لأنظرنَّ ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده بين
ساقه وجنب الفرس ، ففطن عمرو لذلك ، فضمَّ رجله وحرك الفرس ، فجعل
الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به ، فقال :

(١) الأغاني ١٥ : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، وبعده هناك :

قريتَ فأكرمتَ القرى وأقدتَنا نخيلةً علمٍ لم يكن قطُّ يُعرفُ
وقلت : حلالٌ أن تُديرَ مُدَامَةً كلونِ انمقاقِ البرقِ والليلِ مُسْدِفُ
وقدّمتَ فيها حُجَّةً عَرَبِيَّةً تَرُدُّ إلى الإنصافِ مَنْ ليس بنصفِ
وأنتَ لنا والله ذِي العرشِ قُدْوَةٌ إذا صدنا عن شُرُبهَا التثكلُفُ
تقول : أبو ثور أحلَّ حرامها وقولُ أبي ثورٍ أسدٌ وأعرفُ

(٢) ط : « غررت » ، والصواب ما أثبتته من ت والأغاني

(٣) الاسترعاف : السبق والتقدم .

(٤) من الأغاني (٥) الأغاني : « حتى فاضت نفسه » .

(٦) إلى هنا ، الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٢٣ .

يَا بَنَ أَخِي ، مَالِك ؟ قَالَ : يَدِي تَحْتَ سَاقِكَ ، نَفَلِي عَنْهُ ، وَقَالَ . إِنَّ فِي عَمِكَ
بَقِيَّةً بَعْدَ^(١) .

وَمِنْ كَلَامِهِ ؛ حَكَى أَنَّهُ أَتَى مَجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَسَالِكَ حُمْلَانَ^(٢)
مِثْلِي ، وَسِلَاحَ مِثْلِي ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِفَرَسٍ جَوَادٍ وَسَيْفٍ صَارِمٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛
فَرَفَعَ بَيْنِي حَنْظَلَةَ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا ثَوْرٍ ، كَيْفَ رَأَيْتَ صَاحِبَكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ بَنُو
مَجَاشِعَ ! مَا أَشَدَّ فِي الْحُرُوبِ إِقْمَاءَهَا ، وَأَجْزَلَ فِي الْأَزْبَاتِ^(٣) عَطَاءَهَا ، وَأَحْسَنَ فِي
الْمَكْرَمَاتِ بِنَاءَهَا ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهَا فَمَا أُجِبْتُهَا^(٤) ، وَسَأَلْتُهَا فَمَا أُجْلَتْهَا ،
وَهَاجَيْتُهَا فَمَا أُفْحَمْتُهَا^(٥) .

وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِهِ :

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْخَيْلَ رَهَوًا كَانَهَا جَدَاوِلُ مَاءٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ^(٦)
وَجَاسَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ
ظَلَّتْ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيثَةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرَمٍ وَفَرَّتِ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ ، وَلَسَكُنَّ الرَّمَاكِ أَجَرَّتِ
قَوْلُهُ : « أَقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرَمٍ » ، مِنْ الْمَجَاءِ الْمَمْضِيِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ
أَنَّهُ قَوْمًا فَرَّوْا ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ يُقَاتِلُ غَضْبًا لَهُمْ وَعَصْبِيَّةً .

وَقَوْلُهُ : « وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي » ، يَعْنِي لَوْ قَاتَلُوا وَطَاعَنُوا نَطَقْتُ بِمَدْحِهِمْ ،
وَلَسَكُنَّ فَرَّوْا فَاسْكُتُونِي عَنِ الْمَدْحِ ؛ وَالْأَصْلُ فِي الْإِجْرَارِ أَنَّ الْفَصِيلَ إِذَا أَرَادُوا
فَطَامَهُ شَقُّوا لِسَانَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الرِّضَاعِ .

(١) الْأَغَانِي ١٥ : ٢٢٢ .

(٢) الْحُمْلَانُ ، مَصْدَرُ حَمَلَ ، عَنَى بِهِ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ .

(٣) الْأَزْبَةُ : الشَّدَّةُ وَالْفَحْطُ ، وَالْجَمْعُ بِسُكُونِ الزَّيِّ .

(٤) الْأَغَانِي : « فَمَا أَقْلَاهَا » ، أَيَّ عَدَدَتِهَا قَلِيلَةٌ .

(٥) الْأَغَانِي ١٥ : ٢٢٢ .

(٦) الْأَصْمَعِيَّةُ ٣٤ . رَهَوًا : سَرَعًا . اسْبَطَرَتْ : اِمْتَدَّتْ بِسُرْعَةٍ .

وقوله في القصيدة التي أولها :

* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ *^(١)

وقد عجيبت أُمَامَةً أَنْ رَأَيْتِي تَفَرَّحَ لِمَتَى شَيْبٌ فَظِيعٌ^(٢)
 أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامٌ طَوَالٌ وَهُمْ مَا تَبَلَّعُهُ الضُّلُوعُ^(٣)
 وَزَحَفُ كَتِيبَةٍ لِلْقَاءِ أُخْرَى كَأَنَّ زُهَاءَهَا رَأْسٌ صَلِيعٌ^(٤)
 وَإِسْنَادُ الْأَسْنَةِ نَحْوِ نَجْرِي وَهَزْزُ الْمَشْرِفَةِ وَالْوُقُوعُ
 فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ عُضْمٍ تُرَى حِكْمَاتُهُمْ فِيهَا رَفُوعٌ^(٥)
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْنِي وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 وَصِلْهُ بِالزُّرُوعِ فَكُلَّ شَيْءٍ سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ وَلُوعٌ^(٦)
 وقوله أيضا :

يَأْتِيهَا الْمُتَتَابِنَا جَهْلًا بِنَا وَوُلِدْتَ عَبْدًا^(٧)
 لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا
 أَنَّ الْجَمَالَ مُعَادِنٌ وَمُنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ مَجْدًا
 أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَغَةً وَعَدَاءً عَلْنَدِي^(٨)
 نَهْدًا وَذَا شَطِيبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا^(٩)

(١) الأصمعية ٦١ ، وبقيته :

* يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ *

(٢) تفرعه : علاه ، أو صار في فروعه ، وفرع كل شيء علاه .
 (٣) تبَلَّعَهُ : أي تسعه .
 (٤) الزُهَاءُ : القدر . رَأْسٌ صَلِيعٌ : لا شعر فيه .
 (٥) الحِكْمَاتُ : جمع حكمة ؛ وهي ما أحاط من اللجام بحنكى الدابة . رفوع ، مصدر .
 بمعنى الارتفاع

(٦) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

(٧) ديوان الحامسة ١ : ١٧٠ - بشرح التبريزي ولم يرو البيت الأول .

(٨) سَابِغَةٌ ، أي درعا وسبيغة : وعداء علندي ، أي فرسا ضخما شديد العدو .

(٩) فرس نهْد : ضخم طويل .

كل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما أستمدا
لما رأيت نساءنا يفحصن بالمغزاة شدا^(١)
وبدت محاسنها التي تخفى وعاد الأمر جدّا
نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا^(٢)
ثم يندرون دمي وأن ذر إن لقيت بأن أشدا
كم من أخ لي صالح بوائه يندى لحدّا
ذهب الذين أجهم وبقيت مثل السيف فردّا
قلت : لو لم يكن له إلا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير .

* * *

وأما الصمصامة فهي سيفه المشهور ، قال عبد الملك بن عمير : أهدت
بلقيس إلى سليمان عليه السلام خمسة أسياف ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ،
ومخذم ، ورسوب ، والصمصامة ؛ فأما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أخذه من عقبة بن الحجاج يوم بدر ، ومخذم ورسوب للحارث
ابن جبلة الغساني ، وذو النون والصمصامة لعمر بن معد يكرب .
وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمر : ابعث لي الصمصامة ، فبعث به
إليه ، فلم يره كما بلغه ، فقال له في ذلك ، فقال : إني بعثت إليك الصمصامة ،
ولم أبعث لك باليد التي تضرب به !

وحكى أبو عبيدة أن الصمصامة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن
خالد بن الوليد لما غزا بني زبيد ، وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه أوقع
بهم ، وأسر ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب ، ففداها خالد ، وأثابه عمرو

(١) المغزاة : الأرض الصلبة ذات الحجارة .

(٢) كبش الكتبية : رئيسها .

الصَّمْصَامَةَ ، ثمّ قدّ يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدى إلى البصرة ، فلما كان بواسط أرسل إلى بنى العاص يطلب الصَّمْصَامَةَ ، فقالوا : إنه في السبيل محبّساً . فقال : خسون سيفاً قاطعاً في السبيل أغنى من سيف واحد ، وأعطاهم خمسين سيفاً ، وأخذه ، فلما صار إلى الهادي أحضره ، وأمر الشعراء بوصفه ، فقال بعضهم من أبيات :

حازَ صَمْصَامَةَ الزَّيْدِيُّ عَمَرُو من جميع الأنام موسى الأمين
ما يُبَالِي مَنْ انتضاه لضرب أشمال سَطَّ به أم يمين^١
ثم وصل إلى المتوكل ، فدفعه إلى غلامه باغر التركي ، فقتله به ، ومن عند باغر انقطع خبره .

* * *

١٤٤ - وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ .

النعامه فرس الحارث بن عباد التغلبي ، أكبر سادات بنى وائل ، وهو الذي اعتزل حرب البسوس ، وقال : « لا ناقة لي فيها ولا جمل » ، فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال :

قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِجَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالٍ^(١)
يعنى هذا الفرس ، ويكرر قوله : « قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي » ؛ في أبيات كثيرة من هذه القصيدة . وقد تقدّم شيء من ذكره .

ويقال : إن هذه الفرس كانت لحز بن لؤذان ، وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته :

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتُخْضِي^(٢)

(١) أمالي القالي ٣ : ٢٦ ، أمالي المرتضى ١ : ١٢٦ .

(٢) البيان والتبيين ٣ : ٣١٧ .

وَأَنَا أَمْرُو إِنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً أَقْرَنَ إِلَى سَنَنِ الرَّكَّابِ وَأَجْنَبَ
وَبِكَوْنِ مَرْكُوبِكَ الْقَعُودَ وَحِدْجَهُ وَابْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
يَعْنِي أَنَّكَ إِنْ أُسْرْتَ كَانَتْ لَكَ وَسِيلَةٌ عِنْدَ الرِّجَالِ، مِنْ كَحْلِكَ وَخَضَابِكَ،
وَأَنَا إِنْ أُسْرْتَ جَنِبْتُ إِلَى جَانِبِ فَرَسِي، فَأَكُونُ رَاكِبَ ظِلِّهَا .
قَالَ أَبُو عُبَادَةَ : النِّعَامَةُ عَزَقٌ فِي بَاطِنِ الْقَدَمِ ؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْعَيْتِ : شَالَتْ
نِعَامَتُهُ ، أَيْ ارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ .
وَقَوْلُهُمْ : إِنْ فَرَسَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ هِيَ فَرَسٌ خُزَزَ فِيهِ نَظَرٌ ، فَقَدْ قِيلَ :
إِنْ خُزَزَ بَعْدَ الْحَارِثِ بَزْمَانٌ .

* * *

١٤٥ - مَا شَكَكْتُ فِيكَ ، وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ ، وَلَا كُنْتُ
إِلَّا ذَاكَ .

يَعْنِي لَوْ تَجَمَّلْتَ بِهَذِهِ الذِّخَائِرِ لَمَا تَدَلَّسَ عَلَى أَمْرِكَ ، وَلَا خَفِيَ عَنِّي نَسَبُكَ
الَّذِي أَعْرَفَهُ قَبْلَ الْآنِ .

* * *

١٤٦ - وَهَبَكَ سَامِيَتَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ ، وَجَارِيَتَهُمْ
فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ .

لِلسَّامَةِ : الْمَائِلَةُ فِي السَّمَاءِ . وَالذِّرْوَةُ : أَعْلَى الشَّيْءِ ، وَمِنْهُ ذِرْوَةُ السَّنَامِ .
وَالْمَجْدُ : التَّوَسُّعُ فِي السَّكْرَمِ وَالْجَلَالَةِ ، وَأَصْلُ الْمَجْدِ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَجَدَّتِ الْإِبِلُ ؛
إِذَا حَصَلَتْ فِي مَرْعَى كَبِيرٍ وَاسِعٍ ، وَأَجْمَدَهَا الرَّاعِي .
وَالْحَسَبُ : مَا يَعْدُوهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَفَاخِرِهِ ، وَيَحْسِبُهُ مِنْ مَفَاخِرِ آبَائِهِ ، قَالَ ابْنُ

الأعرابي : الحسب والكرم يكونان في المرء وإن لم يكن له أباء لهم شرف .
والظرف : الكيس . والأدب : بجمع أنواع من الحسن ، مأخوذ من المأدبة ،
وهي الجمع على الطعام والدعاء إليه ، ومنه سمي الأديب الجامع لفنون كثيرة ،
[كالنظم والنثر والعلم والأدب والتفنن في كل مقولة ^(١)] .

* * *

١٤٧ — أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ ، إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبٌ
خَالِي الذَّرَاعِ !

القعيدة : امرأة الرجل ، كأنها مقاعدته . وَلَكَاعٍ : اللثيمة النفس ، مبنى على
الكسر . والعزب : البعيد عن الزوجة ، مأخوذ من العازب في طلب الكلاء ،
وهو المتباعد .

وخالي الذراع ؛ مثل خالي اليد ، كناية عن الفراغ .
والمعنى : لو أنك جامع للحاسن ، أَلَسْتَ متزوجاً ! وكلّ مَنْ شئت من
هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتي عَزَبٌ ، فكيف أفضلك عليهم !
وقوله : « إلى بيت قعيدته لَكَاعٍ » . هو نصف بيت من شعر الخطيئة ،
وهو قوله :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ

* * *

[الخطيئة]

واسم الخطيئة جرّول بن أوس بن مالك العبسي ، والخطيئة: لقب وقع عليه .
 قيل : لِقَصْرِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وقيل : لِأَنَّهُ ضَرَطَ يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ :
 إِنَّمَا حَطَّاتُ حُطَيَّةٍ ^(١) . وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرَمِينَ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ
 وَالْإِسْلَامَ ، وَالغَالِبَ عَلَى شَعْرِهِ الْهَجَاءُ ، وَكَانَ دُنَى النَّفْسِ وَالْهَمَّةِ ؛ قَدِمَ الْمَدِينَةَ
 فَمَشَى أَشْرَافَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ ، وَهُوَ شَاعِرٌ ،
 وَالشَّاعِرُ يَظُنُّ فَيَحْقُقُ ، فَيَأْتِي الرَّجُلَ مِنْكُمْ ، فَإِنْ أَعْطَاهُ جَهْدَ نَفْسِهِ [بَهْرَهَا] ^(٢)
 وَإِنْ حَرَمَهُ هَجَاءً . فَأَجْعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ شَيْئًا مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَجَمَعُوا لَهُ
 أَرْبَعًا مِائَةَ دِينَارٍ وَأَتَوْهُ ، وَقَالُوا : هَذِهِ صِلَةُ آلِ فُلَانٍ ، وَآلِ فُلَانٍ ، وَآلِ فُلَانٍ ،
 فَأَخَذَهَا وَظَنُوا أَنَّهُمْ كَفَوْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، فَإِذَا هُوَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَدْ اسْتَقْبَلَ الْإِمَامَ
 قَائِلًا : مَنْ يَحْمِلُنِي عَلَى بَغْلَيْنِ كَفَاهُ اللَّهُ كِتَابَ ^(٣) جَهَنَّمَ ^(٤) .

وحكى أبو عبيدة ، قَالَ : مَضَى الْخَطِيئَةُ إِلَى عَتِيبَةَ ^(٥) بْنِ النَّهَّاسِ ، فَسَأَلَهُ ،
 فَقَالَ : مَا أَنَا عَلَى عَمَلٍ فَأَعْطَيْكَ ، وَلَا فِي مَالِي فَضْلَةٌ عَنْ قَوْمِي ، فَقَالَ لَهُ :
 فَلَا عَلَيْكَ . ثُمَّ انصَرَفَ . فَقَالَ بَعْضُ قَوْمِهِ : عَرَّضْنَا وَنَفْسَكَ لِلشَّرِّ ! فَقَالَ :
 كَيْفَ ؟ قَالُوا : هَذَا الْخَطِيئَةُ وَهُوَ هَاجِنَا أَخْبَثَ هَجَاءً ، قَالَ : رَدَّوهُ ، فَرَدَّوهُ
 إِلَيْهِ ، فَقَالَ : كَتَمْتَنَا نَفْسَكَ ؛ كَأَنَّكَ تَطْلُبُ ^(٦) الْعِلَّاءَ عَلَيْنَا ! اجْلِسْ وَلَكِ
 عِنْدَنَا مَا يَسُرُّكَ ، فَجَلَسَ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

(١) خطيئة : تصغير خطأ ؛ فعلة ، من قولهم : خطأ خطأ ، إذا ضل .

(٢) من الأغاني ، أى كلف نفسه فوق طاقتها .

(٣) كبة النار : صدمتها .

(٤) الأغاني ٢ : ١٦٤ (طبعة دار الكتب) .

(٥) ط : « عبيد » ؛ وأثبت ما في ت والأغاني .

(٦) ت : « تريد » ؛ وأثبت ما في ت والأغاني .

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(١)
 فقال عَتِيبَةُ : هذا والله من مقدّمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب
 به إلى السوق ، فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته ، فجعل يعرض عليه
 الخبز والرقيق من الثياب فلا يريدّها ، فيعرض الأَكْسِيَّةَ الفَلاظَ
 والكرايس^(٢) فيشتريها . ثم مضى ، فلما جلس عَتِيبَةُ في نادى قومه ، أقبل
 الحطيئة وقال :

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذمّ عليك ولا حمد^(٣)
 ثم ركض فرسه ، وولّى^(٤) .

وحكى أن الزُّبْرَقَانَ بن بدر كان عاملاً على صدقات قومه ، فورد
 في سنة مجديّة على عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ليؤدّي ما اجتمع من
 الصّدقة ، فلقى الحطيئة ومعه زوجته وبناته ، فقال له الزُّبْرَقَانُ - وقد عرفه
 ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق . فقد حطمتنا هذه السنّة . قال :
 وما تصنع ؟ قال : ودّدت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مئونة عيالي ، وأصفيه^(٥)
 مدحى ما حييت ، فقال له الزُّبْرَقَانُ : فهل لك فيمن يوسّعك لبناً وسمناً^(٦) ،
 ويجاورك أحسن جوار ؟ فقال الحطيئة : هكذا وأبيك العيش ، [وما كنت
 أرجو هذا كله]^(٧) فقال : قد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندي ، قال : ومن
 أنت ؟ قال : الزُّبْرَقَانُ بن بدر ، قال : فأين محلك ؟ قال : اركب هذه الإبل قال :

(١) لزهير ، دبوانه ٣٠ يفره : يتمه ولا ينقصه .

(٢) الكرايس : جمع كرباس ، وهو ثوب من القطن الأبيض .

(٣) بعده في الأغاني :

وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة فتعطى ، ولا يمدى على النائل الوجد

(٥) أصفيه : أخلصه .

(٤) الأغاني ٢ : ١٦٨

(٦) من الأغاني .

(٧) الأغاني و « د » : « و تمرا » .

واستقبل مطلع الشمس، واسأل عن القمر - يريد الزُّبرقان، فإنه من أسماء القمر،
وسمى به لحسنه - وسرَّ إلى أم هند بنت صعصعة - يعني زوجته - ففعلوا كرمته
المرأة، فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس - وكانوا ينافسون^(١) الزُّبرقان -
فأرادوه على جوارهم فأبى، فدنسوا إلى امرأة الزُّبرقان؛ أنه يريد أن يتزوج
مُليكة ابنة الحطيئة - وكانت جميلة - فقصرت في حق الحطيئة، وظهر له منها
الجفاء، فانتقل إلى بني شماس فضربوا له قُبَّةً، وضربوا له أثاثاً، ووربطوا له
بكل طُنب جَلَّة^(٢)، وأراحوا عليه إبلهم وكسوه.

ثم ورد الزُّبرقان فقال: ردُّوا عليَّ جاري، فأبوا، وكاد يكون بينهم حرب،
فقال أهلُ الرأى منهم: خيروه، ففعلوا ذلك، فاختار بغيضاً، فصار يمدحهم،
وهم يطلبون منه هجاء الزُّبرقان فيمتنع، إلى أن أرسل الزُّبرقان إلى رجل من
النَّير، فهجأ بغيضاً، فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزُّبرقان ويناضل عن بغيض:
وَاللَّهِ مَا مَعَشَرٌ لَامُوا أَمْرًا جُنُبًا^(٣) فِي آلِ لَأْيٍ بَنِ شِمَاسٍ بِأَكْيَاسٍ
لَمَّا بَدَأَ لِي مَنِّكُمْ غَشَّ أَنْفُسِكُمْ^(٤) وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمْ آسِي
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ يُرَى طَارِدًا لِلْحَرِّ كَالْيَاسِ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبَغِيئِهَا وَقَعْدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
فاستعدى عليه الزُّبرقانُ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، فقال عمر للزُّبرقان:
ما أرى هَجَوًا ولكن معاتبة. فقال الزُّبرقان: أما تبلغ مروءتي إلا أن آكل
وألبس! فقال عمر رضي الله عنه: علىَّ بحسَّان؛ فجيء به، فسأله: أهجاء؟
قال: لا، بل سلَّح عليه بعد أن أكل الشِّبرم^(٥)، فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة

(١) الجلة وعاء من خوص يتخذ للتمر.

(٢) الجنب: الغريب.

(٣) الأغاني: «غيب أنفسكم».

(٤) الشبرم: حب يشبه الحمص، يطبخ ويشرب ماؤه للتداوي. وقيل: إنه نوع

من الشيع.

ليبرهه . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد هجوتُ أبى وأُمى وزوجتى ونفسى ؛
فَضَحَكَ عمر وقال : ما قلت ؟ قال : قلتُ فى أبى وأُمى :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فى النِّسَاءِ فَسَوِّتَنِ وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِ فى المَجْلِسِ
وقلت فى زوجتى :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعِ
وَقلت فى نفسى :

أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ قَبَّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبُّحِ حَامِلُهُ
فأمر به عمر فحُبِسَ فى بئرٍ وغطَّاهُ ، فقال :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَذَى مَرَحِ حُمْرِ الحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٍ (١)
أَلْقَيْتَ كَاسَهُمْ فى قَعْرِ مَظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا عَمْرُ (٢)

فأَخْرَجَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِيَّاكَ وَهَجَاءُ النَّاسِ ! قَالَ : إِذَا يَمُوتُ عِيَالِي جَوْعًا .
فَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْمَقْدَعَ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَنْ تَخَايِرَ بَيْنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَأَنْتَ
وَاللهُ أَهْجَى مِنِّي ؛ فَسَلَّمَهُ إِلَى الزُّبْرَقَانِ ، فَشَدَّ فى عُنُقِهِ حَبْلًا ، فَعَارَضَتْهُ غُطْفَانِ
وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَهْبِئَهُ لِهَمِّ ، ففَعَلَ ، ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَعْرَاضَ
النَّاسِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِالْبَادِيَةِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فى خِلَافَةِ عُمَرَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣) .

ولما حضرته الوفاة قالوا له : يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، أَوْصِ ، فقال : وَيْلٌ للشَّعْرِ

(١) فى ن « خمس » .

(٢) بعده فى الأغاني :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِى مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ
لَمْ يُؤْثِرْكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِكَ الْإِثْرُ
(٣) انظر الأغاني ٢ : ١٧٩ وما بعدها .

من رُواة السَّوء ! فقالوا له : ^(١) « أوصِ رَحِمَكَ اللهُ ! قال : أبلغوا أهلَ امرئِ القيس أن صاحبهم أشعرُ النَّاسِ بقوله : « فيالكَ من ليلٍ » ، فقالوا له : أوصِ ^(٢) فقال :

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمَةٌ إِذْ ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
رَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَّمَهُ يَرِيدُ أَنْ يُعَرِّبَهُ فَيُعْجِمُهُ ^(٣)
قالوا : ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكن أخشى على المدح الجيّد يُمدح به
من ليس له أهلاً ^(٤) ، قالوا : أتوصي للفقراء بشيء ؟ فقال : بالإلحاح في المسألة ،
فإنها تجارة لن تبور ، واست المستول أضيق . ثم مات ^(٥) .

(١ - ١) في الأغاني « أوصِ رَحِمَكَ اللهُ يا حطيطه ! قال : من الذي يقول :
إِذَا أَنْبَضَ الزَّامُونَ عَنْهَا نَزَمْتُ تَرْنَمٌ ثَكَلِي أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ
قالوا : السماخ ، قال : أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب ، قالوا : ويحك ! أهذه وصية !
أوص بما ينفعك ، قال : أبلغوا أهل ضائي أنه شاعر حيث يقول :
لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرُ أَنْبِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
قالوا : أوص ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب
حيث يقول .

فِيالكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُلِ
قالوا : اتق الله ودع عنك هذا ، قال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :
يُقَشُّونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
قالوا : هذا لا يفني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه .

(٢) بعده في الأغاني : قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه ، فقال :
قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى الْخِصَمِ الْأَلَدِ
* فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَانَتْ تَرُدُّ *

(٣) بعده في الأغاني : « قالوا : فن أشعر الناس ؟ فأوماً بيده إلى فيه ، وقال : هذا
الجبير إذا طمع في خير - يعني فيه - واستعبر بأكيا ، فقالوا له : قل : لا إله إلا الله ، فقال :

قَالَتْ وَفِيهَا حَيْدَةٌ وَذُعْرُ عَوْدٍ بَرَبِّي مِنْكُمْ وَحُجْرُ
فقالوا له : ما تقول في عبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار .
(٤) الخير في الأغاني ٢ : ١٩٥ - ١٩٧ ، وفيه زيادة وتفصيل .

ومن محاسن شعره قوله :

جَزَى اللهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَلَى خَيْرٍ مَا يَجْزِي الرِّجَالُ بَفَيْضِ^(١)
فَلَوْ شَاءَ إِذْ جِئْنَا ضَنْفًا فَلَمْ يُلَمْ وَصَادَفَ مِنَّا فِي الْبِلَادِ عَرِيضًا
هذا معنى حسن غريب ، يقول : كثرت محاسنه ، فاستغنى أن يكثر مادحيه
وأنه لو منع أو أساء إساءة واحدة لكانت له في البلاد حسنات كثيرة تكفيه ،
ولا يصدق هاجيه .

ومن محاسن شعره قوله :

فَتَى غَيْرُ مِفْرَاحٍ إِذِ الْخَيْرِ مَسَّهُ وَمِنْ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ جَزُوعٍ^(٢)
كَثِيرُ النَّدَى إِنْ تَأْتَهُ بِصَنِيعَةٍ إِلَى مَالِهِ لَمْ تَأْتِهِ بِشَفِيعٍ
وقوله في أبي موسى الأشعري :

وَجَحَفَلِ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مَبْتَجِعٍ أَرْضَ الْعَدُوِّ بَبُؤَسٍ بَعْدَ إِنْعَامٍ^(٣)
مِنْ كُلِّ أَجْرَدٍ كَالسَّرْحَانِ أَرْزَهُ مَسَحَ الْأَكْفَ وَسَقَى بَعْدَ إِطْعَامٍ
مُسْتَحْقَاتِ رَوَايَاهَا جَحَافِلَهَا يَسْمُو بِهَا أَشْعَرَى طَرْفُهُ سِبَاحِي

الزوايا : الإبل التي تحمل الأثقال تجنب الخيل إليها ، فتضع جحافلها على
أعجاز الإبل مكان الحقائب لطولها ، فكانها مستحقة لها . وكان الخطيئة
قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش ، فقال : تمت العدة ، فدحه بهذه القصيدة
فكتبه ، فبلغ عمر فلامه على ذلك ، فقال : اشتريت عرضي منه ، فقال :
أحسن .

وقوله :

وَفَتَيَانِ صَدَقٍ مِنْ عَدَى عَلَيْهِمْ صَفَائِحُ بُصْرَى عُلِّقَتْ بِالْعَوَاتِقِ^(٤)

(٢) ديوانه ص ٨٧ .

(٤) ديوانه ملحق ١٧ .

(١) ديوانه ١٥ .

(٣) ديوانه ٣٥ .

إِذَا مَا دُعُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ وَلَمْ يُمَسِّكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الْخَوَافِقِ

وقوله :

سِيرِي أَمَامُ فَإِنَّ الْمَالَ يَجْمَعُهُ سَيَّبَ إِلَهِهَ وَإِقْبَالِي وَإِدْبَارِي (١)
فَسَرَى إِلَى ضَوْءِ أَحْسَابٍ أَضَاءَ لَهَا كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَارَى

وقوله :

أَتَتْ آلَ شِمَاسٍ بِنَ لَأَيٍّ وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسْبُ الْعِدُّ (٢)
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ الْوَمِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جَهْلٍ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ، رَدُّوا
شَيَاطِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفَ لِلدُّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجُدَّ
وَتَعَذَّلَنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

١٤٨ - وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ يَمِّنُ لَا أَغْلِبُ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ
الْأَخْسَّ مِنْهُ !

هذا تفسير لما تقدّم من الكلام ، فإن الذي تنفرد به العزب ، والذي
يغلب على الأقلّ منه المتزوج .

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) ديوانه ١٩ . الحسب العد : القديم .

وَالْغَلَبَ : الاستيلاء على الشيء ، كأنها لا تستولى إلا على ما فَضَّلَ من
من زَوْجَتِهِ .

* * *

١٤٩ - وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَتَمَدُّنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالشَّهْوَةِ
الْوَافِرَةِ ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ
عَلَى .

كل هذه الألفاظ كناية عن كثرة النكاح المعجب للنساء .
حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال : لما فتحنا بلد كذا من الروم سُئِلَتِ امْرَأَةٌ
منهم ، فَوَاقَعْتُهَا فِي لَيْلَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَتْ : أَكَلْتُ الْعَرَبَ تَفْعَلُ هَذَا ؟ قُلْتُ :
نَعَمْ ، قَالَتْ : بِهَذَا الْعَمَلِ نَصِرُوا عَلَيْنَا !

* * *

١٥٠ - وَبَيْنَ آخِرِ قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ ، وَنَزَحَتْ بِيرُهُ ،
وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ .

الكلام معطوف على ما قبله ، وهذه الألفاظ كناية عن عَجَزِ الرَّجُلِ عن
النكاح إذا شاخ وضعف ، وهو مأخوذ من قول بعض العرب وَقَدْ أَسَنَّ ،
وسئل عن حاله فقال : وَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ مِنِّي الْأُطْيَانُ ، وَهِيَ : الْجِمَاعُ وَالنُّوْمُ ، وَبَقِيَ
فِي الْأُرْطَبَانِ وَهِيَ : الشَّعَالُ وَالضَّرَاطُ .

* * *

١٥١ - وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكِيلَةِ .

يعنى لو وَصَلْتُكَ لاجتمع علىَّ سوء منظرِكَ ، وسوء مخبرِكَ ؛ وهذا مثل للعرب يضرب في الخلتين السيئتين يجتمعان ، ويقال : إنه لعمر بن معديكرب ، والحشف : أردأ التمر . والكيل : فقلة من الكيل ، وهى تدل على الهيئة ، نحو الجلسة ، والرَّكبة ، فليعلم ذلك .

* * *

١٥٢ - وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا الْغُدَّةُ ، وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ !

هذا مثل آخر في معنى الأول ، وقائله عامر بن الطفيل عند ما تواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليه ، وقال : « اللهم اكفني عامراً بما شئت » ، فظهر في رقبته غُدَّة مات منها في بيت امرأة من سلول ، وجعل يقول : غُدَّة كغُدَّة البعير ، وموت في بيت سلولية^(١) ! وقد تقدّم خبره^(٢) .

* * *

١٥٣ - تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرِّجَالُ [أبو العتاهية]

هذا البيت لأبى العتاهية ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد [بن كيسان] ، مولى عَنَزَة ، ومنشؤه الكوفة .

وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يُقدَّر على جمع شعرهم لكثرة :بشار ،
والسيد الحميري ، وأبو العتاهية .

كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ، ثم تولع بالنظم ، وكان فيه من
العجائب ؛ قيل له : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا تمثل لي فأخذ
منه ما أريد ، وأترك ما لا أريد .

وكان أبو نواس يقول : ما رأيته قط [إلا ^(١)] تمثل لي أنه سماوي ،
وأنتي أرضي .

وأكثر شعر أبي العتاهية في الزهد ، وكان قد تنسك وتزهد إلى أن مات .
قال أحمد بن الحارث : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأن الله
تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شيء ؛ ثم إن الله تعالى بنى العالم هذه البنية
منهما ، وأن العالم حديث العين والصفة ^(٢) لا محدث له إلا الله ؛ وكان يزعم أن
الله سعيده كل شيء إلى الجوهرين المتصلين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً ؛ وكان
يقول بالوعيد ، وتحريم المكاسب ؛ وكان يتشيع ^(٣) على مذهب الزيدية ،
ولا ينتقص أحداً ، ولا يرى الخروج على السلطان .

وكان مجبراً ؛ ^(٤) حدث الجاحظ ، قال : قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس
بين يدي المأمون - وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الأخبار : أسألك عن مسألة ،
فقال له المأمون : عليك بشعرك ! فقال : إن رأي أمير المؤمنين أن يأذن لي في
مسألته ^(٥) ، ويأمره بإجابتي ! فقال : أجبه إذا سأل ، قال : أنا أقول : [إن] ^(٦)
ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرك

(١) من ت والأغاني ٤ : ١ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الأغاني : « والصنعة » (٣) ت الأغاني : « ويتشيع » .

(٤) أى منسوباً إلى الجبر ؛ وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب ؛ أى يكرهم عليها

(٥) ط : ٨ « مسألتى » ؛ والصواب ما أثبتته من ت والأغاني .

(٦) من ت والأغاني .

يلبى هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها ، فقال له ثُمَامَة : حرّكها من أمّهُ زانية ، فقال : شتَمَني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثُمَامَة : ناقض الماصّ بَظَر أمّه ، فضحك المأمون ، وقال : ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك ! قال ثُمَامَة : فلقيني ، فقال لى : يا أبا معن ، أما أغناك الجواب عن السّفة ! فقلت : إن من أتمّ الكلام ما قطع الحجّة ، وعاقب على الإساءة ، وشفى من الغيظ ، وانتصر من الجاهل ^(١) .

وحدّث أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد ، قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق ؟ قال : سألتني عن الله أو عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ؛ فأمسك ، فأعدت عليه ، فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مرارا ، فقلت : ما لك لا تبيّني ! قال : قد أجبت ^(٢) ولكنك حمار . وحدّث ثُمَامَة بن أشرس ، قال : كان أبو العتاهية شديد البخل ، فأنشدني ذات يوم أبياتا له في ذمّ البخل ، يقول فيها :

أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفِقٌ وليس لي المَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ

فقلت له : من أين أخذت هذا القول ^(٣) ؟ قال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من مالِكَ إلّا ما أكلت فأفريت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » ؛ فقلت له : أتؤمن بهذا القول إنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك أكثر من عشرين بدّرة ^(٤) لا تأكل منها ، ولا تنفقها ، ولا تقدّمها ذخرًا ليوم فافتك ! فقال : يا أبا معن ، والله إنّ ما تقول هو الحق ، ولكنني أخشى ^(٥) الفقر والحاجة إلى الناس ، قلت :

(١) الأغاني ٤ : ٦ . (٢) ت : « فعلت » .

(٣) الأغاني : « فن أين قضيت بهذا ؟ » .

(٤) البدرة : عشرة آلاف درهم .

(٥) ق ت « أخاف » .

وَبِمَ تَزِيدُ حَالُ مَنْ افْتَقَرَ عَلَى حَالِكَ ! وَأَنْتَ دَائِمُ الْحَرْصِ وَالْجُمُعِ ، وَالشَّحِّ
عَلَى نَفْسِكَ ، لَا تَشْتَرِي اللَّحْمَ إِلَّا مِنْ عِيدٍ إِلَى عِيدٍ . فَتَرَكْ جَوَابَ كَلَامِي كُلَّهُ ،
ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتُ فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ لِحْمًا وَتَوَابِلَهُ وَمَا يَتَّبِعُهُ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ .
فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْقَوْلَ أَضْحَكَنِي وَأَذْهَلَنِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ تَمَنِّي شَرَحَ اللَّهِ صَدْرِهِ
لِلْإِسْلَامِ ^(١) .

وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد هو وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو
الشيباني في يوم واحد . وقيل له عند موته : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي ؟ قَالَ : أَنْ يَأْتِيَ
مَخَارِقُ وَيُضَعَ فَمِي عَلَى أُذُنِي وَيَغْنِيَنِي بِقَوْلِي :

سَيُفَرِّضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيُحَدِّثُ بِعَهْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ ^(٢)
إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مَدَّتِي فَإِنَّ عَزَاءَ الْبَاكِاتِ قَلِيلُ
وَمِنْ مَحَاسِنِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

جَرَّ الْبَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنِّي خَلْقَتَهُ عَلَى فِكْرِي ^(٣)
مَا فَاتَنِي خَيْرُ أَمْرٍ سَحَلْتُ عَنِّي يَدَاهُ مِثْلَ ثَوْنَةِ الشُّكْرِ
وقوله :

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي وَلَا إِنْ كُنْتُ طَوَعَ يَدَيَّ
وَأَتَى لِحْتَاجٍ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ
كَانَ الْمَأْمُونُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : جُذِّدُوا مِنِّي الْخِلَافَةَ وَأَعْطُونِي هَذَا
الصَّاحِبَ .

وقوله :

إِنِّي أَمَنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالًا ^(٤)

(٢) الْأَغَانِي ٤ : ١٩ .

(١) الْأَغَانِي ٤ : ١٦ .

(٣) الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ أَيْيَاتِ ثَلَاثَةِ فِي دِيْوَانِهِ ١١٧ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٣١٧ .

لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ تَخَذُوا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالًا
إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالًا
خِذَا وَرَدْنِ بِنَا وَرَدْنِ مُخَفَّةً وَإِذَا صَدَرْنَ بِنَا صَدَرْنَ نِقَالًا
وقوله :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَقَرَّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ^(١)
فَمَا آفَةُ الْأَبْطَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِكَ
وقوله :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُبْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا^(٢)
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا
وقوله :

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي طَرَفٍ وَلَا نَفْسٍ وَإِنْ تَسَرَّتَ بِالْأَقْفَالِ وَالْحَرَسِ^(٣)
تَرَوْهُ جُودَ النَّجَاةِ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا^(٤) إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
وقوله :

أَلَا إِنَّمَا كُنَّا بَائِدٌ وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ^(٥)
فَمَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَ هَ أَمْ كَيْفَ يَحْدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
وقوله :

مَا إِنْ يَطِيبُ لِلَّذِي الرِّعَايَةُ لِلْأَيَّامِ لَا لَعِبٍ وَلَا لَهْوٍ^(٦)
إِذَا كَانَ يَسْرِفُ فِي مَسَرَّتِهِ فَيَمُوتُ مِنْ أَجْزَائِهِ جُزْؤُ

(١) ديوانه ٣١٧ ، من أبيات يمدح فيها مزيد الشيباني .

(٢) ديوانه ٣٢٩ (٣) ديوانه ١٣٣ .

(٤) الديوان : « مسالكها » .

(٥) ديوانه ٦٩ (٦) ديوانه ٢٩٦ .

كان ابن مخلد يقول : إن هذين البيتين لروحانيان يطيران بين السماء والأرض .

وقوله أيضا :

النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحًا الْمَنِيَّةُ تَطْحَنُ^(١)

وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْتِقْ مِنَ الْمَالِ رِقَّةً تَمْلِكُهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ^(٢)
إِلَّا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفَقٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ فَبَادِرْ بِهِ الَّذِي يَحِقُّ وَإِلَّا اسْتَهْلَكْتَهُ هُوَ إِلِكُهُ
وقوله :

أَكَلْتُ يَوْمَ طُولِ الزَّمَانِ إِذَا جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ : غَدَا !
لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عَشْتُ حَاجَةً أَبَدًا
وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه ، يخاطب سلما الخامس حيث يقول فيه :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ^(٣)
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقِ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مُصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ !

* * *

١٥٤ - مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ ، وَتَرْبَعَ بِذَلِكَ عَلَى ظِلْمِكَ !

ما أخلقك ، أى ما أولاك ؛ يقال : يقال : فلان خليف بكذا ، أى كأنه مخلوق فيه ، مجبول عليه .

وتقدِّر بذرعك ، أى تقيس الأمر بجهدك قبل أن تفعله . والذرع : الجهد ،
ومنه ضاق فلانا ذرعاً ؛ وأصل الذرع بسط اليد ؛ كأنه جهد فى بسطها .

وتربّع على ظلمك ، مثل للعرب ، يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر
عليه ، والظلم فى البعير : الغمز فى مشيه ، ويستعار لغيره ، وربّع إذا قام ؛ فالمعنى :
أقم على ضعفك ، وارفق بنفسك .

وقال آخر : قولهم : اربّع على ظلمك ، أى على قدر قدرتك . ويقولون
أيضاً : ارق على ظلمك ؛ لأنّ الرقيق فى جبل أو سلم إذا كان ظالماً
يرفّق بنفسه .

وقال آخر : قولهم : اربّع على ظلمك ، أى احمِل الحَجَر على قدر جهدك ،
فإن الحجر يُسمّى ربّيعاً ، وهو قول متمم .

* * *

١٥٥ - وَلَا تَكُنْ بَرَأَشَ الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا .

[حديث بَرَأَش]

هذا مثلٌ يُضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره عليه ، واختلفت
الأقوال فيه .

فقال قوم وهم الأكثر : بَرَأَش اسم كلبية نبحت قومًا قصدوا الغارة على
قوم ، نفخى عليهم مكانهم ، فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم ، فقالت
العرب : أشأم من بَرَأَش ، وعلى أهلها تَجَنَّى بَرَأَش .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بَرَأَش امرأةٌ كانت لبعض الملوك ، فسافر الملك
واستخلفها ، وكان لهم موضع إذا فزعوا دخنوا فيه فإذا أبصره الجند اجتمعوا ،
وإن جوارىها عبتن ليلةً فدخلن فجاء الجند ، فلما اجتمعوا قال لها نصحاؤها : إن

رددتهم ولم تستعملهم في شيء ، ودخنت مرةً أخرى لم يحضروا ؛ فأمرتهم^(١)
 فبنوا بناءً دون دارها ، فلما جاء الملك سأل عن البناء ، فحدثوه بالقصة ، فقال :
 على قومها تجني براقش .
 وحكى الشرق عن لقمان حكايةً أخرى في هذا المعنى ، وهي تقارب هذه .
 والأولى أقرب إلى المعنى .

* * *

١٥٦ - وَعَنَزَ الشَّوْءُ الْمُسْتَشِيرَةَ لِحَتْفِهَا .

هذا أيضاً مثل يضرب لمن يُعين على ضرر نفسه ، وأصله أن رجلاً وجد
 عنزاً ، فأراد ذبحها فلم يجد سِكِّيناً ، فبينما هو كذلك إذ بحثت الشاة بظلفها ،
 فاستنارت سِكِّيناً فذبحها بها .

* * *

١٥٧ - فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانَ .

مثل يضرب لمن أراد أمراً فوقه على حَتْفِهِ^(٢) ، وأصله أن دابةً خرجت
 تطلب عشاءً ، فوجدها ذئبٌ فأكلها .
 وقيل : رجل أعشى العين ، وقع على ذئب فأكله ؛ وعلى هذه الرواية يكون
 العشاء مقصوراً .

وقيل : بل هو سِرْحَانُ بن قعب اليربوعي ، كان فاتكاً ، وحى وادياً
 فورد عوف الأسدى ، فقال : أشهد لا يمنعنى سِرْحَانُ رعى إلى الليلة ، فرعاها
 فمَرَّ به سِرْحَانُ بن قعب فقتله ، فقال أخوه يخاطب زوجة الأسدى :
 أبلغ صبيحة أن راعى أهلها سَقَطَ الْعِشَاءُ به على سِرْحَانَ

(١) ط : « فأرت بهم » ؛ والصواب ما أثبتته من ت ، والميداني .

(٢) أصل المثل : « سقط العشاء به على سرحان » ، وانظر الميداني ١ : ٣٣١ .

سقط المشاء به على متقمّر^(١) لم يثنيه خوف من الحدّان

* * *

١٥٨ - وَبِكَ لَا بَطْبِي أَغْفَرَ .

هو مثل يضرب للشّماتة بالرجل ، يقول : نزل به المكروه ولا نزل بطبي ؟
 تريد أنّ عنايتي بالطّبي أشدّ من عنايتي به .
 والأعفر الذى لونه لون التّراب ، وهو العقر ، وكذلك غزلان السهل ،
 وكأّ خصّ الطّبي بالذكر ، لأنّ العثار والكسر سريعان إليه . وقيل : لأنّه
 متى أصابه داء مات سريعا .

* * *

[الفرزدق وبنو نهشل]

والمثل للفرزدق ، منظوم من أبيات تتعلّق بها حكاية ، وذلك أنّ الفرزدق
 كان هجّا بني نهشل بأبيات منها :
 لَعَمْرِي لَقَدْ قَلَّ النُّهْيُ فِي عَدِيدِكُمْ بَنِي نَهْشَلٍ مَا لَوْكُمْ بِقَلِيلٍ^(٢)
 ثم خرج سادات بني تميم ، وفيهم الحُتات بن مُجاشع عمّ الفرزدق إلى معاوية
 فوصلهم ، وترك حُتاتاً فعاتبه ، فقال معاوية : إني اشتريت من القوم دينهم ،
 ووفرت عليك دينك ، قال : فاشتريت مني ديني أيضا ، فألقه بهم في الصلة ، فأقام
 يتنجزها ، فطعن فمات ، فرجع معاوية فيما أعطاه ، فحينئذ قال الفرزدق وهو
 إذا ذاك بالبصرة :

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَ أَوْرَثَا تَرَانَا فَأَوْرَثَا بِالْأَثَرِ أَقَارِبُهُ^(٣)

(١) سقط المشاء به على متقمّر ؛ مثل ذكره الميداني أيضا ؛ وقال : المتقمّر هو الأسد
 يطلب الصيد في القمراء . (٢) ديوانه ٦٤١ (٣) ديوانه ٤٩ ، ٥٠ .

فأبال ميراث الختات أكلته^(١) وميراث حرب جامد لك ذائبه
وكم من أب لي يا معاوي لم يكن: أبوك الذي من عبد شمس يقارب به

فوجد النهسلتون سبيلا؛ فسعوا به زياد، وقالوا: هجا أمير المؤمنين، فقال
زياد لعريف بن تميم: أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذوا عطاءهم، فأحسن
الفرزدق بالشرف فهرب، وما زال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص،
فقال فيه من قصيدة منشدا:

تري العر الجحاجح من قزيش إذا ما الأمر في الحدثنان عالا^(٢)
قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

فأتمه سعيد؛ فبلغ زيادا، فقال: لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب في بني
فقيم^(٣)، ثم قال مروان: لم ترض أن تكون قعودا ننظر إلى سعيد حتى جعلتنا
قياما! فقال: إنك منهم يا أبا عبد الملك لصافن، فحقدوا عليه مروان، فلما
عزل سعيد وتولى المدينة مروان، أحضر الفرزدق، فقال: أنت القاتل:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقم الریش كاسره^(٤)
فقلت أرفعوا الأستار لا يشعروا بنا وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

فقال: نعم، قال: أنقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم!
أخرج عن المدينة، فاستجار بعبد الله بن جعفر. ثم مات زياد، فبلغ الفرزدق أن
مسكينا الدارمي رثاه^(٥)، فقال - ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه:

(١) رواية الديوان:

* أتأكل ميراث الختات ظلامه *

(٢) ديوانه ٦١٢. قال: فدح وأثقل. وفي الأغاني: «غلا».

(٣) ت: «تميم».

(٤) ديوانه ٢٦١.

(٥) وهو قوله:

رأيت زيادة الإسلام ولت جهاراً حين فارقها زياد

(٣٠ - سرح العيون)

أَمْسِكِينَ أَبْكَىَ اللَّهُ عَيْنَكَ إِنَّمَا جَرَى دَمْعُهَا فِي بَاطِلٍ فَتَحَذَّرَا^(١)
 أَتَبْكِي أَمْرًا مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكَسْرِي عَلَى عَلَيَّاهُ أَوْ كَقِيصَرَا^(٢)
 أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعْيُهُ بِهِ لَا بَظْفِي بِالصَّرِيحَةِ أَغْفَرَا

* * *

١٥٩ - أَغْذَرْتَ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا ، وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا .

يعني بلغت العذر في نصيحتك إن قبلت مِنِّي ، وتركت التعرض إليّ ،
 وأسْمَعْتُكَ إِنْ كُنْتَ حَيًّا تَسْمَعُ .

وهذا نصف بيت من بيتين لعمر بن معديكرب - ويروى لدُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ
 وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ؛ وَهِيَ :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
 وَلَوْ نَارٌ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءَتْ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
 وبعض المتعصبين على أبي العلاء المَعْرِيّ يزعمُ أنه خرج ليلةً إلى بعض
 مَرَاقِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : يَا رَبِّ ، كَلِمَتِي
 فَأَنَا أَفْصَحُ مِنْ مُوسَى ؛ قَالَ ذَلِكَ مَرَارًا ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَأَنَشَدَ الْبَيْتَيْنِ ، وَذَكَرَ
 أَنَّهُمَا مِنْ شِعْرِهِ ؛ وَالْحِكَايَةُ بَاطِلَةٌ فِي حَقِّهِ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ .

* * *

(١) ديوانه ٢٤٥

(٢) عدنان ، مدينة كانت على الفرات .

١٦٠ - إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ لِذِي الْحِلْمِ

وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي

قرعت له العصا ، مثل يضرب لمن ينصح ، وينبئ على ما هو أصلح .
 وقوله : « إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ » ، و « الشَّيْءُ تَحْقِرُهُ » مثلان في التحذير
 منظومان في قول الحارث بن وُعلة اليشكري ، وقد قتل بعضُ ساداتِ قومه
 أخاه ، فقال من أبيات حسنة في معناها :

أَقْتَلْتُ سَادَتَنَا بِلَا تَرْقٍ	إِلَّا لِيُوهِنَ قُوَّةَ الْقَطَمِ ^(١)
وَوَطِئْنَا وَطْأً عَلَى جَنْفٍ ^(٢)	وَوَطِئَ الْمُقَيْدُ نَابِتَ الْهَرَمِ ^(٣)
وَزَعَمْتُ أَنَّا لَأَحْلُومَ لَنَا	إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ لِذِي الْحِلْمِ
لَا تَأْمَنُ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ	وَبَدَأْتَهُمُ بِالشَّرِّ وَالنَّشَمِ ^(٤)
أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لغيرهم	وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي ^(٥)
الآنَ لَمَّا ابْيَضَ مَسْرُبِي	وَعَضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذْمٍ
تَرْجُو الْأَعَادَى أَنْ أَصَالِحَهَا	جَهْلًا تَوْفَمُ صَاحِبُ الْكَلَمِ
قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي	فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَنْ عَفْوَتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا	وَلَنْ أَصْبِتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

* * *

(١) أبيات منها في الحماسة ١ : ٢٠٣-٢٠٦ - بشرح التبريزي مع اختلاف في الرواية .

(٢) الحماسة : « على حنف » .

(٣) الهرم : ضرب من نبات الحمض .

(٤) الحماسة : « بالنشم والرمم » .

(٥) أبرت النخل ، أى لفحه .

[أوّل من قرعت له العصا]

واختلفَ فِيمَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا ، وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ ، فَقِيلَ : هُوَ عَامِرُ بْنُ
الْظَّرِبِ بْنِ عُبَادِ الْيَشْكُرِيِّ أَحَدُ حُكَّامِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ ، وَفِيهِ يَقُولُ ذُو الْإِصْبَعِ :
وَمِنَّا حَاكِمٌ يَقْضِي فَلَا يُدْفَعُ مَا يَقْضِي ^(١)

وهو أوّل مَنْ قَضَى فِي الْخُنْثَى ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اخْتَصِمَ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ لَهُ مَا لِلْمَرْأَةِ .
وَمَا لِلرَّجُلِ ، أَيْ جَعَلَ رَجُلًا أَمَ امْرَأَةً ؟ فَقَالَ لَهُمْ : انصرفوا عَنِّي حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي ،
فَمَا نَزَلَ بِي مِثْلُهَا ، فَانصرفوا وَبَاتَ لَيْلَتُهُ سَاهِرًا ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ تَرعى غَنَمَهُ
يَقَالُ لَهَا : سُوخَيْلَةُ ، وَكَانَ يَقُولُ لَهَا إِذَا سَرَحَتْ عَنْهُ بَكْرَةٌ : ضَحَّيْتُ ^(٢) يَأْسُخِيلُ ،
وَإِذَا رَاحَتْ يَقُولُ : مَسَيْتُ يَأْسُخِيلُ ^(٣) ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَوَخَّرُ [السَّرْحَ] ^(٤) حَتَّى
يَسْبِقُ ^(٥) ؛ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا ، وَرَأَتْ سَهْرَهُ وَفِكَرَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَرَاكَ ؟ فَقَالَ :
دَعِينِي ، [أَمْرٌ لَيْسَ] ^(٦) مِنْ شَأْنِكَ ؛ فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! إِنَّهُ اخْتَصِمَ إِلَيَّ
فِي خُنْثَى ، لَهُ مَا لِلذَّكَرِ وَمَا لِلْأُنْثَى ؛ فِي مِيرَاثِهِ ، أَأَجْعَلُهُ امْرَأَةً أَمْ رَجُلًا ؟ فَقَالَتْ :
لَا أَبَاكَ ! [اتَّبِعِ الْقَضَاءَ الْمُبَالَ] ، أَقْعِدْهُ فَإِنَّ بَالَ مِنْ حَيْثُ يَبُولُ الرَّجُلُ فَهُوَ رَجُلٌ .
فَقَالَ لَهَا : « مَسَى سُوخَيْلُ بَعْدَهَا أَوْ صَبَحَى » ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَضَى بِالَّذِي
أَشَارَتْ ^(٧) .

قَالَ السَّهْلِيُّ : وَهُوَ حُكْمٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي الشَّرْعِ ، مِنْ بَابِ الاسْتِدْلَالِ بِالْعَلَامَاتِ .
وَلَهُ مِثْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ^(٨) .

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي الْأَغَانِي ٣ : ٩٢ — طَبْعَةُ دَارِ الْمَكْتَبِ .

(٢) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « صَبَحْتُ وَاللَّهِ » .

(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « مَسَيْتُ وَاللَّهِ » .

(٤) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٥) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « حَتَّى يَسْبِقَهَا » .

(٦) الْخَبَرُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٣٥ .

(٧) سُورَةُ يُوسُفَ ١٨ .

وجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا أثر^(١) .
ثم إن عامراً كبير وضعف حتى قال في شعره :

أَرَى شَعْرَاتِي عَلَى حَاجِبِي بَيْضًا نَبْتَنَ جَمِيعًا ثَوْلًا
أَظْلُّ أَهَامِي بِهِنَ الْكَلَا بَ أَحْسَبَنَ صُورًا فِثْلًا^(٢)

فقال له الثاني من ولده - وقيل ابنته : إنك ربما أخطأت في حكم
فِيحْمَل عَنْكَ ، قال : فاجعلوا لي أمانة أنتبه بها حتى أعرف الصواب ، فكان
يجلس قدام بيته ، ويجعل ابنه في البيت ، ومعه عصا ، فإذا هقا قرع جفنه
فينتبه ، ويرجع إلى الصواب ، فضرب به المثل ، وهو أول من فعل ذلك^(٣) .

* * *

وقيل : هو شخص^(٤) في زمن النعمان بن المنذر حذر أخاه ؛ وذلك أن
النعمان أرسل شخصاً يرتاد الكلاء ، فأبطأ فغضب ، وعزم على أن يسأله إذا ورد ،

(١) الروض الأنف ١ : ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) الصوار : القطيع من البقر .

(٣) الميداني ١ : ٢٥ .

(٤) اسمه عمرو بن مالك بن ضبيعة ، أخو سعد بن مالك الكنانى ؛ وصدر الخبر كما في
الميداني : « أن سعداً أتى النعمان بن المنذر ومعه خيل له فادها ، وأخرى عراها ، فقيل له :
لم عريت هذه وقدت هذه ؟ قال : لم أقد هذه لأنعمها ؛ ولم أعر هذه لأهبيها ، ثم دخل
على النعمان فسأله عن أرضه ؛ فقال : أما مطرها ففزير ، وأما نبتها فكثير ؛ فقال له النعمان :
إنك لقوال ؛ وإن شئت أتيتك بما تريا عن جوابه ، قال : نعم ، فأمر وصيفاً له أن يطمه ،
فطمه ، قال : ما جواب هذه ؟ قال : سفية مأمور ، قال : الطمه أخرى ؛ فطمه ، قال :
الطمه أخرى ، فطمه ، قال : ما جواب هذه ؟ قال : لو أخذ بالأولى لم يعد للأخرى ، - وإنما
أراد النعمان أن يتعدى سعد في المنطق فيقتله - قال : الطمه ثلاثاً فطمه ، قال : ما جواب هذه ؟
قال : رب يؤدب عبده ، قال : الطمه أخرى ، فطمه ، قال : ما جواب هذه ؟ قال : ملكك
فأسخج ، فأرسلها مثلاً . قال النعمان : أصبت فأبكت عندى ، وأعجبه ما رأى منه ، فكنت
عنده ما مكنت ، ثم إنه بدا للنعمان أن يبعث رائداً ، فبعث عمرأ أخا سعد ، فأبطأ عليه ،
فأغضب ذلك ، فأقسم أن جاء ذاماً للكلاء أو حامداً له ليقتنه ... » ، ثم أورد بحجة الخبر .

فإن قال خصباً قتله ، وإن قال جذباً قتله ، وعرف بذلك أخوه ، فقال للنعمان -
أتأخذني أن أنذره ؟ قال : لا ^(١) ، قال : فأشير إليه ؟ قال : لا ^(٢) ، قال :
فأقرع له عصا ؟ قال : فأقرعها .

فلما ورد ، أخذ أخوه عصاً من بعض جلسائه ، وقرع بها عصاه التي كانت
معه قرعاً مختلفاً ^(٣) إلى أن فهم أخوه القصة ، [فأقبل عمرو على الملك حتى قام
بين يدي الملك ، فقال : أخبرني : هل حدث خصباً أم ذمت جذباً ؟] ^(٤) فقال :
لم أحمد خصباً ، ولم أذمت جذباً ، الأرض مشككة لا بقلها [يُعرف] ^(٥) ، ولا جذبها
يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، [وآمنها خائف] ^(٦) ، فقال النعمان :
أولى لك ! نجوت ، فنجأ . وقال أخوه :
قرعتُ العصا حتى تبين صاحبي - ولم تك لولا ذلك للقوم تُقرع ^(٧)

* * *

وقيل : المراد بقرع العصا قصة قصيرة لما كان مع جذيمة ، وأقبلت
عساكر الزبَاء ، قال له : إني متى أنكرتُ القوم قرعتُ لك العصا - وهي
فرس جذيمة التي لا تلحق - فاركبها وانج ؛ فلما رأى الشر ، قرعها بالسَّوط ،
فأنف جذيمة من الحرب ، فركبها قصير ونجا عليها ، وضرب بذلك المثل ؛ يعنون :
لو كان لجذيمة حلم لركبها ؛ لكن القول الأول أشهر وأحسن .

* * *

(١) الميداني : « إذن يقطع لسانك » .

(٢) الميداني : « إذن تقطع يدك » .

(٣) في الميداني : « فتناول سعد عصا جلسيه ، وقرع بعصاه قرعة واحدة ، فعرف أنه
يقول له : مكانك ، ثم قرع بالعصا ثلاث قرعات ، ثم رفعها إلى السماء ومسح عصاه إلى الأرض
فعرف أنه يقول له : لم أجد جذباً ، ثم قرع العصا مراراً ، ثم رفعها شيئاً وأومأ إلى الأرض ،
فعرف أنه يقول : ولا نباتاً ، ثم قرع العصا قرعة وأقبل نحو الملك ، فعرف أنه يقول : كله » .
(٤) الميداني ١ : ٢٥ .
(٥) من الميداني

١٦١ - وَإِنْ بَادَرْتُ بِالْئِدَامَةِ ، وَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ،
كُنْتُ قَدْ اشْتَرَيْتَ الْعَافِيَةَ لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ .

يعنى إن ندمت على ما أقدمت عليه وتركته ، ولمت نفسك ، أرحت
نفسك باقطاعك عنا ، وأرحتنا منك .

١٦٢ - وَإِنْ قُلْتَ : جَمْعَةٌ بِلَا طِخْنٍ ، وَرَبِّ صَلْفٍ تَحْتَ
الرَّاعِدَةِ .

الجمعة : صوت الرحا ؛ والطخن : الدقيق ، فعل بمعنى مفعول كذبح
وفرق . والصلف : قلة البركة والخير ، ولذلك يقال : أصلف من ملح في
ماء^(١) ، أى لا يبقى ؛ وسحاب صلف ، إذا كان قليل الماء ، كثير الرعد^(٢) .
والمعنى أنك متى قلت : إني أتوعد ولا أفعل ، فسترى^(٣) ما يكون .

١٦٣ - وأنشدت :

لَا يُؤْيِسُنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحَا

هذا البيت لبشار بن برد . وحدث^(٤) أبو الشمقمق ، قال : دخلت عليه يوما
وبين يديه مائة دينار ، فقال : خذ منها ، أتدرى ما قصتها ؟ قلت : لا ، قال :

(١) الميداني ١ : ١٠٧ .

(٢) الميداني ١ : ١٩٨ ، ولفظه هناك : رب صلف تحت الراعدة .

(٣) في ط « فترى » .

(٤) كذا في ت ، وفي ط : « وقد ذكر » .

أنا اليوم جالس ، وإذا بفتى من خوى النعمة دخل على فقال : يا أبا معاذ ، هذه
مائة دينار ، نذرت أن أدفعها لك ؛ فتسلمها ، فقلت : ما سببها ؟ فقال : كنت قد
هويت امرأة وتعرضت لها ، فتصعبت علي ، فأردت السلوة ، فذكرت قولك :
لَا يُؤَيِّنُكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ قَوْلٌ تُغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحًا^(١)
عُسِرَ النِّسَاءُ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُرْكَبُ بَعْدَ جَمْعًا^(٢)
فصبرت فأدركت مقصودي منها ، وآليت على نفسي أن أحمل إليك هذه
المائة دينار^(٣) .

* * *

١٦٤ - فَعُدَّتْ لِمَا نُهِيتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعَتْ مَا اسْتَعَفَيْتَ مِنْهُ ؛
بَعَثَتْ مَنْ يُزْعِجُكَ إِلَى الْخُضْرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ
نَحْوَهَا وَكَزًّا وَصَفْعًا .

يعنى أنك إن لم تبال بتوعدي ولم تصدقه ، وعاودت المراسلة ، بعثت من
يزعجك من مكانك ، والإزعاج : عدم الاستقرار ، ومنه المرأة المزاج التي لا تستقر
في مكان .

والخضراء : ناحية المزدرع من البلد ، أو اسم ضيعة .
والوكن مثل الدفع ، وهو ضرب الظهر مع الدفع ، وقيل : الضرب بمجتمع
اليدين على الذقن .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٩٨ .

(٢) الديوان : « والصعب يمكن بعدما ربحا » .

(٣) ت : « هذا القدر إليك » .

١٦٥ - فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبْتٌ أَكَّارُهَا بِكَ ، وَتَسَلَّطَ
نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ .

الأَكَّارُونَ : الزَّرَّاعُونَ ، جمع أَكَّارٍ ، ويجمع على أَكْرَةٍ ؛ كأنه جمع أَكْرٍ
في التقدير ، مأخوذ من الأَكْرَة وهي الحفيرة في الأرض .
والعَبْتُ : أن يخلط بعمله لعباً ، مأخوذ من العَيْثَةِ ، وهي طعام مخلوط .
والسَّلَاطَةُ : التَّمَكُّن من القَهْر ، ومنه سُمِّيَ السُّلْطَانُ .

* * *

١٦٦ - فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعَوَّجَةٍ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجَلَةٍ مُنْتَنَةٍ
يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خَصَاكَ

أى تضرب في القفا بالقرع المعوج إلى أن يستقيم ، وهو مما لا يستقيم ،
فيكون كناية عن إيصال الضرب ، والرَّمَى بالفُجَلِ تحت الخَصَى ، كناية عن
استدخاله في استه ، وفي ننته مناسبة واستقذار للمفعول به .

* * *

١٦٧ - ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ؛ لِتَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى
مِيزَانَ قَدْرِكَ .

يعنى بما فعلت أنت ، والعرب تقول : هذا ما كسبت يداك ، وإن لم تكن
اليد الفاعلة ، وإنما يقصدون بذلك فعله ، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى : ﴿ لَمَّا
خَلَقْتُ بَيْدَى ﴾ ^(١) على بعض الوجوه . والذُّوق : وجود الطعم بالغم ، ونقل إلى

اختبار الشيء ، ويستعمل في القليل والكثير ، ولذلك ذكره الله تعالى في العذاب .
والوبال : الأمر الثقيل الذي يُخَافُ ضرره ، ومنه : « طعام وبيبل » ، و « كلاً
وبيبل » والوبل ، هو المطر الثقيل .
والميزان : معرفة مقدار الشيء ، وأصله « ميزان » ، فانقلبت الواو ياء
لكسر ما قبلها .

* * *

١٦٨ - فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

هذا بيت من شعر المتنبي ، ختمتُ بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله ، وكذلك
مذاهب أكثر البلغاء في مقاطع رسائلهم ، إما بآية ، أو مثل ، أو بيت من
الشعر يتمثلون به في معنى ما هم فيه ، فيكون له مزية ظاهرة ؛ ويجب أن
يكون من أحسن ما سمع

وفي القصيدة ^(١) التي منها هذا البيت أبيات حسنة ، أذكرها جريباً على
العادة في الاستطراد ، بما ينطوي على نكتة وفائدة ، فمنها قوله ؛ وقد خرج هارباً
من كافور الإخشيديّ من مصر إلى العراق يصف طريقه :

فِيالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ أَحْمَ الْبِلَادِ خَفِيَ الصُّوَى
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى

- أعكش : موضع . والأحم : الأسود . والصّوى : العلامات في الطرق ، وهي
أحجار يوضع بعضها فوق بعض ؛ ليُعرف بها الطريق . وفي الحديث : « إن
للإسلام صُوى ومزاراً » ؛ والرّهيمة : موضع .

والضمير في «جوزه» عائذ على الليل، يعني نصفه. اعترض قوم هذا اللفظ، فقالوا: إذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه، فقيل في الجواب وجهان: أحدهما أنه إنما أراد بالنصف مدة الثالث الأوسط. والثاني أن الضمير في «جوزه» عائذ على «أعكش»: والزهيمه ماء في وسطه وردؤه، وباقي الليل أكثر مما مضى -

لتعلم مصرُ ومن بالعراق ومن بالعواصم أي القتي -
يعني بمن في مصر من فاتهم، ومن بالعراق من هو قادم عليهم، ومن بالعواصم سيف الدولة -

وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى (١)
ونام الخويدم عن ليلنا وقد نأَمَ قَبْلُ عَمِّي لَا كَرَى
وقد كنت أحسب قبل الخصى أن الرُّموس محلّ النُّهى
فلما نظرتُ إلى عـقـلِه وجدتُ النُّهى كُلَّهَا فِي الخصى
وقَدْ ضَلَّ قومٌ بأصنامهم فأَمَّا بَرْقَ رِيّاحٍ فَـلا
- يعني أن من أطاع كافورا فقد ضلّ بطاعة شيء أسود مملوء هواء، ولم يضل
أحد من ذلك -

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
يعني من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التي لا يتنبه لها.
ومن نوادر النقبين على سرقات المتنبي قول أحدهم: إنه سرق هذا البيت
من حكاية، وهو أن قصّاراً كان يعمل على شاطئ نهر، وكان كل يوم يرى
كُرّاً كثيراً يحىء فيلتقط من الحماة دوداً، ويقتصر في القوت عليه، فرأى الكركى
صقراً قد ارتفع في الجو وانقضّ على حمامة فاصطادها وأكلها، فقال الكركى:
مالى لا أصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر، وأنا أكبر منه جسماً! فارتفع

في الجوّ ، وانقضّ على حمامةٍ فأخطأ ، وسقط في الحماة فتلطّخ رأسه ، وتلطّخ ريشه ، ولم يمكنه أن يطير ، فأخذه الصياد ورجع إلى منزله . فاستقبله رجل فقال : ما هذا ؟ فقال : كُركي يتصقّر ! فسمع المتبني هذه الحكاية ، فأخذ منها معنى هذا البيت ؛ وهذا من نادر التعصّب على هذا الرجل الفاضل المحسود .

* * *

تمّت الرسالة وشرحها ، والدلالة ولحها ؛ ولا أدعى فيها غير انتخاب الأخبار واختيار المتسكّن من النّظام والنّثر ، فإنّي أثبتُ بيوت الأشعار من أبوابها ، وميزتُ أبكار الفقر من أترابها . وعلى الجملة ففي عواطف من عرضتُ عليه هذه النّبذة ما يسدّ خللي ، ويشدّ أملِي ويكثر قلبي ، ويرعى في كلّ وقت رحلتى الشماليّة بقبولي ؛ عطر الله بذكره المشارق والمغارب ، وزين سماء المدح في مناقبه بزيّنة السكواكب ، ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كلا الحالين من طالب . آمين . . والحمد لله رب العالمين . [وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين]^(١) .

فهرس الموضوعات

صفحة	
٩ - ٣	الرسالة الهزلية
٢١ - ١٦	ذكر منشئ الرسالة
٢٤ - ٢٢	ذكر سبب إنشاء هذه الرسالة
٣٤ - ٣١	أكرم بن صيفي
٤٤ - ٣٧	المتنبي
٥٠ - ٤٨	يوسف عليه السلام
٥١	زليخا امرأة العزيز
٥٤ - ٥١	قارون
٥٥ - ٥٤	التطف
٦٠ - ٥٧	كسرى أنوشروان
٦٢ - ٦١	قيصر بن أنطراطس
٦٤ - ٦٣	الإسكندر بن فيلبس
٧٢ - ٦٤	دارا الأصغر بن دارا الأكبر
٧٥ - ٧٢	أردشير
٧٧ - ٧٥	الضحّاك
٨١ - ٧٧	جذيمة الأبرش
٨٢ - ٨١	شيرين
٨٣ - ٨٢	بوران
٨٤ - ٨٣	بلقيس
٨٥ - ٨٤	الزباء

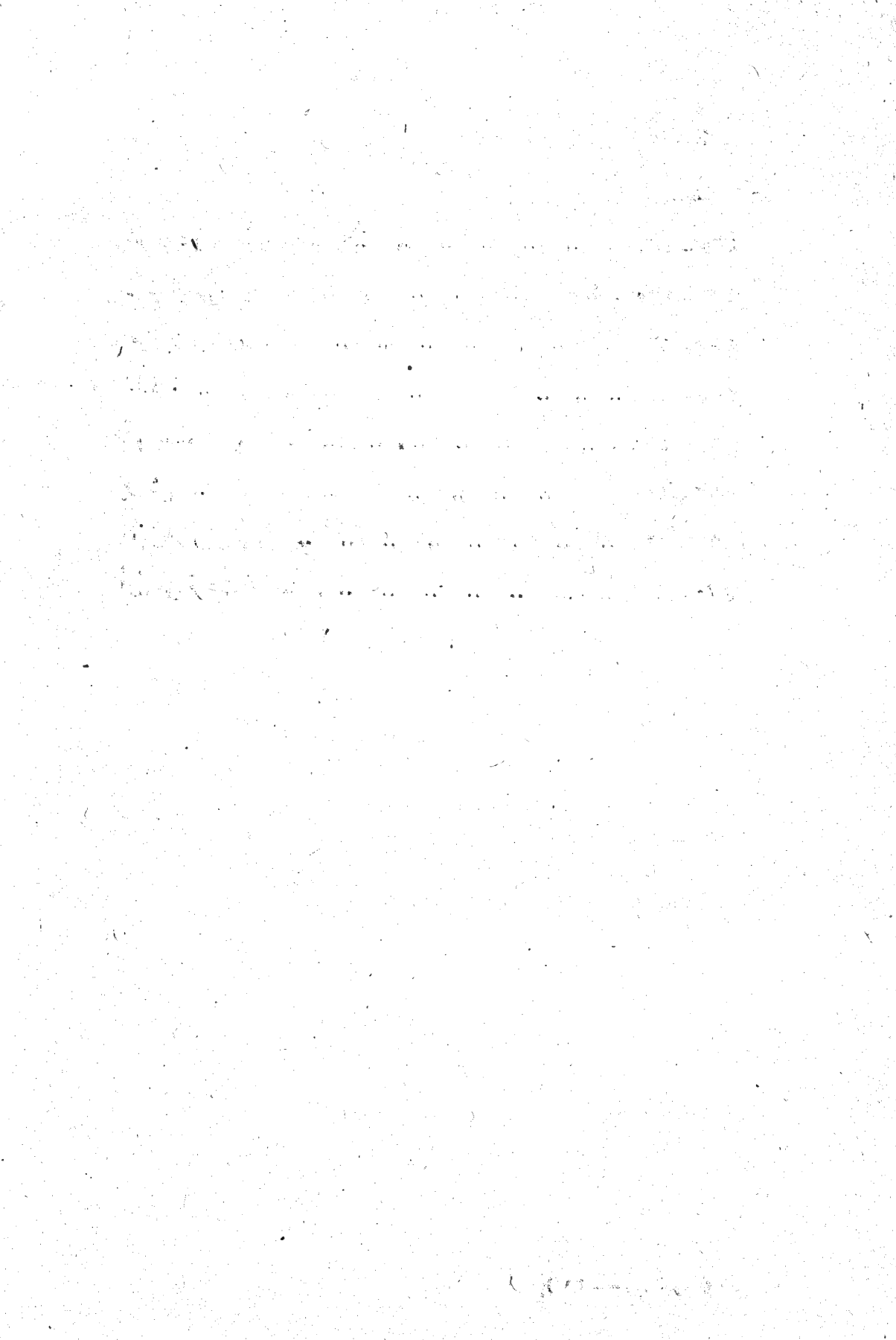
٩٠ - ٨٦	ممالك بن نويرة
٩٢ - ٩٠	عروة الرّحال
٩٣ - ٩٢	كليب بن ربيعة
٩٦ - ٩٣	جساس بن مرة
١٠٢ - ٩٦	مهمل بن ربيعة
١٠٤ - ١٠٢	السموئل بن عاديا
١١٢ - ١٠٤	الأحنف بن قيس
١١٩ - ١١٢	حاتم الطائي
١٢٥ - ١١٩	زيد الخليل
١٣٠ - ١٢٦	السليك بن السلكة
١٣٥ - ١٣٠	ملاعب الأسنة (عامر بن مالك بن جعفر)
١٤١ - ١٣٥	قيس بن زهير
١٤٦ - ١٤١	إياس بن معاوية
١٤٧ - ١٤٦	سحبان وائل (سحبان بن زفر بن إياس)
١٥١ - ١٤٨	عمرو بن الأهم
١٥٤ - ١٥٢	الصلح بن بكر وتغلب
١٦٢ - ١٥٤	حرب داحس والغبراء
١٦٦ - ١٦٢	منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل
١٦٧ - ١٦٦	علقمة بن علاثة
١٦٩ - ١٦٧	عامر بن الطفيل
١٨٦ - ١٧٠	الحجاج بن يوسف الثقفي
١٩٤ - ١٨٦	ختيبة بن مسلم الباهلي

٢٠٥ - ١٩٤	المهلب بن أبي صفرة
٢٠٨ - ٢٠٥	هرمس وبلينوس
٢١٠ - ٢٠٨	أفلاطون
٢١٣ - ٢١٠	أرسطاطاليس
٢١٦ - ٢١٤	بطليموس
٢١٨ - ٢١٦	أبقراط
٢٢٠ - ٢١٨	جالينوس
٢٢٤ - ٢٢٣	أبو معشر الفلكي (جعفر بن محمد بن عمر البلخي)
٢٢٥ -	جابر بن حيان
٢٣١ - ٢٢٦	النظام (إبراهيم بن سيار)
٢٣٤ - ٢٣١	الكندي (يعقوب بن إسحاق)
٢٤١ - ٢٣٧	عبد الحميد الكاتب
٢٤٨ - ٢٤٢	سهل بن هارون
٢٦٠ - ٢٤٨	الجاحظ
٢٦٣ - ٢٦٠	مالك بن أنس
٢٧١ - ٢٦٨	الخليل بن أحمد
٢٨٠ - ٢٧٦	أبو الأسود الدؤلي
٢٨٩ - ٢٨٦	ماني الثنوي
٢٩٢ - ٢٨٩	غيلان القدری
٢٩٤ - ٢٩٣	الجعد بن درهم
٢٩٨ - ٢٩٤	خالد بن عبد الله القسري

صفحة

٣٠٩ - ٢٩٨	بشار بن برد
٣٢٤ - ٣١٥	أبو نواس
٣٣٠ - ٣٢٤	أبو تمام
٣٣٦ - ٣٣٣	امرؤ القيس
٣٤٦ - ٣٤٣	الفضل اللّهي
٣٥١ - ٣٤٦	الحاشي (عبد الله بن معاوية بن عبد الله)
٣٥٦ - ٣٥٢	مجنون ليلى (قيس بن الملوّح)
٣٦٣ - ٣٥٦	عمر بن أبي ربيعة
٣٦٧ - ٣٦٤	دريد بن الصّمّة
٣٧١ - ٣٦٨	النعمان بن المنذر
٣٧٨ - ٣٧٧	بالقل
٣٨٠ - ٣٧٩	هبةقة (يزيد بن ثروان)
٣٨٣ - ٣٨٠	طويس
٣٩٦ - ٣٨٩	الفرزدق
٤٠٠ - ٣٩٧	قصّة وافد البراجيم
٤٠٥ - ٤٠٠	عقيل بن علفة
٤٠٨ - ٤٠٦	ابنة الخلس
٤١٢ - ٤٠٩	بنات همام بن مرّة
٤٢٠ - ٤١٣	الأعشى
٤٢٣ - ٤٢٢	العرنديس
٤٣٠ - ٤٢٥	الخنساء

محرق ، وهو عمرو بن هند	٤٣١ - ٤٣٥
ذكر قرطى مارية	٤٣٥ - ٤٣٦
عمرو بن معد يكرب	٤٣٦ - ٤٤٥
الخطيئة	٤٤٨ - ٤٥٤
أبو المتاهية	٤٥١ - ٤٦١
براقش	٤٦٢ - ٤٦٣
الفرزدق وبنو نهشل	٤٦٤ - ٤٦٦
أول من قرعت له العصا	٤٦٨ - ٤٧٠



الفهارس العامة

١ - فهرس اللغة *

ثوب : ثاب إليك ٣٨٨ .

(ج)

جبر : جُبار ٣٨٧

جدد : الجِدَّة ، الجِدَّة ١٧٠

جرح : جرح المجماء جُبار ٣٨٧

جسم : الجسم ٤٧

جع : الجمعية ٤٧١

جفا : جافى الطبع ٣٧٢

جمع : الجمع ٢٧٢

جم : الجيم ٤٢١

جن : الجنة ٣٨٣

جهر : الجواهر ٢٦٦

جهل : الجهل ٢٧

جوب : أساء جابة ٢٧٢

(ح)

حرق : محرق ٤٣١

حز : الحز ٣٣٣

حسب : الحسب ٤٤٦

حسن : حاسنه ٤٨

(٥)

آدب : الأدب ٤٤٧

أرز : الإزار ٤٢٥

أكر : الأكأرون ٤٧٣

أنس : الإنسانية ٤٧

(ب)

بجر : البحر ٣١٠

بدأ : أبدأت ٤١٩

برد : البردان ٤٣١

برق : أبرق ٣٣٩

برقش : براقش ٤٦٢

بره : البرهان ٢٦٤

بسر : البسر ٣٣٩

بنى : المبني ٢٨١

(ت)

تمم : التمتة ٣٧٤

(ث)

ثلب : المثلبة ، المثالب ٣٧٣

ثنى : التثنية ٢٨٢

ذوق : الذوق ٤٧٣

(ر)

ربع : تربع "على ظلمك ٤٦٢

ردف : أردف ، الردافة ٨٦

رسل : أرسل ، المرسل ٢٨٣

رعد : أرعد ٣٣٩ ، الراعدة ٤٧١

رعن : الأرعن ٣٧١

رفه : الترفيه ٣٨٦

رود : المرتاد ٣٦

(ز)

زندق : الزندقة ٣٧٥

(س)

سبل : السبال ٣٧١

سحف : السخافة ٣٧٣

سرح : السرحان ٤٦٣

سرر : السرار ٤٠٧

سقر : السفارة ٤٦

سقر : سقر ٣٨٣

سقط : البين سقطه ٢٨

سلط : السلاطة ٤٧٣

سلم : السلام ٣١٠

سمن : السمن ٢٣٤

سمي : المسامة ٤٤٦

حشف : الحشف ٤٥٦

حطّ : الحطة ٤١٢

حقّ : الحقائق ٢٢٦

حمل : الحملات ١٥٤

حلى : حلتك ، الحلى ٣٦٣

حول : الحال ٢٨

(خ)

خبر : أخبر ، الإخبار ٢٨٣

خرق : الخرقة ٣٧٥

خضر : الخضراء ٤٧٢

خطّ : الخطّة ٤١٢

خلف : يخلف ، الخلف ٣٧

خلق : ما أحاقك ٤٦١

خلل : الخلّة ، الخليلة ٣٥ ، الخلال ٣٨

خلا : خالى الذراع ٤٤٧

خيّب : الخيبة ٣٨٣

خيل : الخيلاء ٤٢٥

(د)

دان : الدين ، الأديان ٢٨٤

(ذ)

ذبيّا : الذباب ٢٩

ذرع : الذرع ٣٦٢

ذرا : ذروة المجد ٤٤٦

(ظ)

ظرف : الظرف ٢٨٠

ظفر : الظفر ٣٨٣

ظلم : تربع على ظلمك ٤٦٢

ظهر : أظهر ، الإظهار ٨٢

(ع)

عبث : العبث ٤٧٣

عبس : التعيس ٣٣٩

عثر : العاثر ٢٨

عجب : العُجب ٣١

عجم : العجماء ٣٨٧

عدل : التعديل ٢٧٤

عذب : العذب ٣١٠

عذر : أعذر ، ٤٥ ، ٤٦٦

عرب : المعرب ٢٨١

عرض : العرض ٢٦٦ ، تعرض ٣٨٨

عرف : المعرفة ٣١

العشاء : عشيت ٢٩٦ ، العشاء ٤٦٣

عصر : العناصر ٣١٣ ، العصر ٤٢٢

عضل : عضاني هام بن مرة ٤٠٩

عضا . العضو ٢٢١

عفر : الطيبي الأعقر ٤٦٤

عقل : العقل ٢٥

علج : العلاج ٢٢٠

سند : أسند ، المسند ٢٨٣

سنن : صدقتني سن بكره ٣٦٤

سود : السواد ٤٠٧

(ش)

شرف : الشرف ٣٨٤

شعر : شعرت ٣٨٥

شهب : الشهاب ٣٠

شهد : الشهادة ٣٦٣

(ص)

صح : الصحة ٢٦٧

صدى : التصدى ٣٥

صرف : الصرف ٢٧٤

صعب : الصعب ٤٢١

صفح : تصفح ٢٨٤

صفر : صفر الإناء ٣٤

صلف : الصلف ٤٧١

صمم : الصمامة ٤٤٤

صوب : المصاب ٢٥

(ض)

ضمير : أضمير ، المضمير ٢٨٢

ضن : تظن ، الضن ٤٥

(ط)

طبع : جافى الطبع ٣٨٢

خلق : المِلْق ٣٨٦

حلا : العِلَاوة ٣٧٢

حى : المعى ٢٨ المعنى ٢٦٧

عنى : المعنى ٣٦

(غ)

غبط : الغبطة ، الاغتباط ٣٨٣

غذا : الغد ٣١٣

غرر : الاغترار ٢٨

غرض : الغرض ٣٨٦

غرق : الغرق ٤١٣

غض : غضض منه ٤٨

غلب : الغلب ٤٥٥

غلط : الغلط ٢٨

غمم : الغممة ٣٧٤

(ف)

فحش : الفاحش ٢٨

فرا : الفرا ٣١٤

فرش : الفراش ٣٠

فعل : الأفعال ٢٧٥

فهم : الاستفهام ٢٨٢

فهمه : الفهمية ٣٧٤

(ق)

قدم : ذلك بما قدمت يداك ٤٧٣

قذل : القَذَال ٣٧١

قرط : قرطا مارية ٤٣٥

قرع : القرع ، قرع أنه ٣٥ إن العصا

قرعت لذى الحلم ٤٦٧

قسم : التقسيم ٢٧٤

قضى : القضاء ٢٢٢

قطع : قطع بالأسر ٤٨ ، القطع : ٢٨١

قعد : القعيدة ٤٤٧

قلا : قلاه ، يقلوه ، يقليه ٤٥

قنن : القانون ٢٦٤

قهه : القهقهة ٣٧٥

قود : قواده ٣٦

قوم : التقويم ٢٧٤

قيد : قيد ، التقييد ٢٨٣

(ك)

كدم : كدّمت ، مكدم ٣٣٢

كذب : المُعْجَبُ أَكْذَبُ ٣١

كعب : الكعاب ، الكواعب ٣٨٧

كفا : الاكفاء ٣٨٤

كفر : الكفر ٣٣٩

كل : الكمال ٤٨

كم : الكمية ٢٦٤

كيف : الكيفية ٢٦٤

هرول : المرولة ٣٧٥

هرز : الهرز ، الهرز ٣٣٣

هشم : الهشيم ٤٢١

هفت : التهافت ٣٠

همل : أهمل ، المهمل ٢٨٣

هم : هممت بالشئ ٣٨٨

هنا : الهناء ٣٦٤

التهنئة : ٣٨٦

هيا : الهيئة ٣٧٣

هيل : الهيولى ٤٧

(و)

وتر : الأوتار ٢٣٥

ورط : المورط ، الورطة ٢٧

وزن : الميزان ٤٧٤

وسد الوساد ٤٠٧

وسوس : الوسواس ٣٧٣

وسم : الاسم ٤٧ ، المستى ٢٧١

الأسماء ٢٧٥ ، السيمى ٣٦٣

وشط : الوشيطة ٤٢٤

وصل : الصلة ٣٤ ، الوصل ٢٨١

وضع : الضعة ٣٨٤

وكز : الوكر ٤٧٢

كن : الاكتنان ٤٢٥

كيل : سوء الكيلة ٤٦٥

(ل)

لحن : الألحان ٢٣٥

لفظ : اللفظ ٤٦

لكع : لكأع ٤٤٧

تلوم : اللوم ٣٨٤

(م)

مجد : المجد ٤٤٦

مرؤ : المروءة ٤٦

مرض : المرض ٢٦٧

مزج : المزاج ٢٢١

مسى : أمس ٣١٣

مصر : المضر ٤٢٢

مط : المط ٤٢٥

ميز : التمييز ٢٦٧

(ن)

نخر : النخير ٣٣٨

نعم : النعماء ٤٤٥

نقب : النقب ٢٦٤

نقر : الأبقار ٢٣٦

نهب : النهج ٢٢٢

(هـ)

هجن : الهجين ٣٧١

٢ - فهرس الخطب والوصايا

- الأحنف بن قيس : « أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أهل مصر نزلوا » ١٠٥
- أكثم بن صيفي : « يا بني تميم لا تحضروا إلى سفنها » ٣٢ ، ٣٣ -
- الحجاج بن يوسف الثقفي : « يا أهل العراق والنفاق » ١٧٦ ، « إني عزمت على السفر » ١٨١ ، « ألا إن ابن الزبير كان من أخبار هذه الأمة » ١٨٤ ، « أيها الناس من ادعى داءه فعندى دواؤه » ١٨٤ ، « ألا إن أهل أهل العراق أهل نفاق » ١٨٥ .
- سحبان وائل : « إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار » ١٤٧
- المهلب بن أبي صفرة : « أما بعد فإن الله يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم » ١٩٨ .
- يعقوب الكندي يوصي ولده : « يا بني كن مع الناس كلاعب شطرنج » ٢٣٣ .

٣ - فهرس الرسائل

أرسطاطاليس إلى الإسكندر : « إلى الإسكندر المؤيد المهديّ له الظفر
٦٧ ، ٦٨ . إلى الإسكندر أيضا : « أيها الملك لا تنخدع للهوى وإن خيل
إليك أن في اتخداك له خداعه » ٢١٢ .

الإسكندر بن فيلبس إلى دارا : « أما بعد فقد تيمنت بالكرّة والصولجان »
٦٥ . إلى أرسطاطاليس : « أما بعد فإن دوائر الأسباب ، ومواقع الفلك » ٦٦ ، ٦٧ .
الجاحظ في رسالة : « أبقاك الله بقاء أياديك » ٢٥٥ ، إلى قليب
الغربي : « والله يا قليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة » ٢٥٥ ، إلى ابن
أبي دواد يستعطفه : « ليس عندي - أيديك الله سبب ، ولا أقدر على شفيح »
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، « زينك الله بالتقوى ، وكفاك ما أهمك من الآخرة والأولى »

٢٥٦ - ٢٥٨ .

الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك به مروان : « إنما مثل أمير المؤمنين
ومثلي » ١٧٩ ، إلى قتيبة بن مسلم : « إني نظرت في سني » ١٨٥ .
سهل بن هارون إلى صديق له أبلّ من ضعف : « بلغني خبر الفترة في
إمامها وانحسارها » ٢٣٥ ، لآخر : « أما بعد فالسلام على عهدك » ٢٤٦ .

عبد الحميد الكاتب (عن مروان بن محمد) إلى هشام بن عبد الملك يعزيه : « إن
الله تعالى أمتع أمير المؤمنين » ٢٣٩ ، يوصي بشخص : « حق موصل كتابي لك »
٢٤٠ ، من رسالة : فرويدا حتى ينضب السيل » ٢٤٠ ، في فتنة بعض العمال :
« حتى اعتراتي حنادس جهالة » ٢٤٠ ، إلى أهله وهو منهزم مع مروان « أما بعد فإن
الله جعل الدنيا محفوفة بالكره » : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

المنبجي إلى صديق : « وصلتنى وصلك الله معتلا » ٤٢ .

المهلب إلى الحجاج : « إن الشاهد ما لا يرى الغائب » ٢٠٠ ، إلى الحجاج أيضا :
« الحمد لله الكافي بالإسلام » ٢٠٢ .

٤ - فهرس الأمثال

(١)	(ت)
اتفق ماثور الكلام ١٣٨	تركت يبقّة الرأي ٨٠
أحقق بن هبنقة ٣٧٩	(ج)
أخطأت استك الحفرة ٤٣٠	جرح العجماء جُبار ٣٨٧
أخلى من جوف الحمار ٣١٤	جمجمة ولا أرى طحنا ٤٧١
أريها السها وتريني القمر ٣٧٩	(ح)
أزكن من إياس ١٤١	الحى أضرعتنى إليك ٤٣٩
أشبع جارك وأجع فارك ٣٣	حنّ قدح ليس منها ٤٢٣
أضرطا وأنت الأعلى ١٢٧	(خ)
أعز من حمى كليب ٩٢	خذه ولو بقرطى مارية ٤٣٦
أعيا من باقل ٣٧٧	(ر)
أقود من ظلمة ٣٦	ربّ صلفٍ تحت الراعدة ٤٧١
إن عادت العقرب عدنا لها ٣٤٦	رجع بخنقٍ حنين ٢٣٧
إن الشقيّ وافد البراجم ٣٩٧	رضى من الغنيمة بالإياب ٣٣٣
إن العصا قرعت لذى الحلم ٤٦٧	(ى)
إن من البيان لسحرا ١٤٩	زوج من عود خير من قعود ٤٠٩
أهون من تبالة على الحجاج ١٧٣	(س)
أوفى من السموءل ١٠٢	سقط المشاء به على سِرّ حان ٤٦٣
(ب)	
بؤ بشسع نعل كليب ٩١	

(ل)

لأن تسمع بالمعبدى خير من أن تراه

٣٦٨

لا تهرف بما لا تعرف ٣٤

لا ناقة لى فيها ولا جل ٩٧

لقد هان من بالث عليه الثعالب ٣٣٧

لقيت منه الكواعب ما لاقى يسار

٣٨٧

لو ذات سوارٍ لطمتنى ١١٦

الليل طويل وأنت مقمر ١٢٦

(م)

معرفة المرء نفسه أصوب ٣١

(ى)

يا بعضى أرسل بعضى ٤٣٤

سقط المشاء به على متقتر ٤٦٤

(ش)

شبّ عمرو عن الطوق ٨٠

شنشنة أعرها من أخزم ٤٠٣

(ص)

صحيفة للتأليس ٣٩٧

صدقتى سن يكره ٣٦٤

(ع)

العجب أكذب ٣١

عش ولا تغتر ٣٩٦

عطر منشم ٣٧٨

على قومها تحنى براقش ٤٧٣

(غ)

غدة كغدة البعير وموت فى بيت

ملوثة ١٦٢، ٥٦٤

٥ - فهرس الأشعار

الفاية	٥٧	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
(أ)					
مقاتنا	طويل	بشار	١	٢٢٩	
الداء	بسيط	أبو نواس	٤	٣٠٠	
من ورائك	طويل	أبو العتاهية	٢	٤٦٣	
على دائي	بسيط	سهل بن هارون	٢	٢٤٧	
في الدلاء	وافر	أبو الأسود الدؤلي	٢	٢٧٩	
بالحوباء	كامل	ابن بيض	٢	٢٩٥	
الفقراء	خفيف	بشار	٤	٣٠٧، ٣٠٦	

(ب)

باللعب	رمل	عمر بن أبي ربيعة	٢	٣٦٩	
العرب	رمل	الفضل اللهمي	٤	٣٤٣	
الكواكب	خفيف	الخليل بن أحمد	٢	٢٧١	
والنصب	متقارب	دريد بن الصمة	٣	٣٦٦	
رب	متقارب	المتنبي	٢	٤٢١	
ذبًا	طويل	عامر بن مالك	٢	١٣٥	
المهدبًا	طويل	بشار	٣	٣٠١	

شبابا	وافر	جرير	١	٣٩٣
جنيبا	كامل	ابن زيدون	٤	١٨ ١٩٦
أكذب	طويل	السليك	٢	١٢٨ ١٢٩
سهوب	»	السليك	٤	١٣٠
تكذب	»	المتنبي	١	٢٨٨
كواذب	»	أبو تمام	٥	٣٣٨
التمالب	»	...	١	٣٣٧
مقرب	»	المجنون	٦	٣٥٥
وشوارب	»	حاجب	١	٤١٢
لا تعاتبه	»	بشار	٧	٣٠٧
عواقبه	»	المتلمس	٣	٢٩٩
أقاربه	»	الفرزدق	٣	٤٦٥، ٤٦٤
خطيبها	»	سحبان	١	٢٥
ذنوبها	»	المجنون	٥	٣٥٦
منيبها	»	الفرزدق	٢	٢٩١
ثيابها	»	...	١	٣٩٢
ان يشيخوا	وافر	الحارث بن عوف	٢	١٦٢
المصيب	»	الجاحظ	٣	٢٥٨، ٢٥٩
رباب	كامل	ذويزن	١	٢٦٣
تعجب	متقارب	عبد الله بن معاوية	٨	٣٥١
محاجب	طويل	قيس بن الخطيم	١	٤٠
جانب	طويل	...	١	٢٢٨

٢٣٢	٢	طويل	مكربى
٢٧٩	٢	أبو الأسود الدؤلى	»	ومصيب
٣٦٥	٢	دريد بن الصمة	»	الذنائب
٤١	٢	المتنبى	بسيط	فى الشجب
٢٢٢	١	أبو تمام	بسيط	فى قطب
١٢٥	٣	زيد الخيل	وافر	الكتاب
٣١٦، ٢٣٥	٩	امرؤ القيس	وافر	بالشراب
١٩٧	١	حارثة بن بدر	كامل	الأعراب
٣٢٧	٢	أبو تمام	»	ومرحب
٣٦٢	٣	دريد بن الصمة	»	حسى
٤٤٦، ٤٤٥	٣	خز بن لوزان	»	وتخضى
٤١	٢	المتنبى	مريع	من كسبه
٧٥	١	أبو نواس	منسرح	فى مساربها

(ت)

٣١٧	٢	أبو نواس	اكامل	خفت
٣٦٠	١	جميل	طويل	حيث
٣٨٨	١	الفرزدق	»	الخطاط
٣٨٩	١	»	الحجرات
١٠٣	٤	السموئل	وافر	عصيت
١٣٥	١	عاصم بن مالك	وافر	حيث
٣٥٠	٦	عبد الله بن معاوية	كامل (مجزوء)	فاجماته
١٤١	٢	قيس بن زهير	طويل	اللاهوت

٤٤٢	٦	عمرو بن معد يكرب	طويل	فاسبطرت
٣٢٠	٢	أبو نواس	بسيط	صباياتي
٣٣٢، ٣٣٠	١٢	المتنبى	كامل	لم آتيا

(ح)

٤٧٢، ٤٧١	٢	بشار	كامل	محررا
٣١٩	٣	أبو نواس	بسيط	كلعا
١٩٢	٢	ابن مقبل	طويل	أفطخ
٢٤٧	٤	سهل بن هارون	وافر	مريخ

٣٥٤	٢	الجنون	طويل	الأباطح
٩٤	٢	جساس	وافر	القراح
٩٥	١	فضلة بن مرة	وافر	السلح
١٠٤	٣	السموئل	كامل	أنواحي

(د)

١٤٧	٢	كامل (مجزوء) سحبان	كامل	لنالد
٣٦٣، ٣٥٦	٦	عمر بن أبي ربيعة	رمل	تجد

١٦٩	٢	عاصر بن الطفيل	طويل	أبدى
٤١٧، ٤١٦	٥	الأعشى	»	محمدا
٤٤٤	٢	عمرو بن معد يكرب	كامل	عبدا
٤٦١	٣	أبو القتاهية	منسرح	غدا

٢٨١	١	طويل	محمد
٣٥٥	٣	الجنون	»	بُعْد

٤٠٦	٦	الفرزدق	طويل	هند
٤٤٩	١	الخطبة	»	حمد
٤٥٤	٧	»	»	العد
٣٦	٣	ابن المعتز	بسيط	عمراد
٨١	٢	جذيمة	»	عاد
٢٠٥	٢	المهلب	»	عددوا
٢٥٩	٢	الجاحظ	مقارب	خلدوا
٣٦٠ : ٣٥٩	١	عمر بن أبي ربيعة	»	أبعد
٤٦٠	٣	أبو القتاتبة	مقارب	عائد
١١٧	٣	حاتم	طويل	قنزود
١٢١	٢	زيد الخيل	»	مجد
٣٠٨	٢	بشار	»	على الكد
٣٦٦	٤	دريد بن الصمة	»	الردى
٤١٠	٢	بنت همام بن مرة	»	مهند
٤٣٢	٣	قيس بن وجرة	»	من هند
٤٨٢	٣	»	لم تكد
١٢٧	٢	السليك	بسيط	أذواد
٢٧١ : ٢٧٠	٣	الخيل بن أحمد	»	ميمعاد
٢٠٢	٢	بشار	»	داود
١٥٧	٤	قيس بن زهير	وافر	الإصا
٢٣٣	٢	المثلث	»	الفساد
٢٣٣	١	عمرو بن معد يكرب	»	رماد

٤٠٠	٢	المتلمس	وافر	زاد
٤٦٦	٢	عمرو بن معد يكرب	»	تنادى
٢٣٠	٣	النظام	كامل	والأبعاد
٢٢٨	٢	أبو تمام	»	حسود
٢٤٤	٦	سهل بن هارون	»	أبدى
٢٣	٢	ولادة	رمل	في الحدود
٣١٥	٣	أبو نواس	سريع	الحاشد
١٦٨	١	عامر بن الطفيل	منسرح	والأسد
(ر)				
٢٩٩	٢	بشار	كامل	وأظهر
١٨٧	١	الأيشر	رمل	السكر
٣٦٢	٣	عمر بن أبي ربيعة	»	الأغتر
٣٧٩	٢	النواجي	مقارب	النظر
١١٨	٦	حاتم	طويل	أحمر
١٦٩	٢	عامر بن الطفيل	»	فأررا
٣١٧	٢	»	مفتري
٣٣٥ ، ٣٣٤	٩	امرؤ القيس	»	فمرعرا
٤٦٦	٣	الفرزدق	»	فتحدرا
٤٣٣	٥	ثعلبة بن عمرو	كامل (أخذ)	صبارة
٣٤٦	٣	الفضل اللهي	سريع	التالفة
٤٢٦	٢	الخنساء	»	عادها
٤١٧	٣	الأعشى	مقارب	وصارا

٩١٨ ، ١١٧	٨	حاتم	طويل	والد كُرْ
١٢٠	٢	زيد الخليل	»	طائرُ
١٢٤	٤	»	»	شاعرُ
١٤٩	١	الأحف	»	ففاخروا
١٥١	٤	عمرو بن الأهم	»	قارُ
١٦١	٢	حسان	»	لايفندر
١٨٨	١	...	»	المسافر
١٩٣	١	عمر بن أبي ربيعة	»	معصرُ
٢٧٩	١	حاتم	»	الزجرُ
٢٩٣	١	ذو الرمة	»	الحمرُ
٣١٩ ، ٣١٨	٤	أبو نواس	»	حضرُ
٣٢٢	٣	أبو نواس	»	أميرُ
٣٢٤	٢	»	»	فاشرُ
٣٢٨	٥	أبو تمام	»	السمرُ
٣٤٠	٢	ضابيُ	»	كبيرُ
٣٥٤	٢	المجنون	»	عمرو
٣٦١ ، ٣٦٠	١٨	عمر بن أبي ربيعة	»	مقصرُ
٣٦٢ ، ٣٦١	٤	»	»	طائرُ
٤١٠	٢	بنت همام بن مرة	»	والجزرُ
٤١٢	١	تأبط شراً	»	أجدرُ
٢٢٨	١	...	»	ظاهرةُ
٤٦٥	٢	الفرزدق	»	كاسيرُه
٤٠٤	٢	المغيرة بن جبناء	بسيط	والطرُ

٣٠٠	١	بشار	»	الفائر
٤٢٩ ، ٤٢٦	٣	الخنساء	»	النحار
٤٣٨	٩	عمرو بن معد يكرب	»	المقادير
٤٥١	٤	الخطيئة	»	شجر
٣٢٠ ، ٣١٩	٣	أبو نواس	وافر	عبر
٣٩٨	١	طرفة	»	تنخور
٢٤	١	أبو نواس	كامل	يحر
٣٩٦	٢	الفرزدق	»	وقار
٣١٦	١	أبو نواس	سريع	زاجر
٣٢٢ ، ٣٢١	٦	»	»	الستر
٨٤	١	عدى زيد	خفيف	والخابور
١٥٤	٤	الحارث بن الكندي	»	محسور
٢٢	٢	ولادة	طويل	اللسر
١٢٥	٣	زيد الخيل	»	الدوائر
١٦٩ ، ١٦٨	٥	عامر بن الطفيل	»	جهمر
٣٢١	٢	أبو نواس	»	وقار
٣٠٧	٥	بشار	»	على أمر
٣٦٧	٣	دربد	»	القدر
٣٧٨	١	...	طويل	مادر
٤٠٩	٢	بنت همام بن مرة	»	والعطر
١٨	٩	ابن زيدون	بسيط	بالأثر
٢٣	٢	»	»	من عطر

١٠٣	٤	الاعشى	»	جَرَارٍ
٣٠٨	١	بشار	»	من قوَارِير
٣٥٩	١	عمر بن أبي ربيعة	»	النَّظَرِ
٤٢٨٢ ٤٢٧	٥	الخنساء	»	باوتاد
٤٢٣٠ ٤٢٢	٦	العرندس	»	ايسارٍ
٤٥٤	٢	الحطيثة	»	وإدبارٍ
٩٦	١	مهمل	وافر	زيرٍ
١٠١٠٩٩	١٤	»	»	لا تمحورٍ
٣٠٤	١	بشار	»	بنارٍ
٨٨	٢	متمم	كامل	الأزورٍ
١٥٨	٣	الربيع بن زياد	»	نهارٍ
٦٧١ ١٠٧	٣	كعب الأشقرى	»	الأمصارِ
٣٢٨	٢	أبو تمام	كامل	مضميرٍ
٤٢٩	٥	الخنساء	كامل (مجزوء)	الحضرِ
١٦٦	١	الأعشى	سريع	والواترِ
٤٥٩	٢	أبو العتاهية	»	فكرى
٤٢٤	٢	أبو نواس	خفيف	ظفرٍ
١٧٠	٢	...	مقارب	الكوثرِ
٢٣٠	٢	النظام	»	غزيرٍ

(ز)

(س)

٢٩	١	التماس	طويل	التماس
٣٠	١	ذو الرمة	»	يابس
٣٢١، ٢٥١	٨	أبو نواس	»	ودارس
٤٠٠	٢	التماس	»	تمرّمس
٣٤٥	٣	الفضل اللهي	بسيط	خلاص
٣٩٩	٢	التماس	»	السوس
٩٣	٢	مهمل	كامل	الجلس
٣٩٩	٢	التماس	»	تمرّس
٢٤٨	٢	سهل بن هارون	بسيط	بالياس
٤٥٠	٥	الخطيئة	»	با كياس
٤٦٠	٢	أبو العتاهية	»	والحرس
٢٤١، ٢٣١	٢	أبو تمام	كامل	إياس
٤٥١	١	الخطيئة	»	في المجلس
٤٣٩	٢	عمرو بن معد يكرب	وافر	ذو نواس
٣٠٥	٢	حماد عجرد	سريع	خمسه
٢٣٤	٥	الكندي (يعقوب)	مقارب	نكس

(ص)

٤١٤	١	الأعشى	طويل	خائضا
٣٢٣	٣	أبو نواس	سريع	بالعصا
٣١٨	٢	أبو نواس	كامل	وتخزّص
٤١٥	٢	الأعشى	مقارب	منكص

(ض)

٢٤	٢	ابن زيدون	متقارب	ومض
٤٥٣	٢	الخطيئة	طويل	بغيضا
٣٠٨	٢	بشار	وافر	غَضَّ
٤٦٨	١	ذو الاصبع	هزج	يقضى
٨٠	١	متمم	طويل	يتصدعا
٩١	٢	عروة الرخال	»	فأسرعا
٢٠٣	٣	لقيط الايادى	بسيط	مضطلعا
١٣١	١	أوس بن حجر	طويل	أَجْعُ
٣١٣	١	ليبد	»	بلاقعُ
٤٠٠	٢	الملتبس	»	مطلّع
٤٧٠	١	عمرو بن مالك	»	وتقرع
٤٤٣، ٢٧٠	٨	عمرو بن معد يكرب	وافر	هَجْوَعُ
٣٨٦	٤	حريث بن قحطان	»	لا يباعُ
٩٠، ٨٩	٤	مالك بن نويرة	كامل	أَجْزَعُ
٢٨٠	١	أبو ذؤيب	»	مصرع
٢٦	٣	على بن أبى طالب	هزج	ومسموع
٢٥٩	٢	الجاحظ	سريع	مستمعُ
١٣١	١	...	طويل	المرعزع
٤٥٣	٢	الخطيئة	»	جزوع

٢٠	٤	ابن زيدون	بسيط	لم يذرع
٣٩٥	٢	الفرزدق	»	منخلدع
٣٢٩	٧	أبو تمام	وافر	القناع
٣٣٠	٤	»	»	بصاع
٤٥١ ، ٤٤٧	١	الخطيئة	»	الشكاع

(ف)

٢٠ ، ١٩	٩	ابن زيدون	طويل	موقف
٣٩٥	٨	الفرزدق	»	تعرف
٤٤١	٦	عمرو بن معد يكرب	»	والمضئيف
٣٦٦	٣	دريد بن الصمة	بسيط	وإيجاف
٢٣١ ، ٢٣٠	٤	النظام	سريع	الوصف

(ق)

٢٣٠	٢	النظام	مقارب	تفترق
٤٢٠ ، ٤١٣	٥	الأعشى	طويل	وطارقة
٢١	٦	ابن زيدون	بسيط	براقا
٣٢٦	١	البحترى	كامل	شقيقا
١٨	٢	ابن زيدون	طويل	تعقب
١٥١ ، ١٥٠	١٣	عمرو بن الأهتم	»	طروق
٣٩٤		الفرزدق	»	أولق
٣٥٦ ، ٣٥٥	٤	المجنون	»	عاشق
٤٢ - ٤١٤	١٤	الأعشى	»	ممشق

٤٣١	١٠	قيس بن وجرة	طويل	ومواقه
١٤٠	٢	الخطيئة	مديد	منطلق
٤٢٤	٢	أبو نواس	طويل	رقيق
٣٤٣ - ٣٤١	١٥	المتنبي	»	ما بقي
٣٤٨	١	ابن هرمه	»	روني
٤٥٤ ، ٤٥٣	٢	الخطيئة	»	بالعواتق
٣٧٧	٤	أبو تمام	وافر	وثاق
٣٢٣	٢	أبو نواس	كامل	المتقي
١٠٢ ، ١٠١	٤	مهلهل	خفيف	العناق
		(ك)		
٢١ ، ٢٠	٢	ابن زيدون	كامل	رجاكا
٤٦١ ، ٤٥٨	٣	الخطيئة	طويل	مالكه
٢٤٧	٢	سهل بن هارون	بسيط	سمكوا
١٨٩	٢	متمم	طويل	فالدكادك
٤٠١	١	عقيل بن علفة	»	العوارك
		(ل)		
١٢٥	٣	زيد الخيل	رمل	بالذليل
٤١٧	١	ليبد	رمل	أضل
٤١	٢	المتنبي	طويل	شاملا
٤٦٥	٢	الفرزدق	وافر	عالا
٩٦	١	مهلهل	كامل	صنبلا

٩٩ ، ٩٨	٢	مهلهل	كامل	مجدلا
١٩٣	٢	...	»	تنكيلا
٤٦٠ ، ٤٥٩	٤	أبو العتاهية	»	حبلا
٢٣٤	١	ربيعة الرقي	»	ما قالها
٣٩٠	١	كثير	»	ونماها
٤١٧	١	الأعشى	منسرح	الرجلا
٣٣٩	١	مهلهل	خفيف	الفحول
١١١	٢	الأحنف	متقارب	باذلا
٤٠٥	٤	عقيل بن علفه	»	رسولا
٤٢٨	١٠	الخنساء	»	مالها
٣٢	١	أكرم	طويل	جاهل
٤٠	١	المتنبى	طويل	قائل
٦٠٤ ، ١٠٣	٤	السموئل	»	جميل
١٦٧ ، ١٦٦	٢	الأعشى	»	الحبائل
٣٧٨	٢	حميد الأرقط	»	قائل
٣٧٨	٤	أبو العلاء المعري	»	باقل
٣٧٩	١	ابن نباته	»	باقل
٤٢٩	٣	الخنساء	»	أطول
٤٥٩	٢	أبو العتاهية	»	خليل
١١٨	٤	حاتم	»	محاولة
٣٢٧	٣	أبو تمام	»	فضائل
٤٥١	١	الخطيئة	»	خاملة

٣٢٥	٣	أبو تمام	بسيط	الخطل
٣٢٧	٢	»	»	فعلوا
٢٠	٤	ابن زيدون	كامل	الأمثال
١٠٤	٣	السموع	كامل	يتأمل
٣٩٤	٦	الفرزدق	»	أطول
٣٠٧، ٣٠٦	٣	بشار	خفيف	جليل
١٢٤	٣	الحطيئة	طويل	مهمل
١٥١	٢	عمرو بن الأهم	»	بالي
٢٤٨	٥	سهل بن هارون	»	بلبالي
٣١٤	١	امرؤ القيس	»	المعتل
٣٣٥	٣	»	»	البالي
٣٦٢	٥	عمر بن أبي ربيعة	»	قتلي
٣٩٩	١	المتلمس	»	جدول
٤٦٤	١	الفرزدق	»	ثميل
٤٠٥	٤	عقيل بن علقمة	»	ثميل
٢٧١	٢	الخليل	بسيط	مال
٥٥	١	ابن النطف	وافر	للمعالي
٩٩	٣	المهمل	»	التنصال
١٣٠	٢	السليك	»	الطوال
٣٦٧، ٣٦٦	٣	دريد بن الصمة	»	الثقال
٤٦١، ٤٥٦	٢	أبو العتاهية	»	الرجال
٢٤	٢	ولادة	كامل	لاذنب لي
٣٢٧	٢	أبو تمام	»	العالي

٣٢٢	١	امرؤ القيس	سريع	شاغل
٣٢٣	٢	أبو نواس	منسرح	القبل
١٨١	٢	أمية بن أبي الصلت	خفيف	العقل
٤١٧	٨	الأعشى	»	أميل
٤٤٥	١	الحارث بن عباد	»	حبال
٤٤ - ٣٧	٢٤	المتنبى	متقارب	للعقل
٢٤١	٤	عبد الحميد الكاتب	»	بالزائل
٣٥٠	٣	عبد الله بن معاوية	»	جمله
(م)				
٤٠٦	١	ابنة الخس	طويل	بالكرم
٢٥٩	٣	الجاحظ	متقارب	المدم
٣٠٠ ، ٢٩٩	٣	بشار	»	العلم
١١٩ ، ١١٨	٤	حاتم	طويل	ملوما
٢٥٤	٢	—	»	للقدما
٣٥٨	١	عمر بن أبي ربيعة	»	يتكلم
٣٩٨	١	طرفة	»	أهضا
٤١٧	٢	الأعشى	»	الخدما
٣٤٤	٢	...	منسرح	ضرما
٣٥٤	٢	...	»	واضطلما
٤٦٩	٢	عامر بن الظرب	متقارب	تواما
١٤١	٢	قيس بن زهير	طويل	متفاقم
٢٤١	٢	عبد الحميد الكاتب	»	مترجم

٣٥٣، ٣٥٢	٢	المجتون	طويل	حجم
٣٩٣	١	الفرزدق	»	يتصرم
٤٠٥	٢	عقيل بن علفة	»	الدرهم
٣٧٨	١	»	عقبها
٢٧٣	١	ذو الرمة	»	مبغوم
٣٣٣	١	المتنبى	»	ورم
٣٨٣	١	المتنبى	»	عدم
٣٩١	٣	الفرزدق	»	العلم
١٤٠	٥	قيس بن زهير	وافر	لا يريم
٢٣٠	١	»	الكلم
٢٣٤	٢	الكندى (يعقوب)	»	السهم
٣٤٤	١	الحارث بن أمية	»	هشام
٣٩٢	١	ليبد	كامل	أفلاها
١١٢، ١١١	٢	الأحف - أوزهير	طويل	التكلم
١٢٩	٢	السليك	»	مسلم
١٥٩	١	زهير	»	منشم
٢٣٠	٢	النظام	»	آدم
٣٠٦	٣	بشار	»	بقائم
٣٠٨	٢	»	»	حاكم
٣٢٧	١	أوس	»	مقوم
٣٢٨	٤	أبو تمام	»	المسكارم
٣٦٠	١	عمر بن أبي ربيعة	»	جهنم

٣٩٤	٤	الفرزدق	طويل	العوائم
٤٠٠	٤	التمائم	»	معصم
٤٠٢	٢	عقيل بن علفة	»	بالجائم
٤٠٢	١	جثامة بن عقيل	»	العمائم
٤٠٢	١	عملس بن عقيل	»	طاسم
٤٠٣	١	حوراء بنت عقيل	»	والقوائم
٤٤٩	١	زهير	»	يشتم
٤١	١	المتنبي	بسيط	كالحم
٢٣٤	١	الكندي (يعقوب)	»	نعم
٤٥٣	٣	الحطيئة	»	إنعام
٣٨٩	١	...	وافر	تسيم
١٠١	٣	مهامل	كامل	الإجرام
٢٣٢	١	العكوك	»	حاتم
٣٢١	١	عنزة	»	الأجزم
٢٧٠	١	...	رمل	أتمى
٤٦٧	٩	الحارث بن ولة	سريع	العظم
٤٠٩	٣	مهامل	منسرح	جشم
		(ن)		
٢١	١	ابن زيدون	بسيط	ماقينا
٢٧١	٢	الخليل بن أحمد	»	سليمانا
٣١٨	١	أبو نواس	»	أميناً
٢٤٦	١	عمرو بن كلثوم	وافر	لانتصحيننا
٣٥٨	٢	عمر بن أبي ربيعة	»	غفولينا

٤٣٢	١	قيس بن وجرة	كامل	وهو انا
٣٠٢	١	رمل (مجزوء) أبو الشَّمَقِيق		سفينة
٩	٣	مالك بن نويرة	طويل	نخائن
٣٥٤	٣	قيس بن ذريح	»	كائن
٤٦١	١	كامل (مجزوء) أبو العتاهية		تطحن
٤٥٥	٢	خفيف	الأمين
٣١٩	٣	أبو نواس	طويل	الحدان
٣١٩	٥	»	مديد	السكن
١٦٢	٢	الحارث بن عوف	بسيط	من
١٥٤	٢	الحارث بن عمرو	وافر	باليقين
٤٦٤ ، ٤٦٣	٢	كامل	سرحان
٢٧١	٢	الخليل	سريع	بتوقاني
٢٤٧	٢	سهل بن هارون	منسرح	والمن
٧٩	٢	جذيمة الأبرش	خفيف	بهجين
٣٠٨	٣	بشار	»	الميزان
٣٥٩	٣	عمر بن أبي ربيعة	»	الأطعان
٣٨٥	٢	»	»	يلتقيان

(هـ)

٢٣	٢	ولادة	وافر	تيها
٣٢٠	٢	أبو نواس	رمل	سفيها
٤٢٥	١	منسرح	تيهه
١٩٧	١	وافر	لهاها
٣١٦	٢	رمل (مجزوء) أبو نواس		الملاهي

(و)			
لهو	منسرح	أبو العتاهية	٢ ٤٦٠
(ي)			
يديه	طويل	أبو العتاهية	١ ٤٥٩
لاقيا	طويل	...	١ ١٤٣
باديا	»	عمرو بن الأهم	٢ ١٤٩
بداليا	»	عبد الله بن معاوية	٣ ٣٥١ ، ٣٤٦
البواكيا	»	الفرزدق	٥ ٣٩٦
مدانيا	»	ابنة الحسّ	٢ ٨ ٤
عليا	وافر	أبو الأسود الدؤلي	٤ ٢٧٩
شيا	»	أبو العتاهية	٢ ٤٦٠
(الألف المقصورة)			
الصوى	مقارب	المتنقى	٨ ٤٧٥ ، ٤٧٤

٦ - فهرس أنصاف الآيات *

صفحة	الفائل	
٥٦	الأعشى	فيه كائن أبا للكسور
٣٧٢	»	تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت ^(١)
١٤١	...	زكنت منهم على مثل الذى زكنوا
٣٦٨	...	ستعلم ما تغنى معيد ومغرض
٣٠٢	بشار	طال الثواء على رسوم المنزل
٣٠٢	يعقوب بن داود	فإذا نشاء أبا معاذٍ فارحل
٣٨٤	...	وعلى آلافها الطير تقع

* مرتب حسب أوائلها .

(١) بقيته :

* كما استعان بريح عشرق زجل *

٧ - فهرس الأرجاز

القافية	القائل	صفحة	القافية	القائل	صفحة
يحب	(ب)	٨٦	حقا	(ق)	١٠٨
منصبا	ليبد	١٦٥	مقتول	الأحف	١٢٩
حولوا حارثة بن بدر	(ج)	١٩٧	ضلة	(ل)	٩١
الأنواح	ليبد	١٣٤	هلال	البراض	٢٦٠، ٢٥٩
يعمر كليب	(د)	٩٣	رجله	الجاحظ	١٠٥
ساجر الحمراء بنت ضمرة	(س)	٤٣٤	أم الأحف	(م)	
خمسا	(ط)	٣١٣	الخندمة	حماس بن قيس	٣٧٤
الأوراط	رؤبة	٢٧	سلمة الخطيئة		٤٥٢
جذع	(ع)	٣٦٥	بالدم	عقيل بن علفة	٤٠٣
طريف	(ف)	٧٨	فيه	(ي)	
كلف			عمرو بن عدى		٧٩

٨ - فهرس الأعلام*

أحمد بن الحسين الجعفي = المتنبي ^(١)	(د)
أحمد بن خالد ٣٠١	آدم (عليه السلام) ٥٦، ٢٠٥،
أحمد بن عبد الله بن غالب بن	٢٩٢، ٢٩١
زيدون = ابن زيدون	آكل المرار = الحارث بن عمرو
أحمد بن المعتصم المستعين بالله (الخليفة	ابن معاوية
العباسي) ٢٣١، ٢٣٢	أبان بن سمعان ٢٩٣
أحمد بن يونس ١٨٢	إبراهيم (عليه السلام) ٣٥، ٧٥
الأخنف بن قيس (واسمه الضحاك)	إبراهيم بن جبلة ٢٣٩
١٠٤-١١٢، ١٤٩، ١٩٤،	إبراهيم بن سيار بن هانيء = النظام
٢٩٦، ١٩٧، ٢٣١، ٢٦١،	إبراهيم بن طلحة ١٧٤، ١٧٦
٣٨٠	إبراهيم بن عبد العزيز ٢٢٩
إسفيليبيوس ٢١٦	إبراهيم بن عبد الله بن حسن ٣٠٨
الأخوص بن جعفر العامري ١٣٥،	إبراهيم بن المهدي ٣٧٣
١٣٦	إبراهيم الموصلي ٣٤٩، ٢٥٠، ٤٥٩
الأخطل ٤١٨	أبرويز بن هرمز ٨١، ٨٢
الأخنس بن شريق ٣٧٣	أبزي (حداد) ٢٠٠
إدريارد (موبذ موبذان) ٢٨٨،	أبقراط بن إيراقليلس ٢١٦-٢١٨،
٢٨٩	٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٩
إدريس عليه السلام = يلينوس	أحمد بن الحارث (الراوى) ٤٥٧

(*) موضع الترجمة للأعلام المترجمة ميز بأرقام بارزة .

(١) طبع خطأ « أحمد بن محمد بن الحسين » .

اسماعيل بن القاسم = أبو العتاهية
أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو

٢٧٦ - ٢٨٠ ، ٢٨١

الأسود العنسي ٤١٤

الأسود بن المنذر ٤١٧

أشجع السلمي ٤٢٤

ابن الأشعث = عبد الرحمن

الأشعث بن قيس ٢٣١

الأصمعي ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ٣٠٦

٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٣٩٩

٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٥

ابن الأعرجي ١١٥

أعشى قيس ٥٦ ، ١٠٣ ، ١٦٥

٣٧٣ ، ٤١٣ - ٤٢٠

أفريدون بن جمشيد ٧٦

أفلاطون بن أرسطون^(٣) ٢٠٨ -

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦

٢٣٥

إقليدس ٢٠٧

الاقشير ١٨٦

أكثم بن صيفي ٣١ - ٣٤

أربد بن قيس ١٦٧ ، ١٦٨

أردشير^(١) (ملك الفرس) ٥٧

أردشير بن بابك (ملك الفرس ،

المعروف بأردشير الأول) ٧٢ -

٧٥ ، ٧٧ ، ٢٠٨

أردى مرخت ٨٣

أرسطاطاليس الحكيم ٦٤ ، ٦٦ -

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ -

٢١٣

ابن الأزور = ضرار

إسحاق (عليه السلام) ٦٠

إسحاق بن إبراهيم الموصلي ٢٣٥ ،

٢٣٧

إسحاق بن سعد ٢٩٣

إسحاق بن الصباح ٢٣١

إسحاق بن الفضل الهاشمي ٣٠٩

إسحاق الموصلي = إسحاق بن إبراهيم

أبو إسحاق النظام = النظام

أسد بن هاشم بن عبد مناف ٣٣٦

الإسكندر بن فيلبس ٦٣ - ٧٢ ،

٢١٢ ، ٢١٤

(٢) طبع خطأ « أسقنبديوس » .

(١) بدون وصف .

(٣) طبع خطأ « أرسطو » .

باغر التركي (غلام المتوكل) ٤٤٥
 باقل بن عمرو الايدى (صاحب
 المثل) ٣٧٧ ، ٣٧٨
 الباهلي ٢٩٩
 أبو مجير = الحارث بن عباد
 مجير بن الحارث ٩٧ ، ٩٨
 البحري (أبو عبادة) ٩٩ ، ٣٢٦
 بحري المغرب (محمد بن هاني) ٩٧
 أبو بحر = الأحنف بن قيس
 بختنصر ٦٣
 ابن بختيشوع (الطبيب) ٢٥٣
 بدر بن حصن بن حذيفة ٤٠١
 أبو براء = عامر بن مالك
 البراض بن قيس ٩١
 براقش ٤٦٢ ، ٤٦٣
 بزر جمهر ١٤٢
 ابن بسام (علي بن بسام) ١٦ ، ٩٧
 بسطام بن قيس ١٦٧
 البسوس (خالة جساس) ٩٣
 بشار بن برد ٢٩٨ - ٣١٠ ، ٤٤٢٦
 ٤٥٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
 بشر بن أبي خازم ١١٣ ، ١١٦

امرأة العزيز = زليخا
 امرؤ القيس بن أبان التغلبي ٩٨
 امرؤ القيس بن حجر ٩٦ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ١٥٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٣ - ٣٣٦ ، ٤١٤
 أمية بن الصلت ١٨١
 الأمين (الخليفة العباسي) ٣١٦ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤
 أنس بن مالك الأنصاري أبو حمزة ١٢٥
 أنس بن مدرك ١٢٩
 أنطروطس (ملك الروم) ٦٢
 أنطينيوس (ملك الروم) ٣١٤ ،
 ٢١٥
 الأوزاعي ٢٩١ ، ٢٩٢
 أوس بن حارثة بن بدر ١٥٩ ، ١٦٠
 أوس بن حجر ٣٢٧
 أوغسطس (ملك الروم) ٢١٥
 إلياس بن قبيصة ٤١٧
 إلياس بن معاوية أبو وائلة ^(١) ١٤١ -
 ١٤٦ ، ٢٣١
 (ب)
 باذام (عامل كسرى) ٥٥

يوران ابنة ابرويز ٨٢

يوران بنت الحسن بن سهل ٨٣

ابن بيض (حمزة) ٢٩٥

(ت)

تأبط شر ٤١٢

تماضر بنت عمرو بن الشريد =

الخنساء

أبو تمام حبيب بن أوس ١٤١ ، ٢٢٢

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٢٤ - ٣٣٠

٣٣٨ ، ٣٧٧

التوحيدى = أبوحيان

(ث)

الثريا بنت عبد الله (صاحبة ابن أبي

ربيعة) ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٨٥

ثعلبة بن عمرو الطائي ٤٣٣

تمامة بن أشوس ٤٥٧ ، ٤٥٨

أبو ثور = عمرو بن معد يكرب

(ج)

جابر حيان ٢٢٥

الجاحظ عمرو بن بحر ، أبو عثمان

٢٦ ، ٢٧ ، ١٩١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

٢٤٨ - ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

بشر بن ربيعة ٤٣٨

بطليموس (صاحب المجسطى)

٢١٤ - ٢١٦ ، ٢٣٥ - ٢٣٧

بطليموس الصانع (ملك الروم) ٢١٤

بغيف بن عامر ٤٥٠

أبو بكر الرازي ٢٢٥

أبو بكر الصديق ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

٣٨١

ابن بكير ٢١٥

البلاذرى ٥٤

بلال بن أبي بردة ٢٩٢ ، ٣٩١

بلقمة = بلقيس

بلقيس ابنة شراحيل بن الحارث

بن سبأ ٨٣ - ٨٥ ، ٤٤٤

بليونس ٢٠٥ - ٢٠٨

بندار (أعجمي كان عينا لقتيبة

ابن مسلم) ١٨٩

أم البنين (أم عامر بن مالك بن جعفر)

١٣٠ ، ١٣١

بهرام بن سابو ٢٨٦ ، ٢٨٩

بهلول ٢٩٤

بهمن بن إسفنديار ٧٢ ، ٢١٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة ١٦٠

الجفول = مالك بن النورية

الجماز ٢٥٣

جمشيد بن أوشهنيج ٧٥

جميل بن معمر ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٩٢

ابن جنى ٤٠، ٤١

أبو جهل عمرو بن هشام ٤١٦

الجهم بن صفوان ٢٩٣

ابن جهور = أبو الوليد بن جهور

(ح)

ابن أبي حاتم (الراوي) ٤٣٧

أبو حاتم السجستاني ٢٣، ٣٩٩

حاتم بن عبد الله الطائي ١١٢ -

١١٩، ١٣١، ٢٧٨، ٣٧٨، ٤٣٣

الحاتمي ٤، ١١٣

الحارث بن سليل الأزدي ٤١٣

حاجب بن زرارة ٤١٢

الحارث بن أبي شمر ١٠٢، ٤٤٤

الحارث بن الصمة ١٣٢، ١٣٣

الحارث بن ظالم المري ١٠٢

الحارث بن عباد ٩٧، ٩٨، ٤٤٥،

٤٤٦

الحارث بن عقبة ٥٥

٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢١،

٣٩٤، ٣٤٥

جالينوس ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٨ -

٢٢٠

ابن جامع ٣٤٩، ٣٥١

جثامة بن عقيل ٤٠٢

ابن جذل الطعان ١٢٠

جذيمة الأبرش ٧٧ - ٨١، ٨٥،

٤٧٠

ابن جرموز (قاتل الزبير) ١١٠

جرول بن أوس = الخطيئة

جرير بن حازم ٣٠٠

جرير بن عبد المسيح = المتلمس

جرير بن عطية الخطفي ٢٩٠، ٣٥٣

جساس بن مرة ٩٣ - ٩٧، ١٥٢

أبو الجعد (صديق الفيرزدق) ٣٩٢

الجعد بن درهم ٢٩٣، ٢٩٤

جعفر بن سليمان ٢٦١

جعفر الصادق ٢١٥

جعفر بن أبي طالب ٣٤٥

جعفر بن محمد بن عمر البلخي =

أبو معشر الفلكي

أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي)

٢٣٩، ٢٤٨

الحارث بن معاوية الكندي ١٥٢ -
 ١٥٤
 الحارث بن عوف المري ١٥٨ ، ٩٨ -
 ١٦٢
 الحارث بن هشام ٣٧٣
 الحارث بن ويلة الجرمي ٤٦٧
 حارثة بن بدر ١٩٦
 حارثة بن جارية ١١٠
 حبيب بن أوس = أبو تمام
 أم حبيبة بنت أبي سقبان (أم المؤمنين)
 ٣٥
 حميش بن أكنم بن صيفي ٣٢
 الحثات بن يزيد ١١٠
 الحجاج بن باب ١٩٦
 الحجاج بن يوسف الثقفي ١٧٠ -
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ،
 ٢٣٩ ، ٣٤١ ، ٤٣٠ .
 حجير بن الحارث الكندي ٢٣٣ ،
 ٣٣٤
 الحديق = الجاحظ
 حذيفة بن بدر ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٥٥ - ١٥٧

حرام بن ملحان ١٣٢ ، ١٣٣
 الحرمي بن العلاء ٢٥٧
 حريث بن قحطان ٣٨٦
 حسان بن ثابت ١٦١
 حسان بن نمير ١٣١
 الحسن بن إبراهيم بن عبد الله ٣٠٨ ،
 ٣٠٩
 الحسن البصري ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٣ ،
 ٢٤٨
 الحسن بن سهل ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣٧٣
 الحسن بن عبد الله ١٩٧
 الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٠ ،
 ٢٩٨ ، ٤٢٤
 حسن بن نعمان ٢٦٣
 الحسين بن علي بن أبي طالب ١٨٠ ،
 ٢٩٨
 الخطيئة ، جرول بن أوس ١٢٤ ،
 ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٤٤٨ -
 ٤٥٤
 أبو حفص الأشعري ٢٧٥
 الحكم بن أيوب ١٤٥
 الحكم بن المنذر ٣٩٣
 حماد عجرد ٣٠٥

الحارث بن معاوية الكندي ١٥٢ -
 ١٥٤
 الحارث بن عوف المري ١٥٨ ، ٩٨ -
 ١٦٢
 الحارث بن هشام ٣٧٣
 الحارث بن ويلة الجرمي ٤٦٧
 حارثة بن بدر ١٩٦
 حارثة بن جارية ١١٠
 حبيب بن أوس = أبو تمام
 أم حبيبة بنت أبي سقبان (أم المؤمنين)
 ٣٥
 حميش بن أكنم بن صيفي ٣٢
 الحثات بن يزيد ١١٠
 الحجاج بن باب ١٩٦
 الحجاج بن يوسف الثقفي ١٧٠ -
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ،
 ٢٣٩ ، ٣٤١ ، ٤٣٠ .
 حجير بن الحارث الكندي ٢٣٣ ،
 ٣٣٤
 الحديق = الجاحظ
 حذيفة بن بدر ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٥٥ - ١٥٧

خالد بن عبد الله (الراوى) ١٠١
خالد بن عبد الله القسرى ٢٩٣ -

٢٩٨

خالد بن الوليد ٨٦ ، ٨٧ ، ١٦٦ ،

الختعمي (الراوى) ٤٣٧

خز بن لوزان ٤٤٦

ابنة الخس (هند) ٤٠٦ - ٤٠٨

الخصيب (ممدوح أبى نواس) ٣٠٢

ابن الخطيم (قيس) ٤٠

ابن خلاد ٣١٣

خلف الأحمر ٣١٦

الخليل بن أحمد الفراهيدى ٢١٦ ،

٢٨٠ ، ٢٧٠ - ٢٦٧ ، ٢٢٧

خمانى بنت بهمن ٧٢

الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن

الشريد ٣٦٧ ، ٤٢٥ - ٤٣٠

(د)

ابن دأب ٣٥٢

دارا ٧١

دارا الأصغر بن دارا الأكبر ٦٤ - ٦٦

دارا الأكبر ٧٢

داود (عليه السلام) ١٤٤ ، ٢٥

داوداذ ٢٢٨

حماس بن قيس ٣٧٤

حمدون ٣٧٦

ابن حمدون (صاحب التذكرة) ٢٦٣

الحرء بنت ضمرة ٤٣٤

أبو حمزة = أنس بن مالك

حمل بن بدر ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،

١٤٤ ، ١٥٠ - ١٥٧

حميد الأرقط ٣٧٨

أبو حنيفة النعمان ٣٦١

حنين (صاحب المثل) ٣٢٦

الحرء بنت عقيل بن علفة ٤٠٢ ،

٤٠٣

حوط (رجل من يربوع) ١٥٥

ابن حيان (صاحب كتاب المقتبس) ١٧

أبو حيان التوحيدى ٢١٥ ، ٢٧٠ ،

(خ)

خارجة بن سنان ١٥٥ ، ١٦٠

خالد الأعشى ٣٧٧

خالد البرمكى ٣٠٧ ، ٣٠٨

خالد بن خدّاش ١٩٥

خالد بن سعيد ٤٤٤

خالد بن صفوان ١٠٧

خالد بن الصقعب ٤٤١

ربيع بن ربيع السلمي ٣٦٥
 الربيع بن العباسي ١٥٨ ، ١٥٧
 الربيع بن عمرو ١٩٦
 ابن أبي ربيعة = عمر بن أبي ربيعة
 ربيعة الرأي ٢٩٠
 ربيعة الرقي ٢٣٤
 ربيعة بن مالك بن جعفر ١٣١
 رتبيل (كاتب المهلب) ٢٠٤
 رجاء بن حبرة ١٧٣
 الرشيد (الخليفة العباسي) ٢٦٢ ، ٢٣٢
 ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
 ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٥١
 ابن رشيق ٤٦
 رقاش (أخت جذيمة) ٧٨ ، ٧٩
 الرقاشي ٣١٦ ، ٥٣
 رميله بنت شعار الطائي ٤٣٢
 رؤبة بن العجاج ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٥
 روح بن زنباع ١٧٢ ، ١٧١
 روستافس ٢١١
 روشك ٦٦ ، ٧١
 روم بن العيص ٦١

ابن دريد ٢٣
 دريد بن الصمة ٣٦٤-٣٦٧ ، ٤٦٦
 دعلج ٢٤٣ ، ٣٢٥
 أبو دلف العجلي ٢٣٢
 الدمستق (ملك الروم) ٣٤١
 ابن أبي دواد ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
 ٢٩٤

(ذ)

ذكران ١٣٣
 ذو الإصبع العدواني ٤١١ ، ٤٦٨
 ذو الرمة غيلان بن عقبة ٣٠ ، ٢٧٣
 ٢٩٢ ، ٢٩٣

ذو القرنين = الإسكندر بن فيلبس
 ذو القروح = امرؤ القيس
 ذو وزن ٢٦٣
 ذؤاب بن أسماء ٣٦٥
 ابن أبي ذؤيب ٢٦١
 أبو ذؤيب الهذلي ٢٨٠

(ر)

الراغب الأصفهاني ٢٦ ، ٢٧
 راشد بن عبد ربه = غاوي بن ظالم

زياد بن الهبولة (أحد ملوك الشام)

١٥٢-١٥٤

الزيادي (المنجم) ٢٢٣، ٢٢٤

أبو زيد الأنصاري ٣١٦

زيد بن الخطاب ٨٧، ٨٨

زيد الفجيل ١١٩-١٢٥

زيد بن داود ٢٦١

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله أبو الوليد

١٤-٢٤

زينب بنت سنان (زوج مالك

بن نويرة) ٨٧

زينب بنت موسى ٣٥٩

(س)

سابور بن أردشير ٥٨، ٧٤، ٢٨٨

ساسان بن بهمن ٧٢

سحبان وائل = سحبان بن زفر

سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ٢٥،

١٤٦-١٤٨

سدوس بن شيبان ١٥٢، ١٥٣

سرحان بن قعنب اليربوعي ٤٦٣

السري الرفاء ٣٤١، ٣٤٢

السري بن الصباح ٣٠٥

رياح بن الأشل الغنوي ١٣٦، ١٣٧

ريحانة بنت السكن ٨٤

ريحانة بنت معد يكرب ٣٦٤، ٣٦٥

(ز)

الزباء، فارعة ابنة مليح بن البراء

٨٠، ٨٤، ٨٥، ٤٧٠

الزباء بنت علقمة بن خصفة ٤١٣

زبراء (جارية الأحنف) ١٠٦،

١١٠

الزبرقان بن بدر ٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠،

٤٥١

أبو زيد الطائي ١٢٤

ابن الزبير = عبد الله

الزبير بن العوام ١١٠

الزجاج ٥٢

زر بن سدوس ١٢٠

زرادة بن عدس ٤٣١-٤٣٤

زفر بن الحارث ١٧٣

زليخا (امراة العزيز) ٥١

زهير بن أبي سلمى ١٥٩، ٤١٤

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

زياد بن أبيه ٢٧٧، ٤٦٥

سليم بن عمرو القاضي ١٧١ ، ١٧٢
 سليمان (عليه السلام) ٨٤ ، ١٤٤ ،
 ١٨٥ ، ٤٤٤
 سليمان بن عبد الملك ١٩١ ، ١٩٢
 سليمان بن علي ٣٠٣
 سليمان بن المقصور ٣١٨
 سليمان بن المهلب ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
 السموءل بن عاديا ١٠٢ - ١٠٤
 سنان بن الأهمم التميمي ١٤٨
 سهيل بن هارون ٢٤٢ - ٢٤٨
 سهيل بن سالم ٣٠٨
 سهيل بن عبد العزيز ٣٨٥
 سهيل بن عثمان ٣٠٨
 سهيل بن عمرو ٣٧٣
 السهيلي (صاحب الروض الأنف)
 ٤٦٨ ، ٤٦٩
 سويد (رجل من دارم) ٤٣٣
 سيبويه ٢٧٧ ، ٣١٣ ، ٣١٦
 السيد الحميري ٤٤٧
 السيرافي ١٧٥
 ابن سيرين ١٤٣
 سيف الدولة الجذاني ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤٢ ، ٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢

سعد بن أبي وقاص ٤٣٧ ، ٤٣٨
 سعد بن مالك الكناني ٤٦٩ ، ٤٧٠
 سعيد بن جبير ١٨٠
 سعيد بن سلم الطائي ٣٢٦
 سعيد بن العاص ٤٦٥
 سعيد بن عثمان ١٤٦
 سعيد بن مسجح ٢٢٧
 سعيد بن العاص ٤٤٤
 سعيد بن مسلم (الراوي) ٣٠٠
 سعيد بن المسيب ٣٦٣
 السفاح (الخليفة العباسي) ٢٣٩ ،
 ٣٤٨
 أبو سفانة = حاتم الطائي
 سفانة بنت حاتم الطائي ١١٤
 أبو سفيان بن حرب ٣٥ ، ١٦٤
 سفيان بن أبي عبد الله ٢٩٧
 سفيان بن عيينة ٢٦٢
 سقراط ٢٠٨ ، ٢١٦
 السلحكة (أم السليك العداء) ١٢٦
 سلم الخاسر ٤٥٦ ، ٤٦١
 سلمان بن ربيعة ٤٣٨ ، ٤٣٩
 السكيك بن السلحكة ١٢٦ - ١٣٠

(ش)

شأس بن زهير ١٣٦، ١٣٧

الشافعي (صاحب المذهب) ٢٤١،

٢٦٢

شبل بن قلادة ١٢٩

شداد الحارثي ٢٤٦

الشرقي بن شبت بن ربيع ٣٤٨

الشرقي القطامي ٤٦٣

الشريف المرتضى ٢٩٩، ٤٠٦

الشعبي ١٠٥

أبو شعيب (صاحب ابن أبي دواد)

٤٥٨

أبو شعيب القلال ٢٥١

شقة بن ضمرة ٣٦٧

شمس الدين النواجي (صاحب حلب)

الكيت ٢٧٩

أبو الشمقمق ٤٧١

شهر يار بن أبرويز ٨٢

ابن أبي الشيص ٣٠٥، ٣٢٦

الشيبياني = أبو عمرو

شيرين (زوجه أبرويز بن هرمز)

٨١ - ٨٢

الشيصبان ٨٣

شيلة ٢٣٣

(ص)

صالح بن عبد القدوس ٢٢٧، ٢٢٨،

٣٠٠

صالح بن مخران ٢٠٢

ابن الصباح = إسحاق بن الصباح

صخر بن قيس = الأحنف

صخر بن عمرو بن الشريد (أخو)

الخنساء ٤٢٦، ٤٢٩

صخير بن أبو الجهم العدوي ٤٠٤

صرد (رجل كان مع السليك) ١٣٠

صفية بنت أبي جهل ٣٧٣

صليح بن وهب ١٥٢، ١٥٤

(ض)

ضابي بن الحارث البرجمي ٣٤٠، ٣٤١

ابن ضبارة ٣٤٩

الضحاك بن الأهبوب (ملك الفرنس)

٧٥ - ٧٧

عادياء (أبو السموم) ١٠٣
 عارق = قيس بن وجرة
 عامر بن أحيمر ٤٣٥
 عامر بن ضباغة ٣٤٨
 عامر بن الطفيل ١٣١ - ١٣٥ ،
 ١٦٢ - ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٣٢
 ٤١٤ - ٤١٦ ، ٤٥٦
 عامر بن الظرب ٤٦٨ ، ٤٦٩
 أبو عامر بن عبدوس (أحمد بن
 عبدوس الوزير) ٢٣ ، ٢٤
 عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء
 ملاعب الأسنة ١٣٠ - ١٣٥
 ابن عائشة ١٤١
 عائشة بنت الصديق (أم المؤمنين)
 ٢٧٢ ، ٤٢٦
 أبو عبادة ٤٤٦
 عباد بن محمد (صاحب إشبيلية) ١٦ ،
 ١٧ ، ٦٩
 العباس بن محمد ٢٣٤
 العباس بن الوليد ١٠٧
 عبدان ، أبو المتنبي ٣٨
 عبد الحميد بن يحيى الكاتب ٢٣٧ -
 ٢٤١

الضحاك بن قيس = الأحنف بن قيس
 ضرار بن الأزور الأسدي ٨٦ ، ٨٧
 ضرار الضبي ١٨٩
 الضليل = امرؤ القيس
 (ط)
 طالوت بن أعصم ٢٩٣
 أبو طاهر ٢٥٣
 طرفة بن العبد ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
 ابن الطفيل = عامر الطفيل
 الطفيل بن مالك بن جعفر ١٣١
 طلحة الطلحات = طلحة بن عبد الله
 طلحة بن عبد الله الخزاعي ١٤٧
 أبو الطمحان القيني ٣٩١
 طويس عيسى بن عبد الله ، المغني
 ٢٤٧ ، ٣٨٠ - ٣٨٢
 أبو الطيب = المتنبي
 طياوس ٢٠٨
 (ظ)
 ظالم بن عمرو = أبو الأسود الدؤلي
 ظلمة (امراة قوادة) ٣٦
 (ع)
 عابر (من ملوك اليمن) ٦٣

عبد الله بن عباس ٣٣ ، ٨٣ ، ٢٩١ ،

٣٥٩ ، ١٣٦٠

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ٣٤٧

عبد الله بن الماحوز ١٩٦ ، ١٩٩

عبد الله بن مسلم (أخو قتيبة بن مسلم)

١٨٩

عبد الله بن معاوية الهاشمي

٣٤٧ - ٣٥١

عبد المطلب بن هاشم ٣٣٦ - ٣٤٤

عبد الملك بن عمير ٦٠٥ ، ٤٤٤

عبد الملك بن مروان ٦٠٢ ، ١٤١ ، ١٤٢

١٤٢ ، ١٧١ - ١٧٧ ، ١٧٩ ،

١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٤٠١ ، ٤٣٦

ابن عبدوس = أبو عامر

ابن أبي عبيد = المختار

أبو عبيد ٤١٣

عبيد بن الأبرص ١١٣ ، ١١٦

عبيد الكلبي ٢٥١

عبد بن يونس ١٨٧

أبو عبيدة معمر بن المثنى ١٢٨ ، ١٨٦ ،

٢٧٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣١٨ ،

عبد الجبار (صاحب شرطة السفاح) ٢٣٩

عبد ربه (الصغير) ٢٠٢

عبد الرحمن بن الأشعث ١٧٧ ، ١٨٢ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥

عبد الرحمن بن الحارث المخزومي ٣٨٢

عبد الرحمن بن حسان ثابت ٣٨١ ،

٣٨٢

عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل

(الخليفة الأموي بالأندلس) ٢٢ ،

٢٦٢

عبد عمرو بن بشر ٣٩٨

عبد الكريم بن أبي العوجاء ٣٠٠

عبد الله بن جدعان ٣٦٥

عبد الله بن جعفر ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٦٥ ،

عبد الله بن حاتم الطائي ١١٤

عبد الله بن الزبير ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧

عبد الله بن سعد الطائي (أبو حاتم)

١١٤

عبد الله بن الصمة ٣٦٥

عبد الله بن طاهر ٢١٣

عبد الله بن ظبيان ١٧٩

عروة الرّحال = عروة بن جعفر

عروة بن الزبير ٣٥٩ ، ٣٥٨

العسكري أبو هلال ٤١٣ ، ٤١٢

عضد الدولة ٤٠

عقبة بن الحجاج ٤٤٤

ابن أبي عقيل = يوسف بن أبي

عقيل النقي .

عقيل بن علقمة بن الحارث البربوعي

٤٠٠ - ٤٠٦

عقيل بن فارح (نديم جذيمة)

٨٠ ، ٧٩

عكرمة بن أبي جهل ٣٧٤ ، ٣٧٣

العكوك (علي بن جبلة) ٢٣٢

أبو العلاء المعري ٣٧٨ ، ٣٧٩

٤١٦ ، ٤٦٦

علقمة بن عقيل بن علقمة ٤٠٥

علقمة بن جرير ٤٢٧

علقمة بن خصفة الطائي ٤١٣

علقمة بن علاثة بن جعفر ١٣٥ ، ١٣٤

١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١١٤

٤١٥

علي (غلام ابن زيدون) ٢٣ ، ٢٢

علي بن الجهم ٣٢٥

علي بن الحسين (زين العابدين)

(٣٤ - سرح الميون)

٣٤٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧

٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨

عبيد الله بن بن زياد ٢٧٧

عتاب (من بني الحارث) ٣٨٩

العتابي ٣١٦

أبو العتاهية ٣١٦ ، ٤٥٦ - ٤٦١

العتبي (الراوي) ١٤٩

عتيبة بن الحارث بن شهاب ١٦٧

عتيبة بن النحاس ٤٤٨ ، ٤٤٩

ابن أبي عتيق ٣٦ ، ٣٥٩

أبو عثمان = الجاحظ

عثمان بن حيان ٤٠١

عثمان بن عفان ٢٨٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

٣٨١ ، ٤٣٦

أبو عدى = حاتم

عدى بن حاتم الطائي ١١٣ ، ١١٤

عدى بن ربيعة = مهلهل

عدى بن زيد ٨٤ ، ٣٧١

عدى بن نصر ٧٨ ، ٧٩

المرندس ٤٦٢

عروة بن جعفر المعروف بالرحال ٩٠ -

عمرو بن بحر — الجاحظ

عمرو بن ثعلبة الطائي ٤٣٤

عمرو بن سنان الأهمم المنقري ١١٠ ،

١٤٨ - ١٥١

أبو عمرو الشيباني ١٢٠ ، ١٢١ ،

٤٥٩

عمرو بن العاص ٢٧٨

عمرو بن عبيد ٣٠٠

عمرو بن عدى ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥

أبو عمرو بن العلاء ١٨١ ، ٢٧٧ ،

٤١٧ ، ٤٤١ ، ٤٦٢

عمرو بن مالك بن ضبيعة ٤٦٩ ،

٤٧٠

عمرو بن معد يكرب ٢١٣ ، ٣٣٣ ،

٤٣٦ - ٤٤٥ ، ٤٦٦

عمرو بن المنذر — عمرو بن هند

عمرو بن هند ٣٩٧ ، ٣٩٩ ،

٤٣١ - ٤٣٥

عمرة بنت الحارث بن عوف المزي

عمرة بنت الخنساء ٤٢٧

أبو العتس — عقيل بن علفة

٣٩٢ ، ٣٩١

علي بن أبي طالب ٢٦ ، ٨٧ ، ١٠٩ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١٩٤ ، ٢٣٩ ، ٢٧٦ ،

٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٨١

أبو علي الفارسي ٤١ ، ٢٧٣ ،

عمار (وافد البراجم) ٣٩٧

ابن عمارة المزي ٣٩

عمر بن الخطاب ٧٦ ، ٨٦ - ٨٨ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤٩ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٨١ ،

٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ - ٤٥١

عمر بن أبي ربيعة ١٩٣ ، ٣٤٤ ،

٣٥٧ - ٣٦٣ ، ٣٨٥

عمر بن عبد العزيز ٦٠ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٣٦

عمر الغزال ٣٤٩

عمر بن ميمون ٢٣٣

ابن عمران ٣٩٠

عمران بن قاهث ٥١

أبو عمرو بن أمية ٤٢٣

عمرو بن أمية الضمري ١٣٢ ، ١٣٣

عمرو بن الأهمم = عمرو بن سنان

فارعة بنت حسان بن ثابت ٣٨٢
 فارعة بنت المليح = الزبَاء
 فاطمة الزهراء ٢٩٨
 فاطمة بنت ربيعة (أم امرئ القيس)
 ٣٣٣
 فاطمة بنت عمر بن عبد العزيز ٤٣٦
 أبو القدا = الملك المؤيد
 الفقراء ٤١٦
 أبو الفرح الأصفهاني ٤٣١
 الفرزدق ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٨٨ —
 ٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٤٦٤ — ٤٦٦
 فرعون ١٠٥
 الفضل بن سهل ٢٤٢
 الفضل بن العباس اللهي ٣٤٣ —
 ٣٤٦
 الفضل بن يحيى ٣١٥
 ابن أبي فتن ٣٢٥
 فيثاغورس ٢٨
 فيروز الأصغر ملك القرس ٦٠
 فيروز بن رستم (صاحب خراسان)
 ٨٢
 (ق)
 قارون ٥١ — ٥٤

عمّاس بن عقيل ٤٠٢
 ابن العميد ٤٠
 عمير بن ضابي البرجي ٣٤١
 ابن عنبس — مسلم
 عنبه بنت عفيف ١١٦
 عنقرة بن شداد ٣٢١
 عنبسة النحوي ٢٧٧
 عيسى (عليه السلام) ٦٤ ، ٢٠١ ،
 ٢٨٦ ، ٢١٩
 عيسى بن عبد الله = طويس
 عيسى بن علي ٣٤٨
 أبو العيناء ٢٣٠
 عيينة بن حصن ٤٤٠
 (غ)
 غالب بن السعدي ٣٣٨
 غاوي بن ظالم السلمي ٣٣٧
 غيلان بن يونس القدري ١٤٢ ،
 ٢٨٩ — ٢٩٢
 (ف)
 فارس بن أفريذون ٥٥
 فارس بن سام ٥٥
 فخارس بن كيومرث ٥٦

(ك)

- كابي ٧٧، ٧٦
 كافور الإخشيدي ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
 ٤٧٥ ، ٤٧٤
 كثير عزة ٣٦٠
 كسرى ٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١٥
 كسرى أنوشروان ٥٠ — ٦٠
 كعب الأشقرى (أحد جنود المهلب)
 ١٧٠ ، ١٧١
 كعب بن زهير ١٢٤
 كعب بن مامة ١١٢
 ابن الكلبي ٦١ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٨٤
 ٩٨ ، ٨٥
 كليب بن ربيعة ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
 ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ — ١٠٢
 ٣٣٣
 الكندي ، يعقوب بن الصباح
 الفيلسوف ٦٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥
 ٢٣١ — ٢٣٤
 كيومرث ملك الفرس ٥٦ ، ٢٥٥

(ل)

- ليد بن ربيعة ١٣١ ، ١٣٤ ، ٣١٣

القاسم بن ربيعة الجوشني ١٤٣

القاسم بن سلام ١٧٧

قتيبة بن مسلم الباهلي ١٨٥ ، ١٨٦ —

١٩٤ ، ٣٠٤ ، ٤٥٥

قحطان بن عابر ٦٣

قدامة بن جعفر ١٨٦ ، ١٨٧

قرواش (رجل من يربوع) ١٥٥

قس بن ساعدة الإيادي ٣٧٨

قصير بن سعد (صاحب المثل) ٨٠ ،

٨٥ ، ٤٧٠

قطري بن الفجاءة ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٠٤

القاسم الكناني ٤٠٦

قليب المغربي ٢٥٥

قيس بن زهير العبسي ١٣٥ —

١٤١ ، ١٥٤ ، ١٥٨

قيس بن عاصم ١٠٦

قيس بن اللوح = مجنون ليلي

قيس بن وجرة الطائي ٤٣١

قيصر ١٠٥ ، ٣٣٤

قيصر بن أنطرس ٦١ ، ٦٢

مالك بن المنذر بن ماء السماء ٤٣٣
مالك بن نويرة ٨٠، ٨٦ — ٩٠،
١٦٦
المأمون (الخليفة العباسي) ٢١٣ ،
(٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٨٨ ، ٣١٦ ، ٣٧٣)
٤٥٧ ، ٤٥٨

المانكير (من ملوك الصين) ٦٩
ماني بن فاتك الثنوي ٢٨٦ —
٢٩٨ ، ٣٧٦

المبرد (محمد بن يزيد) ٣٨٩
المتلس جرير بن عبد المسيح ٢٩ ،
٢٣٣ ، ٣٩٧ — ٤٠٠

متم بن نويرة ٨٠ ، ٨٦ — ٨٩
المتنبى ، أحمد بن الحسين ٣٧ — ٤٤ ،
٢١٣ ، ٢٨٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ —
٣٤٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٢١ ، ٤٧٤
— ٤٧٦

المتوكل (الخليفة العباس) ٤٤٥
مجامع بن مسعود ٤٤٢
مجامع بن مسعر ١٨٨
مجنون ليلي (قيس بن الملوّح)
٣٥٢ — ٣٥٦

محارب بن موسى اليشكري ٣٤٧

٣٩٢ ، ٤١٧

مهمان الحكيم ٤٦٣

مقيط الإيادي ٢٠٣

ملك بن متوشلح ٢٣٦

لويان بن الملك ٢٣٦

ليلة بنت الحارث بن عمرو ٣٥٨

ليلي بنت سعد (صاحبة المجنون)

٣٥٢

(م)

ابن الماحوز = عبد الله

مادر (صاحب المثل) ٣٧٨

مارية بنت ظالم بن وهب الكندي

٤٢٥ ، ٤٣٦

المازني النحوي ٣٠١

مالك بن أنس (إمام دار الهجرة)

٢٦٠ — ٢٦٣ ، ٢٧٥

مالك بن حنظلة ٣٨٩

مالك بن زهير العبسي ١٥٧ ، ١٥٨

مالك بن دينار ١٨٣

مالك بن فارح (نديم جذيمة)

٧٩ ، ٨٠

مالك بن مسمع ١٩٤ ، ٣٨٠

المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٩٩، ٤٣٠

المدائني ١١٦، ١٣٥، ١٤٤، ٣٤٧،

٤٣٨

مرة بن ذهل ٩٧

مرداس الأسدي ١٨٦

ابن المردى ٢٠٥

المرزباني ٣١٦

المرزوقي (شارح الحاسة) ٣٢٩،

٣٣٠

مروان بن محمد المعروف بالجعدي

(الخليفة الأموي) ٢٣٧ - ٢٤٠،

٢٤٨، ٢٩٣

مروان بن أبي حفصة ٣٠٠

مروان بن الحكم ٤٦٥

ابن مسجج = سعيد

ابن مسعدة ٤١٦

أبو مسلم الخراساني ٢٣٨، ٣٤٨،

٣٤٩

مسلم بن عنبس ١٩٦

مسمهر بن يزيد ١٦٨

المسيح = عيسى عليه السلام

المحرق (أحد ملوك جفنة) ٤٣٥

محرق = عمرو بن هند

المخلق بن جشم الكلبي ٤١٤،

٤١٨ - ٤٢٠

محمد (صلى الله عليه وسلم) ٢٦، ٢٩،

٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٨، ٥٠،

٥٧، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ١٠٤، ١٠٥،

١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١١٩ -

١٢١، ١٣١ - ١٣٤، ١٤٨،

١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ٢٩٣، ٣١٥،

٣٣٧، ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٤١٥،

٤١٦، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٥٦،

محمد بن أحمد بن عمران ٣٣٠

محمد بن جعفر ٢٦١

محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي

١٨٤

محمد بن الحسن الشيباني ٢٦١

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان

٢٩٨

محمد بن عبد الملك الزيات ٢٤٩

محمد بن عروة بن الزبير ٣٥٩

محمد بن يوسف الثقفي (أخو الحجاج)

١٨٤

معود الحكماء = معاوية بن مالك

المغيرة بن حبناء ٤٠

ابن مقبل ١٩٢

ابن المققع ٢٣٩ ، ٢٦٩

مكحول الشامي ٢٩٠

ملاعب الأسنة = عامر بن مالك

الملوح بن قيس ٣٥٣

أبو مليكة = الخطيئة

مليكة بنت الخطيئة ٤٥٠

المستنقع بن بنهان ١٢٦

منشم (المضروب بها النمل في الشؤم)

٣٨٨

المنذر الأكبر ٨٠

المنذر بن عمرو ١٣٣ ، ١٣٤

المنصور — أبو جعفر

ابن مهاجر ٢٩٠

المهدي (الخليفة العباسي) ٢٣١ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ،

٣٠٩ ٣٧٦

المهاب بن أبي صفرة ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٩٤ — ٢٠٥ ، ٢٩٨

مهلهل بن ربيعة ٩٦ — ١٠٢ ،

مصعب بن الزبير ١٠٥ ، ١١٢ ،

١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩

معاذ بن إسماعيل ٣٨

معاوية بن الجون الكندي ٩٠

معاوية بن أبي سفيان ٦٠ ، ١٠٩ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،

٢٧٩ ، ٣١٨ ، ٣٧٤ ، ٤٢٤ ،

٤٢٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥

معاوية بن عمرو بن الشريد (أخو

الخنساء) ٤٣٦

معاوية بن مالك بن جعفر ، معود

الحكماء ١٣١

معبد الجهني ٢٩٠

معبد (الغني) ١٩١

المعتضد = عباد بن محمد

المعتمد على الله (محمد بن عباد صاحب

قرطبة) ١٧

معروف الكرخي ٣١٦ ، ٣١٧

المعري = أبو العلاء

أبو معشر الفلكي ٢٠٥ ، ٢٢٢ ،

٢٢٤

الملي الحاربي ١٨٦

أبو نصر الجوهرى ٢٦٨
النضر بن الحارث بن كلدة ٢٣٧
نضلة بن مرة (أخو جساس) ٩٤ ،
٩٥

نطا فورس ٢١١
النطف بن خيرى ٥٥ ، ٥٤
النظام ، إبراهيم بن سيار ٢٢٦ -
٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٣٢٠
النعمان بن المنذر ٣٦٨ - ٣٧١ ،
٤٠٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠

ابن نهيك (صاحب شرطة المهدي)
٣٠٢

النوار (زوجة حاتم) ١١٤
أبو نواس ، الحسن بن هانيء ٢٤٠ ،
٣١٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٧٥ -
٣٢٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٧

النويختى ٢٨٦
نوح (عليه السلام) ١٨١
أبو الزيرة (قاتل جساس) ٩٥
(ه)

هارون (عليه السلام) ٥٢

١٥٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٤٠٨ ،

٤٠٩

مهلهل بن زيد الخليل ١٢٣
موسى (عليه السلام) ٥١ - ٥٤ ،
٤٦٦ ، ١٤٧

أبو موسى الأشعرى ١٠٥ ، ٤٥٣
الموفق (الخليفة العباسى) ٢٣
المؤذن البعلبكي ٢٣٩
المؤيد ، إسماعيل بن على صاحب
حماة ، المعروف بأبي القدا ١٣ ، ٧٠ ،
٤٧٦

الميداني ٤٣٦

(ن)

الناطقة الجعدى ٤٢٥ ، ٤٢٦
الناطقة الذبياني ١١٣ ، ٤١٤
ناجية بن عفال ٥٥
نافع بن الأزرق ١٩٤ ، ١٩٥ ،
١٩٦

نزار بن مالك ١٣١

ابن نصر ٣٠١

هلم بن مرة ٩٦، ٩٧، ٤٠٩-٤١١

هند بنت الحارث (صاحبة عمر بن

سقة) ٣٦٣

هند بنت الحارث بن حجر ٤٣١

هند بنت الخس = ابنة الخس

هند بنت ظالم (امراة الحارث بن

عمرو بن معاوية الكندي

١٥٢ - ١٥٤، ٤٧٥

هند بنت النعمان بن المنذر ٤٠٦

هيلانة أم الإسكندر ٦٤

(و)

الواحدى (شارح ديوان المتنبي) ٣٣١

واصل بن عطاء ٣٠٠

وائل (أبو بكر وتغلب) ١٤٢

أبو وائلة = إياس بن معاوية

أبو وائل تغلب بن داود ٤٢

أبو الودعات = هبنقة

ابن وكيع ٤٣

ولادة بنت المستكفي ٢٢ - ٢٤

أبو الوليد بن جهور ١٦، ١٧

الوليد ربيعة ١٣١

أبو الوليد بن زيدون = ابن زيدون

المهاشمي = عبد الله بن معاوية

هبنقة ، يزيد بن ثروان ٣٧٩ -

٣٨٠

ابن الهبولة = زياد

ابن هبيرة ١٤٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٣٩٢

هجرس بن كليب ٩٥

الهجيمي ٣٢

المهداد (لقب أبي بليس) ٨٣

أبو المذبل العلاف المتكلم ٢٢٧ ،

٢٤٢ ، ٢٢٨

هرم بن سنان المري ١١٢ ، ١٥٩

هرم بن قطبة بن سيار الفزاري ١٦٢

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩

ابن هرمة ٣٤٧

هرمس ٢٠٥ - ٣٠٨

هشام بن عبد الملك ١٠٧ ، ٢٣٩ ،

٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٤٤ ، ٣٩٠ ،

٣٩١

هلال بن عطية ٣٠٣ ، ٣٠٤

هلم بن غالب = الفرزدق

الوليد بن عبد الملك ٢٩٤، ٣٤٣

الوليد بن يزيد

وهب ٦١

(ى)

يحيى بن الحكم ٤٠٤

يحيى بن خالد البرمكى ٥٨

يزدجرد ٧٦، ١٩٠

يزيد بن أبى أسلم ١٧٩

يزيد بن ثروان = هبنقة

يزيد بن الحصين ١٨٨

يزيد بن دينار ١٨٨

يزيد بن عبد المدان ٣٦٦

يزيد بن عبد الملك ٤٠١، ٤٣٦

يزيد بن الفضل ٣١٧

يزيد بن أبى كبشة ١٨٨

يزيد بن المهلب ١٨٧، ١٨٨، ١٩١

١٩٢

يزيد يسار (عبد) ٣٨٧، ٣٨٨

يعمر بن قاهث ٥١

يعقوب بن داود (وزير المهدي) ٣٠٣،

٣٠٢، ٣٠٨، ٣٠٩

يعقوب الكندي = الكندي

يوسف (عليه السلام) ٤٨ - ٥١

يوسف بن أبى عقيل الثقفى (أبو

الحجاج) ١٧١، ١٧٢

أبو يوسف القاضى ٢٦٢، ٣٦٣

يونس بن بقمية ٦٣

يونس بن يافث ٦٣

٩ - فهرس القبائل والأمم والفرق

البراهمة ٧٥	(٢)
بنو بدر ١٢٤، ١٥٦، ٤٢٢	بنو الأحوص ١٦٤
البرامكة ٣٨٩	الأرقام ٤٠٨
بنو بغيض ٤٥٠	الأرمين ٢٨٥
بنو بكر بن كلاب ٤٢٢	الأزارقة ١٧٠، ١٩٥ - ٢٠٣
بكر بن وائل ٩٨، ٩٣، ١٢٨،	الأزد ٨٣، ٣٠٠، ٣٩٢
١٥٢ : ٣٧٤، ٣٩٨	بنو أسد ٩٢، ١١٦، ١٤٠، ٣٣٤
بنو بهدلة ٤٣٥	بنو أسد بن هاشم ٣٣٦
(ت)	بنو إسرائيل ٥٢، ٥٣، ٧٦
الترك ٥٥، ٨٢، ١٨٩	الأشعرية ٢٨٥
تغلب ٩٣، ٩٨، ١٥٢، ٤٠٨	الأشعريون ٨٣
بنو تميم ٣٢، ٣٣، ٥٤، ١١٠، ٥٥،	بنو الأصغر = الروم
١٢٨، ١٤٨، ٣٧٤، ٣٩٠،	الإفرنجية ٦٣
٣٩١، ٣٩٧، ٤٦٤، ٤٦٥	بنو أمية ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٤٧، ٣٥٢
(ث)	الأنصار ١٣٢
بنو ثعلبة ١٥٦، ١٦١، ١٦٧	آتمار ٨٣
ثمود ١٨٢	إياد ٧٨
الثنوية ٣٧٥	(ب)
	باهلة ١٤٦
	البراجم ٣٩٧، ٤٣٤

(ج)

جذام ٨٣

بنو جشم ٩٣

بنو جعدة ٣٥٤

بنو جعفر ٩٠، ١٣١، ١٥٣، ١٦٥،

١٦٦

ملوك جفنة ٤٣٥

جنب ٤٠٨

الجهاورة ١٨ = بنو جهور

الجهمية ٢٩٣

بنو جهور ١٨

(ح)

بنو الحارث بن عمرو ٣٨٩، ٣٨٨

الحبطات ٣٨٩

بنو الحريش ٣٥٤

بنو الحكم ٢٩٣

بنو حمدان ٤٠

حمير ٨٣، ٣٧٤، ٥٥

بنو حنظلة ٥٥، ٩٠، ١٣٦، ٣٩٧،

٤٣٤، ٤٤٢

(خ)

بنو خالد ١٦٣، ١٦٧،

خشم ١٢٩

خندف ٤٣٥

الخوارج ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧،

١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣،

(د)

بنو دارم ٣٨٨، ٣٨٩

(ذ)

ذبيان ١٣٥، ١٣٧ - ١٤٠، ١٥٤ -

١٥٥، ١٥٧

(ر)

بنو راسب ٣٨٠

الروم ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٣،

٨٠، ١٠٢، ٢٣٧، ٢٨٥،

٣٤١، ٣٦٨

(ز)

بنو زبيد ٤٤٤

آل الزبير ١٨٨

الزراذشتيه ٢٨٥

(س)

السامرة ٢٨٥

سبا ٨٣

الطوائف بالأندلس ١٦ ، ٢٢ ،

٧٢

طبي ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ ،

١٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣

(ع)

عاد ٨١

بنو عامر ٩٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،

١٣٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٣٥٣ ،

٣٩٢

عاملة ٨٣

بنو عباس ٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٥٤ ، ١٥٥

بنو العباس ٢٣٨

العبرانية ٢٨٥

العجم ٢٢٣

بنو عدي بن أخزم ٤٣٣

العرب ٦٣ ، ٧٧

عصية ١٣٣

بنو عقيل ٢٩٨

عنزة ١١٥

العمانية ٢٩٢

العمانية ٢٨٥

بنو سعد ١٠٤ ، ٤٣٥

السكون ٣٩

بنو سلول ١٦٧ ، ١٨٦ ، ٤٥٦ ،

بنو سليم ١٣٢ ، ٣٣٧

آل سليمان بن علي ٣٠٣

آل أبي سفيان ١٩٤

السوفسطائية ٤١ ، ٢٢٨

(ش)

بنو شريح ١٣٥

آل شماس ٤٥٤

الشعوبية ٢٤٢

بنو شيبان ٩٣

(ص)

الصابئة ٢٠٦

الصفد ١٨٩

الصقالية ٦٣

(ض)

بنو ضبيعة ٣٩٧

(ط)

بنو طفاوة ٣٨٠

(غ)

غسان ٨٣، ١٥٢

غطفان ٩١، ٣٣٤

غني ١٣٦، ١٦٤

(ف)

الفراعة ٧٥

الفرس ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٦٤ - ٦٦،

٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨٢، ٢٣٦، ٢٣٧،

٣٦٨

قزارة ١٢٤

بنو ققيم ٤٦٥

(ق)

قطان ٥٦، ٧٥، ٣١٥

القراءون ٢٨٥

قريش ٣٥٦، ٣٥٧، ٤١٦، ٤٣٤

بنو قشير ٢٧٧ - ٢٧٩

قضاة ٧٧، ٧٩، ٣٧٤، ٣٧٥

قيس ١١٦، ١٢٠

بنو قيس بن ثعلبة ٣٧٩

بنو القين ٤٠٣

(ك)

كعب ٤٣٥

بنو كنانة ٩١

كندة ٨٣، ١٠٢، ١٧٢

الكيومرثية ٢٨٥

(ل)

لحم ٨٣، ١٥٢

(م)

بنو مالك ١٦٣، ١٦٤

المانوية ٢٨٦ - ٢٨٩

المجوس ٢٨٦

آل محرق ٨٩

بنو مخزوم ٣٣٤، ٣٨٠

مذحج ٨٣

بنو مره ٩٣

بنو مسمع ١٩٨، ٢٨٩

مضر ١٢٦، ١٣٣

المعزلة ٢٢٦، ٢٨٥

معد ٤٣٤، ٤٣٥

معبد ٣٦٨

بنو مقاعس ١٢٦

الملكانية ٢٨٥

هذيل ٢٨٠

بنو هرم ١٦٥

بنو هزّان ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٣ ، ٤٢٠

الهند ٧٤ ، ٣٦٨ ، ٤٣٠

هوازن ٩١ ، ١٦٨

(و)

بنو وائل ١٥٢ ، ٤٤٥

(ى)

بنو يربوع ٨٦ ، ١٥٥ ، ١٥٥

بنو يشكر ٩٨

اليعقوبية ٢٨٥

اليمانية ٨٣ ، ٨٥ ، ٤٠٨

يهود ١٠٢ ، ٢٨٥

اليونان ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٤٢

آل المنذر ٨٦

آل المهلب ١٨٨

الموابذة ٦٦

الموشكانية ٢٨٥

(ن)

بنو نبهان ١٢١

بنو نزار ٤٣٥

النسطورية ٤٣٥

النصارى ١٤٢ ، ٢٨٥

آل نصر ٧٨

التمر بن قاسط ١٣٩ ، ٤٥٠

بنو نمير ١٢٣

بنو نهشل ٤٦٤ - ٤٦٦

(هـ)

بنو هاشم ٢٩٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٧

١٠ - فهرس الأماكن والبقاع

البحر الروى ٣١٢، ٦٣
 البحر الشرقى ٣١٢
 بحر القلزم ٣١١
 البحرين ٣٩٨، ١٥٢
 بخارى ١٨٩
 برباة أخيم = أخيم
 البصرة ١٩٦، ١٤١، ١٠٥، ٧٨
 ٢٦٨، ٢٤٨، ٢٠٤، ١٩٧
 ٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١، ٢٧٦
 ٣١٨، ٣١٦، ٣١١، ٣٠٥
 ٤٦٤، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٤٧
 بطن هرثى ٤٠٤
 البطيحة ٣٠٣
 بغداد ٣٢٥، ٣٠١، ٢٤٨، ٢٣١
 ٤٥٩
 بقعة ٨٠
 بلخ ١٨٩
 بيت الصنائع ٦٤
 بئر معونة ١٣٣، ١٣٢

(أ)

الأبلة ٣١١، ٧٣
 الأبلق (حصن السموءل) ١٠٢
 الأحص ٩٤
 أخيم ٢٠٦
 أستراباذ ٧٣
 الإسكندرية ٢١٤
 إشبيلية ٢٤، ١٧، ١٦
 الاصاد = ذات الإصاد
 أصبهان ٣٤٧، ١٩٩، ٧٦، ٦٨
 إصطخر ٢٠٢، ٧٢
 أعكش ٤٧٥، ٤٧٤
 الأنبار ٧٧
 الأندلس ٢٦٢، ١٦
 الأهواز ٢٦٩، ٢٢٨، ١٩٨
 إيوان كسرى ٥٨، ٥٧

(ب)

بابل ٢٠٦، ٦٦
 بادية السماوة ٣٨

حضرموت ٣٩

حوارين ٣٢٤

الحيرة ٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٦٨ ،

٣٩٨

(خ)

الخابور ٨٤

خراسان ٨٢ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،

١٩٧ ، ٢٠٤

خزائن دمشق الوقفية ١٤

خوارزم ١٩٠

(د)

دار الهجرة = المدينة

دجلة ٨١

دجيل ١٩٧

دمشق ١٤ ، ١٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،

٣١٧ ، ٣٢٤

دير الجاجم ١٧٧ ، ١٨٣

(ذ)

ذات الإصا ١٥٦ ، ١٥٧

الذئائب ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠١

ذوحسم ٩٩

(٣٥ - سرح العيون)

بيسان ٧٣

بيكند ١٨٩

بينون (حصن باليمن) ٧٤

(ت)

تبالة ١٧٢

تبوك ٤٣٦

تنيس ٢١٩

تهامة ٩١ ، ٣٣٣

تياء ١٠٢

(ج)

جاسم ٣٢٤

جامع البصرة ٣١٨

جامع بغداد ٣٢٥

الجزيرة ٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٤٢

جزيرة كيش ٣١١

جفر الهياقة ١٣٨

الجوف (جوف مهاد) ١٣٨

(ح)

الحبشة ٥٥ ، ٦١ ، ٣١١

الحجاز ٧٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤

حجر ١٠١

الحرمان ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥

الحضر ٨٤ ، ٨٥

ذو سرخ ٤٥١

(ر)

الرصافة ١٠٧

الروم ٨٥، ٨٠

رومية ٦١، ٥٧

الري ٣٤٧، ١٨٦

(ز)

زقاق سبتة ٣١١

(س)

ساباط ٣٧١

سبتة ٣١١

السبيع ٣٩

سجستان ١٨٩

سمرقند ١٩٠، ٦٨

السند ٤٣، ٢٥٤، ٤٣٠

السواد ١٩٦

(ش)

الشام ٨٣، ٧٩ - ١٠٥، ٩٥، ٨٥

١٤١ - ١٤٣، ١٥٢، ١٥٣

١٧٣، ١٧٨، ١٩١، ٢٣٧

٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٢

٤٣٥

شيث ٩٤

شهرزور ٧٠

شيراز ٣٤٧

(ص)

صنعاء ١٨١

الصين ٩٦، ١٩٠

(ط)

الطافان ١٨٨

الطائف ١٧٠، ١٧٣

طخارستان ١٨٨، ٢٩٨

(ع)

العراق ٤٠، ٨١، ١٠٩، ١٧٣

١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣

١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٩

٢٠٠، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٧٤

٢٧٥

عسنان ٣٦١

المقبة ١٣٧

المقيق ٣٨١

عكاظ ٩١، ٤٤

عمان ١٤٠

(غ)

الغريان ٨٠

غمدان (حصن باليمن) ٨٤

كرمان ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٤٨

الكعبة ٤٣٦

الكوفة ٣٨ ، ٧٨ ، ١٠٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٨٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ،

٢٩٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٠ ،

٤٥٦

(ل)

اللاذقية ٣٨

(م)

ما وراء النهر ١٨٨

محلة بنى زبيد ٤٤٠

المدائن ٨١

المدينة ١٢٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٦٠ ،

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٤٠١ ،

٤٠٤ ، ٤٦٥

المربد ٤٤١

المسجد الجامع بالقاهرة

مصر ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١٠٥ ،

١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٠٦ ، ٤٣٥ ،

المغرب ١٧ ، ٦٣ ، ٣١١

مكة ١٥٤ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٣٧٤ ،

٤٣٤

(ف)

خارس ٦٦ ، ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٣١١ ،

٣٤٧

خدك ١٤١

الفرات ٨٥ ، ٣٨١

خرقة ٢٢١

الفرما ٢١٩ ، ٣١١

(ق)

القادسية ٨٦ ، ٤٣٧

القاهرة ٣٢٤

قبرص ٢٤٢

قرطبة ١٦ ، ٢٢

قرقيسيا ١٧٢

القسطنطينية ٦٤

قصر شيرين ٨١

قم ٣٤٧

خنطس ٣١١

قيسارية الروم ٦٢

قيسارية الشام ٦٢

(ك)

كاشغر ١٩٠

الكرخ ٧٣

الهند ٦٨، ٦٦، ٢٠٠، ٣٠٠، ٤٢٠

(و)

واردات ٩٠، ١٥٦

واسط ١٨٥، ٤٤٥، ٤٤٦

(ي)

بيرين ٨١

يثرب ١٠٢

يرموك ٤٣٧

الين ٣٩، ٥٥، ٨٣، ٨٤، ١٢٦

٣٨٦

اليونان ٨٢

الملخ ١٢٢

(ن)

نجران ٣٣

نجد ٩١، ١٣٣

نصيبين ٦٥

نهر القيوم ٥٠

نيسابور ٢٤٢

(هـ)

الهباء ١٣٨، ١٤٠

هراة ٦٨

همدان ٣٤٧

١١ - فهرس الكتب

(وهي التي ذكرها ابن نباتة في أثناء الكتاب)

صفحة	
٤٣٥ ، ٤٣١	الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني
٣١١	كتاب جغرافيا لبطليموس
٤١٣ ، ١٤٢	جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكري
٢٩	الحيوآن للجاحظ
١٣٩	ديوان الحماسة لأبى تمام
١٧ ، ١٦	الذخيرة لابن بسام
٤٦٨	الروض الأنف للسهيلى
١٤٦	ز كن إياس
٣٢٩	شرح ديوان الحماسة للمرزوقى
٣٣١	شرح ديوان المتنبي للواحدى
٢٤٦	معلقة وعقرة لسهل بن هارون
٢٩	كليلة ودمنة
٤٣٦	مجمع الأمثال للميدانى
٧٠	المختصر فى تاريخ البشر لأبى الفدا
٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦	مفردات الراغب الأصفهاني
١٧	المقتبس لحيان بن خلف

١٢ - فهرس مراجع الشرح والتحقيق

- أخبار القضاة لوكيع (الاستقامة ١٩٤٧ م).
- أدب الدنيا والدين للماوردي (المطبعة الأميرية سنة ١٩٢٣ م)
- الاشتقاق لابن دريد (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م).
- الإصابة لابن حجر (نشرة مصطفى محمد ١٩٣٩ م).
- الأصمعيات ، للأصمعي (دار المعارف ١٣٧٠ هـ).
- الأعلام لخير الدين الزركلي (الطبعة الثانية).
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ - ودار الكتب)
- أمالي القالي (مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ).
- أمالي المرتضى (عيسى الحلبي ١٩٥٠ م).
- أسراء البيان لمحمد كرد علي (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م).
- أنساب الأشراف للبلاذري (دار المعارف ١٩٥٩ م).
- أنساب الخليل لابن الكلبي (دار الكتب ١٩٤٦ م).
- أيام العرب في الجاهلية لجاد المولى ، والبجاوي ، وأبي الفضل (الحاجي سنة ١٩٤٢ م).

- بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي (الرحمانية ١٣٤٣ هـ).
- البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م).
- تاج العروس للزبيدي (القاهرة ١٩٠٦ م).
- تاريخ ابن الأثير (إدارة الطباعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ).
- تاريخ الإسلام للذهبي (نشرة القدسي ١٣٦٧ هـ).
- تاريخ الطبري (الحسينية ١٣٢٦ هـ).

- تهذيب التهذيب لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ) .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (مطبعة الظاهر ١٣٢٦ هـ) .
- الجامع الصغير للسيوطي (عيسى الحلبي ١٩٥٤ م) .
- حذوة المقتبس لأبي عبد الله الحميدي (مطبعة السعادة ١٣٧١ هـ) .
- جمهرة الأمثال للعسكري (المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٠ هـ)
- جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت (مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٧ م) -
- الحيوان للجاحظ (مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ) .
- خزانة الأدب للبغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
- ابن خلكان (المطبعة الميمنية هـ) .
- دائرة المعارف الإسلامية (القاهرة ١٩٣٣ م)
- الدرر السكمانية في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، (حيدر آباد ١٩٥٠ م) -
- ديوان أبي بن مقبل (دمشق ١٩٦٢ م)
- ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م) .
- ديوان امرئ القيس (دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م) .
- ديوان أوس بن حجر (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م) .
- ديوان البحتري (هندية ١٩١١ م) .
- ديوان بشار بن برد (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م) .
- ديوان أبي تمام (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ م) .
- ديوان جرير (الصاوي ١٣٦٣ هـ) .
- ديوان جميل (دار مصر للطباعة) .
- ديوان حاتم الطائي (ضمن مجموعة خمسة دواوين - المطبعة الوهبية ١٩٣٩ م) -

- ديوان حسان بن ثابت (الرحمانية ١٩٣٩ م) .
- ديوان الخطيئة (التقدم بمصر) .
- ديوان الحماسة - بشرح التبيري (مطبعة نجفازى ١٩٣٨ م) .
- ديوان الحماسة - بشرح للرزوقي (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م) .
- ديوان دى الرمة (كهرج ١٩١٩ م) .
- ديوان زهير بن أبى سلمى (دار الكتب ١٣٦٣ هـ) .
- ديوان ابن زيدون (الرسالة ١٩٥٧ م) .
- ديوان السموءول (مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٥ م) .
- ديوان طرفة بن العبد (الأبجد ١٩٥٨ م) .
- ديوان أبى الغتاهية (بيروت ١٩١٤ م) .
- ديوان العرجي (بغداد سنة ١٩٥٦ م) .
- ديوان عمر بن أبى ربيعة (مطبعة السعادة ١٩٦٠ م) .
- ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤ هـ) .
- ديوان ليبد (السكويث ١٩٦٢ م) .
- ديوان المناسك (ليسك) .
- ديوان للتنبي - بشرح الكبيرى (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م) .
- ديوان مجنون ليلى (دار مصر للطباعة) .
- ديوان أبى نواس (المصومية ١٨٩٨ م) .
- ديوان المهذلين (دار الكتب ١٣٦٩ هـ) .
- الذخيرة لابن بسام (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ م) .
- رغبة الأمل من كتاب السكامل المرفعى (مطبعة النهضة ١٣٤٦ هـ) .
- الروض الأنف للسهملى (الجمالية ١٩١٤ م) .

- زيادات ديوان المتنبي لعبد العزيز الميمنى (السلفية ١٣٤٦ هـ) .
- ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه ، لعلى عبد العظيم (الرسالة ١٩٥٥ م) .
- سيرة ابن هشام (مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ) .
- شرح القصائد العشر للتبريزى (السلفية سنة ١٣٤٣ هـ) .
- شرح مقامات الحريرى للشريشى (بولاق ١٣٠٠ هـ) .
- شروح سقط الزند (دار الكتب ١٩٤٥ م) .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ) .
- شعراء النصرانية (مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩٢٦ م) .
- شواهد العيني (المطبعة الكاستالية ١٢٩٧ هـ)
- صفة الصفوة لابن الجوزى (حيدر آباد سنة ١٣٥٦ هـ) .
- الصلة لابن بشكوval (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م) .
- طبقات الأطباء لابن جلجل (المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩٥٠ م) .
- طبقات الشعراء لابن المنعز (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م) .
- كتاب المصا لابن منقذ (خمسة مجموعة نوادر المحفوظات - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ م) .
- العقد لابن عبد ربه (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ) .
- العمدة لابن رشيق (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م) .
- الفاصل المبرور (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦ م) .
- الفائق فى غريب الحديث والأثر (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ) .
- خطر البدى لابن هشام (مطبعة السعادة ١٩٤٩ م) .

- قلائد العقيان للفتح بن خاقان (بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .
- الكامل للمبرد (نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م) .
- الكتاب لسبويه (بولاق سنة ١٣١٦ هـ) .
- الكشاف للزمخشري (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م) .
- كشف الظنون لحاجي خليفة (الآستانة ١٩٤١ م) .
- الكنائيات للجرجاني (السعادة سنة ١٣٢٦ هـ)
- اللاي لأبي عبيد البكري (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ) .
- لسان العزب لابن منظور (بولاق سنة ١٣٠٠ هـ)
- مجمع الأمثال للميداني (المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ)
- مختارات البارودي (مطبعة الجريدة بقيط العدة سنة ١٣٢٧ هـ) .
- مختارات ابن الشجري (الاعتماد ١٩٤٥ م) .
- المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا (الحسينية ١٣٢٥ هـ) .
- المرزباني = معجم الشعراء .
- المزهر للسيوطي (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦١ هـ) .
- المعتمد في الأدوية للسلطان يوسف بن عمر الفسائي ، صاحب اليمن (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ) .
- معجم الشعراء للمرزباني (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
- كتاب المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦١ م) .
- معجم البلدان لياقوت (مطبعة السعادة ١٩٣٦ م) .
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ م) .
- مفردات الراغب الأصفهاني (مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٦١ م) .

المفصلیات (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢ م)
 الملل والنحل لابن حزم (المطبعة الأدبية سنة ١٣١٧ هـ)
 الميداني = مجمع الأمثال .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (مطبعة دار الكتب ~~بدمشق~~)
 نسب قريش للزبيری (دار المعارف ١٩٥١ م) .
 نهاية ابن الأثير (المطبعة العثمانية ١٩١١ م)
 وفيات الأعيان = ابن خلكان .

استدراكات

ص	س	
٢١	٩	قوله : « القصيدة التي أولها » ، كذا في بعض الروايات ؛ وفي بعضها « التي أولها » : أضحى التناهي بديلاً من تدانينا ونائب عن طيب لقيانا تنانينا
٢٤	١	البيت في ديوان أبي نواس ١٠١
٤٩	١٢	مثل « إته » ، يشير إلى قول عبد الله بن قيس الرقيات : وَيَقَانُ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
١٣٥	١٧	هو الأحوص بن جعفر العامري ، سيد بني عامر .
١٩٢	١٥ ، ١٦	البيتان في ديوان ابن مقبل ٢٨ بهذه الرواية : غدا وهو مجدولٌ فراح كأنه من الصلِّ والتقليب في الكف أبطح إذا امتنحتهُ من معدِّ عصاة غدا ربُّهُ قَبْلَ المقيضين يَقْدَحُ
١٩٤	١٤	في جميع الأصول : « نافع بن عبد الله بن الأزرق » ، والمعروف في جميع المراجع أنه « نافع بن الأزرق » ، يكتب البيت هكذا :
٣٠٠	١٦	أنا والله أشتهى سحر عَيْنَيْكَ وأخشى مصارع العشاقِ ويروى بيت أبي نواس بهذه الرواية أيضاً :
٣١٥	٨	ليسَ على الله بمستنكر أن يجمع العالمَ في واحدٍ

بقية البيت :

١٨١ ٣٧٣

* كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عَشْرَقَ زَجْلٌ *

والبيت للأعشى ، ديوانه ٤٢

قول الشارح : « نظر فيه إلى قول المتنبي » ؛ هو قوله :

١١ ٣٨٤

وَشِبُّهُ الشَّيْءُ مَنْجَذِبٌ إِلَيْهِ

وأشبهنا بدنيانا الطغام

ديوانه ٤ : ٧١

الصواب : « تَهْنِئَاتٌ لِلتَّهْنِئَةِ ، وَتَرْشُحٌ لِلتَّرَفُّةِ » ،

١٥ ٣٦٨

يقال : رَفَاهُ عِنْدَ الزَّوْجِ إِذَا قَالَ لَهُ : بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينِ ،

وقول المؤلف : « من الترفيه » ليس بشيء .

تصويبات

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٢٦	٤	والنسيم اعتلال	١٧٦	١١	يأتيها
٢٣	٤	أنا والله	١٨٠	٤	الثقوس
٣٨	٣	هو « أحمد بن الحسين » كما	١٩٢	٢٣	ديوانه ٢٨
		في مخطوطتي م	٢٠٨	١٢	أفلاطون بن أرسطون
٤٠	١١	أذا الجود	٢١٤	١٧	أنطينانوس
٤٧	١١	السمو	٢١٥	٣	
٤٩	١٩	فتجرح يدها	٢١٦	١٤	أسقيلبيوس
٥٠	٦	شبهته	٢٣٤	١٠	تقصير
٥٠	١٥	صواب العبارة : « قيل له : ما صنع بك لختوك ؟ فقال : لا تسألوني عن صنع أخوتي وسألوني عن صنع ربي » .	٢٣٨	٩	بدعوة بني العباس
٦٥	١٠	الإسكندر	٢٤٧	١	غرفة وثعالة
٦٧	٧	وتقليبه	٢٤٧	٢١	هذه الأبيات
٧٢	٥	وأردشير	٢٨٩	١	فقال مؤيد وويلبان - يعني كاهن
٧٨	٢١	لطريف بن سودة			الكهنة
٨١	١٦	لتخطي	٢٨٩	٦	أدريارد
٨٦	٩	يحذف رقم (٢)	٣٣٣	٢٠	شحمه
٩٧	١	ولما أفاق مهمل	٣٣٥	٢	وأولها
٩٧	١٦	لا ناقة لي فيها ولا جمل	٣٤٤	٣٠	بطن
١٠٤	٩	تؤني	٣٤٤	١٨	إن أشعر من صاحبك
١٢٥	١٣	مخرجن	٣٥٦	٤	عكة
١٤٦	٥	ولباس بن معاوية لما استضاء	٣٨٢	٤	يا خليلي
		بمصباح ذكائك	٣٨٦	١١	فناجلاهما
١٤٦	٨	أبو وائلة	٣٨٨	٥	ولا تعرض
			٤١٢	٢	(في الحاشية) أن يرى
			٤٣٠	١	تعرقي